الملائكة
في
القرآن الكريم

دار وعد للطباعة والنشر
دمشق

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ-٢٠٢٠م

تطلب جميع كتبنا من
دار وعد للطباعة والنشر رقم
٠٩٩٣٧٣٠٤٩٢

المدخل العام لدراسة عالم الملائكة

وتطالع وفيه:

١- تعريف عام بعالم الملائكة.

٢ - ضرورة الإيمان بعالم الملائكة.

٣ - الإيمان المعتبر بعالم الملائكة.

٤ - الدليل على وجود عالم الملائكة مع مناقشة المخالفين.

التعريف
بعالم الملائكة



عليهم
السلام

١-التعريف بعالم الملائكة الأطهار

لغة ــ اصطلاحاً

مع أهل اللّغة:

الملائكة جمع (ملك)[1]، ولأهل اللُّغة ثلاثة أقوال في تحديد و تعيين الجذر الثلاثي الذي تنتمي إليه و ترجع إليه تلك الكلمة:

١ الجذر الثلاثي (م ل ك).

٢ الجذر الثلاثي (أ ل ك).

٣ الجذر الثلاثي (ل أ ك).

إنها إذاً ثلاثة أقوال، ولكن أيّ من تلك الأقوال أولى بالصحة وأجدر بالاعتماد؟

الرأي الأول: وأنه من (م ل ك)

وخلاصته أنَّ الملائكة من (م ل ك) ووزنه (فعل) والهمزة في (مَلْأك) زائدة، ووزنه (فعأل)، والملائكة عندهم (فعائلة)

و ممن قال بهذا الرأي أبوعبيدة وأبن كيسان الذي اشتقه من المـَلِك؛ لأنّه مالك للأمور التي جعلها الله إليه.

يقول العلامة ابن حجر في شرحه على البخاري (٣٠٦/٦) وعن أبي عُبيدة أن الميم في الملك أصلية ووزن [ملك] مثل أَسَد وهومن المَلك وهو الأخذ بقوّة، وعلى هذا فوزن ملائكة (فَعَائلة) ويؤيده أنهم جوّزوا في جمعه (أملاك)، و(أفعالُ) لا يكون جمعاً لما في أوّله ميم زائدة ١ هـ

[1] - قال الجوهري في صحاحه: والملك من الملائكة، واحد وجمع انظر م / ملك.

الرأي الثاني: وأنه من (أ ل ك).

<u>وخلاصة هذا الرأي</u>أنه مشتق من (أ ل ك) فأصله (مألك) من الألوكة وهي الرسالة ثم قلبت اللام بالتقديم فقيل (مَلأَك) وتركت الهمزة لكثرة الاستعمال فقالوا: ملك.

وأثر عن الكسائي أنه كان يقول بهذا الرأي[1]

يقول أبو العلاء المعري[2] في رسالته المسماة بـ "رسالة الملائكة" وهي رسالة في اللغة والتصريف[3] لا في العقيدة - وإنما سميت بذلك لأنها استهلها بالحديث من أصل كلمة " ملك"-[4] يقول: أصل (ملك) (مألك) وإنما أُخذ من

١- انظر" تداخل الأصوال اللغوية وأثره في بناء المعجم" لعبد الرزاق الصّاعدي ٥٠٥/١ .

٢-هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري الذي عاش بين عامي (٣٣٦-٤٤٩) هـ (٩٧٣-١٠٥٧) م شاعر و فيلسوف ولد ومات في معرة النعمان (تابعة لمحافظة إدلب السورية) كان نحيف الجسم، أصيب بالجدري صغيراً فعمي في الرابعة من عمره و قال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة رحل إلى بغداد (٣٩٨) هـ فأقام بها سنة و سبعة أشهر وهو من بيت علم كبير في بلده ولما مات وقف على قبره (٨٤) شاعراً يرثونه اهـ انظر "الأعلام ،للزركلي ١٥٧/١

٣- قال أبو الفضل المؤيّد بن الموفق الصاحبي في كتاب (المحكم البوالغ في شرح الكلم النوابغ) قال: رسالة الملائكة ألّفها أبو العلاء المعريّ على جواب مسائل تصريفية ألقاها إليه بعض الطلبة فأجاب عنها بهذا الطريق المشتمل على الفوائد الأنيقة مع صورتها المستغربة الرشيقة .

٤-عمد المعري لدفع السآمة عن موضوعه اللغوي الصرفي إلى أن صور نفسه في رسالته تلك و كأنه قد جاءه ملك الموت فأراد أن يدفع عن نفسه ملك الموت، جاء في رسالته : "فإذا همَّ – ملك الموت – بالقبض عليَّ قلت: وزن ملك ... ثم جعل ينشده أبياتاً من الشعر فأجابه الملك – على زعمه – " وما هذه الأباطيل؟ إن كان لك عمل صالح فأنت السعيد و إلا فأخسأ وراءك، فأقول: امهلني ساعة حتى أخبرك بوزن عزرائيل... وهكذا يمضي المعري شطراً من رسالته وهو يتخيل أنه يناقش الملائكة وهي تحاوره! وهذا منه جهالة أو تجاهل لهذا العالم الذي ينفذ ما أمر به لا يجادل و لا يناقش بما لم يؤذن له به و لا أحسب أن هذا النوع من النقاش اللغوي الصرفي مما أذن له فيه ، وتأمل قول الحق "توفته رسلنا وهم لا يفرطون" وعلى كل حال فقد تبين للمعري وأمثاله بطلان آراءهم عندما جاءهم ملك النفوس - على حد تعبيره - لقبض أرواحهم

أقول: ولئن أصابك العجب مما ذكره في رسالة الملائكة فما ذكره في رسالته - الغفران -" أكثر عجباً ودونك هذا المقتطف لتعلم أي رجل كان المعري " ويقول الأعشى قلت لعلي !! قد كنت أؤمن بالله و الحساب و أصدق بالبعث و أنا في الجاهلية الجهلاء... فذهب علي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هذا أعشى قيس قد روى له في مدحه فيك، وشهد أنك نبي مرسل فقال: هلاّ

(الألوكة) وهي الرسالة ثم قلب، ويدلنا على ذلك قولهم (الملائكة) في الجمع لأن الجموع ترد الأشياء إلى أصولها... و عليه فوزن (ملك) (فعل) لأن الميم زائدة، وإذا كان الملك من الألوكة فهو مقلوب من (ألك) إلى (لأك)، و القلب في الهمزة وحروف العلة معروف عند أهل المقاييس...

فوزن الملائكة على هذا (معافلة) لأنها مقلوبة من (مآلكة)...فكأنهم فروا في الملائكة من ابتدائهم بالهمزة، ثم يجيئون بعدها بالألف فرأوا أن مجيء الألف أولاً أخف...١هـ

الرأي الثالث: وأنه من [ل أ ك]

<u>وخلاصة هذا الرأي:</u> أنّ أصله (ملأك) واشتقاقه من قولهم: لأكه أي: أرسله فحذفت همزة(مَلأَك) لكثرة الاستعمال، و ألقيت حركتها على اللام، ووزن (ملك) قبل التخفيف (مَفْعَل) و بعده (فَعَل) وكأنه بمعنى المصدر جعل بمعنى المفعول، لأنّ المصادر تأتي بمعنى المفعول كثيراً... ويدلُّ على ذلك قولهم في جمعه:

جاءني في الدار السابقة ؟ قال علي: قد جاء ولكن صدته قريش و حبه للخمر فشفع لي فأدخلت الجنة على ألّا أشرب فيها خمراً!!

أقول: لماذا عليٌّ بالذات أولم يتجاوز مقامه مقام إبراهيم إذ لم يشفع في أبيه! وهل سيشفع علي في أبيه؟!

ملائك و ملائكة فردّوا المحذوف إليه[1].

قال العلامة الزمخشري (١٢٤/١) والملائكة: جمع ملأك على الأصل كالشمائل جمع شمأل، وإلحاق التاء لتأنيث الجمع.١هـ

وقد نَسَبَ ابن حجر (٣٠٦/٦) هذا الرأي إلى سيبويه والجمهور حيث قال: وأصله (لأك).

ولعلك تقول: قد طوّفتنا بين عدة آراء فأيُّها الراجح حتى نعتمده ولا نعوّل على غيره.

الرأي الراجح: هو الرأي الثالث فلذا أخرته:

يقول الصّاعدي بعد أن استعرض جميع الآراء: والذي أراه أن الأصل في ذلك (ل أ ك) لظهور الهمزة في المفرد في قولهم (ملأك) وفي الجمع في قولهم (ملائكة).

وقدعلّق على المذهب الثاني بقوله: والراجح أنه لا قلب فيه فهومن (ل أ ك) كما ذهب الجمهور،ولو كان في (أ ل ك) الظهر في بعض تصاريفه، وقالوا: في جمعه(مآلكة) وقد جاء الجمع على الأصل (ل أ ك) وهو (ملائكة) وقد ورد في القرآن الكريم أكثر من سبعين مرة.

١-انظر "تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم" لعبد الرزاق الصّاعدي ٥٠٥/١

مع أهل الاصطلاح:

مَنْ هُمُ الملائكة؟

لقد عرّف أهل العلم – من علماء العقيدة والمفسرين وشرّاح الحديث وغيرهم – الملائكة بتعاريف اختلفت في ألفاظها، واتفقت في جوهرها، ولقد كشف كل تعريف منها عن جانب أو أكثر من جوانب هذا العالم الغيبيِّ الكريم:

ونحن هنا سنسوق أبرز تلك التعاريف - مراعين تسلسلها الزمني – ثم سنأتي بتعريف جامع لما تفرّق، ونتبعه بتحليل موجز، تاركين التفصيل إلى مواطنه ومواضعه من هذا الكتاب.

١) تعريف العلّامة الرازي[1](٦٠٦)هـ

يقول الرازي في تفسيره "مفاتيح الغيب" (٣٨٤/٢) **الملائكة أجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل بأشكال مختلفة مسكنها السماوات.**

٢) تعريف ابن أبي العز(٧٩٢)[2]هـ

يقول ابن أبي العز في شرحه على العقيدة الطحاوية عند قول صاحبها: **"ونؤمن بالملائكة والنبيين... "ما نصه (٢٩٩/١) وأما الملائكة فهم الموكلون بالسماوات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة.**

١-هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري أبو عبد الله فخر الدين الرازي (٦٠٦/٥٤٤)هـ (١٢١٠/١١٥٠)م الإمام المفسر، أوحد أهل زمانه في المعقول و المنقول و علوم الأوائل وهو قرشي النسب أصله من طبرستان ومولده في الري و إليها نسبته... من تصانيفه " مفاتيح الغيب ط " ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم انظر " الأعلام للزركلي " (٣١٣/٦).

٢-هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي (٧٩٢/٧٢١)هـ (١٣٩٠/١٣٢١) م فقيه كان قاضي القضاة بدمشق ثم بالديار المصرية ثم بدمشق... انظر " الأعلام " للزركلي ٣٣١/٤ و انظر "شذرات الذهب " ٥٥٧/٨ و فيها يقول. وفيها توفي صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي الصّالحي.

٣) تعريف العلامة ابن حجر[1](٨٥٢)هـ:

يقول العلامة ابن حجر في شرحه على صحيح البخاري (٦٨/٦) قال جهور أهل الكلام – العقيدة – من المسلمين **الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السماوات ١هـ**

٤) تعريف العلامة الباجوري[2] في شرحه على الجوهرة: (١٢٧٧)هـ

يقول العلامة الباجوري على الجوهرة (٢٣٢) ما نصُّه: **واعلم أن الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة حسنة شأنها الطاعة، ومسكنها السماوات غالباً.١هـ**

٥) تعريف العلامة عبد الله سراج الدين:

يقول رحمه الله في كتابه "الأيمان بالملائكة" (٣٩) **الملائكة أرواح قائمة في أجسام لطيفة نورانية قادرة على التمثل بأمثلة مختلفة بإذن الله لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة. ١هـ**

التعريف المختار للملائكة :

(الملائكة مخلوقات غيبية من جملة مخلوقات الله ، خلقها الله من نور ، وجعل لها أجنحة، وفطرها على طاعته، وعصمها عن مخالفته، وأقدرها على التشكل والتمثل، وأسكنها سمواته، ووكل إليها ما وكل من أعمال ومهام ذات صلة بالإنسان والأكوان)

١-هو العلامة المشهور و اسمه أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢) هـ (١٣٧٢-١٤٤٩)م من أئمة العلم و التاريخ أصله من عسقلان (بفلسطين) و مولده ووفاته في القاهرة...و كان حافظ الإسلام في عصره له العشرات من الكتب و منها "فتح الباري في شرح صحيح البخاري" ط انظر " الأعلام " (١٧٨/١).

٢-الباجوري: هو العلامة إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري شيخ الجامع الأزهر (١١٩٨-١٢٧٧)هـ (١٧٨٤-١٨٦٠)م من فقهاء الشافعية نسبته إلى الباجور(من قرى المنوفية في مصر) ولد و نشأ فيها و تعلم في الأزهر له كتب منها " تحفة المريد على جوهرة التوحيد" ط انظر الأعلام" ٧١/١.

هذا وقد احتوى هذا التعرف الجامع على مجموعة من النقاط تتصل بعالم الملائكة من حيث **أشكالهم وصفاتهم ومهامهم :**

الملائكة مخلوقات من خلق الله عز وجل:

إنَ كلَ ما في الوجود من الموجودات مما نراه ومما لا نراه هو من خلق الله وإيجاده، وردّد معي قول الله عز وجل:

" **الله خالق كل شيء** " [الرعد /١٦]

" **خلق كل شيء فقدَره تقديرا** " [الفرقان / ٢]

الملائكة مخلوقات غيبية[1]:

إن من مخلوقات الله ما هو مشاهد ومرئي لنا وواقع تحت حواسنا من سمع أو بصر ويسمى هذا العالم عالم الشهادة .

ومن مخلوقات الله عز وجل ما هو محجوب عن أبصارنا غير مرئي لنا ولا تدركه حواسنا ويسمى هذا العالم عالم الغيب .

قال صاحب المفردات: قوله " عالم الغيب والشهادة " [الأنعام ٧٣\] أي : ما يغيب عنكم وما تشهدونه.

والملائكة من عالم الغيب ويشاركها في ذلك عالم الجن والجنة والنَار.

---

[1]- قال العلامة ابن كثير (٧/١)والغيب :ما يُجب الإيمانُ به مما غاب عن عيوننا ولا يمنعُ عقلنا الإيمان به"

وقال صاحب المفردات م / غيب : والغيب في قوله تعالى " يؤمنون بالغيب " ما لا يقعُ تحت الحواسِ ولا تقتضيه بداية العقول ، وإنما يعلم بخبر الأنبياء ، وبدفعه يقعُ على الإنسان اسم الإلحاد اهـ.

الملائكة مخلوقة من نور:

لقد خلق الله ملائكته من نور ، وقد ثبت هذا في السنة النبوية .

" روى مسلم عن السيدة عائشة أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم "

الملائكة لها أجنحة:

لقد خلق الله ملائكته من نور ، وزودَها بأجنحة مثنى وثلاث ورباع ، وفوق ذلك

" الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ (١)" [فاطر/ ١]

الملائكة مفطورة على طاعة الله عزَ وجل معصومة عن مخالفة أمره:

لقد خلق الله ملائكته وفطرها على طاعته وحفظها عن معصيته

" لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) " [التحريم / ٦].

الملائكة قادرة على التشكل على صورة البشر:

لقد أقدر الله ملائكته على التشكل على صورة ومثال البشر كما حدث مع إبراهيم ولوط ومريم والرسول محمد و أصحابه ....

مسكن الملائكة السموات:

لقد خلق الله السموات والأرض فأسكن إنسه وجنه في أرضه ، وملائكته في سمواته

"روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر قال : قال رسول الله : إني أرى مالا ترون ، وأسمع مالا تسمعون ، أطّت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليها ملك ساجد ... "

غير أنها تغادر مساكنها لتنفيذ ما أمرت به ثم ما تلبث أن تعود إلى حيث كانت.

للملائكة مهامها ووظائفها:

لقد خلق الله ملائكته ووكل إليها من المهام والأعمال ماله صلة بالإنسان كنفخ الروح وقبضها ،وحراسة الإنسان وتسجيل أعماله ...

وماله صلة بتدبير الأكوان كسوق السحب وتنزيل المطر...

وهي - بلا شك – تؤدي ما يطلب منها على الوجه الّذي أمرت به .

قال شارح الطّحاوية : وقد دلّ الكتابُ والسنة على أصناف الملائكة وأنها موكلة بأصناف المخلوقات ، وأنه سبحانه وكّل بالجبال ملائكة ، ووكّل بالسحاب والمطر ملائكة ، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها ، ثم وكّل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإ حصائه وكتابته ، ووكّل بالموت ملائكة، ووكّل بالسؤال في القبرملائكة، ووكّل بالأفلاك ملائكة يحركونها ، ووكّل بالشمس والقمر ملائكة ... فالملائكة أعظم جنود الله .[1]

١-انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ١/ ٢٨٠

٢- ضرورة الإيمان بعالم الملائكة الأطهار

-عليهم السلام-

أو لماذا يجبُ الإيمان بعالم الملائكة الأطهار ؟

الإيمان بعالم الملائكة الأطهار واجب وضروري للأسباب التالية :

الإيمان بعالم الملائكة الأطهار ركن من أركان الإيمان :

إنَّ الإيمانَ بمعنى التَصديقِ والإقرار بوجود عالم الملائكة الغيبيِّ ركن من أركان الإيمان ، ولا يكمل إيمان مؤمن إلابإيمانه بهذا العالم على وفق ما ذكر الله.

يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي[1]في كتابه [2] الذي لّخص فيه معتقد أهل السنة **" ونؤمن بالملائكة والنبيّين ...**

ويقول الإمام أبو الحسن الأشعري[3]في كتابه " الإبانة[4]الذي لخص فيه معتقد أهل السنة

" قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندينُ بها التمسك بكتاب وبنا وسنة نبيّنا ... وأَنَّا نقر بالله وملائكته ... "

وما ورد في هذين الكتابين تردّد صداه في جميع الكتب المصنّفة لبيان معتقد أهل السنة قديماً وحديثاً لا اختلافَ بينهم في ذلك ، وإن تفاوتوا في كمية

١-الطحاوي: هو الإمام الجليل أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي (٢٣٩- ٣٢١) هـ فقيه محدّث انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر ، تربطه بالمزني صلة قرابة فهو ابن أخته بدأ شافعياً ثم تحول حنفياً فنفع الله به وله العديد من المؤلفات في الفقه والحديث ومنها كتابه بالعقبدة ، انظر " الأعلام " ٢٠٦/١ .

٢-انظر العقيدة الطحاوية ، ص /١٣٠

٣-الأشعري: هو الإمام الجليل علي بن إسماعيل بن إسحاق (٢١٠-٣٢٤)هـ يعود نسله إلى الصحابي أبي موسى الأشعري ، وهو مؤسس المذهب الأشعري ، كان من أئمة المتكلمين ولد في البصرة ، ومات في بغداد ، وكان في أول أمره معتزلياً ثم عاد إلى حظيرة أصل السنة فنفع الله به ، له العديد من المصنفات منها "الإبانة عن أصول الديانة " انظر "الأعلام " /٢٦٣ .

٤-انظر " الإبانة " ص /٥٧ .

المعلومات التي يقدمونها عن عالم الملائكة وهي قليلة على كل حال .

ولقد دل على ما قلنا دلائل الكتاب والسنة ، ولقد أجمعت على ذلك الأمة :

أما الكتابُ فقد قمت بمسحٍ شاملٍ للقرآن الكريم من أوله وحتى آخره استخرجت منه الآيات ذات الصلة بعالم الملائكة والتي تحدثت عنه بشكل مباشر فتجاوزت المئة و الخمسين آية ،وقد أفردت لها هذا الكتاب ومن تلك الآيات :

"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (٣٠)" [البقرة /٣٠]

" آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)" [البقرة /٢٨٥]

قال شارحُ الطحاوية ابن أبي العز (ص /٢٧٦) فجعل سبحانه الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة ، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين ، ... فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل .

وأما السُّنةُ فقد قمت بجمع ما وردَ في الكتب الستة: الصَّحيحين والسُّننِ مضافاً إليها ما جاء في مسند الإمام الجليل أحمد بن حنبل فتجاوزت الأحاديث عدد الآيات ،وقد أفردت لها الكتاب الثاني من سلسلة عالم الملائكة.

ومن تلك الأحاديث:

ما رواه الشيخان – واللفظ لمسلم عن عمر بن الخطاب أنه قال: بينما نحن عند رسول الله – ذات يوم – وساق الحديث وفيه فأخبرني عن الإيمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن تؤمنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ...

وأما الإجماعُ فقد جاء في كتاب " مراتب الإجماع [1]" لابن حزم ما نصه " واتفقوا على أن الملائكة حق ، وأنَّ جبريل وميكائيل ملكان رسولان لله عزّ وجلَّ مقر بأن عظيمان عند الله ،وأن الملائكة كلهم مؤمنون ..."

الكفر بعالم الملائكة الكرام كفر بالله عزّ وجلَّ :

إنَّ الكفر بعالم الملائكة بمعنى إنكار وجوده ، أو إنكار وجود فرد من أفراده كجبريل وميكائيل وملك الموت ...، ويدخل في معنى الإنكار تأويل من تأوّل الملائكة بالنجوم ونحو ذلك من التأويلات الفاسدة - إن الكفر بالملائكة كفر بالله عز وجل يخرج صاحبه عن المله ويسلكه في عداد المرتدين والعياذ بالله .

ولن ينفعه – حينها – إيمانه بالله وبباقي أركان الإيمان ، وذلك أن الإيمان كلُ لا يتجزأُ ، فمن كفر بركن من أركان الإيمان فقد كفر بالإيمان كلِّه وتأمل معي قول الحق :

" ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (١٣٦)" [النساء /١٣٦]

قال شارح الطَّحاويّة ص /٢٧٦ : فجعل الكافرين من كفر بهذه الجملة .

صلة عالم الملائكة بعالم الإنسان :

إنَّ لعالم الملائكة صلة أية صلة بعالم الإنسان تبدأ من قبل نفخ الروح ثم لا تتوقفُ تلك الصلة بعد ذلك أبداً أبداً .

فالملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها ثم تنفخ فيها الرُّوحَ بإذن ربها ثم يلازم منها من يلازم الإنسان لحراسته وصيانته ، وحفظ وضبط ما يصدر عنه من أعمال وأقوال وخواطر، وعند نهاية الأجل تأتي ملائكة الموت لقبض الروح، ثم يأتي دورُملائكة القبر منكر ونكير فيطرحون عليه أسئلة القبر التي تحدد مصيره لما بعد، وينعم في عالم البرزخ من ينعم ، ويعذب من يعذب ، كل ذلك بمباشرة ملائكة البرزخ .

١-انظر " مراتب الإجماع " ، لابن حزم ص /١٧٤

ويستمرُّ البرزخُ حتى النفخة الثانية – التي تسبقها الأولى التي تنهي الحياة الدنيا وتطوي صفحتها، ويقوم بالنفختين إسرافيل عليه السلام ، وعندها يقوم البشرمن قبورهم مع كل بشري سائق وشهيد .

ثم تكون ملائكةُ الجنةُ تقف على أبوابها وتدعوأهل كل باب وتحييّهم عند دخولهم ، وتقوم بخدمتهم وإكرامهم ، وللنار أيضاً ملائكها تستقبل أهلها وتقرعهم ثم ترمي بهم في وديانها، وكل من هؤلاء المنعِّمين والمنعّمين، والمعذَّبين والمعذَّبين خالدين مخلدين فيماهم فيه أبداً .

صلة عالم الملائكة بتدبير الأكوان:

إنَّ الملائكة لا يقف دورها عند الإنسان بل تتجاوز ذلك إلى تدبير الأكوان بل إن تدبيرها للأكوان سابق لوجود الإنسان.

يقول شارح الطحاوية ص /٢٧٩ : وقد دلّ الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والمطر ملائكة .

فالملائكة أعظم جنود الله عز وجل .

ومنهم: المرسلات عرفاً والناشرات نشراً والفارقات فرقاً والملقيات ذكراً.

ومنهم : الصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً ، ومنهم ومنهم.

مهمات أخرى:

وفوق كل ما ذكر ثمة مهمات أخرى.

قال شارح الطحاوية ص /٢٧٩ :وملائكة قد وكلوا بحمل العرش ، وملائكة قد وكلوا بعمارة السموات بالصلاة والتسبيح والتقديس ....

فالحاصل أن الإيمان بمعنى التصديق والإقرار بوجود عالم الملائكة الغيبي ضروري ولازم **للاعتبار والأسباب الآتية :**

١-لأنَّ الإيمان بالملائكة ركن من أركان العقيدة الإسلامية

٢-لأن الكفر ـ ومثله التشكيك ـ بوجود هذا العالم ردّة وخروج عن الإسلام كله .

٣-لوجود الصلة الشديدة بين عالمنا نحن البشر وعالم الملائكة فهي اليد الخفية التي تدبر أمرنا بإذن الله عز وجل.

٤-لوجود الصلة الشديدة بين كوننا وعالم الملائكة فهي اليد الخفية التي تدير كوننا بإذن الله عز وجل .

الإيمان المعتبر بعالم الملائكة الأطهار عليهم السَّلام

إنّ الإيمان المعتبر والمجدي والنافع بعالم الملائكة هو ما قام على أمورٍ لابدَّ منها مجتمعةً وهي:

أولاً: التصديق الجازم بوجود هذا العالم الغيبي الكريم من حيث الإجمالُ و التفصيلُ.

ثانياً: وصفهم بما وصفهم الله به مما يليق بهم من غير إفراط ولا تفريط.

يقول الإمام البيهقي[1] في كتابه **"شعب الإيمان**[2]**"** ما نصّه: إن الايمان بالملائكة ينتظم معاني:

أحدها: التصديق بوجودهم.

والآخر: إنزالهم منازلهم، و إثبات أنهم عباد الله و خلقُه كالإنس و الجن، مأمورون مكلفون، لا يقدرون إلا على ما قدّرهم الله عليه، و الموت عليهم جائز، ولكن الله جعل لهم أمداً بعيداً فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إشراكهم بالله تعالى جده، ولا يدّعون آلهة كما ادعتهم الأوائل.

والثالث: الاعتراف بأن منهم رسل الله يرسلهم إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش و منهم الصافون، ومنهم خزنة الجنة، و النار، و كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، وقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره.

العرب الجاهليون والملائكة :

إن من يستخف بعقله ، ويعطله ، فيرى في حجر كان إلى عهد قريب يدوسه بقدمه ، ويقضي عليه حاجته من بول أو غائط ... يرى فيه إلهاً من

١-البيهقي:هو أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر (٣٨٤-٤٥٨)هـ من أئمة الحديث ولد في خسروجرد (من قرى بيهق بنيسابور) و نشأ في بيهق ورحل إلى بغداد و غيرها، و طُلِب إلى نيسابور فما زال بها حتى توفاه الله، قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي عليه فضل غير البهقي فإن له المنة و الفضل على الشافعي بكثرة تصانيفه في نصرة المذهب و تأييده،له العديد من المصنفات منها " الجامع المصنف في شعب الإيمان"... انظر الأعلام للزركلي ١١٦/١.

٢-انظر "شعب الإيمان" ٢٩٦/١

دون الله ، يلوذُ به راغباً إليه ، ويعوذ به راهباً مما سواه ، فمن كان هذا شأنه مع ربه فليس عجيباً أن يسوء ظنه في ملائكة ربه .

لقد كان العرب في جاهليتهم مؤمنين بوجود هذا العالم الغيبي – وقد توارثوا ذلك عن الأمم السابقين – فهم إذاً لم يُؤتوا من هذه الزاوية ، بل إنهم قد ساء ظنهم بهم، ولعبت بعقولهم الأوهام فارتكبوا في حق ملائكة الرحمن ثلاث جرائم منكرة:

١-زعموا أن الملائكة إناث:

وقد سجل القرآن هذه الجريمة المنكرة في غيرما آية من كتابه :

" وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ۗ مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠)" [الزخرف /١٩- ٢٠]

"وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ (١٠٠)" [الأنعام / ١٠٠]

"أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا" [الإسراء/٤٠]

"إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَىٰ(٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ (٢٨) "[النجم/ ٢٧ – ٢٨]

٢-زعموا أن هذه الملائكة هم بنات الله :

لم يكتف العرب الجاهليون بادعاء أن الملائكة إناث ، بل أضافوها إلى الله كبنات له سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ، ولقد سجل القرآن هذه الجريمة المنكرة أيضاً في آيات من كتابه.

" أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ..." [الصافات / ١٥١-١٥٢-١٥٣]

" وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) " [مريم / ٨٨]

وقد ذهب الجاهليون في هذا إلى ما هو أبعد وأشنع حيث زعموا أن أمهات الملائكة من الجان.

" وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) " [الصافات / ١٥٨]

قال العلامة المفسر ابن كثير : قال مجاهد : قال المشركون : الملائكة بنات الله فسأل أبو بكر : فمن أمهاتهُنَّ ؟ قالوا : سروات الجن .

٣-وعبدوهم من دون الله :

وهذه ثالثة الأثافي حيث توجه العرب الجاهليون إلى عبادة الملائكة بعد أن نحتوا تماثيل زعموا أنها للملائكة وقد سجل لقرآن هذه الجريمة أيضاً.

" إن يدعون من دونه إلا إناثاً (١١٧) " [النساء / ١١٧]

قال ابن كثير : قال المشركون : إن الملائكة بنات الله وإنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ، قال: اتخذوها أرباباً وصوّروهُن صور الجواري ... وقالوا : هؤلاء يشبهن بنات الله الذي نعبده ، يعنون الملائكة .

وأبشع من هذا أنهم قالوا :

"وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ۗ مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠)" [الزخرف / ١٩- ٢٠]

قال ابن كثير: والمعنى أنهم اعتقدوا فيهم ذلك فأنكر الله تعالى عليهم ذلك عندما قال **" أشهدوا خلقهم "** أي هل شاهدوه وقد خلقهم الله إناثاً ؟ .... و **" قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم "** ، أي: لو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام التي على صور الملائكة التي هي بنات الله فإنه عالم بذلك وهو يقررنا عليه فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ :

أحدها: جعلهم لله ولداً تعالى وتقدس وتنزّه عن ذلك علّواً كبيراً.

الثاني: دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً.

الثالث: عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا إذن من الله بل بمجرّد الآراء والهواء والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء والخبط في الجاهلية الجهلاء.

الرابع: احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدراً ... وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلاً كبيراً فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار؛ فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عباده ما سواه ١ هـ.

وأقول: ومن المستغرب جداً أنهم اعتقدوا أن الملائكة إناث، وأنهن بنات الله في الحين الذي كان العرب يكرهون فيه البنات ويئدوهن على قِيد الحياة وتسودّ وجوههم وتضيق صدورهم وتضيق عليهم الدنيا عندما يرزق أحدهم ببنت فأيّ جاهلية بعد هذه الجاهلية ؟

" وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (١٥) " [الزخرف / ١٥]

قال العلامة ابن كثير: والمعنى إذا بشر أحد هؤلاء بما نحلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة ، وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به ، ويتوارى من القوم من خجله من ذلك ، يقول تعالى : فكيف تأنفون أنتم من ذلك ، وتنسبونه إلى الله عز وجل ؟

وبناء وتأسيساً على ما سبق فمن اعتقد من المسلمين اليوم أن الملائكة إناث ، أو أنهن بنات الله ، أو توجه إليهم بالعبادة فقد ارتد عن الإسلام ومرق من الدين والعياذ بالله عز وجل.

جبريل وميكائيل معاداة ومولاة:

لليهودِ مزاجهم الخاصُّ في كل شيء، ولهم من الغرائب والعجائب ما يذهل ويدهش ، وقد سجل القرآن لهم موقفاً من هذه المواقف المثيرة للدهشة والاستغراب معاً:

" قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) " [البقرة /٩٧-٩٨]

قال الإمام أبو جعفر الطبري: أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل ، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم ، وميكائيل ولي لهم ١ هـ.

روى البخاري في صحيحه عن أنس قال : سمعَ عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله وهو في أرض يخترفُ فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال أخبرني بهن جبريل آنفاً ، قال جبريل ؟ قال : نعم قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية " من كان عدواً لجبريل فإنّه نزله على قلبك بإذن الله " .

روى أحمد - بسند حسنٍ- عن ابن عباس قال : أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم: إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك، وساق الحديث وفي آخره.... إنما بقيت واحدة وهي التي نبايعك إن أخبرتنا بها فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأته بالخبر ، فأخبرنا من صاحبك ؟ قال : جبريل قالوا : جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدوّنا ، لو قلت : ميكائيل الّذي ينزلُ بالرَّحمةِ والنَّباتِ والقطر لكان، فأنزل الله " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ

نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ "

وفي رواية لأحمد قالوا : وأنت الآن حدثنا : من وليك من الملائكة ؟

فعندها نجامعك (نتابعك) أو نفارقك ؟

قال : فإن وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه

قالوا : فعندها نفارقك لو كان وليك سواه من الملائكة لاتابعناك وصدّقناك

قال فما يمنعكم من أن تصدقوه ؟

قالوا : إنه عدونا ،

قال : فعند ذلك قال الله: " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ "

وبناء على ما سبق وتأسيساً عليه: فعلى المسلم أن يحب جميع الملائكة فلا يفرق في ذلك بين ملك وملك لأنهم جميعاً عباد الله، عاملون بأمره، تاركون لنهيه، وهم في هذا وحدة واحدة لا يختلفون ولا يفترقون فمن عَادى واحداً منهم فقد عادى جميعهم، وبذلك يكون قد عادى الله عزَّوجلَّ ، والعياذ بالله عزَّ وجلَّ[1]

الفلاسفة وعالم الملائكة :

الفلاسفة ، ويقال لهم الحكماء ! هم في الغالب رجال برعوا في دراسة العلوم الكونية حيث درسوا الفلك والعلوم والرياضيات وغيرها من العلوم فأجادوا وأفادوا ، ولكنهم –وليتهم لم يفعلوا – أقحموا عقولهم فيما وراء المادة فكلفوا عقولهم شططاً وحصدوا عجباً فضلّوا وأضلوا خلقاً كثيراً .

يقول حجة الإسلام الغزالي[2] الذي كشف للأمة عار الفلسفة وعُوارها في كتابه الفذ **" المنقذ من الضلال "** : **الحاذقُ في صناعةٍ واحدة ليس يلزم أن**

١-انظر " عالم الملائكة الأبرار ص /٦٩-٧٠

٢-**الغزالي** هو الإمام محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد (٤٥٠- ٥٠٥) هـ حجة الإسلام فقيه أصولي متصوف ، ولد وتوفي في الطابران (قصبة طوس بخراسان) له كتب من أبرزها " تهافت الفلاسفة " الذي يبين فيه عار الفلسفة وعوارها و " المنقذ من الضلال " وأشهر كتبه " إحياء علوم الدين انظر الأعلام للزركلي ٧/ ٢١- ٢٢ .

يكون حاذقاً في كلّ صناعة فلا يلزم أن يكون الحاذق في الفقه – مثلاً – حاذقاً في الطب ... بل لكل صناعةٍ أهل بلغوا فيها رتبة البراعة والسبق ، وإن كان الحمق والجهل يلزمهم في غيرها ، فكلام الأوائل في الرياضيات وغيرها من العلوم برهاني ، وفي الإلهيات تخميني ![1]

وأحب قبل أن أنقل لك بعضاً من آراء الفلاسفة في عالم الملائكة أن أشير إلى حقيقة يدركها كل من درس الفلسفة وهي أن الفلاسفة لا يكادون يتفقون فيما بينهم على شيء أبداً ، مع غموض في عباراتهم وتناقض بعضها مع بعض.

يقول العلامة الرازي في تفسيره (٣٨٤/٢) " وقول الفلاسفة - في الملائكة – إنها جواهر قائمة بأنفسها ! وليس بمتحيّزة وأنها بالماهية مخالفة لأنواع النفوس الناطقة ، وأنها أكمل قوّة منها وأكثر علماً منها ، وأنها للنفوس البشرية جارية مجرى الشمس إلى الأضواء

ثم إنّ هذه الجواهر على قسمين :

منها: ما هي بالنسبة إلى أجرام الأفلاك والكواكب كنفوسنا الناطقة بالنسبة إلى أبداننا.

ومنها: ماهي لا على شيء من تدبير الأفلاك، بل هي مستغرقة في معرفة الله ومحبته ومشتغلة بطاعته وهذا القسم هم الملائكة المقربون ... فهذان القسمان قد اتفقت الفلاسفة على إثباتهما.

ومنهم: من أثبت أنواعاً أخرى من الملائكة وهي الملائكة الأرضية المدبرة لأحوال هذا العالم السُّفلي ثم إن من المدبرات لهذا العالم كانت خيرة فهم الملائكة، وإن كانت شريرة فهم الشياطين .

ويقول شارح العقيدة الطحاوية (ص /٢٩٧) وأعظم الناس لها - يعني الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون – إنكاراً الفلاسفة المسمّون عند من يعظهم بالحكماء ، فإن من علم حقيقة قولهم علم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا باليوم الآخر ...

١-انظر " المنقذ من الضلال – ص / ٤٦ – ٤٧ – تحقيق : محمد بيجو ط دار التقوى .

والقرآن عندهم فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشرٍ زاكي النفس طاهر، متميّز عن النوع الإنساني **بثلاث خصائص :**

١-قوة الإدراك وسرعتة لينال من العلم أعظم مما يناله غيره **!**

٢- وقوة النفس ليؤثر بها في هيولى العالم بقلب صورة إلى صورة **!**

٣- وقوة التحليل ، ليخيل بها القوى العقلية في أشكال محسوسة وهي الملائكة عندهم **!**

وليس في الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء ، وترى وتخاطب الرسول وإنما ذلك أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان .

وبعد هذا ، فقل لي بربك ماذا فهمت من قول الفلاسفة في تفسير الملائكة ؟ وأين هم من قول أهل الإسلام في تفسير وتعريف الملائكة **؟!** وإنزالهم المنزلة التي يستحقون **؟!**

٤- الدليل على وجود عالم الملائكة
مع مناقشة كل من
المنكرين و المشككين و المتأوّلين

الدليل القاطع على وجود عالم الملائكة:

إن الدليل القاطع و الباتَّ على وجود عالم الملائكة يتمثل في ذاك الكم الهائل من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصالحة للاحتجاج التي صرحت بوجود هذا العالم, بل و كشفت اللثام عن الكثير الكثير من جوانبه الغامضة والخفيّة مما لا يدع مجالاً لإنكار منكر، أو تشكيك مشكك، أو تأويل متأول.

مناقشة المنكرين لوجود عالم الملائكة:

إن المنكرين لوجود عالم الملائكة ثلاثة أصناف:

١ً- من ينكرون وجود الله اصلاً و هم الملاحدة.

٢ً- من ينكرون عالم الغيب برمته مع ظنهم أنهم مؤمنون بالله!

٣ً- من ينكرون عالم الملائكة خصوصاً مع ظنهم أنهم مؤمنون بعالم الغيبَ!

حوار هادئ مع الفئة الأولى:

إن مناقشة الملاحدة الذين ينكرون وجود الله عزَّوجَّل بوجود عالم الملائكة نوع من العبث الذي لا فائدة فيه، ولا جدوى منه، وعلينا هنا لزاماً أن نعود بهم إلى المربع الأول وهو الإيمان بوجود الله عزَّوجَّل.

حوار هادئ مع الفئتين الثَّانية و الثالثة:

إنَّ هذه الفئة –بمجموعها- متناقضة مع نفسها، فهي تدَّعي أنها تؤمنُ بالله عزَّوجَّل ثم تعود فتقول: إنها تنكر عالم الغيب كله، أو عالم الملائكة منه، وتراهم يتبجحون فيقولون: ما حملنا على ذلك إلا احترامنا للعلم!.

ولهؤلاء نقول:

إن الإيمان المعتبر بالله عزَّوجّل يُلزم صاحبه الإيمان بباقي أركان الإيمان، فالإيمان كلٌّ لا يتجزأُ، وإن الكفر بأي من أركان الإيمان هو الكفر بالإيمان كله، تأمل معي قوله تعالى:

"وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦)" [النساء/ ١٣٦]

فالإيمان بالله يعني الإيمان برسله الملكيين و البشريين، وكتبهِ، و اليومِ الآخرِ، و القدرِ بخيرهِ و شرّه.

شبهات المنكرين و الإجابة عنها:

تكادُ شبهات المنكرين للعالم الغيبي كله أو لبعض منه تتركز أنهم لا يؤمنون إلا بما تقع عليه حواسّهم من بصر أو سمع... وما لا تقع عليه الحواس فما هو إلا خيال ووهم، وعالم الملائكة عندهم من هذا الباب.

وللإجابة عن هذا الإشكال و الشبهة نقول:

أولاً: إن الوصول للمعرفة لها طريقان سليمان، ولكنهما مختلفان على حسب موضوع البحث، ولقد صاغ علماؤنا هذين الطريقين في قاعدة واحدة ذائعة الصيت تقول:

[إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدّليل[1]]

و معنى هذا أنَّ موضوع البحث لا يخلو من أن يكون إما:

١- خبراً منقولاً.

٢-وإما دعوى مزعومة.

1 -انظر " كبرى اليقينيات الكونية" للدكتور البوطي (ص٣٣).

فإن كان خبراً: فإن البحث فيه ينبغي أن يكون محصوراً في تحقيق النسبة بينه و بين مصدره فإن زال الاحتمال و انجابت الغاشية انبثقت من ذلك الخبر حقيقة علمية صارخة واضحة.

وإن كان ادّعاءً فإن البحث فيه ينبغي أن يتجه إلى الأدلة العلمية المنسجمة معه، و التي من شأنها أن تكشف لنا عن مدى صدق هذا الادِّعاء.

أقول: ولا شكَّ أن عالم الملائكة من النوع الأول، وبما أنَّ الأدلة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية قد تكاثرت و تظاهرت للدلالة على وجود هذا العالم فإن وجوده يكون قد ثبت بطريق علمي معتبر و سليم ولا غبار عليه. هذا أمر، و ثمة أمر آخر.

ثانياً: إنَّ إثبات وجود الاشياء كما يكون برؤيتها إن كانت مما يرى، أو بسماعها إن كانت مما يسمع.. فإنه يثبت أيضاً بدلاله آثارها.

فهذه الأرواح التي تسري في أجسادنا، وهذه العقول المنظمة لحياتنا... هي كائنات موجودة و إن كانت لا تقع تحت دائرة الحس، وعَلِمَ العقلاء وجودها بدلالة آثارها:

فللروح أثرها في حياة الأجسام و حركتها فالأجسام قبل النفخ و بعد النزع لا حَراك لها، و ما بين ذلك متحركة بالاختيار وهذا دليل على وجودها.

وكذلك إحكام كلام العاقل و حسن تصرفه في أمثاله دليل على وجود عقله في حين أنّ خلط كلام المجانين وسوء تصرفاتهم في أمورهم دليل على فقدانهم عقولهم.

وإليك بعضاً من المشاهد التي تتحدث عن آثار الملائكة.

رؤوس تتدحرج:

روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال: لما كانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ إلى المُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ القِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بربِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إنْ تُهْلِكْ هذِه العِصَابَةَ مِن أَهْلِ الإسْلَامِ لا تُعْبَدْ في الأرْضِ... فأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} فأمَدَّهُ اللَّهُ بالمَلَائِكَةِ... بيْنَما رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَومَئِذٍ يَشْتَدُّ في أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ المُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الفَارِسِ يقولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إلى المُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إلَيْهِ فَإِذَا هو قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذلكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الأنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بذلكَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقالَ: صَدَقْتَ، ذلكَ مِن مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ...

وقلوب تتزلزل:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا (٩) " [الأحزاب / ٩]

قال العلامة المفسر ابن كثير: يقول الله مخبراً عن نعمته و فضله وإحسانه إلى عباده في صرفه أعداءهم و هزمه إياهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا، وذلك عام الخندق و ساق التفسير إلى أن قال **" وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا "** وهم الملائكة زلزلتهم و ألقت في قلوبهم الرعب والخوف فكان رئيس كل قبيلة يقول: يا بني فلان إليَّ فيجتمعون إليه فيقول: النجاءَ النجاءَ لما ألقى الله تعالى في قلوبهم من الرعب.

ويوم حنين:

" لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ(٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ "

[التوبة / ٢٥-٢٦].

يقول العلامة ابن كثير: يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله، وأن ذلك من عنده تعالى وبتأييده وتقديره لا بعَدَدِهم ولا بعُدَدِهم، ونبههم على أن النصر من عنده سواء قل الجمع أو كثر، فإن يوم حنين أعجبتهم كثرتهم ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئاً، فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أنزل الله نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين ثم ساق التفاصيل إلى أن قال **" وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا "**وهم الملائكة، **وروى ابن إسحاق بسنده إلى جبير بن مطعم قال: إنّا لمع رسول الله يوم حنين و الناس يقتتلون إذ نظرت إلى مثل البِجَاد الأسود يهوي من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم فإذا نمل منثور قد ملأ الوادي فلم يكن إلا هزيمة القوم فما كنا نشكُّ أنها الملائكة.**

مناقشة المتشككين:

إنَّ الإيمان لا يكون إيماناً إلا إذا كان جازماً وواصلاً إلى حد اليقين، وما كان دون ذلك

(الظن الرجح[1] – الشك[2] – الظن المرجوح[3]) فلا يعد إيماناً و لا التفات له.

١-وهي مرتبة دون مرتبة اليقين انظر " ضوابط المعرفة " ص / ١٢٥ .
٢-وهي مرتبة تتساوى فيها الاحتمالات تساوياً تاماً انظر المرجع السابق.
٣-وهو الظن الوهمي المقابل للظن الراجح و يسمى " وهماً" انظر المرجع السابق.

و إنما صدرت بهذا الكلام للتحذير مما قد يقع به البعض في باب المعتقد حيث تجده لا ينفي وجود الملائكة مثلاً ولكنه في الوقت نفسه لم يصل إيمانه بها إلى درجة اليقين المطلوب .

ولهؤلاء نقول: إن الأدلة التي تدل على وجود عالم الملائكة أدلة قطعية، فينبغي أن يكون الإيمان قطعياً حتى يكون مساوياً تماماً لدرجة ثبوت وجود هذا العالم.

مناقشة المتأوّلين:

لبعض الناس تصرف أمام الحقائق فهو لا ينفيها و لكنه يلتفّ عليها.

يقول الرازي في تفسيره (٢ / ٣٨٤)

١- **وقالت طائفة من عبدة الأوثان:** إن الملائكة هي في الحقيقة هذه الكواكب الموصوفة بالإسعاد والإنحاس فإنها بزعمهم أحياء ناطقة، و المسعدات منها ملائكة الرحمة، والمنحسات منها ملائكة العذاب.

٢- **وقالت طائفة من النصارى:** إن الملائكة في الحقيقة هي الأنفس الناطقة المفارقة لأبدانها على نعت الصّفاء و الخيرية، وذلك لأن هذه النفوس المفارقة إن كانت صافية خالصة فهي الملائكة، و إن كانت خبيثة كدرة فهي الشياطين.

وأخيراً نقول لهؤلاء و لهؤلاء:

لقد وضع العلماء منهجاً للتعامل مع الألفاظ يقوم على النقاط الآتية[1]:

١- الحقيقة: اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب.

٢- وأنواعها ثلاثة:

١ً **لغوية:** وهي التي يعرف حدّها باللغة.

٢ً **شرعية:** وهي التي يعرف حدّها بالشرع.

١-انظر تيسير علم أصول الفقه، ص / ٢٨٦ .

٣ً **عرفية:** وهي التي يعرف حدّها بعرف الناس و عاداتهم.

٣- الأصل في كل لفظ استعمل في الكتاب و السنة أن يبحث عن معناه في استعمال الشرع نفسه لأن المكلفين أمروا باتباع ما جاء به الرسول، ومن جملته اتباع بيانه لما يستعمله من الألفاظ.

فإذا وجد لفظ " الصلاة " في نص من الكتاب أو السنة، فهو الصلاة التي بينها الرسول بفعله و قوله المشتملة على القيام و القراءة و الركوع... ولا يجوز العدول بهذا اللفظ عن هذا المعنى إلا بدلالة من الشرع نفسه على أنَّهُ لم يُرِد في موضوع معين هذا المعنى للصلاة، و إنما أراد المعنى اللغوي العام لهذا : وهو الدعاء. اهـ .

أقول: وتأسيساً على ما سبق فإن للفظ "الملائكة" معنى شرعي وهو تلك الذوات العاقلة المخلوقة من النور ذات الأجنحة المطيعة أبداً...

فلا يجوز أبداً حمل هذا اللفظ على أي معنى آخر، ولا شك أنَّ حمله على أي معنى آخر هو في معنى الكفر بالملائكة أصلاً فيأخذ حكمه و العياذ بالله.

الملائكة
في
القرآن الكريم



الملائكة في القرآن الكريم

لقد تجاوزت الآيات القرآنية التي تتحدث عن عالم الملائكة الغيبي، و بشكل صريح، -مؤكدةً لوجوده، و متحدثة عن صفاته الذاتية (الخَلقية و الخُلقية)، وذاكرة مهامه الموكلة إليه على صعيد الإنسان و الأكوان، وناصّةً على بعض أفراده و مبينة مكانته عند الله... المئتي آيةً من آيات القرآن الكريم، حتى لقد أضحى هذا العالم الغيبي بعد كل تلك الآيات كأنه من عالم الشهادة لا من عالم الغيب فقد كشفت تلك الآيات المباركات اللثام عن كثير من جوانبه الغامضة و الخفية حتى صار كأنه رأي عين، بل آكد، فالبصر قد يخون صاحبه، غيرأن كتاب الله ما كان ليكذب قارئه.

هذا وقد تناثرت تلك الآيات المباركات من أول القرآن حتى آخره تناثر الأزهار في رياضها، والثمار على أغصان أشجارها، ولقد اقتربت السور التي ذكرت فيها الملائكة بشكلٍ واضح و صريح من الستين سورة، بل إن هنالك سورة حملت اسم " **سورة الملائكة** " وهو الاسم الثاني **لسورة غافر**، و ثمة سوراً أخرى حملت أسماء طوائف من الملائكة مثل سورة **"الصافات"** و سورة " **النازعات** "، و سورة **"المرسلات"** –على رأي – وما سورة " **المعارج** " منا ببعيد؟

و إنما قلت " بشكل صريح " بأننا لوأردنا أن نسوق جميع الآيات التي فيها إشارات للملائكة الكرام لتضاعف العدد مرات و مرات.

وهذا استقراء شامل لتلك الآيات أوردناها على حسب ورودها في القرآن الكريم لا على حسب موضوعها، فللدراسة الموضوعية كتاب مستقل هو الكتاب الرابع من هذه السلسلة .

الآيات الواردة في

-١-

سورة البقرة



مما له صلة بعالم الملائكة

١-الله يخبر ملائكته بأنه جاعل في الأرض خليفة

وهذا المشهد سجلته لنا الآية (٣٠) من سورة (البقرة)، و هي الآية الأولى المصرّحة[1] بذكر الملائكة، و نصها الكامل:



بين يدي التفسير:

أ-المفردات و الإعراب و البلاغة:

١ ً-المفردات:

١-إِذْ: قال ابن هشام في كتابه مغني اللبيب (١١١/١) و الغالب على (إذ)، المذكورة في أوائل القصص في التنزيل أن تكون مفعولاً به ل(اذكر) نحو" **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ...** " وبعض المعربين يقول في ذلك أنه ظرف ل (اذكر) محذوفاً، وهذا وهم فاحش لاقتضائه حينئذٍ الأمر بالذكر في ذلك الوقت مع أن الأمر للاستقبال، و ذلك الوقت قد مضى قبل تعلق الخطاب بالمكلفين منا، و إنما المراد ذكر الوقت نفسه لا الذكر فيه اهـ

١-و إنما قلت المصرّحة احترازاً عن الآيات التي فيها إشارة لعالم الملائكة و لعل أول آية من هذا النوع هي الآية الأولى في القرآن الكريم أعني قول الله تعالى { الحمد لله رب العالمين } فالعالمين – كما قال العلامة ابن كثير (١/ ١٤٥) نقلاً عن الفراء و أبي عبيدة جمع عالَم : وهو عبارة عمن يعقل وهم الإنس و الجن و الملائكة و الشياطين.

وأقول: ويدل على قوة هذا الرأي التصريح بكلمة (اذكر) المحذوفة أحياناً كقوله تعالى " **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ** " [الأنفال / ٢٦].

٢-جَاعِلٌ: أي فاعل نقله **ابن جرير** (١/ ١٩٨) عن **الحسن و قتادة**.

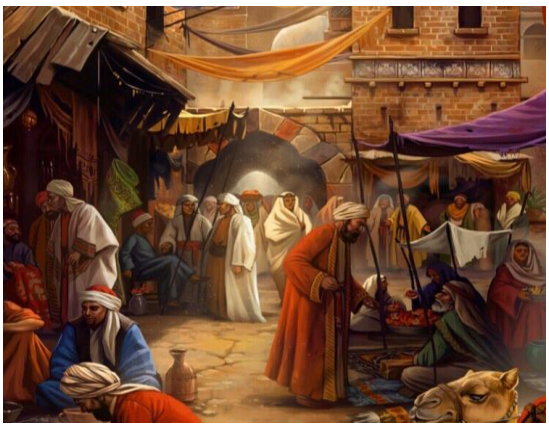
٣-الْأَرْضِ: وهي أرضنا هذه بشكل عام.

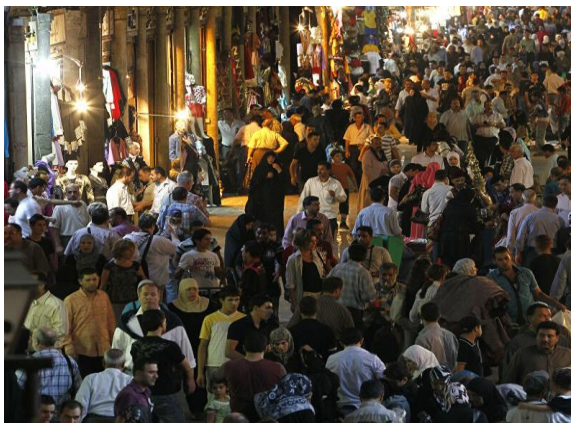


قال ابن كثير (٢٣٧/١) روى ابن أبي حاتم بسنده إلى عبد الرحمن بن سابط أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: دحيت الأرض من مكة، و أول من طاف بالبيت الملائكة فقال الله "**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**" يعني مكة.

قال ابن كثير بعد أن روى الحديث: وهذا مرسل، وفي سنده ضعف، و فيه مدرج، وهو أن المراد بالأرض مكة، ثم قال: فإن الظاهر أن المراد بالأرض ماهو أعم من ذلك ١هـ.

٤-خَلِيفَةً: قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن و جيلاً بعد جيل **قاله ابن كثير (٢٣٥/١)** واستدل له بآيات منها " **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ** "[الأنعام/١٦٥].





وتابع قائلاً :وليس المراد ههنا بالخليفة آدم... إذ لو كان كذلك لما حَسُن قول الملائكة "**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**"

فإنهم إنما أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك.

٥- يُفْسِدُ: فسد ضد صَلُحَ، و الفساد أخذ المال ظلماً...و تفاسدوا: قطعوا الأرحام، ذكر ذلك كله صاحب القاموس (م/ فسد).



٦-وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ: قال القرطبي (٢٧٧/١) السفك الصبُّ، سفكت الدم أسفِكه سفكاً: صببتهُ... وقال المهدوي: ولا يستعمل السفك إلا في الدم.

٧-نُسَبِّحُ: : **قال ابن جرير(٤٧٥/١)** و أصل التسبيح لله عند العرب: التنزيه له من إضافة ما ليس من صفاته إليه، و التبرئة له من ذلك، و قال أيضاً قبل أسطر من هذا: و كل ذكر لله عند العرب فتسبيح و صلاة.

٨-وَنُقَدِّسُ لَكَ: التقديس هو التطهير و التعظيم... و لذلك قيل للأرض أرض مقدسة أي: مطهّرة فمعنى قول الملائكة إذاً: " **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ** " ننزهك و نبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك، و نصلي لك، ومعنى " **وَنُقَدِّسُ لَكَ** " ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس و ما أضاف إليك أهل الكفر بك **قاله ابن جرير(٤٧٥/١)**.

٢ ً-الإعراب:

إِذْ: اسم مبني على السكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره (**اذكر**) و المخاطب هو سيدنا محمد.

خَلِيفَةً: مفعول به لاسم الفاعل (**جاعل**) لاستكماله شروط عمله.

مَنْ: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، قال القرطبي: يفسد: على اللفظ ،و يجوزفي غير القرآن يفسدون على المعنى.

(**وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ**): جملة اسمية في محل نصب على الحال.

٣ ً-البلاغة:

قال في الصفوة(٤١/١) التعّرض بعنوان الربوبية " **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ** " مع الإضافة إلى الرسول للتشريف و التكريم لمقامه العظيم، و تقديم الجار و المجرور " **لِلْمَلَائِكَةِ** " للاهتمام بما قُدِّم ،والتشويق إلى ما أُخِّر.

٢-المناسبة:

ومناسبة هذه الآية لما سبقها من الآيات في سورة البقرةأن الله لمَّا امتن على عباده بنعمة الخلق و الإيجاد، و أنه سخَّر لهم ما في الأرض جميعاً وأخرجهم من العدم إلى الوجود، أتبع ذلك ببدء خلقهم و امتن عليهم بتشريف أبيهم و تكريمه بجعله خليفة و إسكانه دار الكرامة... و لا شك أن الإحسان إلى الأصل إحسان إلى الفرع... **قاله صاحب الصفوة(٤١/١)**.

التفسير و حل الإشكالات:

١ ً-التفسير:

يقول ابن كثير(٢٣٥/١) أي: و اذكر يا محمد و اقصص على قومك " **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** " أي: قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن و جيلاً بعد جيل...و ليس المراد بالخليفة آدم... " **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** " وهذا السؤال منهم سؤال استعلام و استكشاف عن الحكمة في ذلك يقولون: ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض و يسفك الدماء، فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك...فهلا وقع الاقتصار علينا؟

قال الله مجيباً عن هذا السؤال " **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** " أي: أعلم بالمصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد الذي ذكرتموها مالا تعلمون أنتم، فإني سأجعل فيهم الأنبياء، وأرسل فيهم الرسل، ويوجد فيهم الصديقون و الشهداء و الصالحون و العبَّاد و الأولياء... والعلماء العاملون....

يقول صاحب الظلال (٢٧/١) ها نحن أولاء – بعين البصيرة في ومضات الاستشراف - في ساحة الملأ الاعلى وها نحن أولاء نسمع ونرى قصة البشرية الاولى:

" **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** " وإذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض و تطلق يده فيها، و تكل إليه مشيئة الخالق في الإبداع و التكوين...و كشف مافي هذه الأرض من قوى و طاقات و كنوز و خامات، و تسخير هذا كله " بإذن الله " في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه...

" قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ " ويوحي قول الملائكة هذا بأنَّ لديهم من شواهد الحال، أو من تجارب سابقة في الأرض،أو من إلهام البصيرة ما يكشف لهم عن شيء من فطرة هذا المخلوق، أو من مقتضيات حياته على الأرض ما يجعلهم يعرفون أو يتوقعون أنه سيفسد في الأرض و أنه سيسفك الدماء...

ثم هم بفطرة الملائكة البريئة التي لا تتصور إلا الخير المطلق و إلا السلام الشامل ويرون التسبيح بحمد الله و التقديس له هو وحده الغاية المطلقة للوجود، وهو وحده العلة الأولى للوجود... وهو متحقق بوجودهم هم، يسبحون بحمد الله ويقدسون له...

لقد خفيت عليهم حكمة المشيئة العليا في بناء هذه الأرض و عمارتها، وفي تنمية الحياة و تنويعها... على يد خليفة الله في أرضه. هذا الذي قد يفسد أحياناً وقد يسفك الدماء أحياناً ليتم وراء هذا الشر الجزئي الظاهر خير أكبر و أشمل، خير النموالدائم، و الرقي الدائم...

عندئذ جاءهم القرار من العليم بكل شيء و الخبير بمصائر الأمور: **" قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ "**

٢ً- حل الإشكالات:

إن القارئ الفطن لهذه الآية يدور في خلده عدة استفسارات تبعث به سطورها و مابين السطور ومن تلك الاستفسارات:

١-لماذا أخبر الله ملائكته بأنه سيخلق الجنس البشري و يجعله خليفة في الأرض؟

٢-وهل يعد هذا استشارة منه لملائكته؟

٣-و من أين علمت الملائكة ما سيكون عليه هذا الجنس من الإفساد و سفك الدماء؟ و الغيب لا يعلمه إلا الله!

٤-وهل يعد كلام الملائكة و ما قالته اعتراضاً على الله أو حسداً منها لهذا المخلوق الجديد؟

وللإجابة عن الإشكال الأول: نسوق ما **قاله العلامة ابن كثير(٢٣٥/١)** يخبر تعالى بامتنانه على بني آدم بذكرهم في الملأ الاعلى قبل إيجادهم.

وأضيف قائلاً إنما أخبرهم الله بذلك تمهيداً لفتح باب الحوار حول هذا المخلوق، و تمهيداً لأمر الله ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام حينما يسويه وينفخ فيه من روحه.

وللإجابة عن الإشكال التالي: نسرع إلى القول إن هذا لا يعد من باب الاستشارة المعروفة، وإنما هو من باب الإخبار و الإعلام و حسب.

يقول العلامة ابن كثير(٢٣٦/١) قال ابن جرير وساق بسنده إلى الحسن و قتادة أنهما قالا: قال الله للملائكة " **إِنِّي جَاعِلٌ** قال لهم: إني فاعلٌ.وهذا معناه أنه أخبرهم بذلك.

وقال السُّدي: استشار الملائكة في خلق آدم **وقال ابن كثير:** وهذه العبارة إن لم ترجع إلى معنى الإخبار ففيها تساهل، و عبارة الحسن وقتادة في رواية ابن جرير أحسن.

وللإجابة عن الإشكال الثالث: نقول:لاشك أن الملائكة لا يعلمون الغيب فما هو مصدرمعلوماتهم؟

وهل هو من باب النص أم من باب الاجتهاد؟

للعلماء آراء في هذا الموضوع وأقواها عندي أنها علمت ذلك بإعلام الله لها بذلك

قال ابن كثير(٢٣٧/١) قال السدي وساق سنده إلى ابن عباس وابن مسعود و ناس من الصحابة أن الله تعالى قال: " **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** " قالوا ربنا يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الإرض و يتحاسدون و يقتل بعضهم بعضاً.

واختار ابن جرير(٢٠٨/١) هذا الرأي أيضاً.

وللإجابة عن الإشكال الرابع: نسوق ما قاله ابن كثير(٢٣٥/١-٢٣٦) فقد شفى و كفى حيث قال رحمه الله: وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض، ولا على وجه الحسد، كيف وقد وصفهم الله بأنهم لا يسبقونه بالقول:

أي لا يسألونه شيئاً لم يأذن الله به، و هنا لمّا أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقاً – وقد

علموا بأنهم يفسدون في الأرض - سألوا سؤال استفهام واستكشاف عن الحكمة في ذلك.

ويقول الإمام القرطبي(٢٧٧/١) قد علمنا قطعاً أن الملائكة لا تعلم إلا ما أعلمت، ولا تسبقوا بالقول، وذلك عام في جميع الملائكة لأن قوله " **لا يسبقونه بالقول** " خرج على جهة المدح لهم فكيف قالوا: " **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا** " فقيل المعنى أنهم لما سمعوا لفظ خليفة فهموا أن في بني آدم من يفسد إذ الخليفة المقصود منه الإصلاح و ترك الفساد لكن عمموا الحكم على الجميع بالمعاصي فبين الرب أن فيهم المفسد ومن لا يفسد فقال تطبيباً لقلوبهم " **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ".

الاستنباط:

١ً-إثبات وجود عالم الملائكة إثباتاً لا يُقبَل فيه رد ولا يعذر فيه بتأويل، و ذلك أن الله خاطب ملائكته و أخبرهم بأنه سيوجد خليفة، و أَذِنّ للملائكة بأن تحاوره فحاورته و استفسرت فأجاب عن استفسارها.

٢ً-أن الملائكة مخلوقات عاقلة تفهم الخطاب، و تحسن الجواب.

٣ً-أن الملائكة لا علم لها بالغيب " **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ".

التفرد و التكرار:

لهذا المشهد ظهور آخر في موضعين من القرآن الكريم:

١- "**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨)**" [الحجر/ ٢٨]

٢- " **قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١)** " [ص/ ٦٧-٦٨٦٩-٧٠-٧١]

يقول العلامة ابن جرير(٢٣٥/٢١) والمعنى بقول الله لنبيه محمد، قل يا محمد لمشركي قومك "**مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**" في شأن آدم...

ونقل عن ابن عباس أنه قال: **الملأ الأعلى**: الملائكة حين شُوروا في خلق آدم فاختصموا فيه، وقالوا لا تجعل في الأرض خليفة.

الموازنة:

وعند الموازنة نرى أن المشهد في سورة البقرة أكثر توسعاً و إسهاباً ففيه تفصيل ما أجملته آيات (الحجر وص) و السر في ذلك أن المقام في البقرة مقام تنويه و تكريم لآدم فناسب الإسهاب في ذكر التفاصيل و هذا مبدأ التكرار في القرآن الكريم " **وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا** "

٢-آدم يعلّم الملائكة ما علمه الله إياه

و هذا المشهد سطرته لنا الآيات (٣١-٣٣) من سورة البقرة، و نصّها الكامل:


وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا
سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ
بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

بين يدي التفسير:

١- المفردات و الإعراب و البلاغة:

١ً-المفردات:

٩-**عَلَّمَ**: **قال في التاج**(١٣١/٣٣) (مادة علم) ووقع خلاف طويل الذيل في العلم... ثم نقل عن الراغب أن العلم هو إدراك الشيء بحقيقته وذلك ضربان:

الأول: إدراك ذات الشيء.

الثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء وهو منفي عنه.

فالأول هو المتعدي لواحد " **لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ".

والثاني إلى مفعولين نحو " **فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ** "...

و قال المُناوي: العلم هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع.

١٠- **الْأَسْمَاءَ:** المراد بالأسماء هنا أسماء كلِّ شيء

قال ابن كثير(٢٤٢/١) و الصحيح أنه علّمه أسماء الأشياء كلهاً ذواتها و أفعالها، كما **قال ابن عباس**: حتى الفسوة و الفسيّة يعني أسماء الذوات والأفعال المكبر والمصغر وفي " صحيح البخاري " ...وعلّمكَ – والخطاب لآدم في أبنائه – أسماء كل شيء..." ...فدلَّ هذا على أنه عَلِم أسماء جميع المخلوقات.





١١- **عَرَضَهُمْ**: أي عَرَضَ المسميات على الملائكة.

١٢- **أَنْبِئُونِي**:النبأ هو الخبر و هما مترادفان و فرق بينهما البعض **و قال الراغب**: النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أوغلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة و يكون صادقاً و لتضمنه معنى الخبر يقال: أنبأته بكذا، و لتضمنه معنى العلم يقال أنبأته كذا **قاله صاحب التاج(م / نبأ).**

وأقول: و لهذا الفرق بين العلم و النبأ قال في حق آدم " **وَعَلَّمَ آدَمَ** "، وفي حق الملائكة " **أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ** " مما يدل على مزيد مرتبة آدم على الملائكة فيما علمه و الله أعلم.

١٣- **غَيْبَ**: هوكل ما غاب عنك كأنه مصدر بمعنى الفاعل، و الغيب في القرآن عبر عنه **ابن كثير** أحسن تعبير(١/١٨٠) نقلاً عن أبي العالية :في قوله تعالى " **يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** " قال: يؤمنون بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و جنته و ناره و لقائه و يؤمنون بالحياة بعد الموت و بالبعث فهذا غيب كله.

١٤- **تُبْدُونَ**: تظهرون.

١٥- **تَكْتُمُونَ**: تخفون ومنه كتم العلم أي: إخفاؤه.

٢-الإعراب:

كُلَّهَا: توكيد ل(الأسماء) منصوب مثله و علامة نصبه الفتحة.

هَؤُلَاءِ: اسم إشار مبني على الكسر في محل جر مضاف إليه.

إِنْ: أداة شرط، و فعلها: كنتم، وجوابها محذوف التقدير: إن كنتم صادقين فأنبئوني بأسماءهم.

سُبْحَانَكَ: مفعول مطلق وهو مصدر لا يكاد يستعمل إلا مضافاً منصوب بإضمار فعله كمعاذ الله.

لَا: نافي للجنس تعمل عمل إنَّ.

عِلْمَ: اسم لا مبني على الفتح في محل نصب اسم (**لا**) العاملة عمل(**إنَّ**)، و خبرها الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر(**لا**).

إِلَّا: أداة حصر.

مَا: اسم موصول في محل رفع بدل من محل لا مع اسمها.

أَنْتَ: ضميرفصل لا محل له من الإعراب.

آدَمُ: منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب.

لَمَّا: أداة شرط غير جازمة أو ظرفية حينيّة.

وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ:(ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به.

و جملة (تبدون) صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

٣ً-البلاغة:

١-الأمر في قوله تعالى (أنبئوني) خرج عن معناه الأصلي إلى معنى التعجيز والتبكيت.

٢-" **فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ** " فيه مجاز الحذف و**التقدير**: فأنبئهم بأسمائهم فلما أنبئهم بأسمائهم... و حذف للعلم به.

٣-" **ثُمَّ عَرَضَهُمْ** " هو من باب التغليب لأن الميم علامة جمع الذكور العقلاء، ولو لم يغلّب العقلاء لقال: ثم عرضها أو عرضهن.

٤-إبراز الفعل في قوله " **إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** " ثم قال " **وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ** " للاهتمام بالخبر و التنبيه على إحاطة علمه تعالى بجميع الأشياء و يسمى هذا بالإطناب.

٥-في قوله :" **تُبْدُونَ** " و" **تَكْتُمُونَ** " طباق إيجاب وهو من المحسنات البديعية المعنوية.

٢-المناسبة:

لما أطلع الله ملائكته على أنه جاعل في الإرض خليفة، وقالت الملائكة قولتها و أفصحت عن رأيها عَقَّبّ ربنا على رأيهم بقوله " **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا**

تَعْلَمُونَ " أراد الله أن يحقق ذلك بأن علّم آدم الأسماء كلها ثم عرضها على الملائكة فجهلتها.

وفي هذا يقول **ابن جرير الطبري(٤٨٧/١)**...فإنكم إن كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضتهم عليكم من خلقي وهم مخلوقون موجودون ترونهم و تعاينونهم، وعَلِمَهُ غيركم بتعليمي إياه فأنتم بما هو غيرموجود من الأمور الكائنة التي لم توجد بعد و بما هو مستقرمن الأمور – التي هي موجودة – عن أعينكم أحرى أن تكونوا غير عالمين فلا تسألوني ما ليس لكم به علم فإني أعلم بما يصلحكم و يصلح خلقي.

وقال الرازي(٣٩٦/١) اعلم أن الملائكة لما سألوا عن وجه الحكمة في خلق آدم و ذريته، إسكانه إياهم في الأرض و أخبر عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الإجمال أراد أن يزيدهم بياناً وأن يُفَصِّلَ ذلك المجمل فبين لهم من فضل آدم ما لم يكن من ذلك معلوماً لهم و ذلك بأن علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله و قصورهم عنه في العلم فيتأكد الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي.

التفسير و حل الإشكالات:

التفسير:

يقول ابن كثير(٢٤١/١) هَذَا مَقَامٌ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ شَرَفَ آدَمَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، بِمَا اخْتَصَّهُ بِهِ مِنْ عِلم أَسْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُمْ فقال تعالى " **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** "...

وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا: ذَوَاتَهَا وَأَفْعَالَهَا؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ حَتَّى الْفَسْوَةَ والفُسَية يَعْنِي أَسْمَاءَ الذَّوَاتِ وَالْأَفْعَالِ الْمُكَبِّرُ وَ الْمُصَغِّرُ.

" **ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ** " يَعْنِي: الْمُسَمَّيَاتُ .

" **فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** "... إِنِّي إِنْ جعلتُ

خَلِيفَتِي فِي الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِكُمْ عَصَانِي ذُرِّيَّتُهُ وَأَفْسَدُوا وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ، وَإِنْ جَعَلْتُكُمْ فِيهَا أَطَعْتُمُونِي وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرِي بِالتَّعْظِيمِ لِي وَالتَّقْدِيسِ، فَإِذَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَرَضْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ تُشَاهِدُونَهُمْ، فَأَنْتُمْ بِمَا هُوَ غَيْرُ مَوْجُودٍ مِنَ الْأُمُورِ الْكَائِنَةِ الَّتِي لَمْ تُوجَدْ أَحْرَى أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ عَالِمِينَ.

" **قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** " هَذَا تَقْدِيسٌ وَتَنْزِيهٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِلَّهِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ أَحَدٌ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ، وَأَنْ يَعْلَمُوا شَيْئًا إِلَّا مَا عَلَّمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلِهَذَا قَالُوا: " **سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** " أَيِ: الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِكَ وَأَمْرِكَ وَفِي تَعْلِيمِكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْعِكَ مَنْ تَشَاءُ، لَكَ الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ، وَالْعَدْلُ التَّامُّ.

" **يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ** " فَلَمَّا ظَهَرَ فَضْلُ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى الْمَلَائِكَةِ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فِي سَرْدِهِ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَسْمَاءِ الْأَشْيَاءِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: " **أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** "أَيْ: أَلَمْ أَتَقَدَّمْ إِلَيْكُمْ أَنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ الظَّاهِرَ وَالْخَفِيَّ.

ويقول صاحب الظلال (٥٧/١) ها نحن أولاء – بعين البصيرة في ومضات الاستشراف- نشهد ما شهده الملائكة في الملأ الاعلى .

ها نحن أولاء نشهد طرفاً من ذلك السرالإلهي العظيم الّذي أودعه الله هذا الكائن البشري، وهو يسلمه مقاليد الخلافة، سر القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، سر القدرة على تسمية الأشخاص و الاشياء بأسماء يجعلها – وهي ألفاظ منطوقة – رموزاً لتلك الأشخاص و الأشياء المحسوسة، وهي قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الإنسان على الأرض، تدرك قيمتها حين تتصور الصعوبة الكبرى لو لم يوهب الإنسان بالقدرة على الرمز بالأسماء للمسميات و المشقة في التفاهم و التعامل حين يحتاج كل فرد لكي يتفاهم مع الآخرين على شيء أن يستحضر هذا الشيء بذاته أمامهم ليتفاهموا بشأنه...

فأما الملائكة فلا حاجة لهم بهذه الخاصة لأنها لا ضرورة لها في وظيفتهم ومن ثم لم توهب لهم، فلما علّم الله آدم هذا السر و عرض عليهم ما عرض لم يعرفوا الأسماء...

و جهروا أمام هذا العجز بتسبيح ربهم و الاعتراف بعجزهم و الإقرار بحدود علمهم، وهو ما علمهم...

ثم كان هذا التعقيب الذي يردهم إلى إدراك حكمة العليم الحكيم " **قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** ".

الاستنباط:

١-إثبات وجود هذا العالم الغيبي الكريم إثباتاً لا يقبل معه تأويل ولا رد، وذلك أن الله بعد أن علم آدم أسماء المسميات عرض تلك المسميات على الملائكة فجهلت فطلب من آدم أن ينبأهم بها ففعل... وفي هذا ما يدل على وجود هذه المخلوقات وجوداً قاطعاً.

٢-أن الملائكة مخلوقات عاقلة تفهم الخطاب، و تحسن الجواب، و تستطيع التعلم!

٣-أن الملائكة كسائر مخلوقات الله لا تعلم من عالم الشهادة إلا ما علمها الله فكيف بعالم الغيب؟!.

٤-قد يستفاد من هذه الآية تفضيل آدم على الملائكة إذ جلس من الملائكة مجلس الاستاذ مع طلابه.

التوحد و التكرار:

إن هذا المعنى الذي جاء هنا وهذه التفاصيل لم يعرضها القرأن إلا هنا وهنا فقط، ووجَاْءَتْ مناسبةً لأن المقامُ مقام إسهاب في تكريم آدم و بيان فضائله و الله أعلم.

خاتمة:

قال الإمام الرازي(٣٩٦/٢) هذه الآية دالة على فضل العلم فإن سبحانه ما أظهر كمال حكمته في خلقه آدم إلا بأن أظهر علمه، فلو كان بالإمكان وجود شيء أشرف من العلم لكان من الواجب إظهار فضله بذلك الشيء لا بالعلم اهـ.



٣-الملائكة تسجد لآدم و إبليس أبى و استكبر

وهذا المشهد مودع في الآية (٣٤) من سورة (البقرة) و نصها يقول:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾

بين يدي التفسير:

١-اللغة و الإعراب و البلاغة:

١- اللغة:

١٦- **اسْجُدُوا**: فعل أمر من السجود، و أصله التطامُن (الانحناء) و التذلل، وجُعِلَ ذلك عبارة عن التذلل لله و عبادته، وهو عام في الإنسان والحيوان والجماد، وذلك **نوعان:**



١-**سجود باختيار**: و ليس ذلك إلا للإنسان و به يستحق الثواب نحو قوله " **فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا**" [النجم/ ٦٢] أي: تذللوا له .

٢- **وسجود تسخير:** وهو للإنسان والحيوان و النبات





وعلى ذلك قوله تعالى " **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** " [الرعد/١٥]...فهذا سجود تسخير.

وقوله تعالى " **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ** " [النحل/٤٩] ينطوي على نوعين من السجود.

وقوله تعالى " **اسْجُدُوا لِآدَمَ** " قيل: أُمِروا بأن يتخذوه قبلةً[1]، وقيل أمروا بالتذلل له والقيام بمصالحه ومصالح أولاده فأتمروا

١-وهذا الرأي ضعّفه الإمام الرازي حيث قال (٤٣٧/٢) و اعلم أن القول الأول ضعيف لأن المقصود من هذه القصة شرع تعظيم آدم، وجعله مجرد قبلة لا يفيد تعظيم حاله ١هـ وجاء من بعده ابن كثير فوافقه فيما قال حيث قال(٢٥٠/١) و الأظهر أن السجدة كانت لأدم إكراماً و تعظيماً و احتراماً و سلاماً وهي طاعة لله لأنها امتثال أمره ١هـ.

إلا إبليس...،وخُصَّ السجود في الشريعة بالركن المعروف من الصلاة[1].

١٧- **إِبْلِيسَ**: **قال في تاج العروس (م/ بلس):** و أبلس الرجل من رحم الله: ئيس... ومنه اشتقاق إبليس لعنه الله لأنه يئس من رحمة الله وندم...أو هو أعجمي ولذا لم يصرف...

قلت: (القائل صاحب التاج) ولذا قيل إنه لا يصح أن يشتق إبليس، وإن وافق معنى أبلس لفظاً و معنى اهـ

فالخلاصة أن إبليس اسم أعجمي غيرعربي على ذلك الجني الملعون المطرود من رحمة الله.

١٨- **أَبَىٰ**: فعل ماض من الإباء وهو شدة الامتناع، فكل إباء امتناعٌ، وليس كل امتناعٍ إباء ... ومنه رجل أبيّ: أي ممتنع عن تحمّل الضيم[2].

١٩-**اسْتَكْبَرَ**:فعل مَاضٍ من الاستكبار، والكِبرُّ و التكبر و الاستكبار متقارب، فالكبر الحالة التي يتخصص بها من الإعجاب بنفسه وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره، وأعظم التكبر: التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق و الإذعان له بالعبادة.

والاستكبار على وجهين... والثاني منهما: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم، وعلى هذا ما ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى "**أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ**"[3]

٢-انظر "المفردات في غريب القرآن" (م/سجد) ٣٩٧/١.
٣-انظر "المفردات في غريب القرآن" م/ أبى.
٤-انظر "المفردات في غريب القرآن" م / كبر.

٢٠-**كَانَ**: **قال ابن كثير[1]:** وكان هنا بمعنى صار أي: وصار من الكافرين بسبب امتناعه، قال تعالى "**فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**" [هود/ ٤٣] اهـ.

قال ابن هشام في كتابه "شرح قطر الندى"[2] يجوز في كان و أمسى... أن تستعمل بمعنى صار كقوله تعالى " **وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً** " [الواقعة/٥-٦-٧].

٢ ً-الإعراب:

لِآدَمَ: اسم مجرور باللام و علامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة[3]

إِبْلِيسَ: مستثنى بإلا منصوب... وهو من باب الاستثناء المنقطع.

والاستثناء المنقطع: هو مالم يكن فيه المستثنى بعضاً من المستثنى منه نحو (حضر الضيوفُ إلا حقائبَهم) يقول عباس حسن في كتابه " النحو الوافي" وليس معنى انقطاعه أن لا صلة له بالمستثنى منه، ولا علاقة تربطهما ارتباطاً معنوياً فهذا خطأ بالغ لا يكون في اساليب الاستثناء مطلقاً، و إنما معنها انقطاع صلة " البعضية " بينهما... و لهذا تؤدي أداة الاستثناء فيه معنى الحرف "لكنْ" الذي يفيد الابتداء و الاستدراك معاً.

أَبَىٰ: فعل ماض مبني على الفتحة المقدرة على آخره للتعذر.

١-تفسير ابن كثير ٢٥١/١.
٢-شرح قطر الندى ص ١٣٤.
٣- جميع أسماء الأنبياء الوارد ذكرهم في القرآن الكريم ممنوعة من الصرف عدا ستة مجموعة في هذه العبارة (صن شمله).

مِنَ الْكَافِرِينَ: جار و مجرور متعلقان بخبر كان المحذوف، و اسم كان: ضمير مستتر جوازاً يعود على إبليس. لا عاد الله عليه بخير أبداً.

٣ً-البلاغة:

١-صيغة " **قُلْنَا** " للتعظيم، وهي معطوفة على قوله " **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ** " وفيه التفات من الغائب إلى المتكلم لإظهار الجلالة.

٢-أفادت الفاء في " **فَسَجَدُوا** " أنهم سارعوا إلى الامتثال من غير تريث، يدل على ذلك معنى الفاء فهو للترتيب و التعقيب الذي معناه حصول الشيء بعد الشيء بلا مهلة بينهما.

٣-وفي هذه الآية إيجاز بالحذف في موطنين في قوله " **فَسَجَدُوا** " أي: فسجدوا لآدم، وفي قوله " **أَبَىٰ** " أي أبى السجود لآدم.

٢-المناسبة:

وأما عن مناسبة هذه الآية التي تصور لنا مشهد السجود من الملائكة لآدم فإنها رابعة النعم التي سبقتها.

يقول الرازي في تفسيره(٤٢٧/٢) اعلم أن هذا هو النعمة الرابعة من النعم العامة على جميع البشر، وهو أنه سبحانه جعل أبانا مسجود الملائكة، وذلك لأنه تعالى ذكر **تخصيص آدم بالخلافة أولاً ثم تخصيصه بالعلم ثانياً، ثم بلوغه في العلم** إلى أن صارت الملائكة عاجزين عن بلوغ درجته في العلم، وذكر الآن كونه مسجوداً للملائكة اهـ فالمناسبة واضحة أتم الوضوح.

التفسير وحل المشكلات:

١-التفسير:

يقول صاحب التفسير المنير(١٣٣/١) واذكر يا محمد لقومك حين قلنا للملائكة الأطهار:اسجدوا لآدم سجود خضوع و تحية و تعظيم...فسجد الملائكة له جميعاً غير إبليس فإنه امتنع عن السجود واستكبرعنه... فصار بإبائه وتعاليه وغروره من الكافرين، فاستحق اللعنة إلى يوم الدين لعصيانه أمر ربه، ورفضه السجود لآدم.

ويقول صاحب الظلال طيب الله ثراه(٢٨/١)إنه التكريم في أعلى صورة لهذا المخلوق الذي يفسد في الأرض و يسفك الدماء ولكنه وُهب من الأسرار ما يرفعه على الملائكة، لقد وُهب سر المعرفة، كما وُهب سر الإرادة المستقلة التي تختار الطريق، إن ازدواج طبيعته، وقدرته على تحكيم إرادته في شق طريقه، و اضطلاعه بأمانة الهداية إلى الله بمحاولته الخاصة، إن هذا كله بعض أسرار تكريمه، ولقد سجد الملائكة امتثالاً للأمر العلوي الجليل إلا إبليس..

وهنا تتبدى خليقة الشر مجسمة في عصيان الجليل والاستكبار عن معرفة الفضل لأهله، و العزة بالإثم. ويوحي السياق أن إبليس لم يكن من جنس الملائكة إنما كان معهم فلو كان منهم لما عصى، وصفتهم الأولى أنهم لا يعصون ربهم...و إبليس من الجن بنص القرآن... وهذا بأنه من الملائكة.

حل الإشكالات:

لطالما أثارت هذه الآية بالذات إشكالات كثيرة عند من يقرؤها قراءة تدبر وتمعن ومن تلك الإشكالات:

١-كيف يكون السجود لغير الله؟

٢-إن كان إبليس من الملائكة فكيف عصى ولم يسجد؟

٣-و إن لم يكن منهم فلماذا خوطب معهم ؟

وللإجابة عن الإشكال الأول: نسوق بعض النقول الهامة ثم نعقب على ذلك إن شاء الله.

يقول الإمام الرازي(٤٢٧/٢) أجمع المسلمون على أن ذلك السجود ليس سجود عبادة لأن سجود العبادة لغير الله كفر والأمر لا يرد بالكفر، ثم اختلفوا بعد ذلك على ثلاثة أقوال:

الأول: أن السجود كان لله وآدم كان كالقبلة...

الثاني: أن السجدة كانت لآدم تعظيماً له وتحية له كالسلام منهم عليه، وقد كانت الأمم السالفة تفعل ذلك كما يحيّي المسلمون بعضهم بعضاً بالسلام، وقال قتادة في قوله تعالى " **وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا** " كانت تحية الناس يومئذٍ سجود بعضهم لبعض...

والثالث: أن السجود في أصل اللغة هو الانقياد و الخضوع...

ثم قال رحمه الله: واعلم أن **القول الأول** ضعيف لأن المقصود في هذه القصة شرح تعظيم آدم، وجعله مجرد القبلة لا يفيد تعظيم حاله.

وأما **القول الثالث** فضعيف أيضاً لأن السجود لا

شك أنه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الأرض فوجب أن يكون في أصل اللغة كذلك لأن الأصل عدم التغيير...

ويقول ابن كثير(١/٢٥٠) وقال قتادة في قوله تعالى" **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ** " فكانت الطاعة لله و السجدة لآدم أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته.

وقال بعض الناس: كان هذا سجود تحية و إكرام كما قال تعالى" **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا** " [يوسف:١٠٠] وقد كان هذا مشروعاً في الأمم الماضية ولكنه نسخ في ملتنا...

وهذا هو القول الأظهر وهو أن السجدة كانت لآدم إكراماً وتعظيماً واحتراماً و سلاماً وهي طاعة لله لأنها امتثال أمره تعالى ١هـ.

و أقول بعد سوق كل تلك النقول: تذكر ما قلناه في معنى السجود، و الذي يدل أول ما يدل على أمر نفسي هو الخضوع و التذلل ثم يترجم عنه و يُجلَّى بشكل عملي، فسجودنا نحن البشر خضوع و ذل يترجم عنه وضع جباهنا على الأرض، فإذا علمت هذا ثم علمت ان الملائكة من عالم الغيب، و كل ما نعلمه عن ذواتهم أنهم خلقوا من نور، وركّب الله لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع وفوق ذلك، فبديهي بعد هذا كله أن نجهل كيفية سجودهم لآدم، ونكل علمه إلى الله عزوجل، وفي تقديرنا أن قياس سجودنا على سجودهم قياس مع الفارق، فإذا علمت كل ما سبق تبدد هذا الإشكال من أصله وسلمنا أن الملائكة سجدت و إبليس تمنع، ونكل علم الحال إلى الله.

<u>وللإجابة عن الإشكال الثاني:</u> نقول ثمة جوابان إجمالي و تفصيلي:

فأما الإجمالي فالمقصود به أن الملائكة لا تعصي الله عزوجل وهذا محكم بمعنى أنه لا يحتمل معنى آخر، وأما إبليس فكونه من

الملائكة أو من الجن من المتشابه لأن (إلا) قد يكون ما بعدها من جنس ما قبلها وقد لا يكون فوجب حمل و فهم المتشابه على ضوء المحكم.

والنتيجة أن إبليس ليس من الملائكة وهذا مقطوع به.

وأما التفصيلي فنستخلصه مما ذكره **الرازي في تفسيره(٤٢٧/٢):**

أولاً: أنه كان من الجن فوجب أن لا يكون من الملائكة و إنما قلنا أنه كان من الجن لقوله تعالى" **إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ** "

ثانيها: أن إبليس له ذرية و الملائكة لا ذرية لهم و إنما قلنا أن لإبليس ذرية لقوله تعالى " **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي** "[الكهف/٥٠] وهذا صريح في إثبات الذرية، و إنما قلنا أن الملائكة لا ذرية لهم لأن الذرية إنما تحصل من الذكر والأنثى والملائكة لا أنثى فيهم لقوله تعالى " **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ** " [الزخرف/١٩] فأنكر على من حكم عليهم بالأنوثة فإذا انتفت الأنوثة انتفى التوالد لا محالة فانتفت الذرية.

ثالثها: أن إبليس مخلوق من النار والملائكة ليس كذلك و إنما قلنا أن إبليس مخلوق من النار لقوله تعالى حكاية عنه" **خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ** " وأما الملائكة فهم مخلوقون من النور.

رابعها: أن الملائكة رسل لقوله تعالى"**جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا** " [فاطر/١] ورسل الله معصومون فلما لم يكن إبليس كذلك وجب أن لا يكون من الملائكة.

وللإجابة عن الإشكال الثالث نقول: للعلماء إجابات كثيرة اقتصر منها على جوابين:

أحدهما: ما ذكره الفخر الرازي وهو وجيه جداً وقلَّ من انتبه إليه أو نبه عليه يقول (٤٢٧/٢) فَلِمَ لا يجوز أن يقال إنه وإن لم يدخل في الأمرولكنَّ الله تعالى أمره بالسجود بلفظ آخر يدل على ذلك ما حكاه القرآن " **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ** " [الأعراف / ١٢] وهو كلام نفيس وملحظ قوي.

والثاني: أن مملكة السماء ليست حكراً على الملائكة وحدهم، فكما أن بعضاً من البشر سكنها و أعني بذلك الأنبياء الذين

التقى الرسول بهم ليلة المعراج.

فإن قلت: تلك أرواحهم، و أجسادهُم في قبورها فنرد بعيسى فإنه بجسده وروحه هناك...، إذاً فليس مستبعداً أن يسكنها قبل البشر بعض من الجان وهم الذين لهم القدرة على الطيران – كما هو معلوم من استراق السمع -و أياً ما كان الأمر فإن إبليس كان معهم وخوطب كما خوطبوا و أمر كما أمروا وفهم أنه مخاطب بالأمر وإلا لما قرّعَ بالإباء و الاستكبار.

الاستنباط:

١-إثبات وجود هذا العالم إثباتاً لا يقبل معه تأويل و لا رد، وذلك أن الله بعد ن أخبر ملائكته بأنه خالق آدم، أمرهم بالسجود عنده لحظة نفخ الروح فيه ففعلوا، وهذا الأمر و وذاك الامتثال لا يكون إلا مع كائنات موجودة تسمع الخطاب و تفهمه و تستجيب له.

٢-أن الملائكة مخلوقات عاقلة تفهم الخطاب و تحسن الجواب.

٣-أن الملائكة مطيعة لأمر أمرها لا تعصيه وقد جاء هذا المعنى في آيات أخرى أكثر صراحة من هذا الموضع.

٤-فتحت هذه الآية شهية العلماء للحديث عن المفاضلة بين عالم البشر و عالم الملائكة، وكان أطولهم نفساً الإمام الرازي وسنعود لهذه النقطة في مبحث مستقل، و نكتفي هنا بإبراز ما ذكره

ابن كثير يقول رحمه الله(٢٥٢/١) تكلم كثير من المفسرين عن هذه الآية وهي الأمربسجود الملائكة لآدم على مسألة تفضيل البشر على الملائكة أو بالعكس.

وقد بسط الكلام فيها ههنا الرازي في تفسيره، و حكى عن أكثر أهل السنة أن الأنبياء أفضل من الملائكة...ولم يتكلم كثير من السلف فيها فرأينا الإضراب عن أصل بسط الكلام فيها ههنا و الله أعلم بالصواب.

التفرد و التكرار:

١ً-إن مشهد سجود الملائكة لآدم هو المشهد الأكثر تكراراً في القرآن الكريم حيث تكرر ست مرات فيصير المجموع سبعة و إليك هذه المواطن مع التعليق عليها على طريقة الموازنة مع آية البقرة:

٢ً-الآية (١١) من سورة الأعراف و نصُّها

" وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) "

إن الفكرة العامة في كلا الموطنين (**البقرة**) و (**الأعراف**) واحد ولكن القارئ المتمعن يلمح فروقاً:

١- ففي سورة البقرة ذكر معصية إبليس بقوله " **أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** " فقد جمع الله لإبليس الإباء و الاستكبار و الكفر للدلالة على شناعة معصيته بحق آدم الذي كرّمه الله و علّمه، ولم يقل مثل ذلك في أي مكان آخر من القرآن بل هو إما أن يقول (**أبى**) وإما أن يقول (**استكبر**) ولم يجمعهما إلا في هذا الموطن

وأما في (**الأعراف**) فقد قال " **إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ** ".

فإن سألت عن الفرق و السر وراء ذلك فإن سورة البقرة جاء فيها قصة آدم مبنية على ركني التكريم والتعليم، و أما الأعراف فليست مبنية على هذا الأمر وقد وقع التكريم فيها ثانوياً.

٢-وختمت آية البقرة " **وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** " في حين ختمت الأعراف " **لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ** " و السر وراء ذلك يعرف بالنظر إلى خاتمة كل سورة منهما فخاتمة البقرة " **فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** " في حين جاءت خاتمة الأعراف " **إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ** " فلاءَم بين كل قصة و خاتمة سورتها، ولا يخفى أن خاتمة الأعراف تقطع أن إبليس ليس من الملائكة حيث نفى عن ملائكته التكبر وأثبت لهم السجود، بخلاف إبليس الذي أثبت له التكبر و نفى عنه السجود.

٣ً-الآيات (٢٨-٣١) من سورة (الحجر)

" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) ".

ونجد في هذا الموطن وكذلك في سورة (ص) غياباً لاسم آدم عليه السلام و التركيز هنا وفي (ص) على ذكر معصية إبليس و عداوته للإنسان فكان الغرض تحذير الجنس البشري من عداوة إبليس الأبدية.

ويلاحظ أنه ذكر عن إبليس إباءَه وحسب ولم يذكر هنا استكباره كما فعل في البقرة، وقد أسلفنا أن المقام في البقرة، مقام تكريم ويلاؤم التكريم التشنيع وزيادته مسبقاً على عدُّوه إبليس.

٤ً-الآية (٦١) من سورة (الإسراء)

" وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا

إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) "

٥ً-الآية (٥٠) من سورة (الكهف)

" وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ (٥٠) ".

وفي هذه الآية تصريح لا يوجد في غيرها عن طبيعة إبليس و أنه من عالم الجان لا من عالم الملائكة، وهذا من أقوى الأدلة على ذلك.

٦ً-الآية (١١٦) من سورة (طه)

" وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) "

ونجد هنا الاقتصار على (**أبى**) لأن القصة هنا لم تسق للتكريم كما هو الحال في سورة البقرة.

٧ً-الآية (٧١-٧٤) من سورة (ص)

" إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"

في هذا المشهد نجد تقارباً بين ما في (الحجر) وما هنا وفي كليهما تأكيد سجود جميع أفراد الملائكة من غير أن يتخلّف منهم أحد، دلّ ذلك {التوكيد المعنوي} "كلهم" و{التوكيد المعنوي} "أجمعون" و في كليهما غياب لاسم آدم في حيث صرح باسمه في باقي المواطن و السر كما أسلفنا هو تحذير الجنس البشري من عداوة إبليس الأبدية.

٤-الله عزوجل يؤيد عبده عيسى بروح القدس (جبريل)

وهذا المعنى تجده واضحاً جلياً في الآية (٨٧) من سورة (البقرة) ونصها الكامل :

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات و الإعراب و البلاغة:

١ ً-المفردات:

٢١- **الْكِتَابَ**: المراد به هنا التوراة.



٢٢-**قَفَّيْنَا**: فعل ماض من التقفية .

قال ابن جرير (٣١٨/٢) أي: أردفنا و أتبعنا بعضهم خلف بعض كما يقفو الرجل الرجل إذا سار في إثره من وراءه، و أصله من القفا، يقال منه: قفوت فلاناً، إذاصرت خلف قفاه كما يقال: دَبَرته إذا صرت في دبره.

٢٣- **بَعْدِهِ**: الضمير يعود على موسى عليه السلام.

٢٤- **الْبَيِّنَاتِ**: جمع بينة.

قال ابن جرير(٣١٨/٢) ويعني بالبينات التي آتاه الله إياها: ما أظهر على يديه من الحجج و الدلالة على نبوته: من إحياء الموتى، و إبراء الأكمه، ونحو ذلك من الآيات التي أبانت منزلته من الله و دلت على صدقه و صحة نبوته.





٢٥-**أَيَّدْنَاهُ**: فعل ماض من التأييد.

قال ابن جرير(٣١٨/٢) أي: قويناه فأعناه... يقال منه: أيّدك اللهُ: أي: قوّاك، وهو رجل ذو أَيْدٍ:.. يراد ذو قوة.

٢٦- **بِرُوحِ الْقُدُسِ**: هو جبريل عليه السلام وها هنا أمران:

١-ما الدليل على أن روح القدس المراد به هنا جبريل؟

٢-ما معنى هذا الاسم؟

أما أن المراد بروح القدس جبريل فيدل على ذلك القرآن، و السنة، و أقوال الصحابة و التابعين.

أما القرآن: فقوله تعالى: " **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** " ومن المقطوع به أن الذي نزل بالقرآن على قلب المصطفى هو جبريل عليه السلام بدليل " **قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ**

نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ" و القرآن يفسر بعضه بعضاً.

وأما السنة فما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه من قول الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان: "**اللهم أيّده بروح القدس**، وجاء في رواية أخرى للبخاري نفسه عن البراء بلفظ: **اهجهم –أوهاجهم – وجبريل معك** " و السنة يفسر بعضها بعضاً، وهي بدورها تفسر القرآن...

وقال به من الصحابة ابن مسعود كما نص عليه ابن كثير(٣٣٨/١) قال به التابعون، وقد ساق ابن جرير ذلك عن قتادة و الربيع و الضحاك و السدي ثم ساق آراء أخرى في تفسير روح القدس ثم قال: **وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال: إن روح القدس هو جبريل** و تابعه على ذلك **ابن كثير (٣٣٨/١)** وكفى بهما من أئمة التفسير بالمنقول.

٢-**وأما لماذا سمي جبريل روحاً و أضيف إلى القدس** فيجيبنا عن ذلك **العلامة ابن جرير (٣٢٢/٢)** فيقول: و إنما سمى الله تعالى جبريل روحاً وأضافه إلى القدس فلأنه كان بتكوين الله له روحاً من عنده من غير ولادة والدٍ ولده فسماه بذلك روحاً، وأضافه إلى القدس –والقدس هنا الطهر- كما سمى عيسى ابن مريم روحاً لله من أجل تكوينه روحاً من عنده من غير ولادةِ والدٍ ولدهُ ثم قال: وقد بينا فيما مضى أن معنى التقديس: التطهير، و القدس: الطهر من ذلك.

٢ ً-الإعراب:

وَلَقَدْ: اللام واقعة في جواب قسم محذوف، قد: حرف تحقيق.

مُوسَى: مفعول به أول منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة للتعذر.

الْكِتَابَ: مفعول به ثانٍ منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

عِيسَى: مفعول به أول منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة للتعذر.

ابْنَ: بدل من عيسى منصوب مثله.

مَرْيَمَ: مضاف إليه مجرور و علامة جره الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية و العجمة.

الْبَيِّنَاتِ: مفعول به ثانٍ منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع ألف وتاء.

٣ ً-البلاغة:

الخبر في قوله "**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ**" يراد به التبكيت والتوبيخ على عدم اتباع الرسول.

٢-المناسبة:



يقول ابن كثير (٣٣٨/١): ذكر الله أنه آتى موسى الكتاب –وهو التوراة – فحرَّفوها و بدلوها و خالفوا أوامرها و أولوها و أرسل الرسل و النبيين من بعده الذين يحكمون بشريعته...حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم فجاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام، و لهذا أعطاه الله من البينات - وهي المعجزات - من إحياء الموتى، و

خلقه من الطين كهيئة طير... و أيده بروح القدس وهو جبريل عليه السلام ليدلهم على صدقه فيما جاءهم..

التفسير وحل المشكلات:

١ ً-التفسير:

جاء في التفسير المنير(٢٢٠/١) اليهود قساة القلوب عبدة المصالح المادية والأهواء الذاتية فلذا تجددت فيهم الإنذارات الإلهية و أرسلت إليهم الرسل بعضهم إثربعض فكان بنو إسرائيل أكثر الشعوب حظاً في عدد الرسل الذين أرسلوا إليهم ومع ذلك كانوا ينسون الإنذارات ويحرفون الشرائع...

وهذه الآيات تذكير لهم بإعطاء موسى التوراة وإتباعه بالرسل...

وكانوا كلهم يحكمون بشريعة موسى... إلا أن عيسى جاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام و لهذا أعطاه الله البينات – وهي المعجزات – **كإحياء الموتى، و خلقه من الطين كهيئة طير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله... و تأييده بروح القدس** – وهو جبريل عليه السلام – ما يدلهم على صدقه فيما جاءهم به...

وهذا اقتباس من ابن كثير وقد سقنا طرفاً منه.

٢ ً-حل الإشكالات:

لعل قائلاً يقول: أوليس روح القدس جبريل عليه السلام كان مؤيداً لجميع الرسل والأنبياء

قبل عيسى؟

أوليس هو الذي أنزل العذاب بقوم لوط وقلبها رأساً على عقب؟

أوليس هو الذي دسَّ الطين في فم فرعون لئلا يسلم؟

فالجواب: نعم، ولكن ثمة سر لذلك أو أكثر، وقد تقدم بنا أن عيسى جاء مخالفاً بعض الشيء لتعاليم موسى عليه السلام فاشتد تكذيب

بني إسرائيل له وحسدهم وعنادهم لمخالفة التوراة في البعض فناسب ذكر تأييده بجبريل وهو الذي تكرهه اليهود وتناصبه العداء.

وأمر آخر أشار إليه **الطبري** وهو أن ثمة تناسباً بين جبريل وعيسى حتى سمي كل منهما روحاً و قد سبق إيراد ذلك.

الاستنباط:

١-إثبات وجود فرد من أفراد الملائكة و اسمه جبريل عليه السلام و سماه هنا روح القدس.

٢-ذكر مهمة من مهمات جبريل وهو تأييد الرسل الذي هو نصرها وتقويتها.

التوحد و التكرار:

هذا الموضع سيتكرر مرتين فيصبح المجموع ثلاثة:

٢ ً-في الآية (٢٥٣) من سورة (البقرة) ذاتها

" تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ
مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ
وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ "

ونلمح هنا تطابقاً بين النص هنا وهناك، واختلافاً في السياق، وقد كشفنا عن سر السياق هناك، وأما هنا فالسياق يستعرض نماذج تزيل التشوف عن قوله " **فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** " فذكر **أولاً**: موسى الذي خصه الله بالتكليم.

وثنّى: بمحمد و إبراهيم وهما أولى من يصدق عليهما قوله تعالى " **وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** "

وثلث: بعيسى عليه السلام الذي أيده الله بالمعجزات الباهرات كإحياء الموتى... و أيده بجبريل عليه السلام.

٣ ً-في الآية (١١٠) من سورة المائدة:

" إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكمهَ وَالْأَبرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ "

ونلمح هنا أنه السياق قدم ذكر التأييد بروح القدس جبريل عليه السلام على ذكر المعجزات ولعل السبب أنها هنا ذكرها مفصلّة فأخرها لأنها مبسوطة، وهناك أجملها فقدمها، والسياق هنا تعداد نعم الله على عيسى عليه السلام كما في الآيتين السابقتين والله أعلم.

وختاماً نقول:

بين عيسى ابن مريم وحسان بن ثابت

لقد حظي حسان بن ثابت شاعر الإسلام الأكبر بمزية ليست لغيره - على أن المزية لا تقتضي الأفضلية - وهي أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا له أن يؤيده الله بروح القدي جبريل عليه السلام.

وإذا قارنا نجد أن التأييد لعيسى كان من الله ابتداء ومطلقاًوأما لحسان فكان بدعاء الرسول وطلب منه و مقيداً يدل على ذلك **ما رواه مسلم (٤٩٠)**

عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:«اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ»

فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: «اهْجُهُمْ» فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ.

فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ.

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ.

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ.

فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي»

فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لِحَسَّانَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ» .

وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى» قَالَ حَسَّانُ:

هَـجَـوْتَ مُحَمَّدًا فَـأَجَـبْـتُ عَنْهُ ... وَعِـنْـدَ اللَّـهِ فِـي ذَاكَ الْـجَـزَاءُ
هَـجَـوْتَ مُحَـمّـدًا بـرًّا حَـنِـيفًـا ... رَسُـولَ اللَّهِ شِـيمَتُـهُ الْـوَفَـاءُ
فَـإِنَّ أَبِـي وَ وَالِـدَهُ وَعِـرْضِـي ... لِـعِـرْضِ مُـحَـمّـدٍ مِـنْـكُـمْ وِقَـاءُ
ثَـكِـلْـتُ بُـنَـيَّـتِـي إِنْ لَـمْ تَـرَوْهَـا ... تُـثِـيرُ النَّقْعَ مِنْ كَـنَـفَـيْ كَـدَاءِ
يُـبَـارِيـنَ الْأَعِـنَّةَ مُـصْـعِـدَاتٍ ... عَلَى أَكْـتَـافِـهَـا الْأَسَـلُ الـظِّـمَـاءُ
تَـظَـلُّ جِـيَـادُنَـا مُـتَـمَـطِّـرَاتٍ ... تُـلَـطِّـمُـهُـنَّ بِـالْـخُـمُـرِ الـنِّـسَاءُ
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُوعَـنَّا اعْتَمَرْنَـا ... وَكَـانَ الْـفَـتْـحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَإِلَّا فَـاصْبِـرُوا لِـضِـرَابِ يَـوْمٍ ... يُـعِـزُّ اللَّـهُ فِـيـهِ مَـنْ يَـشَـاءُ
وَقَـالَ اللَّهُ : قَـدْ أَرْسَـلْـتُ عَبْدًا ... يَـقُـولُ الْـحَـقَّ لَـيْـسَ بِـهِ خَـفَـاءُ
وَقَـالَ اللَّهُ : قَـدْ يَسّـرْتُ جُـنْـدًا ... هُـمُ الْأَنْـصَـارُ عُـرْضَـتُـهَـا الـلِّـقَـاءُ
لَـنَـا فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ مِـنْ مَـعَـدٍّ ... سِـبَـابٌ أَوْ قِـتَـالٌ أَوْ هِـجَـاءُ
فَـمَـنْ يَـهْـجُـو رَسُولَ اللَّهِ مِـنْـكُـمْ ... وَيَـمْـدَحُـهُ وَيَـنْـصُـرُهُ سَـوَاءُ
وَجِـبْـرِيـلٌ رَسُـولُ اللَّهِ فِـيـنَـا ... وَرُوحُ الْـقُـدُسِ لَـيْسَ لَـهُ كِـفَـاءُ



أقول: وفي هذا الحديث ما يدل على أن المعركة الإعلامية لا تقل أهمية عن المعارك العسكرية، بل لقد ظفر حسان قائد المعركة الإعلامية من الدعاء بالتأييد بجبريل عليه السلام بما لم يظفر به قائد عسكري قط والله أعلم.

٥-جبريل عليه السلام واليهود عداوة مفتعلة

وهذا المعنى حملنه لما الآيات (٩٧-٩٨) من سورة (القرة) ونصها الكامل:


قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾

بين يدي التفسير:

١-اللغة والإعراب والبلاغة:

١ ً-اللغة:

٢٧-**جِبْرِيلَ**[1]: اسم علم على سيد وكبير الملائكة، و أما معناه فقد روى أحمد[2] بسند حسن إلى علي بن الحسن أن معناه: عبد الله.

ونقل ابن كثير (٣٥٨/١) عن ابن عباس أنه قال: إنما قوله "جبريل" كقوله "عبد الله" و"عبد الرحمن".

٢٨- **نَزَّلَهُ**: فعل ماض مضعف العين، ويفيد الفعل حينها زيادة عل معناه الأصلي: وهو التكثير[3]، والمعنى: أكثر من إنزاله مرة بعد مرة.

٢٩- **قَلْبِكَ**: الخطاب هنا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

١-قال ابن كثير (٥٣٨/١) وفي جبريل وميكائيل لغات وقراءات تذكر في كتب اللغة والقراءات، ولم نطوَّل كتابنا هذا بسرد ذلك إلا أن يدور فهم المعنى إليه، أو يرجع الحكم في ذلك إليه ١هـ ونحن على مذهب ابن كثير هنا وفي سائر ما كتبناه.

٢-برقم (٢٠١٧٦) وقال المخرجون: وهو أثر حسن ١هـ.

٣-انظر " شذا العرف " ص/٣١.

٣٠- **لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ:** أي لما سبقه من الكتب كالتوراة والإنجيل.
٣١-**هُدًى**: قال في المفردات[1]: الهداية: دلالة بلطف...
وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه:
الأول: الهداية التي عمَّ بجنسها كل مكلف من العقل، والفطنة، والمعارف الضرورية
التي أعم فيها كل شيء بقدر فيه حسب احتماله كما قال ربنا: " **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** " [طه / ٥٠].
الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن ونحوذلك، وهو المقصود بقوله تعالى: " **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ** "[الأنبياء/٧٣].
الثالث: التوفيق الذي يختص به من اهتدى وهو المعني بقوله تعالى " **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** " [محمد/١٧]
الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة، المعنى بقوله "**سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ**" [محمد/٥] والإنسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات...
٣٢-**بُشْرَى: قال في المفردات**[2]: ويقال للخبر السار: البشارة و البشرى...
٣٣-**مِيكَالَ**: اسم علم على ملك كريم يأتي في المكانة بعد جبريل عليه السلام، وأما عن معنى اسمه فهو عُبيد الله، كما روى أحمد في مسنده عن علي بن الحسين، وروى ابن كثيرعن الزهري عن علي بن الحسين أنه قال: ... فتدرون ما اسم ميكائيل من أسمائكم؟ قلنا: لا قال: اسمه عُبيد الله ١هـ.

٢ ً - الإعراب:

مَنْ: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، و(كان) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، وأما جواب الشرط فمحذوف، و تقديره (**فليمت غيظاً**) أو (**فلا موجب لعداوته**)، و الفاء هنا عاطفة إذاً لهذا المذكور (**إنه نزله**) على

١-انظر " المفردات في غريب القرآن "م / هدى .
٢-انظر " المفردات" م / بشر.

ذلك المحذوف، و إنما لم يصح أن يكون (إنه نزله) أن يكون هو الجواب، لأن جواب الشرط لا بد أن يكون فيه ضمير يعود عليه... ولأن فعل التنزيل متحقق المعنى، و الجزاء لا يكون إلا مستقبلاً.

لِجِبْرِيلَ: اللام: جارة، جبريل اسم مجرور باللام وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

مُصَدِّقًا: حال منصوبة وعلامة نصبها الفتحة الظاهرة على آخره.

لِمَا: اللام جارة، ما: اسم موصول في محل جر باللام.

بَيْنَ: مفعول فيه ظرف زمان منصوب، وهو مضاف، ويديه: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، و صلة الموصول محذوفة.

وَ: حرف عطف.

هُدًى: معطوف على مصدقاً منصوب مثله، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على الألف المحذوفة نطقاً الباقية رسماً.

وقل في الآية الثانية ما قيل في الأولى.

٣ً ـ البلاغة:

١ـ **قال ابن كثير(٣٢٨/١)** عند قول الله تعالى **"فإن الله عدو للكافرين"** فيه إيقاع المظهر مكان المضمر حيث لم يقل: "فإنه عدو للكافرين"،... و إنما أُظهر الاسم ههنا لتقرير هذا المعنى و إظهاره، و إعلامهم أن من عادى أولياء الله فقد عادى الله، ومن عادى الله فإن الله عدو له، ومن كان الله عدوه فقد خسر الدنيا و الآخرة.

٢ـ**قال ابن كثير(٣٥٧/١)** عند قوله تعالى (**جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ**) وهذا من باب عطف الخاص على العام فإنهما دخلا في الملائكة ثم عموم الرسل، ثم خصصا بالذكر لأن السياق في الانتصار لجبريل... وقرن معه ميكائيل في اللفظ لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوهم، وميكائيل وليهم فأعلمهم الله أن من عادى واحداً منهما فقد عادى الآخر، و عادى الله أيضاً.

٢-المناسبة:

جاءت هذه الآيات ضمن الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل، و التي تبدأ من الآية (٤٠) و تتوالى لتكشف عن خفاياهم وخباياهم و تسرد فصولاً من جرائمهم حتى الآية (١٢٣) وهذا نحو ثلث السورة، إذاً فمجيء هذه الآيات ضمن كل تلك الآيات هو عرض لبعض من سيرة أولئك المقوم المغضوب عليهم.

يقول صاحب الصفوة(٧١/١) وهذه طائفة أخرى من جرائم اليهود، فقد نقضوا الميثاق حتى رفع جبل الطور فوقهم...وعبدوا العجل من دون الله... وعادوا الملائكة الأطهاروعلى رأسهم جبريل عليه السلام، و كفروا بالأنبياء و الرسل، وهكذا شأنهم في سائر العصور والدهور.

٣-سبب النزول:

يقول أبو جعفر الطبري (٣٧٧/٢) أجمع أهل العلم بالتأويل جميعا على أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم.

ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك.فقال بعضهم: إنما كان سبب قيلهم ذلك، من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر نبوته.

وهنا ساق الإمام حديثاً بسنده إلى ابن عباس أنه قال: حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنهن، لا يعلمهن إلا نبي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سلوا عما شئتم...

وساق الحديث **وفيه قالوا: أنت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة؟**

فعندها نتابعك أو نفارقك. قال: فإن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه. قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة، تابعناك وصدقناك. قال: فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: إنه

عدونا.

فأنزل الله عز وجل: " مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ " إلى قوله "كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُون"، فعندها باءوا بغضب على غضب.

وقال آخرون بل كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بين عمر بن الخطاب وبينهم في أمر النبي عليه الصلاة والسلام... وساق الحديث بسنده إلى الشعبي قال: نزل عمر الروحاء... إلى أن قال: فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ.

قَالَ: قُلْتُ: وَيْحَكُمْ. إِذًا هَلَكْتُمْ. قَالُوا إِنَّا لَمْ نَهْلِكْ.

قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ ذَاكَ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ لَا تَتَّبِعُونَهُ، وَلَا تُصَدِّقُونَهُ؟

قَالُوا: إِنَّ لَنَا عَدُوًّا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَسِلْمًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنَّهُ قُرِنَ بِهِ عَدُوُّنَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

قَالَ: قُلْتُ: وَمَنْ عَدُوُّكُمْ وَمَنْ سِلْمُكُمْ؟ قَالُوا: عَدُوُّنَا جِبْرِيلُ وَسِلْمُنَا مِيكَائِيلُ.

قَالَ: قُلْتُ: وَفِيمَ عَادَيْتُمْ جِبْرِيلَ وَفِيمَ سَالَمْتُمْ مِيكَائِيلَ؟

قَالُوا: إِنَّ جِبْرِيلَ مَلَكُ الْفَظَاظَةِ وَالْغِلْظَةِ وَالْإِعْسَارِ وَالتَّشْدِيدِ وَالْعَذَابِ وَنَحْوِ هَذَا، وَإِنَّ مِيكَائِيلَ مَلَكُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالتَّخْفِيفِ...

قَالَ: قُلْتُ: وَمَا مَنْزِلَتُهُمَا مِنْ رَبِّهِمَا؟ قَالُوا: أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِهِ.

قَالَ: قُلْتُ: فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّهُمَا وَالَّذِي بَيْنَهُمَا لَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمَا وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمَا، مَا يَنْبَغِي لِجِبْرِيلَ أَنْ يُسَالِمَ عَدُوَّ مِيكَائِيلَ، وَلَا لِمِيكَائِيلَ أَنْ يُسَالِمَ عَدُوَّ جِبْرِيلَ.

قَالَ: ثُمَّ قُمْتُ فَاتَّبَعْتُ النَّبِيَّ فَقَالَ لِي: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَلَا أُقْرِئُكَ آيَاتٍ نَزَلْنَ؟» فَقَرَأَ عَلَيَّ: " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ" [البقرة / ٩٧] حَتَّى قَرَأَ الْآيَاتِ.

أقول: ذك هو سبب النزول كما روى لنا ذلك ابن جرير ونقل كلامه بحروفه **العلامة ابن كثير (١/٣٥١-٣٥٦)** ولكن هل هو السبب الحقيقي لعداوة اليهود لجبريل أم أن وراء الأكمة ما وراءها[1]؟



يقول العلامة الرازي (٣/٦١٠) واعلم أن الأقرب أن يكون سبب عداوتهم لجبريل أنه كان ينزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم لأن قوله "**فإنه نزله على قلبك**" مشعر بأن هذا التنزيل لا ينبغي أن يكون سبباً للعداوة لأنه إنما فعل ذلك بأمر الله فلا ينبغي أن يكون سبباً للعداوة...

واستدل على قوله هذا بأمور من أهمها قوله: **وثانيها:** أن الله لو أمر ميكائيل بإنزال مثل هذا الكتاب فإما أن يقال: إنه كان يتمرد أو يأبى عن

١-جاء هذا المثل في "مجمع الأمثال" لأحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بالميداني (ت/٥١٨)هـ قال: وأصله أنَّ أمةً(جارية) واعدت صديقها أن تأتيه وراء الأكمة إذا فرغت من مهنة أهلها ليلاً، فشغلوها عن الإنجاز بما يأمرونها من العمل فقالت حين غلبها الشوق: حبستموني و إن وراء الأكمة ما وراءها، يضرب لمن يفشي عن نفسه أمراً مستوراً. وفي المقاييس (م/أكم) قال الخليل: الأكمةُ تلٌّ من القُف اهـ.

قبول أمر الله، وذلك غير لائق بـالملائكة المعصومين، أو كان يقبله ويأتي به على وفق أمر الله فحينئذٍ يتوجه على ميكائيل ما ذكروه على جبريل اهـ.

فخلاصة الأمر: أنها عداوة مفتعلة وحجج واهية، ولقد وفق الله لهذا المعنى الرازي ورأيت مثله لصاحب الظلال رحمه الله وطيّب ثراه إذ يقول: لقد بلغ هؤلاء القوم من الحنق والغيظ من أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده مبلغاً يتجاوز كل حد، وقادهم هذا إلى تناقض لا يستقيم في عقل...

لقد سمعوا أن جبريل ينزل بالوحي من عند الله على محمد صلى الله عليه وسلم، ولما كان عداؤهم لمحمد قد بلغ مرتبة الحقد والحنق فقد لجَّ بهم الضغن أن يخترعوا قصة واهية وحجة فارغة فيزعموا أن جبريل عدوهم، لأنه ينزل بالهلاك والدمار والعذاب، وأن هذا هو الذي يمنعهم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم من جراء صاحبه جبريل!

ولو كان الذي ينزل إليه بالوحي هو ميكائيل لآمنوا، فميكائيل يتنزل بالرخاء والمطر والخصب! إنها الحماقة المضحكة، ولكن الغيظ والحقد يسوقان إلى كل حماقة...١هـ

وأضيف قائلاً: أوليس هذا هو الناموس الذي جاء إلى موسى؟!.

التفسير وحل الإشكالات:

التفسير:

يقول ابن كثير (٣٥٦/١ – ٣٥٧) وأما تفسير الآية فالمعنى أن من عادى جبريل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله بإذنه له في ذلك فهو رسول من رسل الله ملكي... ومن عادى رسولاً فقد عادى جميع الرسل...

ولهذا غضب الله لجبريل على من عاداه فقال: **" مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ"** فمن عاداني وملائكتي ورسلي، ورسله يشمل رسله من الملائكة والبشر...

فأعلمهم الله أنه من عادى واحداً منهما فقد عادى الآخر وعادى الله أيضاً.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة يدل ذلك على قوله تعالى **" مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ "**

٢-إثبات وجود فردين عظيمين من أفراد الملائكة وهما جبريل وميكال بدليل **" ... وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ..."** لا يقال أن العطف يقتضي المغايرة لأن هذا من باب عطف الخاص على العام لحكمة أسلفناها.

٣-أن جبريل يتنزل بالوحي على رسول الله بدليل **" مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ..." قال ابن كثير:** وهي وظيفته.

٤-أن من عادى ملكاً من الملائكة فقد كفر والعياذ بالله، وسبق لنا سوق ما ذكره ابن كثير: فأعلمهم - أي اليهود – أنه من عادى واحداً منهم فقد عادى الآخر، وعادى الله أيضاً.

وقال الرازي: (٦١٢/٢) عداوة الملائكة كفر.

٥-**وهذه تفطَّن لها الرازي (٦١٣/٣)** وهي تقدم جبريل وميكائيل على سائر الملائكة مع تقدم جبريل على ميكائيل وهذه عبارته يقول: وأعلم أن هذا

يقتضي كونهما –يعني جبريل وميكال – أشرف من جميع الملائكة... وإذا ثبت هذا فتقول: ويجب أن يكون جبريل أفضل من ميكائيل لوجوهٍ:

أحدها: أنه تعالى قدم جبريل في الذكر وتقديم المفضول على الفاضل في الذكر مستقبحٌ عرفاً فوجب أن يكون مستقبحاً شرعاً.

وثانيهما: أن جبريل ينزل بالقرآن والوحي والعلم وهو مادة بقاء الأرواح، وميكائيل ينزل بالخصب والأمطار وهي مادة بقاء الأبدان، ولما كان العلم أشرف من الأغذية وجب أن يكون جبريل أفضل من ميكائيل.

ثالثهما: قوله تعالى في صفة جبريل " **مُطَاعٍ ثَمَّ أمين** " ذكره بوصف المُطاع على الإطلاق، وظاهره يقتضي كونه مطاعاً بالنسبة إلى ميكائيل فوجب أن يكون أفضل منه.

٦-الملكان هاروت وماروت... وأساطير يهود

وذكرهما الله في الآيات (١٠١ - ١٠٢) من سورة (البقرة) و نصها الكامل:


وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾
وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ
هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ
بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ ً-المفردات:

٣٤- **جَاءَهُمْ**: الضمير يعود على اليهود.

٣٥- **رَسُولٌ**: هو – هنا – سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

٣٦- **مُصَدِّقٌ**: **قال صاحب المفردات[1]:** الصدق مطابقة القول ما في الضَّمير و المُخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً بل إما أن لا يوصف بالصدق، وإما أن يوصف تارة في الصدق و تارة بالكذب على نظرين مختلفين كقول كافرٍ إذ قال من غير اعتقاد: محمد رسول الله، فإن هذا يصح أن يقال صدق، لكون المخبر عنه كذلك، ويصح أن يقال: كذب لمخالفة قوله ضميره.

وبالوجه الثاني إكذابُ الله تعالى المنافقين حين قالوا: " **نشهد**

١-انظر " المفردات في غريب القرآن " م/ صدق.

إنك لرسول الله " [المنافقون/١].

٣٧- **لِمَا مَعَهُمْ**: أي للتوراة **قال في الصفوة (٧٣/١)** أي مصدقاً للتوراة وموافقاً لها في أصول الدين ومقرراً لنبوة موسى عليه السلام.

٣٨- **نَبَذَ**: فعل ماض من النَّبذ: وهو إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به، فالمعنى: أن اللذين أوتوا الكتاب طرحوا كتاب الله لقلة اعتدادهم به[1].

٣٩- **فَرِيقٌ**: الفريق الجماعة المتفرقة عن الآخرين.

٤٠- **وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ**: أي خلفهم والمعنى اطَّرحوه وتركوه ولم يعملوا به.

٤١- **تَتْلُو**: فعل مضارع من تلا قال في المفردات[2]: تلاه: تبعه متابعة ليس بينهم ما ليس منهم، وذلك يكون بالجسم تارة، وبالاقتداء في الحكم تارة أخرى... " **واتبعوا ما تتلوا الشياطين**" واستعمل فيه لفظ التلاوة لما كان يزعم الشيطان أن ما يتلوه من كتب الله اهـ.

وقال ابن كثير(٣٦٥/١) ما تتلوه أي: ما ترويه و تخبر به و تحدثه الشياطين اهـ.

٤٢- **السِّحْرَ**: **قال في المفردات[3]:** والسحر يقال على معانٍ:

الأول: الخداع وتخييلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعبذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يده، وما يفعله النمام بقولٍ مزخرف عائق للأسماع وعلى ذلك قوله تعالى" **سحروا أعين الناس واسترهبوهم** "...

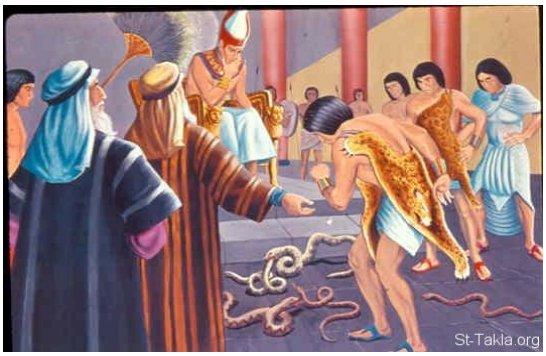
والثاني: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه... وعلى ذلك قوله تعالى: " **ولكن**

٢-انظر " المرجع السابق " م / نبذ.

١-انظر " المفردات في غريب القرآن " م / تلو.

٢-انظر المرجع السابق م / سحر.

الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ".







٤٣- **بِبَابِلَ**: هي مدينة عراقية كانت عاصمة البابليين حيث كان البابليون يحكمون أقاليم ما بين النهرين أيام حكم حمورابي.

٤٤-**هَارُوتَ**: اسم ملَكٍ من الملائكة.

٤٥-**مَارُوتَ**: اسم ملَكٍ من الملائكة.

٤٦- **فِتْنَةٌ**: **قال في المفردات**[1]: أصل الفتن:

إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته... وتستعمل لمعان منها الاختبار...وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً، وقد قال فيهما:" **ونبلوكم بالشر والخير فتنة**" وقال في الشدة:" **إنما نحن فتنة**"...

٤٧- **خَلَاقٍ**: قال افي المفردات[2]: والخلاق ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه.

٢ ً-الإعراب:

لِمَا مَعَهُمْ: اللام جارة، ما: اسم موصول في محل جر باللام، وصلة الموصول جملة محذوفة وجوباً [استقر]، **معهم**: مفعول فيه ظرف منصوب وهو مضاف و(**هم**): مضاف إليه.

١-انظر " المفردات في غريب القرآن " م / فتن.

٢-انظر المرجع السابق م / خلف.

أُوتُوا الْكِتَابَ: **أوتوا**: فعل ماض مبني لما لم يسمَّ فاعله، **والواو**: ضمير متصل نائب فاعل وهي في الأصل المفعول به الأول.

الكتاب:مفعول به ثان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

كِتَابَ: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

وَرَاءَ: مفعول فيه ظرف زمان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

(**كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**) جملة اسمية في محل نصب حال.

وَاتَّبَعُوا مَا: **ما**: اسم موصول في محل نصب مفعول به، وجملة (**تتلوا**): صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

سُلَيْمَانُ: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية و العجمة.

وَمَا أُنْزِلَ: **الواو**: عاطفة، **ما**: اسم موصول معطوف على السحر في محل نصب، ويجوز فيه غير ذلك على اختلاف التفسير.

بِبَابِلَ: **الباء**: جارة، **بابل** : اسم مجرور و علامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية العجمة.

هَارُوتَ: بدل من الملكين بدل بعض من الملكين، وماروت: معطوف عليه وهما ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة.

مِنْ أَحَدٍ: من زائدة، أحد اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه جاء نكرة بعد نفي و جاء في محل نصب مفعول به.

حَتَّى: حرف غاية وجر.

يَقُولَا: مضارع منصوب بأن المضمرة بعد حتى وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة.

إِنَّمَا: كافة و مكفوفة و المعنى أن (**إنَّ**) لا تعمل إلا بشرطين أحدهما أن لا تدخل عليها **ما**: الزائدة، فإن دخلت كفتها عن العمل.

مَا يُفَرِّقُونَ: **ما**: اسم موصول مبني على السكون في حل نصب مفعول به.

وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ: **ما**: نافية تعمل عمل ليس، هم: ضمير منفصل في محل نصب اسم ما العاملة عمل ليس، **الباء**: زائدة ، **ضارين**: خبرها منصوب و علامة نصبه الياء.

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ: **إلا** أداة حصر.

وَلَقَدْ: **اللام** واقعة في جواب القسم، **قد**: حرف تحقيق.

لَمَنِ: **اللام:** لام الابتداء، **مَنْ**: اسم موصول في محل رفع مبتدأ وجملة (اشتراه): صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

(**مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ**): في محل رفع خبر مَنْ، **ومِنْ**: هنا زائدة وما بعدها اسم مجرورلفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ **والتقدير:** ما من خلاقٍ في الآخرة له.

وَلَبِئْسَ: **اللام**: واقعة في جواب القسم، **بئس**: فعل ماض جامد مبني على الفتح، **ما:** نكرة بمعنى شيء في محل نصب على التمييز مفسرة لفاعل: بئس أي: شيئاً.

لَوْ: شرطية وجوابها: محذوف و التقدير: لما اجترحوه من عمل مغاير.

٣ً-البلاغة:

١-" **رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ** " التنكير للتفخيم ، ووصف الرسول بأنه آتٍ من عند الله لإفادة مزيد التعظيم.

٢-" **وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ** " مَثَلَ يضرب للإعراض عن الشيء جملة، تقول العرب: جعل هذا الأمر وراء ظهره أي: تولى عنه معرضاً لأن ما يجعل وراء الظهر لا ينظر إليه فهو كناية عن الإعراض عن التوراة بالكلية.

٣-" **لَوْكَانُوا يَعْلَمُونَ** " هذا جارٍ على الأسلوب المعروف في فنون البلاغة في أن العالم بالشيء إذا لم يجر على موجب علمه فقد ينزل منزلة الجاهل به وينفي عنه العلم كما ينفي عن الجاهلين.

٢-المناسبة:

أسلفنا القول أن الثلث الأول من سورة البقرة التي كانت أول ما نزل في المدينة المنورة بعد الهجرة عرّف باليهود وتحدث عن تاريخ من فصولهم، وما هؤلاء الأحفاد إلا امتداد لأولئك الأجداد.

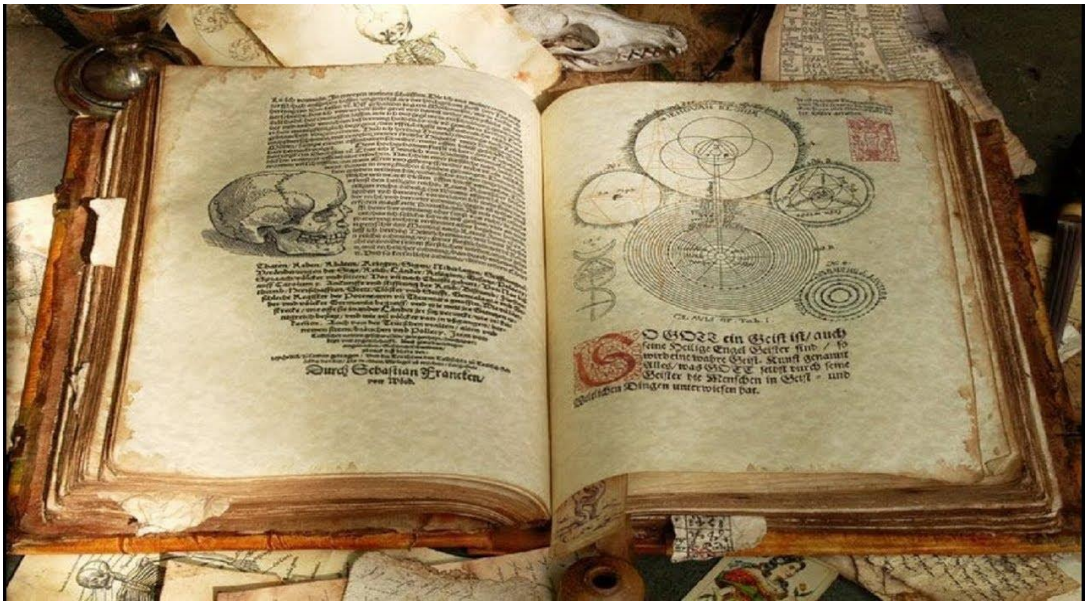
يقول العلامة الرازي (٦١٧/٣) اعلم أن هذا نوع آخر من قبائح أفعالهم وهو اشتغالهم بالسحر وإقبالهم عليه، ودعاؤهم الناس إليه.

٣-سبب النزول:

لقد ذكر المفسرون سبباً لنزول الآيات ساقها **العلامة ابن كثير (١/ ٣٦١ – ٣٦٤)** وفيما سيق من تلك الأسباب نظر لما فيها من أمور تخالف المقطوع به عن الأنبياء و المرسلين و الله أعلم

التفسير وحل الإشكالات:

يقول أبو شهبة في كتابه " الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" وهو كتاب حسن ويحسن الاطلاع عليه، يقول رحمه الله (١٦٥ – ١٦٦) بعد أن سرد الآراء المكذوبة في هذه الآيات و التي مرجعها إلى أساطير اليهود: وإنما السبب في نزول الآية: إن الشياطين في ذلك الزمن السحيق كانوا يسترقون السمع من السماء ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها، ويلقونها إلى كهنة اليهود و أحبارهم، وقد دونها هؤلاء في كتب يقرؤونها ويعلمونها للناس



وفشا ذلك في زمان سليمان حتى قالوا هذا علم سليمان وما تمَّ لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه يسخّر الإنس و الجن و الريح التي تجري بأمره، وهذا من افتراءات اليهود على الأنبياء فأكذبهم الله بقوله " **وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ** " ثم عطف عليه " **وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ** " فالمراد بما أنزل هو: علم السحر الذي نزلا ليعلماه الناس حتى يحذروا منه، فالسبب في نزولهما هو تعليم الناس أبواباً من السحر، حتى يعلم الناس الفرق بين السحر والنبوة و أن سليمان لم يكن ساحراً و إنما كان نبياً مرسلاً من ربّه وقد احتاط الملكان غاية الاحتياط فما كانا يعلمان أحداً من السحر حتى يحذراه، ويقولا له: إنما نحن فتنة، أي: بلاء و اختبار، فلا تكفر بتعلمه و العمل به، و أما من تعلّمه للحذر منه، وليعلم الفرق بينه و بين النبوة و المعجزة فهذا لا شيء فيه، بل هو أمر مطلوب مرغوب فيه، إذا دعت الضرورة إليه، ولكن الناس ماكانوا يأخذون بالنصيحة، بل كانوا يفرقون بين المرء وزوجه، وذلك بإذن الله ومشيئته،... و اليهود لما جاءهم رسول الله وكانوا يعلمون أنه النبي الذي بشرت به التوراة ...

فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ونبذوا كتابهم التوراة وكتاب الله القرآن وراء ظهورهم، وبدلاً من أن يتبعوا الحق المبين اتبعوا السحر

الـذي تـوارثوه عن آبائهم والذي علمتهم إيـاه الـشـياطين، وكان الواجب عليهم أن ينبذوا السحـر ويحـذروا الـناس مـن شـره، وذلك كما فعل الملكان: هاروت وماروت من تحذير الناس من شره والعمل به وهذا هو التفسير الصحيح للآية اهـ.

وخلاصة الأمر:أن السحرمنشؤه من الشياطين ولكي يروجوه بين الناس نسبوه إلى سلـيـمان النبي الـذي سـخـر الله لـه الـشـياطـيـن، وصـدقهم اليهود، وسليمان مـن أنبيائهـم وكـان يفترض بـهـم أن يـبـرؤوا ساحته مما نـسـب إلـيـه الـشياطين ولكنهم لم يفعلوا بل ضحوا بالتوراة ثم بالقرآن الكريم في سـبـيـل ذلـك، ولـذا فـقـد بـرأ الله سـاحـة سـلـيـمـان مـرتـيـن:

أولاهمـا: عـلـى يـد مـلـكـيـن كـريمين هما هاروت وماروت.

وأخيراً بما أنزله عـلـى رسـولـه وبـثـه في العالمين من تبرئة سـلـيـمـان والله أعـلـم وأحـكـم.

أساطير اليهود حول هاروت وماروت:

إن الـقـوم الـذيـن دعـوا لله ولـداً، وخالـفـوا أنبياء الله ورسله، ووصل بهم الأمر إلى أن سفكوا دمـاء بـعـضـهـم لـن يـقـفـوا مـتـأدبـيـن مع الملائكة الكرام الأطهار فقالوا فـيهم ما قالوا، وليس هذا - عندي عجباً – ولكن العجب أن تلك الأكاذيب قد وجـدت طريقها إلى تراثنا الإسلامي متسللة إليه كما تتسلل الحمى إلى جسد الـرجـل منا فتمرضه، ولكن ما أسرع ما يأتي الطبيب فيقضي عليها و يـمـحـو آثـارهـا!

وأكتفي هـنـا بـرواية واحدة ثم أعقب عليها بما يثلج الصدر ويقنع العقل إن شاء الله عزوجل:

روى الإمام أحـمـد بـسـنـده إلـى عَـبْـدِ اللهِ بْـنِ عُـمَـرَ، أَنَّـهُ سَـمِـعَ نَـبِـيَّ اللهِ صَـلّـَى اللـهُ عَـلَـيْـهِ وَسـلّـَمَ يـقُـولُ: " إِنَّ آدَمَ صـلّـَى اللهُ عَـلَـيْـهِ وَسـلّـَمَ

لَـمَّـا أَهْبَطَـهُ اللـهُ تَـعَـالَـى إِلَـى الْأَرْضِ، قَـالَـتِ الـمَـلَائِـكَـةُ: أَيْ رَبِّ، " أَتَـجْـعَـلُ فِـيـهَـا مَـنْ يـُفْسِدُ فِيـهَـا وَيـَسْـفِـكُ الـدِّمَـاءَ وَنَـحْـنُ نُسَبِّحُ بِـحَـمْـدِكَ وَنـُقَـدِّسُ لَـكَ قَـالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَـا لَا تَـعْـلَـمُـونَ " [البقرة / ٣٠]

قَـالُـوا: رَبَّـنَـا نَحْنُ أَطْـوَعُ لَكَ مِـنْ بَـنِي آدَمَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: هَلُمُّوا مَلَكَيْنِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، حَتَّى يُهْبَطَ بِـهِـمَا إِلَـى الْأَرْضِ، فَـنَنْظُرَ كَـيْـفَ يَعْمَلَانِ.

قَـالُـوا: رَبَّنَا، هَارُوتُ وَمَارُوتُ.فَـأُهْـبِـطَـا إِلَـى الْأَرْضِ، وَمُثِّلَتْ لَـهُمَا الزُّهَرَةُ امْـرَأَةً مِـنْ أَحْـسَنِ الْـبَـشَرِ، فَجَاءَتْـهُـمَا، فَسَـأَلَاهَـا نَـفْـسَهَـا.

فَـقَالَـتْ: لَا وَاللهِ، حَـتَّى تَكَـلَّـمَا بِـهَـذِهِ الْكَلِمَةِ مِنَ الْإِشْرَاكِ.

فَقَالَا: وَاللهِ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ أَبَدًا. فَذَهَبَتْ عَـنْـهُـمَا ثُـمَّ رَجَعَـتْ بِصَبِيٍّ تَحْمِلُهُ، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا.

فَقَالَتْ: لَا وَاللهِ، حَتَّى تَقْتُلَا هَذَا الـصَّـبِـيَّ.

فَـقَـالَا: وَاللهِ لَا نَقْتُلُهُ أَبَدًا.

فَذَهَبَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ بِقَدَحِ خَمْرٍ تَحْمِلُهُ، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا.

فَقَالَتْ: لَا وَاللهِ، حَتَّى تَشْرَبَا هَذَا الْخَمْرَ. فَشَرِبَا،فَسَكِرَا فَوَقَعَا عَـلَـيْـهَا، وَقَـتَـلَا الـصَّبِيَّ، فَلَمَّا أَفَاقَا، قَالَتِ الْمَرْأَةُ: وَاللهِ مَا تَرَكْتُمَا شَيْئًا مِـمَّـا أَبَـيْـتُـمَـاهُ عَـلَـيَّ إِلَّا قَدْ فَعَلْتُمَا حِينَ سَكِرْتُمَا، فَخُيِّرَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا "

موقف العلماء من هذا الحديث:

لقد حكم جهابذة الحديث على هذا الحديث بالضعف من حيث سنده. - والبطلانِ من حيث متنهُ كما سيأتي قريباً – ونسوق هنا ما **قاله العلامة ابن كثير (١/ ٣٦٨ – ٣٩٧)** يقول: ... وهكذا رواه أبو حاتم ابن حبان في صحيحه ... وهذا حديث غريب من هذا الوجه ورجاله كلهم ثقات في رجال الصحيحين إلا موسى بن جبير هذا وهو الأنصاري السلمي مولاهم الحـّذاء...

وذكره ابن أبي حاتم و لم يحك فيه شيئاً من هذا ولا هذا فهذا مستور الحال ١هـ

وأضيف إلى ما سبق ما ذكره مخرجو المسند حيث قالوا:

ذكره **ابن حبان** في الثقات وقال: يخطئ ويخالف.

وقال **ابن القطان**: لا يُعرف حاله.

وفي التقريب: مستور، وذكره أبوزرعة في أسامي الضعفاء، وضعّفه النسائي...

وقال الدارمي: له أغاليط كثيرة...

وذكره العقيلي و ابن الجوزي و الذهبي في جملة الضعفاء ١هـ.

فإن قيل: إن حديثاً أوتيَ من قِبَل رجل ضُعِفَ من جهة حفظه أو لا يجبر بمتابع إن كان؟

فالجواب: أن هذا لم يفت **العلامة ابن كثير (١/ ٣٦٨)** فقد قال: وروى له متابع من وجه آخر عن نافع... ثم قال: وقال ابن جرير وساق سنده إلى نافع وروى الحديث عنه ... ثم عقّب عليهما بقوله**: وهذان أيضاَ غريبان جداً** ١هـ .

والعاجز لا يحمل عاجزاً بل يزدادون عجزاً.

ثم قال ابن كثير: وأقرب ما في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمرعن كعب الأحبار لا عن رسول الله كما قال عبد الرزاق في تفسيره... فهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر من الإسنادين المتقدمين... فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل.

موقف العلماء من هذه القصة على الجملة:

١-موقف العلامة ابن كثير:

يقول ابن كثير في تفسيره (٣٧٣/١) وقد رويت قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين ....وقصها خلق من المفسرين المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع - في تفصيلها – إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق الصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله.

٢-موقف الشهاب العراقي:

جاء في روح المعاني (٢٤٠/١): ونص الشهاب العراقي على أن من اعتقد في هاروت وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما مع الزهرة فهو كافر بالله العظيم فإن الملائكة معصومون " **لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** " و الزّهرة كانت يوم خلق الله السماوات والأرض والقول بأنها تمثلت لهما فكان ماكان وردت إلى مكانها غير مقبول ولا معقول.

٣-موقف القاضي عياض:

يقول القاضي عياض في كتابه (الشفاء: ١٧٤/٢) :أجمع المسلمون على أن الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواءاً في العصمة... واختلفوا في غير المرسلين منهم، فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم عن المعاصي وذهبت طائفة إلى أن هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين...

ثم قال: والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم...

ثم تطرق القاضي إلى ما روى في شأن هاروت وماروت

فقال: اعلم أكرمك الله أن هذه الأخبار لم يروَ منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله وليس هو شيئاً يؤخذ بقياس، والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه.

وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف وهذه الأخبار من كتب اليهود وافتراءاتهم كما نصه الله عزوجل في أول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم إياه.

٢-حل المشكلات:

إن إيراد التفسير السليم و دحض التفاسير المشبوهة يزيل معه الكثير من الشبهات ويبقى بعضها و من أخطرها:

١ً-كيف للملائكة أن يعلموا السحر؟

وللجواب عن هذا السؤال نسوق ما قاله الرازي (٦١٧/٣) التعليم إنما يكون كفراً إذا قصد المعلم أن يعتقد حقيقته وكونه صواباً، فأما أن يعلمه ليحترز عنه فهذا التعليم لا يكون كفراً وتعليم الملائكة كان لأجل أن يصير المكلف محترزاً عنه على ما قال تعالى حكاية عنهما " **مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** " وأما الشياطين اللذين علموا الناس السحر فكان مقصودهم اعتقاد حقيّة هذه الأشياء فظهر الفرق.

وقال صاحب الصفوة (٧٣/١): الحكمة من تعليم الملكين السحر أن السحرة كثُرُوا في ذلك العهد واخترعوا فنوناً غريبة من السحر، وربما زعموا أنهم أنبياء فبعث الله الملكين ليعلما الناس وجوه السحر حتى يتمكنوا من التمييز بينه و بين المعجزة ويعرفوا أن اللذين يدَّعون النبوة كذباً إنما هم سحرة لا أنبياء.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة على وجه الإجمال.

٢-إثبات وجود فردين من أفراد الملائكة وهما" هاروت وماروت.

٣-أن الملائكة دائما تنفذ وتعمل بما أمرها الله به، وكذلك فعل هاروت وماروت حيث علما الناس ما طلب منهما أن يعلماه لهم.

التوحد والتكرار:

هذا المشهد من المشاهد المفردة في القرآن حيث لم يتكرر أبداً.

٧-الكافرون – الذين ماتوا على كفرهم – تلعنهم الملائكة

وهنا المعنى في الآيات (١٦١-١٦٢) من سورة (البقرة) ونصها الكامل



بين يدي التفسير :

١-اللغة والإعراب والبلاغة :

أ-اللغة :

٤٨-**لَعْنَةً: قال في المفردات**[1]: اللعنة هي الطرد والإبعاد على سبيل السخط ، وذلك من الله في الآخرة عقوبة ، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه ، ومن الإنسان دعاء على غيره بذلك .

٤٩-**خَالِدِينَ** : جمع خالد ، **قال في المفردات**[2] : والخلود في الجنة أوالنار : بقاء الأشياء على الحالة التي عليها من غير اعتراض الفساد عليها .

١-انظر "المفردات في غريب القرآن" م / لعن.
٢-انظر " المرجع السابق" م / خلد.
٣- انظر " المرجع السابق" م / عذب.

2

٥٠-**الْعَذَابُ** : هو الإيجاع الشديد ، وقد عذّبه تعذيباً : أكثر حبسه في العذاب [1]

٥١-**يُنْظَرُونَ** : مضارع من نُظِرَ،ومصدره النظر، وهو الانتظار يقال : نظرته وانتظرته وأنظرته أي: أخّرته .

٢ ً-الإعراب:

إِنَّ : حرف مشبه بالفعل.

الَّذِينَ :اسم موصول في محل نصب اسمها، وجملة (**كَفَرُوا**) صلتها ، وجملة (**وَمَاتُوا**) معطوفة عليها ، وجملة (**وَهُمْ كُفَّارٌ**) في محل نصب حال ، وجملة (**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ**)جملة اسمية في محل رفع خبر إنَّ .

لَعْنَةُ : مبتدأ خبره متعلق الجار والمجرور .

أَجْمَعِينَ : تأكيد للنّاس .

خَالِدِينَ : حال منصوبة وعلامة نصبها الياء لأنها جمع مذكر سالم .

يُخَفَّفُ: فعل مضارع مبني لما لم يُسم فاعله ، **والعذاب** :نائب فاعل

٣ ً- البلاغة:

١-" **خَالِدِينَ فِيهَا** " : أي في اللعنة أو في النار ، وأضمرت النار تفخيما لشأنها وتهويلا لأمرها .

٢-"**وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ**" إيثار للجملة الإسمية لإفادة دوام النفي واستمراره .

٢-المناسبة:

لمّا ذكر الله عز وجل فئة من النَّاس – وهي فئة الذين يكتمون الحقَّ – صبَّ عليه لعنته.

ومن ورائها لعنة اللاعنين ، ذَكَرَ فئة أخرى من الناس – وهي فئة كفرهم حتى جاءهم أجلهم وهم على ذلك – صبَّ الكافرين الذين تمادى بهم

عليه لعنته ولعنة ملائكتة والناس أجمعين، على أنه يدخل في الفئة الأولى والثانية اليهود فهم الذين كتموا الحق وهذا كفر منهم واستمروا على ذلك حتى وفاتهم ، وأجواء السورة مشحونة شحناً بالحديث عن اليهود .

التفسير وحل الإشكالات:

التفسير:



قال العلامة ابن كثير (١/ ٤٨١)
يـخْـبَـرَ الله تَـعـَالـَى عـَمـَّنْ كـَفـَرَ بـِهِ وَاسْتَمَرَّ بِهِ الحـالُ إِلـَى مـَمـَاتـِهِ بـِأَنَّ " **عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْـمَـلائـِكـَةِ وَالـنَّـاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا** "أَيْ: فِي اللَّعْـنَةِ التَّابِعَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ الْـمُـصَاحِـبَـةِ لـَهُـمْ فِـي نـَارِ جـَهَـنَّـمَ الـتِي وَلَا يـفـتّـَر، بَـلْ هُـوَ مُـتـَوَاصِـلٌ دَائِمٌ، فـنـَعـُوذُ بـِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.

وَقَـالَ أَبُـو الْـعَـالِـيَـةِ وَقَـتَـادَةُ: إِنَّ الْكَافِرَ يُوقَفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْعَنُهُ اللَّهُ، ثُـمَّ تَـلْـعَـنُـهُ الْـمَـلَائِـكَـةُ، ثُـمَّ يَـلْـعَـنُـهُ الـنَّـاسُ أَجْـمَـعُـونَ.

وقـال صـاحـب الـصـفـوة (١/ ٩٦) وحـتـى الـكـفـار فـإنـهـم يـوم الـقـيامة يـلـعـن بـعـضُـهـم بـعـضـاً.

وقـال صـاحـب الـظـلال (١/ ١٤٦) فـأمـا الـذيـن يـصـرون ولا يـتـوبـون حـتـى تـفـلـت الـفـرصـة وتـنـتـهي الـمـهـلـة، فـأولـئـك مـلاقـون مـا أوعـد الله مـن قـبل بـه، ... ذلـك أنـهـم أغـلـقـواعـلـى أنـفـسـهـم ذلـك الـبـاب الـمـفـتـوح، وتـركـوا الـفـرصـة تـفـلـت، والمـهـلـة تـنـقـضـي، وأصـروا على الكتمان والكفر والضلال.

" **أُولـئـِكَ عـَلـَيْـهِـمْ لـَعْـنـَةُ اللَّهِ وَالـْمَـلائـِكـَةِ وَالنَّـاسِ أَجْـمَـعِـينَ** " ...فهي لعنة مطبقة لا ملجأ منها ولا صدر حنون ولم يذكر السياق لهم عذاباً آخر غير هذه اللعنة المطبقة بل عدها عذاباً لا يخفف عنهم، ولا يؤجل موعده ولا يمهلون فيه. وإنه لعذاب دونه كل عذاب. عذاب المطاردة والنبذ

والجفوة. فلا يتلقاهم صدر فيه حنان، ولا عين فيها قبول، ولا لسان فيه تحية.

إنهم ملعونون مطرودون منبوذون من العباد ومن رب العباد في الأرض وفي الملأ الأعلى على السواء..

وهذا هو العذاب الأليم المهين..

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي إثباتاً لا يُقبَل معه تأويل ولا ردٌّ ، وذلك أنه جعل لعنتهم تحيقُ بمن كفر وتمادى به كفره حتى مماته .
٢- أن لعنة الملائكة مسبوقةً بلعنة الله ، ومضموماً إليها لعنةُ الناس كلِّ الناس واجبةٌ على من كفر بالله وتمادى به كفره حتى مماته مفوتاً على نفسه كلَّ فرص الهداية

التَّوحد والتكرار :

لقد سجلت الآيات (٨٦) و (٨٧) من سورة (**آل عمران**) لعنة أخرى من لعنات الملائكة ولكن على من ؟

" كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨)إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩) "

إنها إذاً اللعنة التي تحيق بالمرتدين.

فالقرآن إذاً أنزل لعنة الملائكة على فئتين اثنتين من الناس:

١-على فئة الكافرين اللذين انتهت آجالهم و هم مصرون على كفرهم.

٢- على فئة المرتدين عن الإسلام بعد الدخول فيه إذا ماتوا وهم على ذلك.

وثمة فئة ثالثة من الفئات التي تلعنها الملائكة وإن لم يصرح فيها باسمها:

" إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " [البقرة/ ١٥٩-١٦٠] .

وينقل ابن كثير (٤٨٠/١) عن أبي العالية معنى الآية فيقول: نزلت في أهل الكتاب كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أخبر أنهم يلعنهم كل شيء على صنيعهم ذلك، فكما أنَّ العالِم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء، والطيرفي الهواء، فهؤلاء بخلاف العلماء، فيلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون.

ويقول العلامة ابن جرير (٢٥٧/٣) وينقل عن قَتَادَة في قوله "**وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**" الملائكة، ونقل مثلَه عن الربيع بن أنس ثم قال: **وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال " اللَّاعِنُونَ " الملائكة والمؤمنون،** لأن الله تعالى قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تحل بهم إنما هي من الملائكة و الناس أجمعين فقال تعالى ذكره " **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** " فكذلك اللعنة التي أخبر الله أنها حالّة بالفريق الآخر "**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالْهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ**" هي لعنة الله ولعنة الذين أخبر أنَّ لعنتهم حالّةٌ بالذين كفروا وماتوا وهم كفار وهو اللاعنون لأن الفريقين جميعاً أهل كفر ١هـ.

٨-الإيمان بعالم الملائكة من البر

ونجد هذا واضحاً جلياً في الآية (١٧٧) من سورة البقرة و تقول الآية:

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات و الإعراب و البلاغة:

١ ً-المفردات:

٥٢-**الْبِرَّ**: **قال صاحب المفردات**[١] البَرُّ خلاف البحر، وتصور منه التوسع فاشتق البِرُّ أي: التوسع في فعل الخير، وينسب إلى الله **تارةً نحو** " **إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ** " [الطور/٢٨] وينسب إلى العبد **تارة أخرى** فيقال : **برَّ العبد ربه** أي: توسع في طاعته، **فالبر من الله:** الثواب، و **البر من العبد:** الطاعة، وذلك ضربان: ضرب في الاعتقاد، وضرب في الأعمال وقد اشتمل عليه قوله " **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ**

١-انظر " المفردات " م / برر.

وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ " فإن الآية متضمنة للاعتقاد و الأعمال و الفرائض والنوافل.

هذا وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم[1] البر بالإيمان، ولا تعارض بين ما سبق وبين ما هنا فالإيمان من البر الاعتقادي والله أعلم.

٥٣- **تُوَلُّوا**:مضارع من تولّى : **قال صاحب المفردات**[2]: يقال: وليت سمعي كذا، ووليت عيني كذا، ووليت وجهي كذا: أقبلت به عليه قال الله تعالى " **فلنولينك قبلة ترضاها**"

٥٤- **قِبَلَ**:**قال صاحب المفردات**[3]، و المقابلة والتقابل أن يُقْبِل بعضهم على بعض إما بالذات، و إما بالعناية... اهـ

فالمعنى أن تقابلوا بوجوهكم جهة شروق الشمس أو غروبها.

٢-الإعراب :

لَيْسَ: فعل ماض ناقص من أخوات (**كان**) ،واسمها هو المصدر المؤول من أَنْ وما بعدها ،**وخبرها** : البرَّ، والتقدير : ليسَ توليةُ وجوهكم قبل المشرق والمغرب البرَّ ولكن ...

قِبَلَ : مفعول فيه ظرف مكان متعلق بـ **تولوا** ، وما بعده مضاف إليه .

لَكِنَّ: حرف مشبه بالفعل من أخوات (**إنَّ**)واسمها البر وخبرها (**مَنْ**) وما بعده صلة له ولكن لا بد هنا من تأويل **قال سيبويه** [4]: " **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ** " أي : ولكنَّ البرَّ برَّ من آمن ...

١-روى ابن أبي حاتم بسنده إلى مجاهد عن أبي ذر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما الإيمان؟ فتلا عليه " **لَيْسَ الْبِرَّ**..." **قال ابن كثير(١/٤٣٩)** وهذا منقطع فإن مجاهد لم يدرك أبا ذر فإنه مات قديماً، وساق له طريقاً آخر وفيه أيضاً انقطاع و الله أعلم.

٢-انظر " المفردات" م/ ولي.

٣-انظر " المفردات" م / قبل.

٤-انظر " الكتاب " باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى ١/ ٢١٣ ، وقال في مقدمة هذا الباب : لاتساعهم في الكلام والإيجاز والإختصار.

٣ً-البلاغة :

١-(**وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ**...) فيه إيجاز بالحذف كما أسلفنا والأصل : البر برَّ من آمن ، ويمكن أيضا جعل البرَّ نفس من آمن على طريق المبالغة والله أعلم .

٢-المناسبة :

قال صاحب الصفوة (١٧٧/١) ووجه المناسبة أنّه تعالى ذكر في الآية السابقة أن أهل الكتاب اختلفوا في دينهم اختلافا كبيرا صاروا بسببه في شقاق بعيد ، ومن أسباب شقاقهم أمر القبلة ...

وادّعى كل فريق منهم أن الهدى مقصور على قبلته فرد الله عليهم بأنَّ العبادة الحقة وعمل البر ليس بتوجه الإنسان جهة المشرق والمغرب ، ولكن بطاعة الله وامتثال أوامره بالإيمان الصادق الراسخ .

٣-سبب النزول:

روى الإمام الطبري (٣٣٩/٣)عن قتادة قوله : كانت اليهود تصلي قِبَلَ المغرب ، والنصارى تصلي قِبَلَ المشرق فنزلت " **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ** " ثم روى عن الربيع بن أنس مثل ذلك



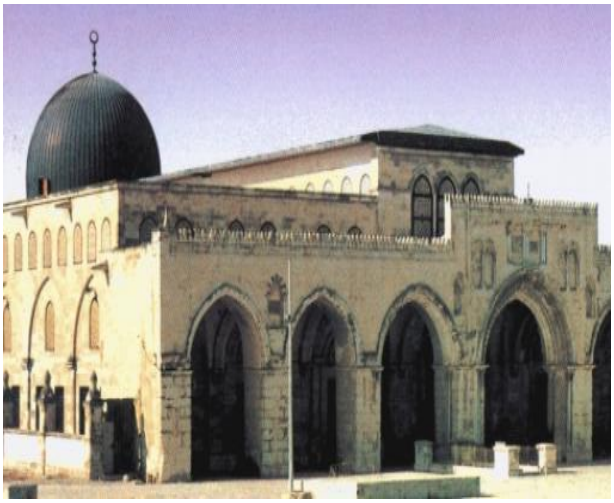


ثم عقب قائلا : وأولى هذين القولين بتأويل الآية القول الذي قاله قتادة والربيع .. لأن الآيات قبلها مضت بتوبيخهم ولومهم، والخبر عنهم ، وعما أُعِدَ لهم من أليم العذاب ، وهذا في سياق ما قبلها إذ كان الأمر كذلك – ليس البر – أيها اليهود والنصارى أن يُوَلّي بعضكم وجهه قِبَلَ المشرق وبعضكم قِبَلَ المغرب ، **"وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ"**

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير :

يقول العلامة ابن كثير (١/ ٤٩٣) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوَّلًا بِالتَّوَجُّهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ حوَّلهم إِلَى الْكَعْبَةِ.





شَقَّ ذَلِكَ عَلَى نُفُوسِ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَبَعْضِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَيَانَ حِكْمَتِهِ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ إِنَّمَا هُوَ طَاعَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَامْتِثَالُ أَوَامِرِهِ، وَالتَّوَجُّهُ حَيْثُمَا وَجَّهَ، وَاتِّبَاعُ مَا شَرَعَ، فَهَذَا

هُوَ الْبِرُّ وَالتَّقْوَى وَالْإِيمَانُ الْكَامِلُ، وَلَيْسَ فِي لُزُومِ التَّوَجُّهِ إِلَى جِهَةٍ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ بِرٌّ وَلَا طَاعَةٌ، إِنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ...

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: " **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ** " قَالَ: هَذِهِ أَنْوَاعُ الْبِرِّ كُلُّهَا. وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فَإِنَّ مَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَقَدْ دَخَلَ فِي عُرَى الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، وَأَخَذَ بِمَجَامِعِ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ...

وصدّق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله ...

ويقول صاحب الظلال (١٢٨/١) وأخيراً وفي آية واحدة يضع قواعد التصور الإيماني الصحيح، وقواعد السلوك الإيماني الصحيح، ويحدد صفة الصادقين المتقين والراجح أن هناك صلة بين هذا البيان وبين تحويل القبلة وما ثار حوله من جدل طويل.

فليس القصد من تحويل القبلة، ولا من شعائر العبادة على الإطلاق، أن يولي الناس وجوههم قبل المشرق والمغرب.. نحو بيت المقدس أو نحو المسجد الحرام.. وليست غاية البر- وهو الخير جملة- هي تلك الشعائر الظاهرة.

فهي في ذاتهامجردة عما يصاحبها في القلب من المشاعر وفي الحياة من السلوك- لا تحقق البر، ولا تنشئ الخير.. إنما البر تصور وشعور وأعمال وسلوك. تصور ينشئ أثره في ضمير الفرد والجماعة وعمل ينشئ أثره في حياة الفرد والجماعة. ولا يغني عن هذه الحقيقة العميقة تولية الوجوه قبل المشرق والمغرب..

" **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** "

ذلك هو البر الذي هو جماع الخير.. فماذا في تلك الصفات من قيم تجعل لها هذا الوزن في ميزان الله؟

إن الإيمان بالله هو نقطة التحول في حياة البشرية من العبودية لشتى القوى، وشتى الأشياء، وشتى الاعتبارات.. إلى عبودية...والإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بالعدالة الإلهية المطلقة في الجزاء وبأن حياة الإنسان على هذه الأرض ليست سدى ولا فوضى بغير ميزان...

والإيمان بالملائكة طرف من الإيمان بالغيب الذي هو مفرق الطريق بين إدراك الإنسان وإدراك الحيوان، وتصور الإنسان لهذا الوجود وتصور الحيوان. الإنسان الذي يؤمن بما وراء الحس والحيوان المقيد بحسه لا يتعداه .

والإيمان بالكتاب والنبيين هو الإيمان بالرسالات جميعاً وبالرسل أجمعين، وهو الإيمان بوحدة البشرية، ووحدة إلهها، ووحدة دينها.

الإستنباط :

١-إثبات وجود هذا العالم وجوداً لا يقبل فيه ولا معه تأويل ولا رد ، حيث جعل مولانا الإيمان بالملائكة من البر التي هي الطاعة .
٢-أن الإيمان بعالم الملائكة واجب لأنه جعلة من جملة (البر) الذي هو الطاعة و الإيمان ، وخلافها المعصية والكفران، فمن آمن بالملائكة فهو مؤمن ومطيع ، ومن أنكر فهو كافر وعاصٍ والعياذ بالله .

التوحد والتكرار :

يلتقي هذا النص هنا مع الآية (٢٨٥) من سورة البقرة ونصُّها :

" آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) "

٩-حضور الملائكة للحساب يوم القيامة

وهذا المعنى الرهيب هو ما تحمله لنا الآية (٢١٠) من سورة البقرة ، ونصها:

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٧٧﴾

بين يدي التفسير :

١-المفردات والإعراب والبلاغة :

أ ــ المفردات :

٥٥- **يَنْظُرُونَ**: فعل مضارع من نَظَر ، قال في المفردات : [1]والنظر : الانتظار، ويقال : نظرته وانتظرته وأنظرنه إذا أخرته ... قال تعالى " **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ** " ١ هـ

والمعنى: أنهم يؤخرون الإيمان، وعاقبة التأخير أن يموتوا على كفرهم والعياذ بالله ويوافوا الله عليه يوم الحساب .

١-انظر المفردات " م / نظر.



٥٦ **ظُلَلٍ** : جمع ظلة، والظلة سحابة تظل.

قال صاحب المفردات [1]: وأكثر ما يقال فيما يستوخم ويكره ، قال تعالى " **كأنه ظلة** " [الأعراف / ١٧١] ... " **أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ** " أي: عذابه يأتيهم .

٥٧- **الْغَمَامِ**: من الغمّ ، والغمُّ : ستر الشيء، ومنه الغمام لكونه ساتراً لضوء الشمس، قال تعالى " **يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ** [2]"

٥٨- **قُضِيَ** : **قال في المفردات**[3]'القضاء : فصل الأمر قولاً كان أو فعلاً اهـ.

٥٩- **تُرْجَعُ**: فعل مضارع من رجع ، والرجوع هو العود إلى ماكان منه البدء .

٢ ً-الإعراب :

إِلَّا : أداة حصر

أَنْ يَأْتِيَهُمُ : ناصب ومنصوب ، والمصدر المؤول منهما مفعول ينظرون التي بمعنى ينتظرون إتيان ...

وَالْمَلَائِكَةُ: الواو : حرف عطف ، **والملائكة** : اسم معطوف على لفظ الجلالة مرفوع مثله ...

١-انظر المفردات " م / ظلل.
٢-المرجع السابق "م / غمم.
٣-المرجع السابق "م / قضى.

قُضِيَ : فعل ماض مبني لما لم يسمّ فاعله ، **والأمر** : نائب فاعل، والأصل قضى الله الأمر ، وحذف الفاعل للعلم به ولتهويل الأمر وسرعته .

٣ً-البلاغة :

١-" **هَلْ يَنْظُرُونَ** " استفهام إنكاري في معنى النفي يدل على ذلك مجيء (إلا) بعدها والمعنى : ما ينتظرون .

٢-" **فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ** " التنكير للتهويل فهي في غاية الهول والمهابة لما لها من الكثافة التي تغم على الرائي ما فيها

٣-" **وَقُضِيَ الْأَمْرُ** " فيه إيجاز الحذف حيث حذف فاعله لأنه معلوم ، ولإظهار السرعة ، وأمر آخر ، وهو أنه ماضٍ وهو معطوف على مضارع ، يأتيهم ، فالأصل أن يكون مضارعاً ولكن عُدل إلى صيغة الماضي للدلالة على تحققه فكأنه قد حدث وكان .

٢-المناسبة

بعد أن حذر الله عز وجل من الشيطان، وبيّن تجذّر عداوته لبني الإنسان وجَّهَ ربنا خطاباً للمؤمنين بأن يلتزموا بجميع تعاليم الإسلام ولا يخدعهم الشيطان عن بعضهما، كما وجَّهَ خطاباً للكافرين أن يسارعوا إلى حظيرة الإيمان ولا يؤخروا فالمنية قد تأتي في أية لحظة وعندها يجد الكافر نفسه في عرضات القيامة وقد جاء ربنا وملائكته لفصل الخطاب.

التفسير وحل الإشكالات :

١-التفسير :

يقول العلامة ابن كثير (١/ ٥٧٤) يقول الله تعالى مهدداً للكافرين بمحمّدٍ " **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ** " يعني يوم القيامة لفصل القضاء بين الأولين والآخرين ، فيجزي كلَّ عاملٍ بعمله ...

ولهذا قال" **وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ** "

ونقل ابن كثير هنا عن ابن جرير أنه ساق هنا حديث الصور بطوله وهو كما يقول ابن كثير حديث مشهور ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم .

أقول: جاء في الطبري (٤/ ٢٦٧) هذا الحديث ونقتطف منه ما له صلة هنا **فَبَيْنَا نَحْنُ وَقُوفٌ، سَمِعْنَا حِسًّا مِنَ السَّمَاءِ شَدِيدًا، فَهَالَنَا، فَنَزَلَ أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمِثْلَيْ مَنْ فِي الأَرْضِ مِنَ الجِنّ والإنسِ، حتى إذَا دنَوْا مِنَ الأَرْضِ، أَشْرَقَتِ الأَرْضُ، بِنُورِهِمْ، وأَخَذُوا مَصَافَّهُمْ، وَقُلْنَا لَهُمْ: أَفِيكُمْ رَبُّنا؟ قالوا: لا وَهُوَ آتٍ، ثُمَّ يَنزِلُ أَهْلُ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ بِمِثْلَيْ مَنْ نزلَ مِنَ المَلائِكَةِ، وَبِمِثْلَيْ مَنْ فِيها مِنَ الجِنّ وَالإِنْسِ، حتى إذَا دَنَوْا مِنَ الأَرْضِ أَشْرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِهِمْ، وأَخَذُوا مصَافَّهُمْ، وَقُلْنَا لَهُمْ: أَفِيكُمْ رَبُّنا؟ قالوا: لا وَهُوَ آتٍ ثم الثالثة إلى السابعة حتى نزلَ الجَبَّارُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ وَالمَلائِكَةِ، وَلَهُمْ زَجَلٌ مِنْ تَسْبِيحِهِمْ، يَقُولُونَ: سُبْحانَ ذِي المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ، سُبْحانَ رَبِّ العَرْشِ ذِي الجَبَرُوتِ، سُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ!... سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلائِكَةِ والرُّوحِ.**

وأقول أيضا جاء في الدر المنثور للسيوطي (٦/٢٤٩) أخرج عبد بن حُميد ، وابن أبي الدُّنيا في الأهوال ، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم عن ابن عباس ، أنه قرأ " **وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا** ، وساق الحديث وفيه نزول ملائكة السماء سماءً بعد سماء ...

و**يقول صاحب الظلال (١/٢١٢)** وهو سؤال استنكاري عن علة انتظار المترددين المتلكئين الذين لا يدخلون في السلم كافة . مالذي يقعُد بهم عن الإستجابة ؟ وما الذي يرتقبون ؟ تراهم سيظلون يتلكؤون حتى يأتيهم اليوم الرهيب الموعود الذي قال الله : إنه سيأتي فيه في ظلل من الغمام ويأتي الملائكة صفاً صفاً ...

وفجأة – وبينما نحن أمام هذا السؤال – نجد أن اليوم قد جاء وأن كل شيءٍ قد انتهى، وأن القومُ أمام المفاجأة التي كان يلوح لهم بها ويخوفهم إياها " **وقُضي الأمر** " وطوي الزمان وأفلتت الفرصة وعزت النجاة ووقفوا وجها لوجه أمام الله الذي ترجع إليه وحده الأمور.

٢-حل الإشكالات :

إن مجيء الملائكة يوم القيامة لتقوم بمهامها الموكلة إليها في ذلك اليوم الرّهيب أمر متصور مفعول ، ولكن كيف يصح إسناد الإتيان إلى الله عزوجل وهو الذي ليس كمثله ذاتاً وصفات شيء أي شيء ؟

لقد أجاب علماؤنا عن هذا وأمثاله بما شفى وكفى ، وأقتصر هنا بإيراد ما ذكره البيهقي في كتابه **" الأسماء والصفات " بقول رحمه الله (٢/١٩٣-٢٠١)** تحت هذا العنوان : باب ما جاء في قول الله **" هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ "** وقوله تعالى **" وجاء ربك والملك صفاً صفاً "**

يقول : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وساق السند إلى أبي العالية في قوله **" هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ"** الملائكة يجيؤون في ظلل من الغمام والله عزوجل يجيء فيما يشاء ... وهي كقوله **" وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا "**

قلت (البيهقي) : فصح بهذا التفسير أن الغمام إنما هو مكان الملائكة ومركبهم وأن الله لا مكان له ولا مركب وأما الإتيان والمجيء فعلى قول الأشعري : يُحدث الله يوم القيامة فعلاً يسميه إتياناً و مجيئاً لا بأن يتحرك أو ينتقل فإن الحركة والسكون والإستقرار من صفات الأجسام والله أحد صمد ليس كمثله شيء ...

الاستنباط :

١-إثبات وجود هذا العالم وجوداً لا يقبل معه رد ولا تأويل ، كيف وقد أخبر الله عن مجيئهم يوم القيامة ؟

٢-أن للملائكة مهام يؤدونها يوم القيامة وقد جاء في آيات كثيرة تفاصيل لهذه المهام منها مرافقة الإنسان إلى مكانه والشهادة عليه وهذا عمل السائق والشهيد ، ومنها الملائكة التي تجر جهنم وتقودها إلى أرض المحشر... إلخ

التوحد والتكرار :

لقد وجد هذا المعنى في مواطن من القرآن الكريم :

في الآية (٢٢) من سورة الفجر تقول الآية

"وجاء ربك والملك صفا صفا"

وثمة آيات أخرى اقتصرن على هذه لأنها تحدثت عن مجيء الله والملائكة ليس فيه هذه الخصوصية وكل واحدة من الآيتين تكمل الأخرى والله أعلم.

١٠-الملائكة تحمل التابوت وتوصله إلى طالوت

وهذا المشهد الفريد جاء ضمن قصة طالوت الكاملة والتي تقع في الآيات (٢٤٦) وحتى (٢٥٢) ونقتصر من هذه القصة على هذا المشهد وحسب :

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

بين يدي التفسير :

١-المفردات والإعراب والبلاغة :

ا- المفردات :

٦٠- **نَبِيُّهُمْ**: هذا أحد أنبياء بني إسرائيل بعد موسى، ولم يرد تعيينه في الكتاب ولا في السنة ، وكل ما قيل في اسمه فمرجعه إلى الإسرائيليات، ويدل على ذلك تضارب الآراء في اسمه .

٦١- **آيَةَ** : **قال في المفردات**[١] **:** الآية : العلامة الظاهرة ...

٦٢- **التَّابُوتُ**: قال في تاج العروس : هو الصندوق ، على وزن **فَعْلُوت** من التوب ، فإنه لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه .

٦٣- **سَكِينَةٌ**: **قال صاحب المفردات**[٢] : السكينة والسكن واحد وهو زوال الرعب ، وعلى هذا قوله تعالى "**أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ**

١-انظر المفردات " م/ أيي.

٢-انظر " المفردات " م / سكن.

مِنْ رَبِّكُمْ" وما ذكر أنه شيء رأسه كرأس الهر [1] فما أراه قولا لا يصح ١هـ

فالمعتمد أن السكينة شيء معنوي لا شيئ مادي كما تناقله كثيرمن المفسرين .

٦٤- **وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ**: اختلف المفسرون في تعيين هذه البقية ولم يرد نص في تعيينها

فالأولى إبقاؤها على إبهامها .

٢ً الإعراب :

أَنْ يَأْتِيَكُمُ: ناصب ومنصوب والمصدر المؤول في محل رفع خبر (**إنَّ**) (فيه سكينة) جلة اسمية في محل نصب حال .

مِمَّا تَرَكَ:مركبة من (من) الجارة و(ما) الموصولية في محل جر بمن وجملة (ترك) صلة الموصول .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً: **إنَّ** حرف مشبه بالفعل ، **وفي ذلك** : جار ومجرور متعلقان بالخبر المقدم، اللام : المزحلقة ، **آية** : اسمها منصوب

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ: أداة شرط وفعل الشرط ، وجواب الشرط محذوف تقديره: فتدبروا الأمرواعتبروا ، وامتثلوا أمر ربكم وآياته .

٣ً- البلاغة :

١- " **لَآيَةً** " التنوين للتفخيم أي: آية عظيمة.

٢- " **إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** " فيها إيجاز الحذف ، حيث حذف جواب الشرط.

٢-المناسبة :

جاء هذا المشهد ضمن مشاهد القصة محتوياً على العلامة المادية على اختيار الله لطالوت ملكاً وقائداً لمعركة التحرير الكبرى .

١- وهذا مروي عن مجاهد أنه قال : السكينة من الله كهيئة الهر لها وجه كوجه الهر وجناحان وذنب مثل ذنب الهر انظر ابن كثير (٦٧٢/١) ونقل مثله عن غيره أقول: وهذا أشبه بروايات الإسرائيليات.

التفسير وحل الإشكالات :

١-التفسير :

لم يكد بنو إسرائيل يتنفسون الصعداء - بعد دخولهم إلى بيت المقدس – حتى عادوا سيرتهم الأولى فسلط الله عليهم من أخرجهم من ديارهم وسبى نساءهم و أبناءهم بل وسلب منهم التابوت المقدس الذي كانت رؤيته تبعث على السكينة وذلك بزوال الرعب من اللقاء في ساحات الوغى ، إضافةً إلى مافيه من آثار المباركَيْنِ موسى وهارون .

وعندها لجأ القوم إلى نبي زمانهم يطلبون منه أن يولِّيَ عليهم من يجمع شملهم ويوحد راياتهم ويخوض بهم معركة التحرير الكبرى.

وها هو ذا نبيهم يستدعيهم ويخبرهم بأن الله – وليس هو – اختار لهم طالوت ليقوم بهذه المهمة الصعبة.

وما إن وقع اسمه على مسامعهم حتى وجموا وأصابتهم الدهشة قائلين : طالوت ؟ ومن يكون طالوت هذا

هل هو شريف من الشرفاء أو يمت إلى شريف بصلة ؟

هل هو من أصحاب الثروة والنفوذ ؟

إنه ليس هذا ولا ذاك فكيف يكون ملكاً علينا ؟

فرد عليهم نبيهم تلك المعايير الفاسدة لاختيار القادة فالقائد الناجح ليس هو الذي تسري في عروقه دماء نبيلة وليس هو الذي له ثروة ظاهرة وأخرى دفينة.

إنه ذلك الذي آتاه الله مالم يؤتِ أبناء عصره من العلم والقوة فبالعلم توضع الخطط وبالقوة والشجاعة تُجعل حقيقة على أرض الواقع وقد اجتمعا في طالوت

ولكي يزيل مافي نفوسهم أخبرهم أن علامة اختياره أن الملائكة ستحمل التابوت المقدس من القوم الذين اغتصبوه وتطير به وتضعه عند طالوت وقد حدث ذلك.



قال ابن عباس فيما نقله عنه ابن كثير (١/ ٦١٣) جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون ... إلى آخر أحداث القصة التي انتهت بمقتل جالوت قائد المعركة على يد نبي الله داوود عليه السلام والله يعز من يشاء ويذل من يشاء .

الإستنباط :

١-إثبات وجود عالم الملائكة وجوداً لا يقبل فيه ولا معه رد لا تأويل ، كيف وقد أسند القرآن إلى الملائكة حمل التابوت ونقله إلى بني إسرائيل والناس ينظرون .

٢-إن للملائكة مهام عامة مثل ملائكة الأرحام وملائكة الموت ... ولهم مهام خاصة كهذه المهمة وهم يقومون بمهامهم خير مقام .

التوحد والتكرار:

هذا المشهد من المشاهد المفردة التي لم تتكرر في القرآن الكريم لأن القصة أيضاً لم تتكرر.

١١- الله عزوجل أيد عيسى بروح القدس (جبريل)

وهذا المعنى عبرت عنه الآية (٢٥٣) من سورة (البقرة) ونصُّها :



بين يدي التفسير :

١-المفردات والإعراب والبلاغة :

١- المفردات :

٦٥- **تِلْكَ**: **قال الإمام الرازي (٥٢١/٦)** تلك : ابتداء[1] وإنما قال : تلك ، ولم يقل : أولئك الرسل لأنه ذهب إلى الجماعة كأنه قيل: تلك الجماعةُ الرُّسلُ.

٦٦- **الرُّسُلُ** : والمراد بالرسل هنا : من تقدم ذكرهم من الأنبياء في القرآن[2]

٦٧- **فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**: أي: جعلنا بعضهم أفضل من بعض مع تساوي الجميع في أصل الرسالة، وبهذا

١- عنى بقوله **ابتداء** : أنه اسم إشارة في محل رفع مبتدأ لأنه قال فيما بعُد : وخبر الإبتداء (فضلنا) وعدَّ (الرسل) صفة ل (تلك) .

٢- نفهم هذا من كلام ابن كثير (١/ ٦٧٦) وهو القول الأول عند الرازي (٦/ ٥٢١) ثم ذكر قولين آخرين ، وهما مرجوحان

المعنى يتضح الفرق بين التفضيل والتفريق.

فالأول: (وهو التفضيل) ما ذكرناه.

والثاني: (وهو التفريق) ويعني الإيمان ببعض الرسل مع عدم الإيمان ببعضهم الآخر كما هو الحال عند اليهود والنصارى.

والأول واقع والإيمان به واجب .

والثاني : خلاف الواقع والتورط به كفر والعياذ بالله .

قال الرازي : وأجمعت الأمة على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض وعلى أن محمداً أفضل من الكل وساق على ذلك تِسْعَ عَشْرَةَ حجةً.

٦٨- **مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ** :**قال ابن كثير** (٦٧٦/١) يعني موسى ومحمداً وكذلك آدم

وقال صاحب المفردات [1]:ومكالمة الله تعالى عبده نوعين:

أحدهما: في الدنيا .

والثاني في الآخرة .

فأما الذي في الدنيا فعلى ما نبه عليه بقوله ، **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ "** [الشورى /٥١] ...

قال الرازي (٦/ ٥٢١) اختلفوا في أن من كلمه الله فالمسموع هو الكلام القديم الأزلي الذي ليس بحرف و لا صوت أم غيره؟

١-انظر " المفردات "م/ كلم.

٢-انظر " المفردات" م/ درج.

قال الأشعري وأتباعه : المسموع هو ذلك فإنه لمّا لم يمتنع رؤية ما ليس بمكيّف فكذا لا يستبعد سماع ما ليس بمكيّف.

وقال الماتريدي سماع ذلك الكلام محال ، وإنما المسموع هو الحرف والصوت .



٦٩- **دَرَجَاتٍ** : جمع درجة : **قال صاحب المفردات** [1]: **الدرجة** : المنزلة ، لكن يقال للمنزلة درجة إذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على البسيطة كدرجة السطح والسلم ، ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة

٧٠- **الْبَيِّنَاتِ** : جمع بينة ، **قال ابن كثير (٦٧٧/١)** هي الحجج والدلائل القاطعات على صحة ما جاء بني إسرائيل من أنه عبد الله ورسوله اهـ .

وقال ابن جرير (٢١٨/٢) مثل إحياء الموتى، وإبراء الأبرص

٧١- **أَيَّدْنَاهُ** : **قال ابن جرير (٢١٨/٢)** أي: قويناه فأعنَّاه .

٧٢- **رُوحِ الْقُدُسِ**: هو جبريل عليه السلام ، وقد سبق في الآية (٨٧) الاستدلال على ذلك بما لا مزيد عليه فارجع إليه .

٢-الإعراب :

تِلْكَ : اسم إشارة في محل رفع مبتدأ، **واللام**: للبعد، **والكاف**: الخطاب .

الرُّسُلُ : يجوز فيها وجهان:

١-أن تكون بدلا من اسم الإشارة، وعليه فالخبر هو جملة (**فضلنا**).

٢-أن تكون خبراً، وتكون الجملة استئنافية.

مَنْ كَلَّمَ : **من** : اسم موصول في محل رفع مبتدأ، **وكلم** : صلته ، وخبره متعلق الجار والمجرور المقدم (منهم) والأصل: من كلمه الله منهم أي: من بعضهم.

٣-البلاغة :

١- " **تِلْكَ الرُّسُلُ** " فيه الإشارة بالبعيد لبعد مرتبتهم في الكمال
٢- " **مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ** " هذا تفصيل لذلك التفضيل ، ويسمى هذا في البلاغة التقسيم .

٢- المناسبة :

يقول العلامة الرازي : (٢٢١/٦) وجه تعليق هذه الآية بما قبلها ... أنه تعالى أنبأ محمداً من أخبار المتقدمين مع قومهم كسؤال قوم موسى أرنا الله جهرة...وكقوم عيسى بعد أن شاهدوا منه إحياء الموتى وإبراء الأكمه ... فكذبوه وراموا قتله ... وكالملأ من بني إسرائيل إذ حسدوا طالوت ودفعوا ملكه بعد المسألة ... فعزّى الله رسوله عما رأى من قومه من التكذيب والحسد ... **وبالجملة** فالمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول على إيذاء قومه له .

التفسير وحل الإشكالات :

١-التفسير :

يقول صاحب الصفوة (١٤٥/١)" تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ " أي: أولئك الرسل الكرام الذين قصصنا عليك من أنبائهم يا محمد هم رسل الله حقاً وقد فضلنا بعضهم على بعض في الرفعة والمنزلة والمراتب العالية.

" **مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ** "، أي: منهم من خصه الله بالتكليم بلا واسطة كموسى عليه السلام.

" **وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** " أي: ومنهم من خصه الله بالمرتبة الرفيعة السامية كسيدنا محمد وإبراهيم عليهما السلام ..

" **وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ** ".. أي: ومنهم من أعطاه الله المعجزات الباهرات كإحياء الموتى ...

" **وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ** " أي قويناه بجبريل وهو عيسى.

الاستنباط :

١-إثبات وجود عالم الملائكة وجوداً لا يقبل معه رد ولا تأويل .

٢-إثبات وجود فرد من أفراد الملائكة عظيم وهو جبريل

٣- أن الله أيد وقوى عبده عيسى ابن مريم بجبريل عليه السلام.

التوحد والتكرار :

لقد سبق هذا المعنى في هذه السورة نفسها في الآية (٨٧)

وسيأتي أيضاً في الآية (١١٠) من سورة المائدة .

١٢-الإيمان بعالم الملائكة من أصول الإيمان

وهذا في الآية (٢٨٥) وهي من خواتيم سورة (البقرة) ونقتصر منها على قوله تعالى:

آمن الرَّسُولُ بِما أُنْزِل إِلَيْهِ مِنْ ربِّهِ والْمُؤْمِنُون كُلٌّ آمن بِاللَّهِ
و ملائِكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ لا نُفرِّقُ بيْن أحدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴿٢٨٥﴾

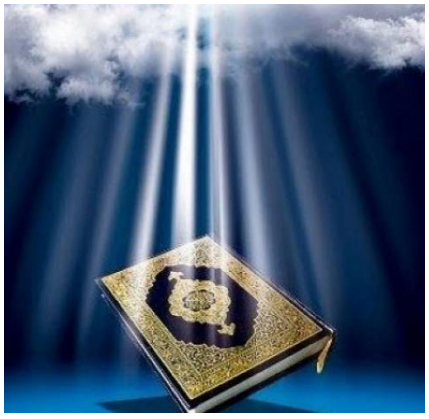
بين يدي التفسير :

١-المفردات والإعراب والبلاغة :

أ- المفردات :

٧٣- **آمَنَ**: فعل ماض مصدره الإيمان وهو كما **يقول صاحب المفردات** [1]:

إذعان النفس للحق على سبيل التصديق ... وجَعَلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أصَل الإيمان ستة أشياء كما في خبر جبريل المعروف.



٧٤- **بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ**: **قال ابن جرير (١٦٤/٦)** يعني بما أوحي إليه من ربه من الكتاب ، وما فيه من حلال وحرام ، ووعد ووعيد وأمر ونهي وغير ذلك من سائر مافيه من المعاني التي حواها .

١-انظر "المفردات" م / آمن.

ثم روى ابن جرير أن النبي لما نزلت هذه الآية قال

" ويحق له أن يؤمن "

٧٥- **كُلٌّ** : أي: كل واحد واحد منهم، فالتنوين عوض عن اسم محذوف .

٧٦- **لَا نُفَرِّقُ** :أي لا نقول: هذا رسول وهذا ليس برسول .

قال ابن كثير (١/٧٤٥) لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ، ويكفرون ببعض ، بل الجميع عندهم صادق بارون راشدون ... وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض ... حتى نسخ الجميع بشرع محمد صلى الله عليه ووسلم

وقال ابن جرير (١٣٤/٦) ويخالفون في فعلهم هذا اليهود الذين أقروا بموسى وكذبوا عيسى ، والنصارى الذين أقروا بموسى وعيسى وكذبوا بمحمد وجحدوا نبوته ...

٢ ً-الإعراب :

وَالْمُؤْمِنُونَ : معطوف على الرسول ، وقيل فيه غير ذلك .

كُلٌّ : مبتدأ ، وساغ مجيئه مبتدأ مع أنه نكرة والنكرة لا تكون مبتدأ لوجود المسّوغ وهو الإضافة إذ الأصل : كل واحد ثُمَّ حُذِف المضافُ إليه وعُوض عنه بالتنوين [1]وجملة (آمن) خبره.

١-التنوين أنواع منها تنوين العوض قال في المغني لابن هشام (٤٤٥/١) وتنوبن العوض وهو [1] اللاحق عوضاً عن حرف أصلي أو زائد أومضاف إليه مفرد أو جملة ...والثالث تنوين كل وبعض إذا قطعنا من الإضافة ١هـ

٣ً- البلاغة :

١-في قوله " **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ** " جناس الاشتقاق.

٢-وفي قوله " **لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** " من البلاغة ما يقال له **الإطناب** ، لأنه مندرج تحت قوله (**ورُسُلِهِ**) وفائدته مخالفة ما كان عليه أهل الكتاب من التعامل مع الأنبياء .

٢-المناسبة :

لسبب النزول صلة وثيقة بمناسبة هذه الآية لما قبلها وهي صلة الناسخ بالمنسوخ .

٣-سبب النزول :

روى البخاري في صحيحه (٤٥٤٦) عن مروان الأصفر عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال أحسبه ابن عمر : " وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ " قال : نسختها الآية التي بعدها .

روى مسلم في صحيحه (١٩٩) عن أبي هريرة قال : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [البقرة: ٢٨٤]، **قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ**

الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا:

" آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ " [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: " لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا " [البقرة: ٢٨٦]

التفسير وحل المشكلات :

١-التفسير :

قال صاحب الصفوة : (١٦٣/١)والمعنى صَدَّقَ محمد بما أنزل الله إليه من القرآن والوحي وكذلك المؤمنون " **كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** " أي: الجميع من النبي والأتباع صدّق بوحدانية الله وآمن بملائكته وكتبه ورسله .

" **لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** " أي: لا نؤمن بالبعض ونكفربالبعض الآخر كما فعل اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسل الله دون تفريق ١هـ.

ويقول صاحب الظلال (٢٤٠/١) إنها صورة للمؤمنين، للجماعة المختارة التي تمثلت فيها حقيقة الإيمان فعلاً.

ولكل جماعة تتمثل فيها هذه الحقيقة الضخمة..

ومن ثم كرمها الله سبحانه وهو يجمعها... في حقيقة الإيمان الرفيعة- مع الرسول- صلى الله عليه وسلم- وهو تكريم تدرك الجماعة المؤمنة حقيقته...

والإيمان بملائكة الله طرف من الإيمان بالغيب، وهو يخرج الإنسان من نطاق الحواس المضروب على الحيوان ويطلقه يتلقى المعرفة مما وراء هذا النطاق الحيواني..

والإيمان بالملائكة: إيمان بحقيقة غيبية، لا سبيل للإدراك البشري أن يعرفها بذاته، بوسائله الحسية والعقلية المهيأة له.. بينما كيانه مفطور على الشوق إلى معرفة شيء من تلك الحقائق الغيبية... ويعينه على تمثلها... بذلك يريحه من العناء ومن تبديد الطاقة في محاولة الوصول إلى تلك الحقائق التي لا يصلح كيانه وفطرته بدون معرفتها

الاستنباط :

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي وإلا فهل يكلفنا الله الإيمان بما لا وجود له ؟

٢-أن الإيمان بالملائكة أصل أصيل وركن ركين من أصول الإيمان.

التكرر والتوحد :

لقد تكرر هذا المعنى ولكن بالطريقة السلبية وذلك في سورة (النساء)عند الآية (١٣٦)

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا "

الآيات الواردة في

-٣-

سورة آل عمران



آل عمران

مما له صلة بعالم الملائكة

١٣-الملائكة تشهدُ بوحدانية الله

ونجد هذا المعنى الجليل في الآية (١٨) من سورة (آل عمران)ونصّ الآية :

شهِد اللَّهُ أنَّهُ لا إله إلَّا هُو والْملائِكةُ و أُولُو الْعِلْمِ قائِما بِالْقِسْطِ
لا إله إلَّا هُو الْعزِيزُ الْحكِيمُ ﴿١٨﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة :

أ-المفردات :

٧٧-**شَهِدَ**: **قال صاحب المفردات** [1]الشهود والشهادة : الحضور مع المشاهدة **إما بالبصر وإما بالبصيرة** ..

وقد يعبر بالشهادة عن الإقرار ... وقوله " **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ**"

فشهادة الله بوحدانيته هي إيجاد ما يدل على وحدانيته في العالم وفي نفوسنا ...





١- انظر " المفردات " م / شهد

وشهادة الملائكة بذلك هو إظهارهم أفعالا يؤمرون بها وهي المدلول عليها بقوله " **فالمدبرات أمراً** " [النازعات / ٥]

وشهادة أولي العلم : اطلاعهم على تلك الحكم وإقرارهم بذلك وهذه الشهادة تختصُّ بأهل العلم ١هـ.

٧٨-**قَائِمًا**: **قال صاحب المفردات:** والقيام على أنواع : **قيام بالشخص** ... **وقيام للشيء** وهو المراعاة للشيء والحفظ له... ومن المراعاة للشيء قوله " **قَائِمًا بِالْقِسْطِ** ..."

٣ً-الإعراب:

شَهِدَ: فعل ماض وفاعله لفظ الجلالة " **الله**".

أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: أنَّ: حرف مشبه بالفعل، والهاء في محل نصب اسمها، وجملة (**لا إله إلا هو**) خبرها، وأنَّ وما بعدها بتأويل مصدر في موضع نصب بنزع الخافض أي:بأنه.

لَا: نافية للجنس تعمل عمل إنّ، **إله**: اسم لا مبني على الفتح في محل نصب، **إلا:** أداة حصر، **هو**: بدل في محل لا مع اسمها، أو بدل من الضمير المستتر في الخبر المحذوف.

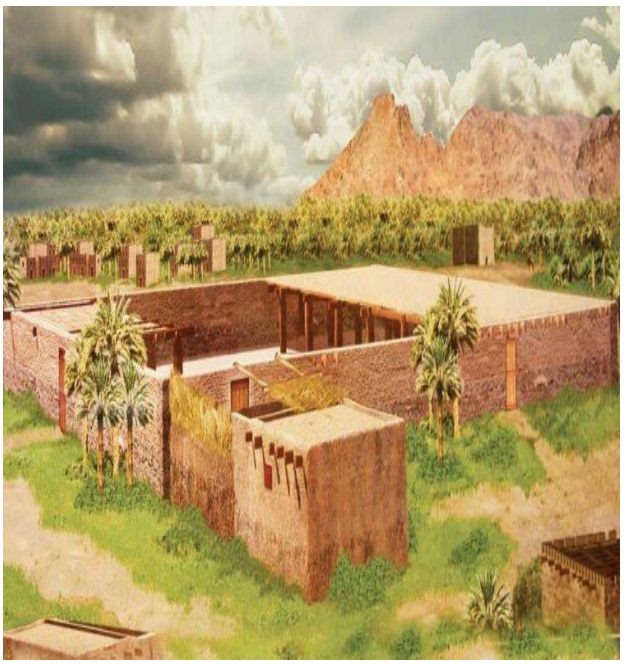
وَأُولُو الْعِلْمِ: معطوف على لفظ الجلالة مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم وهو مضاف، **والعلم:** مضاف إليه.

قَائِمًا: حال لازمة من الله...ومجيء الحال بعد المعطوفينِ جائز هنا لأمن الالتباس، وواضح أن القيام بالقسط من خصائص الله، فيكون بمثابة التتمة لكمال الأفعال بعد كمال الذات.

٢-المناسبة:

يقول صاحب الصفوة (١/١٧٤) لما مدح الله تعالى المؤمنين وأثنى عليهم بقوله " **الَّذِينَ يَقُولُونَ: رَبَّنا إِنَّنا آمَنَّا** "أردفه بأن بَيَّنَ دلائل الإيمان ظاهرةً جليةً فقال " **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**"

٣-سبب النزول:



جاء في تفسير زاد المسير لابن الجوزي (١/٢٦٦) سبب نزول هذه الآية أن **حبرين من أحبار الشّام قدما النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، .**

فلما أبصرا المدينة، قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان.

فلما دخلا على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، عرفاه بالصفة.

فقالا: أنت محمد؟

قال: «نعم» .

قالا: وأحمد؟

قال:«نعم» .

قالا: نسألك عن شهادة، فإن أخبرتنا بها، آمنّا بك.

فقال: «سلاني» .

فقالا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله، فنزلت هذه الآية، فأسلما.

قاله ابن السائب.

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

يقول العلامة ابن كثير(١/٧٦٥-٧٦٦) شَهِدَ تَعَالَى –وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا، وَهُوَ أَصْدَقُ الشَّاهِدِينَ وَأَعْدَلُهُمْ، وَأَصْدَقُ الْقَائِلِينَ- " **أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا**

هُوَ " أَيْ: الـمتـفـرد بـالْإِلَـهـيّـةِ لِجَـمِـيعِ الْخَلَائِـقِ، وَأَنَّ الْجـمِـيعَ عَبِيدُهُ وَخَلْقُهُ، وَالْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَمَّا سِوَاهُ... ثُـمَّ قَـرَنَ شَهَادَةَ مَلَائِكَـتِهِ وَأُولِي الْعِـلْمِ بِشَهَادَتِهِ فَقَالَ: " **شَـهِدَ اللَّهُ أَنَّـهُ لَا إِلَـهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولـُو الـْعِـلْـمِ** " وَهَذِهِ خُصُوصِيَّةٌ عَظِيمَةٌ لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذَا الْمَقَامِ.

وقال صاحب الصفوة (١٧٣/١) أي: بيَّنَ الله وأعلمَ عباده بانفراده بالوحدانية.

قال الزمخشري: شُبِهَتْ دلالته على وحدانيته بشهادة الشاهد في البيان والكشف

" **وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ** " أي: وشهدت الملائكة وأهل العلم بوحدانيته بدلائل خلقه وبديع صنعه

" **قَائِمًا بِالْقِسْطِ** " أي: حال كـونـه مقـيـمـاً للعـدل فـيما يقسِمُ من الآجال والأرزاق اهـ.

تفاعل الرسول مع هذه الآية العظيمة:

روى أحمد بإسناد ضعيف عن الزبير بن العوام أنه قال:
سمعت رسول الله وهو بعرفة يقرأ الآية " شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " وأنا على ذلك من الشاهدين يارب.

٢-حل الإشكالات:

لعل فينا من يقول: أوليست شهادة الله كافية، فلماذا ضمَّ إليها شهادة أهل السماء من الملائكة، والخُلَّصْ من أهل الأرض وهم أولو العلم؟

<u>وللجواب عن هذا نقول:</u> نعم شهادة الله حسبُ كلِّ من يؤمن بالله ولكن ضـمت إليها شهادة الملائكة كنوع من الرد على من توجه إليها بالعبادة كما كان الحال عند العرب على ما وصف الله " **وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ** " فكيف تعبدون

من شهدوا بوحدانية الله؟

فأي حمق هذا الحمق وأي سخافة ما أنتم عليها؟

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة وإلا فكيف يضم الله إلى شهادته شهادة كائنات لا وجود لها.

٢- مكانة الملائكة الرفيعة عند الله حتى إنه ضمَّ شهادتها إلى شهادته.

٣- إبليس ليس من الملائكة لأنه كافر فاسق بنص القرآن ومن كان كذلك لا تصح شهادته.

التوحد والتكرار:

للملائكة شهادتان سجلها القرآن هذه الأولى، وأما الثانية فقد جاءت في الآية (١٦٦) من سورة النساء:

" لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا(١٦٦)"

إذن فقد سجل القرآن شهادتين للملائكة:

١- الشهادة بوحدانية الله.

٢- الشهادة بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

١٤- الملائكة تزف البشرى لزكريا بولادة ابنه يحيى

ونجد هذا المشهد في الآيات (٣٨-٣٩) من سورة (آل عمران) وتقول الآيات:

هُنالِك دعا زكرِيَّا ربَّهُ قال ربِّ هبْ لِي مِنْ لدُنك ذرِّيَّة طيِّبة إنَّك سمِيعُ الدُّعاءِ ﴿٣٨﴾ فنادتْهُ الْملائِكةُ وهُو قائِمٌ يُصلِّي فِي الْمِحْرابِ أنَّ اللَّه يُبشِّرُك بِيحْيى مُصدِّقاً بِكلِمةٍ مِن اللَّه و سيِّداً و حصُوراً ونبِيًّا مِن الصَّالِحِين ﴿٣٩﴾

بين يدي التفسير:

١- المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً- المفردات:

٧٩-**هُنَالِكَ: قال ابن جرير(٣٥٩/٦)**أي: عند ذلك، أي:عند رؤية زكريا ما رأى عند مريم من رزق الله الذي رزقها، وفضله الذي آتاها من غير تسبب أحد من الآدميين لها في ذلك.

٨٠-**دَعَا:** أي: سأل، **قال صاحب المفردات**[١]**:** ودعوته إذا سألته وإذا استغثته اهـ.

٨١-**هَبْ:** من وهب ثم حذفت فاؤه، **والهبة** أن تجعل ملكك لغيرك من غير عوض[٢].

١-انظر "المفردات" م / دعا.
٢- انظر "المفردات" م / وهب.

٨٢-**مِنْ لَدُنْكَ:** أي من عندك[١].

٨٣- **ذُرِّيَّةً: قال في المفردات[٢]:** الذرية: أصلها الصغار من الأولاد وإن كان قد يقع على كل الصغار والكبار معاً في التعارف ويستعمل للواحد والجمع وأصله الجمع اهـ.

وقال ابن جرير[٣]: وهي في هذا الموضع في معنى الواحد، وذلك أن الله قال في موضع آخر مخبراً عن دعاء زكريا " **فهب لي من لدنك ولياً**" ولم يقل أولياء فدل على أنه سأل واحداً، وإنما أنَّث " **طَيِّبَةً** " لتأنيث الذرية.

٨٣-**طَيِّبَةً: قال في المفردات:**[4] وأصل الطيب ما تستلذه الحواس، وما تستلذه النفس... والطيب من الإنسان من تعرَّى من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال وتحلى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال... وقال تعالى " **رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً** "

٨٤-**فَنَادَتْهُ: قال ابن كثير (٧٧٨/١)** أي: خاطبته الملائكة شفاهاً خطاباً أسمعته إياه.

٨٥-**الْمَلَائِكَةَ:** ظاهر الآية أنها جمع من الملائكة. **وقيل إنه جبريل.**

قال ابن جرير(٣٦٩/٦) بعد أن ذكر الرأيين ومن قال بكل منهما. **وأما الصواب من القول من تأويله فأن يقال:** إن الله

١- انظر ابن جرير ٣٥٩/٦ وابن كثير ١/ ٧٧٨.
٢- انظر "المفردات" م / ذرو.
٣- انظر ابن جرير ٦/ ٣٥٩.
٤- انظر " المفردات " م / طيب.

عزوجل أخبر أن الملائكة نادته والظاهر من ذاك أنها جماعةٌ من الملائكة دون الواحد وجبريل واحد، ولا يجوز أن يحمل تأويل القرآن إلا على الأظهر الأكثر من الكلام المستعمل في ألسن العرب دون الأقل ما وجد إلى ذلك سبيل، ولم تضطرنا حاجة إلى صرف ذلك إلى أنه بمعنى واحد هـ.



٨٦-**الْمِحْرَابِ: قال صاحب المفردات[1]: ومحراب** المسجد قيل سمي بذلك لأنه موضع محاربة الشيطان و الهوى...

وقيل الأصل فيه أن محراب البيت صُدر المجلس ثم اتخذت المساجد فسمي صدرها به...

٨٧-**يُبَشِّرُكَ:** مضارع بشَّر.

قال صاحب المفردات[٢]: وأبْشَرْتُ الرجل، وبشَّرته وبَشَرْتُه: أخبرته بخبر سار بسط بشرة وجهه... ويفيد بشّرته: التكثير.

٨٨-**بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ: قال ابن جرير (٣٥٩/٦)** يعني: بعيسى ابن مريم.

وقال صاحب المفردات[3]: وتسمية عيسى بكلمة في هذه الآية وفي قوله" **وكلمته ألقاها إلى مريم**" لكونه موجَداً بـ **كن** المذكور في قوله "**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** "

٨٩-**سَيِّداً: قال صاحب المفردات[4]: والسيد**: المتولّي للسواد أي الجماعة الكثيرة... ولمّا كان من

١- انظر المفردات م / حرب.
٢- انظر المفردات م / بشر.
٣- انظر المفردات م / كلم.
٤- انظر " المفردات " م / ساد.

شرط المتولي للجماعة أن يكون مهذب النفس قيل لكلِّ من كان فاضلاً في نفسه سيّد، وعلى ذلك قوله " **وسَيِّداً وحَصُورًا** ".

٩٠-**حَصُورًا:** الحصر هو التضييق والمنع هذا معناه ،ويبقى عن أي شيء كان يحيى حصوراً حتى مدحه الله بذلك؟

إن أفضل ما قيل في تفسير هذه اللفظة –وإن كان خلاف المشهور في التفاسير – ما ذكره القاضي عياض في الشفاء (٨٩/١) اِعلم أن ثناء الله على يحيى بأنه حصور ليس كما قال بعضهم أنه كان هَيُوْبَاً أو لا ذكر له بل قد أنكر هذا حذّاق المفسرين ونقاد العلماء.

وقالوا: هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب لا يأتيها كأنه حصر عنها.

٢ ً-الإعراب:

هُنَالِكَ: **هنا** اسم اشارة في محل نصب على الظرفية المكانية، وقد يتجوز به للزمان،**واللام**: للبعد، **والكاف**: للخطاب، والظرف متعلق بالفعل **دعا**.

رَبِّ: منادى مضاف منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على ما قبل الياء المحذوفة.

مِنْ لَدُنْكَ: من: حرف جر، لدنك: اسم مبني على السكون في محل جر **بمن**.

ذُرِّيَّةً: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

(**وَهُوَ قَائِمٌ**) : جملة اسمية في محل نصب على الحال.

أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ: **أنَّ** واسمها وجملة (**يبشرك**) بتأويل مصدر منصوب على نزع الخافض **والمعنى**: نادته بأن الله ...

مُصَدِّقًا: حال منصوبة.

٣ً-البلاغة:

١-في قوله " **فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ** " والمنادي جبريل وقد عبر عنه باسم الجماعة تعظيماً له لأنه رئيسهم على قول من فسر الملائكة بجبريل.

٢-المناسبة:

جاءت هذه الآية ضمن قصة زكريا عليه السلام وذلك أنه لما رأى أن الله يرزق مريم بدون تعاطيها الأسباب طمع في الولد مع تباعد كلِّ أسباب الإنجاب عنه، وسأل ربه مناداه فأرسل الله جبريل أو مجموعة هو فيها أو ليس فيها –على الاختلاف في ذلك – تبشره بأن الله استجاب دعاءه وبأنه سيرزقه الولد.

التفسير وحل المشكلات:

١-التفسير:

يقول صاحب الظلال (٣٩٣/١) عندئذٍ –عندما دخل ذكريا على مريم ورأى أنها ترزق بلا أسباب –**تحركت في نفس زكريا، الشيخ الذي لم يوهب ذرية.**

تحركت تلك الرغبة الفطرية القوية في النفس البشرية.

الرغبة في الذرية. في الامتداد. في الخلف..

الرغبة التي لا تموت في نفوس العباد الزهاد...

إنها الفطرة التي فطر الله الناس عليها،لحكمة عليا في امتداد الحياة وارتقائها... وها هو ذا يتوجه إلى ربه يناجيه، ويطلب منه أن يهب له من لدنه ذرية طيبة.

فما الذي كان من هذا الدعاء الخاشع الحار المنيب؟

كانت الاستجابة التي لا تتقيد بسن، ولا تتقيد بمألوف الناس لأنها تنطلق من المشيئة المطلقة التي تفعل ما تريد...

وبشرت الملائكة زكريا بمولود ذكر، اسمه معروف قبل مولده **«يحيى»**:

سيداً كريماً، وحصوراً يحصر نفسه عن الشهوات، ويملك زمام نزعاته من الانفلات. ومؤمناً مصدقاً بكلمة تأتيه من الله ونبياً صالحاً في موكب الصالحين.

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي وجوداً لا يقبل معه تأويل ولا رد، حيث أثبتت الآيات أن الملائكة حملت البشارة إلى زكريا وأخبرته أن الله أجاب دعاءه وبأنه سيرزقه غلاماً اسمه يحيى ووصفته له بأنه سيكون سيداً وحصوراً ونبياً ومن الصالحين.
٢- أن للملائكة مهاماً، ومهمتها هنا حمل البشارة الإلهية لزكريا عليه السلام.
٣- أن الملائكة مخلوقات عاقلة قادرة على الكلام وحمل الرسائل وإبلاغها.

التوحد والتكرار:

إن مشهد بشارة الملائكة لزكريا لم يتكرر علماً أن الآية (٧) من سورة (مريم) تناولت مشهد البشارة ولكنها أسندتها إلى الله

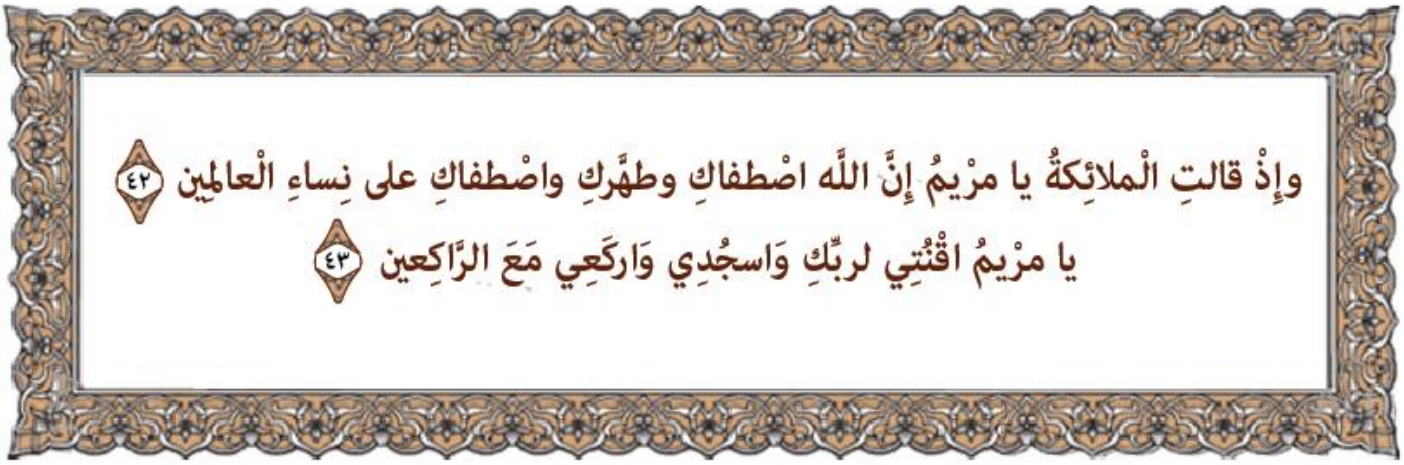
" إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى "

ولا تعارض فالله هو الآمر، والملائكة تنفذ، وذكر في كل موطن ما يناسبه

وإذا نظرنا إلى فكرة البشارة فإنها ستتكرر مع مريم ومع ابراهيم عليه السلام والله أعلم.

١٥-الملائكة تبشّر مريم بأن الله اصطفاها على نساء العالمين

ونجد هذا المعنى في الآيات (٤٢ – ٤٣) من سورة (آل عمران) ونصها:



بين يدي التفسير:

١-المفردات و الإعراب و البلاغة:

١ ً-المفردات:

٩١-**إِذْ**: تقدم أنها اسم مبني على السكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقدره: **اذكر**.

٩٢-**اصْطَفَاكِ**: **قال صاحب المفردات[1]:** أصل الصفاء: خلوص الشيء من الشَّوْبِ...

والاصطفاء: تناول صفو الشيء.

كما أن الاختيار: تناول خيره.

والاجتباء: تناول جبايته ١هـ.

٩٣-**طَهَّرَكِ**: **قال صاحب المفردات[2]:** والطهارة نوعان: **طهارة جسم، وطهارة**

١-انظر " المفردات " م / صفو.

٢-انظر " المفردات " م / طهر.

نفس، وحمل عليهما عامّة الآيات.

وقال ابن جرير (٣٩٣/٦) وقوله: **طهرّك**: يعني طهرّ دينك من الريب والأدناس التي في أديان نساء بني آدم.

٩٤-**اقْنُتِي**: فعل أمر من قنت: و القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع[1].

٢ ً-الإعراب:

إِذْ: اسم مبني على السكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقدره: اذكر.

يَا مَرْيَمُ: **يا**: أداة نداء، **مريم**: منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب.

الْعَالَمِينَ: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

اقْنُتِي: ومثلها : **اسجدي وارْكَعِي**: فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والياء: ضميرمتصل في محل رفع فاعل.

مَعَ: مفعول فيه ظرف زمان، وهو مضاف.

الرَّاكِعِينَ: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

٣ ً-البلاغة:

١-في قوله " **يَا مَرْيَمُ** " " **يَا مَرْيَمُ** " تكرار وهو من باب الإطناب.

٢-في قوله " **اصْطَفَاكِ** " " **اصْطَفَاكِ** " تكرار وهو من باب الإطناب أيضاً.

١-انظر " المفردات " م / قنت.

٢-المناسبة:

لما فرغ من قصة زكريا عليه السلام شرع بالحديث عن قصة مريم وذكر أولى حلقاتها وهي البشارة لمريم بمكانتها عند الله و أن عليها أن تكثر من الطاعة و العبادة، وفي هذا تمهيدٌ لما أعدها الله تعالى له من أن تكون أُماً للمسيح الذي لا أب له.

التفسير وحل المشكلات:

يقول العلامة ابن كثير (٧٨١/١) هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عن أمرالله لهم بذلك، **أن الله قد اصطفاها** أي: اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهرها من الأكدار والوساوس واصطفاها مرة بعد مرة لجلالتها عن نساء العالمين.

وقال صاحب الصفوة (٨٣/١) فالزمي عبادته وطاعته شكراً له على اصطفائه إياك ١هـ.

حل الإشكالات:

إن قوله تعالى لمريم " **وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** " هل يعني:

١-أنها أفضل نساء العالمين في زمانها وفي الأزمنة التي سبقتها وتلتها؟

٢-أم أن هذه الأفضلية خاصة بزمانها فقط؟

ولعل الإجابة تكمن في هذا الحديث الذي رواه الشيخان - واللفظ لمسلم –

" عن عبد الله بن جعفر أنه قال: سمعت علياً بالكوفة يقول:

سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "خير نسائها

مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد "

قال النووي: و الأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها، وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه ١هـ.

الاستنباط:

١-إثبات وجود هذا العالم وجوداً لا يقبل معه رد ولا تأويل على نحو ما سبق في المقطع السابق.

٢-أن الملائكة تؤدي ما يطلب منها من مهام، ومن مهامها هنا نقل البشارة لمريم باصطفائها على نساء العالمين و أمرها بأن تكثر من طاعة ربها تعبيراً منها عن شكرها له لاصطفائها.

٣-أن الملائكة مخلوقات عاقلة تحسن المحادثة ونقل الرسالة.

التوحد والتكرار:

إن مشهد نقل البشارة لمريم أن الله فضلها على العالمين لم يتكرر قط في القرآن الكريم.

وأما مشهد زف البشارة فقد سبق في قصة زكريا وسيأتي في قصة إبراهيم على أن ثمة بشارة أخرى لمريم موعدها الفقرة القادمة (١٦)

١٦-الملائكة تبشر مريم بولادة ابنها عيسى

ومحل هذه البشارة الآيات (٤٥ - ٤٦) من سورة (آل عمران) ونصها:



بين يدي التفسير:

١-المفردات و الإعراب والبلاغة:

١ ً-المفردات:

٩٥-**إِذْ**: تقدم أنها اسم مبني على السكون بمعنى حين أو وقت، وهو مفعول به لا فيه لفعل محذوف تقديره (اذكر).

٩٦-**الْمَلَائِكَةُ**:هل المراد بالملائكة هنا:

١-جبريل؟

٢-جبريل ومعه الملائكة؟

٣-جمع الملائكة من دون جبريل؟

الراجح أن المراد بالملائكة هنا جبريل أو جبريل ومعه جمع من الملائكة.

يدل ذلك على ما جاء في الآيات (١٧-١٨) من سورة مريم

ومنها " **فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**"

والروح هنا جبريل، والقصة واحدة فتعين ما قلناه.

قال الطبري (٤١٤/٦)فإن قال كيف جاز أن يقال على هذا التأويل " **قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ** " والملائكة جمع لا واحد؟

قيل: ذلك جائز في كلام العرب بأن تخبر عن الواحد بمذهب الجمع كما يقال في الكلام : ركب فلان السفن، وإنما ركب سفينة واحدة.

وبقي أن يقال لماذا أنث الفعل " **قالت**" ؟

فالجواب عند ابن جرير أيضاً حيث قال (٣٦٥/٦) وذلك أن الملائكة:

إن كان مراداً بها جبريل فإن التأنيث في فعلها فصحيح في كلام العرب للفظها إن تقدمها الفعل، وجائز فيها التذكير لمعناها

وإن كان مراداً بها جمع الملائكة فجائز في فعلها التأنيث أيضاً... وذلك أن العرب إذا قدمت على الكثير من الجماعة فعلها أنثته فقالت " قالت النساء " وجائز التذكير في فعلها بناء على الواحد إذا تقدم فعله فيقال : " قال الرجال " ١هـ.

٩٧-**يُبَشِّرُكِ**: تقدم أن البشارة هي الإخبار بالخبر السار الذي تنبسط له بشرة الوجه، والتضعيف للتكثير.

٩٨-**بِكَلِمَةٍ مِنْهُ**: الكلمة معروفة ولكن ما المراد بالكلمة هنا **قال ابن جرير**

(١١/٦) اختلفوا على أقوال:

١- أن المراد بالكلمة **الرسالة من الله** والخبر من عنده وهو من قول القائل "ألقى فلان إليّ كلمة وسرّني بها " بمعنى أخبرني

خبراً فرحت به... وتأويل الكلام على هذا المعنى: يا مريم إن الله يبشرك ببشرى من عنده وهي ولد لك اسمه المسيح عيسى ابن مريم.

٢-أن الكلمة هي قوله **"كن"** ونقل عن **قتادة** قوله: بكلمة منه قال: قوله**: كُنْ**، فسماه الله عزوجل كلمته لأنه كان عن كلمته، كما يقال لما قدر الله من شيء " هذا قدر الله وقضاؤه" يعني به هذا عن قدر الله وقضائه حدث ...

٣-لأن الكلمة هي **اسم لعيسى** سماه الله بها كما سمى خلقة بما شاء من الأسماء، وروى عن هذا عن ابن عباس.

قال الإمام: وأقرب الوجوه إلى الصواب عندي: **القول الأول**: وهو أن الملائكة بشرت مريم بعيسى عن الله برسالته وكلمته التي أمرها أن تلقيها إليها: أن الله خالق منها ولداً من غير بَعل ولا فحل، ولذلك قال: " **اسمه المسيح** " فذكّر، ولم يقل اسمها فيؤنث، والكلمة مؤنثة... **فتأويل ذلك:** إن الله يبشرك ببشرى ثم بين عن البشرى أنها ولد واسمه المسيح.



٩٩-**الْمَسِيحُ**: **قال في المفردات**[1]: المسح إمرار اليد على الشيء وإزالة الأثر عنه ١هـ

وقد ذكر المفسرون أسباباً كثيرة لتسمية المسيح بهذا الاسم أقربها إلى المعنى اللغوي ما ذكره ابن كثير (٧٨٣/١):لأنه إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برئ بإذن الله ١هـ

وأما المسيح الدجال: فهو بمعنى ممسوح، لأنه ممسوح العين فاللفظان وإن اتفقا نطقاً ولكنهما مختلفان معنى ١هـ.

١٠٠-**وَجِيهًا**: **قال ابن كثير (٧٨٣/١)** أي له وجاهة ومكانة عند الله **في الدنيا** بما يوحيه الله إليه من الشريعة، وبما ينزل عليه من الكتاب... **وفي الآخرة** يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولى العزم من الرسل.



١٠١-**الْمَهْدِ**: ما يُهَيّأ للصبي... والمهد والمهاد: المكان الممهد الموطّأ[2].

قال ابن كثير (٧٨٤/١)

أي يدعو إلى عبادة ربه وحده لا شريك له في حال صغره معجزةً وآية ١هـ.

١٠٢-**كَهْلًا**:**قال صاحب المفردات**: الكهل: من وخطه الشيب، وساق الآية.

١-انظر " المفردات " م / مسح.
٢-انظر " المفردات " م / مهد.

قال ابن جرير (٤١٨/٦) وإنما أخبر الله عباده بذلك عن أمر المسيح وأنه كذلك كان، وإن كان الغالب من أمر الناس أنهم يتكلمون كهولاً وشيوخاً احتجاجاً به على القائلين فيه من أهل الكفر بالله من النصارى -الباطل- و أنه كان منذ أن أنشأه الله مولوداً طفلاً ثم كهلاً ويتغير بمرور الأزمنة عليه و الأيام من صغرٍ إلى كبرٍ، ومن حال إلى حال، وأنه لو كان كما قال الملحدون فيه كان ذلك غير جائز عليه ١هـ.

٢ً-الإعراب:

إِذْ: اسم مبني على السكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقدره: اذكر.

اسْمُهُ: مبتدأ مرفوع وخبره (**المسيح**).

عِيسَى: بدل من المسيح مرفوع مثله وعلامة رفعه الضمة المقدرة للتعذر.

ابْنُ مَرْيَمَ: بدل من عيسى مرفوع، **مريم**: مضاف إليه وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

وَجِيهًا: حال منصوبة وعلامة نصبها الفتحة الظاهرة على آخره.

وَكَهْلًا: الواو: حر عطف، **كهلاً**: معطوف على محل في (**المهد**) والمعنى (**يكلم الناس صغيراً وكهلاً**).

٣ً-البلاغة:

١-في قوله " **قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ** " أطلق الملائكة و أراد جبريل على الخصوص من باب تسمية الخاص باسم العام وهو من باب المجاز المرسل.

٢-المناسبة:

مناسبة هذه الآيات لما قبلها واضحة فهي مشهد جديد من مشاهد قصة مريم وابنها عيسى عليه السلام فلئن كان المشهد السابق حمل البشارة باصطفاء مريم وترجيحها على نساء عالمي زمانها فإن هذا المشهد حمل البشارة بولادة عيسى، فهو كالنتيجة لما قبله.

التفسير وحل المشكلات:

١-التفسير:

قال العلامة ابن كثير (٧٨٣/١) هَذِهِ بِشَارَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِمَرْيَمَ، عَلَيْهَا السَّلَامُ، بِأَنْ سَيُوجَدُ مِنْهَا وَلَدٌ عَظِيمٌ، لَهُ شَأْنٌ كَبِيرٌ. يَكُونُ وُجُودُهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ، أَيْ: بِقَوْلِهِ لَهُ: "**كُنْ**" فَيَكُونُ،...

ويَكُونُ مَشْهُورًا بِهَذَا فِي الدُّنْيَا، يَعْرِفُهُ الْمُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ... و نِسْبَةً لَهُ إِلَى أُمِّهِ، حَيْثُ لَا أَبَ لَهُ...لَهُ وَجَاهَةٌ وَمَكَانَةٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا، بِمَا يُوحِيهِ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَيُنَزِّلُ عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ...

وَفِي الدَّارِ الْآخِرَةِ يَشْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ فِيمَنْ يَأْذَنُ لَهُ فِيهِ...

ويَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فِي حَالِ صِغَرِهِ، مُعْجِزَةً وَآيَةً، و

فِي حَالِ كُهُولِيَّتِهِ حِينَ يُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ " **وَمِنَ الصَّالِحِينَ** " أَيْ: فِي قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ، لَهُ عِلْمٌ صَحِيحٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ.

الاستنباط:

١- إثبات وجود هذا العالم وجوداً لا يقبل معه رد ولا تأويل متأول ولا إنكار منكر فقد نسب القرآن للملائكة أنها حملت البشرى بعيسى وزفتها إلى مريم وأخبرتها بما سيكون عليه هذا الولد المبارك في الدنيا و الآخرة.

٢-أن للملائكة مهاماً تقوم بها من أبرزها السفارة بين الله وبين من يشاء من خلقه ولو لم يكونوا أنبياء كما هو الحال مع مريم.

٣-أن الملائكة مخلوقات عاقلة.

التوحد والتكرار:

هذا المشهد –أعني البشارة بعيسى – سيتكرر في الآيات (١٦ – ٢١) من سورة مريم ونقتطف منها

" وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١)"

والمشهد هو هو في السورتين وبعضه يفسر بعضاً، وأهم ما فيه هو أن المراد بالملائكة جبريل، وسنعود للموازنة بين المشهدين بلاغياً عندما نصل إلى ذلك المشهد من سورة مريم إن شاء الله عزوجل.

١٧-عبادة الملائكة كفر، ولم تدعُ إليها الأنبياء

وهذا المعنى تجده واضحاً في الآيات (٧٩ – ٨٠) من سورة آل عمران ونصها:



بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً-المفردات:

١٠٣-**مَا كَانَ لِبَشَرٍ**: أي ما انبغى ولا صح ولا جاز لأحد من البشر.

١٠٤-**يُؤْتِيَهُ**: الإتياء: الإعطاء.

١٠٥-**الْحُكْمَ**: **قال صاحب المفردات[1]:** الحكم: أن يقضي بشيء على شيء فيقول: هو كذلك، أوليس بكذا.

وقال ابن جرير (٥٣٨/١) "الحكم" يعني: ويعلمه فصل الحكمة.

١٠٦-**رَبَّانِيِّينَ**: جمع ربّاني.

قال ابن جرير(٥٤٤/٦) فالربّانيون إذن هم عماد الناس في

١-انظر " المفردات " م / حكم.

الفقه و العلم و أمور
الدين والدنيا ولذلك **قال مجاهد :** (وهم فوق الأحبار) لأن الأحبار هم العلماء، **والرباني:** الجامع إلى العلم والفقه البصرَ بالسياسة و التدبير و القيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دينهم و دنياهم ١هـ.

١٠٧-**تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ**: أي بتعليمكم الناس الكتاب.

١٠٨-**تَدْرُسُونَ**: مضارع **درس**.

قال صاحب المفردات[1]: درس الدار: بقي أثرها، وبقاء الأثر يقتضي انمحاءه في نفسه، فلذلك فسر الدروس بالانمحاء، وكذلك درس الكتابُ ، ودرست العلمَ: تناولت أثره بالحفظ، ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبَّر عن إدامة قراءة بالدرس... وقال تعالى " **بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون**"

١٠٩-**أَرْبَابًا**: آلهة و المعنى: ما كان للنبي أن يأمركم أيها الناس أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً يعني بذلك: آلهة يعبدون من دون الله.

٢ً-الإعراب:

مَا كَانَ: ما: نافية، **كان:** فعل ماض ناقص.

لِبَشَرٍ: جار ومجرور متعلقان بالخبر المقدم المحذوف.

أَنْ يُؤْتِيَهُ: ناصب ومنصوب والمصدر المؤول في محل رفع مبتدأ مؤخر.

يَقُولَ: معطوف على يؤتي: منصوب مثله.

١-انظر " المفردات " م / درس.

وَلَـٰكِنْ: الواو عاطفة، **لكن:** حرف استدراك مهمل لا محل له من الإعراب.

رَبَّانِيِّينَ: خبر كان منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

بِمَا: الباء جارة، ويجوز في **(ما)** أن تكون مصدرية، وان تكون اسماً موصولاً، وجملة (كنتم) صلتها.

وَلَا يَأْمُرَكُمْ: الواو: حرف عطف، **لا**: مزيدة لتوكيد النفي، **يأمركم:** مضارع معطوف على يؤتي منصوب مثله، **وكم:** مفعول به.

أَنْ تَتَّخِذُوا: ناصب ومنصوب والمصدر المؤول منصوب على نزع حرف الجر والتقدير: بأن تتخذوا.

الْمَلَائِكَةَ: مفعول به أول، و**أرباباً**: مفعول به ثانٍ.

بَـعْدَ:مفعول فيه ظرف زمان، **إذْ:** اسم مبني على السكون في محل جر مضاف إليه، **وجملة (أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ):** اسمية في محل جر مضاف إليه.

٣ً-البلاغة:

في قوله " **الْكُفْرِ** " " **مُسْلِمُونَ** " من علم البديع (الطباق).

٢-المناسبة:

يقول العلامة الرازي(٢٦٩/٨) في بيان وجه المناسبة بين هذه الآيات وما سبقها:

اعلم أنه تعالى لما بين أن عادة علماء أهل الكتاب التحريف والتبديل أتبعه بما يدل على أنّ من جملة ما حرفوه ما زعموا أن عيسى كان يدعي الإلهية، وأنه كان يأمر قومه بعبادته فلهذا قال " **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ**

اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ "

٣-سبب النزول:

روى الطبري (٥٣٩/٦) وابن كثير(٨٠٦/١) سبب نزول هذه الآية ونسوق ما قاله ابن كثير حيث روى عن محمد ابن إسحاق بسنده إلى ابن عباس أنه قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود و النصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى ابن مريم،

فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس: أوذلك ما تريد منا يا محمد، وإليه تدعونا؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمربعبادة غير الله، ما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني فانزل الله تعالى " مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠) "

التفسير وحل المشكلات:

١-التفسير:



يقول العلامة ابن كثير(٨٠٦/١) أَيْ: مَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ والحُكْم وَالنُّبُوَّةَ أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ:اعْبُدُونِي مِنْ دُونِ اللَّهِ. أَيْ: مَعَ اللَّهِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا لَا يَصْلُحُ لِنَبِيٍّ وَلَا لِمُرْسَلٍ، فَلِأَنْ لَا يَصْلُحَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرَهُمْ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْأَحرَى... وَلَكِنْ يَقُولُ الرَّسُولُ للناسِ: كُونُوا رَبَّانيين... حُكَمَاءَ عُلَمَاءَ حُلَمَاءَ...

وَلَا يَأْمُرُكُمْ بِعِبَادَةِ أَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ، لَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ وَلَا مَلَكٍ مُقَرَّب... لأنَّ مَنْ دَعَا إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ دَعَا إِلَى الْكَفْرِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِنَّمَا يَأْمُرُونَ بِالْإِيمَانِ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي إثباتاً لا يقبل معه تأويل ولا رد وذلك أن الأنبياء لم تكن لتنهى عن عبادة شيء لا وجود له.

٢-أن عبادة الملائكة كفر " **أَيَـأْمُـرُكُـمْ بِـالْـكُـفْـرِ بَـعْـدَ إِذْ أَنـتُـمْ مُـسْـلِـمُـونَ** "

٣-أنَّ للملائكة مكانة هامة إذ العادة ألا يتوجه للعبادة إلا إلى شيء عظيم.

التوحد والتكرار:

إذا نظرنا إلى خصوص هذا المعنى فإنه لم يتكرر، ولكن إذا نظرنا إلى أن عبادة الملائكة كفر فقد تكرر هذا المعنى عدة مرات في كتاب الله من أبرزها:

" **وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ** "

١٨-المرتدون- الذين كفروا بعد إيمانهم- تلعنهم الملائكة أيضاً

وهذا المعنى في الآيات (٨٦ – ٨٩) من سورة (آل عمران) ونصها يقول:



بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً-المفردات:

١١٠-**كَيْفَ**: استفهام لكنه خرج هنا إلى معنى النفي والاستبعاد.

١١١-**يَهْدِي**:**قال ابن جرير (٥٧٦/٦)** أي: كيف يرشد الله ويوفق للإيمان؟

١١٢-**كَفَرُوا**: أي: جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

١١٣-**بَعْدَ إِيمَانِهِمْ**: **قال ابن جرير(٥٧٦/٦)** أي: بعد تصديقهم إياه وإقرارهم بما جاء به من عند الله.

١١٤-**وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ**: **قال ابن جرير (٥٧٦/١)** أي: أقروا أن محمداً رسول الله إلى خلقه حقاً.

١١٥-**الْبَيِّنَاتُ**: أي: الحجج من عند الله والدلائل بصحة نبوته.

١١٦-**جَزَاؤُهُمْ**: ثوابهم من عملهم الذي عملوه.

١١٧-**لَعْنَةَ اللَّهِ**: اللعنة : الطرد والإبعاد.

قال ابن جرير(٣/٣٥٤) ولعنه الله: أقصاه وأبعده وأسحقه.

١١٨-**وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ**: لعنة الملائكة و الناس والدعاء عليهم بما يسوؤهم من العقاب **وقولهم في حقهم**: عليهم لعنة الله.

١١٩-**أَجْمَعِينَ**: جميع الناس.

قال ابن جرير(٠٦/٥٣٦) يعني من جميعهم، لا من بعض من سماه من الملائكة والناس ولكن من جميعهم.

قال الرازي(٨/٢٨٥) واعلم أن **لعنة الله** مخالفة للعنة الملائكة لأن لعنته بالإبعاد من الجنة وإنزال العقوبة و العذاب.

واللعنة من الملائكة هي بالقول، **وكذلك من الناس**، وكل ذلك مستحَقٌ لهم بسبب ظلمهم وكفرهم.

١٢٠-**خَالِدِينَ**: سبق أن الخلود هو تبرّي الشيء من اعتراض الفساد عليه، وبقاؤه على الحالة التي هوعليها، والخلود في الجنة أو النار إنما يعني بقاء الأشياء من البشروغيرهم على الحالة التي هم عليها من غير اعتراض الفساد عليها.

١٢١-**يُنْظَرُونَ**: يؤخرون.

قال الرازي(٨/٢٨٥) أي: لا يؤخر العقاب من وقت إلى وقتٍ.

٢ ً-الإعراب:

كَيْفَ: اسم استفهام في محل نصب على الحال.

أُولَئِكَ: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ.

جَزَاؤُهُمْ: مبتدأ ثانٍ، وأنَّ ما بعدها بتأويل مصدرٍ في محل رفع خبر للمبتدأ الثاني، والمبتدأ الثاني وخبره خبر لاسم الإشارة.

أَجْمَعِينَ: تأكيد معنوي مجرور وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم.

٣ ً-البلاغة:

١-في قوله " **كَيْفَ يَهْدِي** " استفهام خرج إلى معنى النفي والاستبعاد.

٢-في قوله " **وَشَهِدُوا** " إيجاز بالحذف.

قال الرازي(٣٨٣/٨) والتقدير بعد أنْ آمنوا وبعد أنْ شهدوا أن الرسول حق.

٢-المناسبة:

حملت الآيات السابقة على هذه الآيات الدعوة للدخول في الإسلام وبينت أن الميثاق قد أُخِذَ على الأنبياء أن يؤمنوا به ويبشروا بمبعثه...وجاءت هذه الآية تهدد من دَخَلَ في الإسلام أن ينكص على عقبيه ويعود كما كان والعياذ بالله.

٣-سبب النزول:

قال العلامة ابن جرير(٥٧٣/٦) اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية وفيمن نزلت:

١- **قال بعضهم** نزلت في الحارث بن سُويد الأنصاري وكان. مسلماً فارتد بعد إسلامه ثم ساق بسنده إلى ابن عباس أنه قال: **كان رجل من الأنصار**

أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم فأرسل إلى قومه: أرسلوا إلى رسول الله هل لي من توبة؟ قال فنزلت " كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٨٩) " فأرسل إليه قومه فأسلم..

٢-**وقال آخرون**: عني بهذه الآيات أهل الكتاب وفيهم نزلت، وأسند إلى ابن عباس قوله " **كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ** " فهم أهل الكتاب عرفوا محمداً ثم كفروا به.

ونَقَلَ عن **الحسن** قوله : اليهود و النصارى...

ثم قال: وأشبه القولين بظاهر التنزيل ما قاله الحسن من أن الآية معنيٌّ بها أهل الكتاب على ما قال، غير أن الأخبار بالقول الآخر أكثر، والقائلين به أعلم بتأويل القرآن.

ثم قال رحمه الله: وجائز أن يكون الله أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذُكر أنهم كانوا ارتدوا عن الإسلام فجمع قصتهم، وقصة من كان سبيلُه سبيلَهم في ارتداده عن الإيمان بمحمد في هذه الآيات ثم عرَّف عباده سنته فيهم فيكون داخلاً في ذلك:

١-من كان مؤمناً بمحمد قبل أن يبعث ثم كفر به بعد أن بعث.

٢-كل من كان كافراً ثم أسلم على عهده ثم ارتد وهو حي عن إسلامه.

فيكون معنياً بالآية جميع هذين الصنفين وغيرهما ممن كان بمثل معناهما بل كذلك إن شاء الله.

التفسير وحل المشكلات:

١-التفسير:

يقول ابن جرير (٥٧٦/٦) ما خلاصته:

(الآية ٨٦)-كيف يرشد الله للصواب، ويوفق للإيمان قوماً جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد تصديقهم إياه، وإقراراهم بما جاء به من عند الله، وبعد أن أقروا أن محمد رسول الله إلى خلقه، وقد جاءهم بالحجج من عند الله والدلائل الدالة على صحة ذلك، والله لا يوفق أمثال هؤلاء.

(الآية ٨٧)-وهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ثوابهم من عملهم الذي عملوه أنَّ عليهم لعنة الله وهي الإقصاء والإبعاد من رحمته، وعليهم أيضاً لعنة الملائكة والناس وذلك بالدعاءعليهم بما يسوؤهم من العقاب، على أن هذه اللعنة من جميع الملائكة ومن جميع الناس.

(الآية٨٨)-وهم ماكثون في عقوبة الله لا يُنْقَصون من العذاب شيئاً في حال من الأحوال... ولا يُنْظَرون لمعذرة يعتذرون، وذلك كله عين الخلود في العقوبة في الآخرة.

ونكمل مع صاحب الظلال (٤٢٢/١)

(الآية٨٩)- ولكن الإسلام - مع هذا - يفتح باب التوبة فلا يغلقه في وجه ضال يريد أن يتوب، ولا يكلفه إلا أن يطرق الباب، بل أن يدلف إليه فليس من دونه حجاب، وإلا أن يفيء إلى حمى الآمن ويعمل صالحاً فيدل على أن التوبة صادقة من قلبٍ تائبٍ.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة وجوداً لا يقبل فيه ولا معه رد ولا تأويل وإلا فأي معنى للعنة شيء لا وجود له.

٢-أن الملائكة تلعن من الناس - كما هنا – الذين ارتدوا عن الإسلام بعد أن دخلوا فيه واستظلوا بظله وذاقوا حلاوته.



التوحد والتكرار:

إذا نظرنا إلى خصوص لعنة المرتدين فلا تكرار لهذا، ولكن إذا نظرنا إلى عموم لعنة الملائكة فإن هذا المعنى قد سبق في الآية (١٦١) من سورة (البقرة) ونصها:

" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) "

وإذا أضفنا إلى تلك الآتين الآية (١٥٩) من سورة (البقرة) والتي تقول:

" إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) "

وقد سبق أنَّ من اللاعنين الملائكة فصار المجموع ثلاث آيات سجلت لعنة الملائكة على ثلاث فئات من الناس:

١-الذين كفروا واستمروا على كفرهم حتى وفاتهم.

٢-الذين ارتدوا عن الإسلام بعد إسلامهم وماتوا على ذلك.

٣-الذين يكتمون ما انزل الله من البينات و الهدى للناس ولم يتوبوا من ذلك.

وسيأتي معنا في كتاب **(الملائكة في السنة)** فئات أخرى ممن تلعنهم الملائكة والعياذ بالله.

١٩-الملائكة يوم أحد

المدد المشروط والوعد الذي لم يتحقق

وتجد هذا المعنى في الآيات (١٢٤ – ١٢٦) من سورة (آل عمران) ونصّها يقول:



١-بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ ً-المفردات:

١٢٢-**إِذْ**: اسم مبني على السكون بمعنى وقت، مفعول به لفعل محذوف (اذكر).

١٢٣-**أَلَنْ** : دخول الهمزة على النفي يلغيه، ويفيد التقرير على معنى سيكفيكم.

١٢٤-**يَكْفِيَكُمْ**: مضارع كفى، **قال صاحب المفردات**[1] : الكفاية: مافيه شدُّ الخلة وبلوغ المراد من الأمر.

١٢٥-**يُمِدَّكُمْ**: مضارع أمدَّ، **قال صاحب المقاييس**[2]: أصل المدِّ يدلُّ على جرّ

١-انظر " المفردات " م / كفى.
٢-انظر " المقاييس" م / مدّ.

شيء في طول، واتصال شيء بشيء في استطالته، نقول: مددت الشيءَ أمدُّه مداً... وأمددت الجيش بمدد.

قال صاحب الصفوة (٢٠٧/١) والمعنى: أما يكفيكم أن يعينكم الله بإمداده لكم بثلاثة آلاف من الملائكة؟

١٢٦-**مُنْزَلِينَ**: **قال صاحب المفردات**[1]: **النزول** في الأصل هو انحطاط من علو اهـ

فنزول الملائكة معناه مغادرتها لمساكنها في السماء ونزولها إلى الأرض.

١٢٧-**فَوْرِهِمْ**: **قال صاحب المقاييس**[2]**: الفور**: كلمة تدل على غليان، فالفور الغليان... ومما قيس على هذا قولهم: فعلَه من فوره أي في بدء أمره قبل أن يسكن.

١٢٨-**مُسَوِمِينَ**: - بكسر الميم - اسم فاعل، **قال صاحب المفردات**: والسِّيماء والسِّيمياء العلامة... وقد سوّمته أي: أعلمته، وقوله تعالى في الملائكة مسوّمين:أي معلِمين (وضعواعلامات وشارات خاصة) لأنفسهم أو لخيولهم اهـ.

١٢٩-**لِتَطْمَئِنَّ**: **قال صاحب المفردات:** الطمأنينة والاطمئنان: السكون (الهدوء والراحة النفسية) بعد الإنزعاج (القلق) قال تعالى " **وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ** "...

١-انظر " المفردات " م / نزل.
٢-انظر " المقاييس " م / فور.

٢ ً-الإعراب:

وَلَقَدْ: **الواو** استئنافية، **واللام**: واقعة في جواب القسم، **قد**: حرف تحقيق.

(**وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ**) جملة اسمية في محل نصب حال من (**كم**).

أَنْ يُمِدَّكُمْ: ناصب ومنصوب، والمصدر المؤول في محل رفع فاعل للفعل **يكفيكم**.

مُنْزَلِينَ: حال من الملائكة.

بَلَى: حرف جواب.

إِنْ تَصْبِرُوا: أداة شرط، وفعل الشرط مجزوم، وما بعده (**تتقوا**) (**يأتوكم**) عطف عليه مجزوم مثله، والجواب: **يمددكم.**

هَذَا: اسم إشارة في محل جر صفة ل فورهم.

قال في النحو الوافي (٤٥٨/٣) الأشياء القياسية التي تصلح أن تكون نعتاً مفرداً هي:

١-الأسماء المشتقة العاملة.

٢-أو مافي معناها... والمقصود بما في معناها: كل الأسماء الجامدة التي تشبه المشتق... وأشهرها:

١-أسماء الإشارة غير المكانية مثل **(هذا) وفروعه :** وهي معارف فلا تقع نعتاً إلا لمعرفة نحو: استمعت إلى الناصح هذا: أي المشار إليه، فهي تؤدي معنى المشتق اهـ.

إِلَّا بُشْرَى: **إلا**: أداة حصر، **بشرى**: مفعول به ثان منصوب للفعل جعل.

وَلِتَطْمَئِنَّ: ناصب ومنصوب، والناصب هنا أن المضمرة جوازاً بعد لام التعليل.

إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ: **إلا**: أداة حصر، **من عند الله**: جار ومجرور في محل رفع للمبتدأ (**النصر**).

٣ً-البلاغة:

١-في قوله تعالى " **إِذْ تَقُولُ** " عدول عن الماضي " **قلت** " إلى المضارع لحكاية الحال الماضية

باستحضار صورتها في الذهن.

٢-في قوله " **أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ** " ذكر **الرب** هنا مع إضافته إلى المخاطبين هدفه إظهار كمال

العناية مع ما تحمله كلمة **رب** في حد ذاتها من معانٍ.

٣-" **وَمَا النَّصْرُإِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ** " أسلوب وحصر باستخدام النافي مع (إلاَّ) وحسنه هنا مجيئه بعد

الحديث عن المدد الملكي ليعلم ان النصر منه وحده وما عداه أسباب.

٢-المناسبة:

جاءت الآيات التي تتحدث عن المدد الملكي ضمن الآيات التي تتحدث عن غزوة أحد، وإن جاء الحديث عن بدر معترضاً لحكمة، فالرابط أنها تصور مشهداً من مشاهد تلك الغزوة.

قال صاحب الصفوة(٢٠٧/١) والآيات تتحدث عن غزوة أحد بالإسهاب، وقد جاء الحديث عن غزوة بدر في أثنائها اعتراضاً ليذكرهم بنعمته عليهم لما نصرهم ببدر وهم أذلة قليلو العَدد والعُدد.

٣-سبب النزول:

يقول ابن هشام صاحب السيرة (١٠٦/٢) ناقلاً عن ابن إسحاق: فكان مما أنزل الله يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران فيها صفة ماكان في يومهم ذلك، ومعاتبة من عاتب منهم.

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

قال العلامة ابن كثير(٨٤٩/١) اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذَا الْوَعْدِ: هَلْ كَانَ يَوْمَ بَدْر أَوْ يَوْمَ أُحُد؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ قَوْلَهُ: **"إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ"** مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: **"وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ"**

ورُوي هَذَا عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَعَامِرٍ الشَّعْبِيِّ، والرَّبِيع بْنِ أَنَسٍ، وَغَيْرِهِمْ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ...

فالظاهر هَذَا يَوْمُ بَدْر

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ هَذَا الْوَعْدَ متعلق بِقَوْلِهِ: **"وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ"** وَذَلِكَ يَوْمُ أحُد.

وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ، وعِكْرِمة، والضّحّاك، وَالزُّهْرِيِّ، وَمُوسَى بْنِ عُقبة وَغَيْرِهِمْ.

وأقول: ما رجحه الطبري ليس هو الراجح، وما عده ابن كثير ظاهراً ليس هو الظاهر، بل الراجح الظاهر أن هذا المشهد متصل بأُحُد لا ببدر وذلك للأسباب التالية:

١-سياق الآيتين مختلف كل الاختلاف **وليس كما قال ابن كثير(٨٤٩/١)** وهذا السياق –يقصد سياق الأنفال - شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران، بل ما أبعدهما:

الموازنة... ليسوا سواء

سورة الأنفال	سورة آل عمران
١-استُفتح المشهد الملائكي في الأنفال بطلب الاستغاثة " **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ** " وروى الإمام أحمد عن عمرأنه لما كان يوم بدر نظر النبي إلى أصحابه وهم ثلاثمئة ونيف، وإلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل القبلة ثم مد يديه... ثم قال (**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ ، وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ ،فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ** :، **فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ** "**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** "	١- استفتح المشهد الملائكي بقول الرسول يطمئن ويخاطب أصحابه " **أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ** ".
٢-أن الاستغاثة أدت دورها وكانت سبباً في الاستجابة الفورية والعاجلة بدليل الفاء في "فاستجاب لكم " والتي تفيد مع الترتيب التعقيب.	٢-ليس هناك استجابة، كل ما في الأمر وعد، وهذا الوعد مشروط أيضاً بدليل **إن** الشرطية الرابطة.
٣-الكلام في الأنفال مضاف إلى الله التقدير استجاب فقال إني...	٣-الكلام هنا مضاف للرسول: ألن يكفيكم.
٤-عدد الملائكة في الأنفال ألف	٤-عدد الملائكة الموعود ثلاثة آلاف قابل للزيادة إلى خمسة آلاف بشروط.
٥-وصفت الملائكة في الأنفال ب "**مردفين**" أي: بعضهم على إثر بعض.	٥-وصفت الملائكة في آل عمران ب "**منزلين** " أي: هابطين من السماء... "**مسومين**" أي: لهم علامات خاصة بهم.

٦-أوحى الله إلى الملائكة أمرين: **نفسي:** تثبيت اللذين آمنوا. **عسكري:** أن يضربوا فوق الأعناق وكل بنان. ولا شك أن الملائكة نفذت ما طلب منها فثبَّتت المؤمنين وقطَّعَت بنان الكافرين وضربت فوق رقابهم.	٦-لا يوجد أي إشارة إلى تدخل الملائكة سوى أنه حصلت به البشارة والطمأنينة.

فهل يصح بعد هذا كله: **أن نقول ما قال ابن كثير (٨٤٩/١) وهذا السياق سياق الأنفال شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران، فالظاهر أن ذلك كله يوم بدر؟**

وإليك هذه النقول تزدد طمأنينة ويتضح لك معنى الآيات واختلاف المناسبات:

١-**روى ابن جرير(١٨٠/٧)** عن الضحاك في قوله تعالى " **أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ، بَلَىٰ ۚ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِمِينَ** " كان هذا موعداً من الله يوم أحد عرضه على نبيه: أن المؤمنين إن اتقوا وصبروا أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمِين ففرَّ المسلمون يوم أحد وولوا مدبرين فلم يمدهم الله .

٢-**قال ابن جرير :(١٨١/٧)** وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر عن نبيه محمد أنه قال للمؤمنين : ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة؟ فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا الله ولا دلالة في الآية على أنهم أمدوا ... ولا على أنهم لم يُمدوا ...

غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة، فأما يوم أحد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبين منها في أنهم أمدوا، وذلك أنهم لو أمدوا لم يهزموا ولم ينل أعدؤهم منهم ما نالوه.

أقول : وفي هذا النقل النفيس ما يبين عدم دقة ابن كثير عندما عزا لابن جرير أنه يرى أن الآيتين في بدر .

تباين الأعداد وما وراءه:

ولا أدري كيف لم يتنبه المفسرون إلى نقطة مهمة وهي الأرقام :

ففي بدر كان جنود الأعداء **ألفا** فأمد الله المسلمين **بألف** من الملائكة مردفين.

وفي أحد كان جنود الأعداء **ثلاثة آلاف** فوُعِدَ المسلمون **بثلاثة آلاف قابلة للزيادة** ، وكأن هذه الزيادة هنا فيها تعويض عن المنافقين الذين انسحبوا في الطريق إلى المعركة والله أعلم.

وخلاصة الأمر: أن الملائكة لم تشارك في غزوة أحد – كما فعلت في بدر – سوى ما كان من جبريل وميكائيل في الدفاع عن ذات الرسول فقط وذلك أن الله علق الإمداد وربطه بشرط لم يحققه المسلمون ، وإذا فات الشرط فات المشروط والله أعلم ، ولنا عودة لهذا الموضوع في الحديث عن بدر في الأنفال إن شاء الله .

٢-حل الإشكالات :

لطالما أرق تضارب الأعداد بين مافي آل عمران ، وبين ما في الأنفال علماء التفسير وتكفلوا إجابات لا تخلوعن إشكالات والسبب في ذلك أنهم اعتبروا المشهدين واحدا.

يقول ابن كثير : (٨٤٩/١) محاولا التوفيق بين الآيات فإن قيل : فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول وبين قوله تعالى في قصة بدر " **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩)** "

فالجواب أن التنصيص على الألف ههنا لا ينافي الثلاثة آلاف فما فوقها لقوله " **مُرْدِفِينَ** " بمعنى يردفهم غيرهم ويتبعهم ألوف أخرمثلهم اهـ **وتبعه على ذلك صاحب التفسير المنير (٢٦٠/٩) واختلط الأمر على صاحب الصفوة (٢٠٧/١) ولكن** إذا حملنا ما في آل عمران على **غزوة أحد** وما في الأنفال على **غزوة بدر** ، زال الإشكال كل الزوال فاغتنم هذا التحقيق والله يتولاك.

الاستنباط :

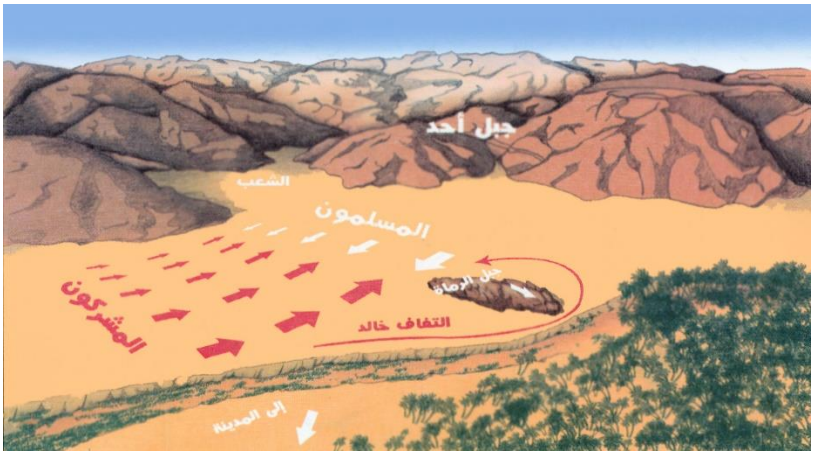
١-إثبات وجود عالم الملائكة إثباتا لا يقبل فيه عذر التأويل ومن باب الأولى الرد ، وإلا فأي معنى لأن يعد الله المؤمنين بأن يمدهم بشيء لا وجود له ؟

٢-أن للملائكة مهاماً منها مشاركة المؤمنين في القتال ولو تخلف الشرط لوقع المشروط.

٣-أن الملائكة مخلوقات عاقلة منظمة ذات قوة هائلة.

التوحد والتكرار:

لعله أصبح جلياً عندك مابين الأنفال ، وما هنا من صلة وهو مشاركة الملائكة غير أنها تحققت في **غزوة بدر**، وتخلفت في **غزوة أحد**، وثمة آيات أخرى عبرت عن الملائكة بالجنود كما في " يس" و "الأحزاب " في موضعين .



الآيات الواردة في

-٢-

سورة النساء



النساء دراسة

مما له صلة بعالم الملائكة

٢٠-الملائكة تقبض أرواح الظالمين

الذين أقاموا بدار الكفر ولم يُمَكَّنُوا من إظهار شعائر دينهم

وتجد هذا المعنى كاملا وواضحا في الآيات (٩٧-٩٩) من سورة النساء ، تقول الآيات :

إِنَّ الَّذِين توفَّاهُمُ الْملائِكةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيم كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتضْعفِين فِي الْأَ رْضِ
قالُوا ألـمْ تكُنْ أَرْضُ اللَّه واسِـعة فتُهاجِرُوا فِيها فـأُوْلئِك مأْواهُمْ جهنَّمُ وساءتْ مصِيرا ﴿٩٧﴾
إِلَّا الْمُسْتضْعفِين مِن الرِّجالِ والنِّساءِ والْوِلْدانِ لايسْتطِيعُون حِيلة و لا يهْتدُون سبِيلاً ﴿٩٨﴾
فأُوْلئِك عسى اللَّه أَنْ يعْفُو عنْهُمْ وكان اللَّهُ عفوًّا غفُورا ﴿٩٩﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة :

أ-المفردات :

١٣٠-**تَوَفَّاهُمُ** : **قال صاحب المفردات [1]:** الوافي الذي بلغ التمام ... وقد عبر عن الموت والنوم بالتوفي اهـ.

وأضاف صاحب [2] المقاييس : وتوفيت الشيء واستوفيته إذا أخذته كله حتى لم تترك منه شيئا، ومنه يقال للميت توفاه الله.

١٣١-**ظَالِمِي**: جمع ظالم ، **قال صاحب [3] المفردات** : والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء : وضع الشيء في غير موضعه المختص به

١-انظر "المفردات "م / وفي.
٢-انظر "المقاييس م/ وفي.
٣-انظر " المفردات " م/ ظلم.

إما بنقصان ، أو بزيادة ، أو بعدول عن وقته أو مكانه .

ثم قال : قال بعض الحكماء : الظلم ثلاثة :

الأول : ظلم بين الإنسان وربه وأعظمه الكفر والشرك والنفاق

الثاني : ظلم بينه وبين الناس.

والثالث : ظلم بينه وبين نفسه ....وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس.

قال ابن كثير (١١٩/١) وظلمهم هنا بترك الهجرة .

١٣٢-**فِيمَ كُنْتُمْ**: أي : لمَ مكثتم ههنا ولم تهاجروا ؟

١٣٣-**مُسْتَضْعَفِينَ**: **قال صاحب المفردات** [1]: الضعف : خلاف القوة ... واستضعفتهُ : وجدته ضعيفاً وساق الآية .

قال ابن كثير(١١٠٩/١) أي : لا نقدر على الخروج من البلد ولا الذهاب في الأرض .



١٣٤-**فَتُهَاجِرُوا** : **قال صاحب المفردات** [2]الهجر والهجران : مفارقة الإنسان غيره بالبدن أو اللسان أو القلب ... والمهاجرة في الأصل : مصارمة الغير ومتاركته ، وساق الآية **ثم قال فالظاهر منه الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان كمن هاجر من مكة إلى المدينة**

١٣٥-**حِيلَةً**: **قال صاحب المفردات** [3] : الحيلة : ما يتوصل به إلى حالة ما خفية .

١- انظر المفردات "م/ ضعف.
٢- انظر " المفردات " م/ هجر.
٣- انظر " المفردات " م/ حول

ونقل ابن كثير (١١٠٩/١) عن عكرمة قوله : يعني : نهوضاً إلى المدينة.

١٣٦-**سَبِيلًا**: السبيل : الطريق .

٢ ً-الإعراب :

إِنَّ حرف مشبه بالفعل.

الَّذِينَ : اسم موصول في محل نصب اسمها ، وجملة (**تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ**) فعلية صلة الموصول لا محل لها، وجملة (**قَالُوا**) في محل رفع خبرها.

تَوَفَّاهُمُ : يجوز اعتبارها فعلاً مضارعاً وأصلها تتوفاهم فهو مضارع مرفوع ...غاية ما هناك أنه حذفت منها إحدى التاءين ويجوز اعتبارها فعلاً ماضياً .

ظَالِمِي : حال من الضمير في **توفاهم** ، وهو مضاف ، **وأنفسهم** : مضاف إليه.

فِيمَ : أصلها في + ما الاستفهامية ثم وصلتا وحذف الألف فهما جار ومجرور متعلقان بخبر كان المقدم.

فَتُهَاجِرُوا : الفاء السببية ، **تهاجروا** : فعل مضارع منصوب بأن بعد الفاء وعلامة نصبه حذف النون.

أُولَئِكَ :اسم إشارة مبتدأ ، وخبره جملة (**مأواهم جهنم**)المركبة من مبتدأ وخبر .

سَاءَتْ : فعل ماض مبني على الفتح للذم ، والتاء للتأنيث.

مَصِيرًا: تمييز منصوب ، والمخصوص بالذم محذوف تقديره جهنم.

إِلَّا: أداة استثناء

الْمُسْتَضْعَفِينَ : مستثنى بإلا منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

حِيلَةً: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة

سَبِيلًا : منصوب على نزع الخافض والمعنى : لا يهتدون إلى سبيل ، ويجوز أن يكون مفعولاً به على التوسع.

أُولَئِكَ : اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ ، **والكاف** للخطاب، وخبره جملة **(عسى الله ان يعفوَعنهم).**

عَسَى: فعل ماض ناقص من أخوات " **كان** " اسمه لفظ الجلالة **الله**، وخبره المصدر الموؤل من أنْ وما بعدها .

٣ ً-البلاغة :

١-في قوله تعالى " **قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ** " خرج الاستفهام إلى معنى التقريع والتوبيخ .

٢-وفي قوله تعالى " **قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً** " مثل ما سبق.

٢-المناسبة :

لمَّا ذكر الله في الآيات السابقة على هذه الآيات فضل المجاهدين في سبيله ناسب أن يوجه نداءً عاجلاً –بطريقة فريدة ذكَّرَ فيها المخاطبين بلحظة الموت وما سيلاقونه من الهوان والعذاب فوجه نداء لجميع المسلمين المقيمين في أرض العدو إلى مغادرتها فوراً – فالموت لا ميعاد له – والالتحاق بصفوف المسلمين ليجاهدوا معهم ويكثِّروا سوادهم (أعدادهم) ، ولئلا يصابوا عند اللقاء، أو يستعين بهم على إخوتهم الأعداء، وفوق كل سبق ليتمكنوا في ممارسة شعائر دينهم التي يحول الكفار بينهم وبينها.

٣-سبب النزول :

لهذه الآية – وليس لكل آية – سبب نزول يوضح معناها ويكشف خفاياها **رواه لنا شيخ المحدثين البخاري بسنده إلى ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثِّرون سواد المشركين على رسول الله يأتي**

السَّهمُ يُرمى به ، فيصيب أحدهم فيقتله أو يُضرب عنقه فيُقتل فأنزل الله " إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ "

وأضاف ابن كثير (١١٠٩/١) روايات أخرى لا تخرج عما ذكره البخاري ثم عقب قائلاً :فنزلت هذه الآية الكريمة عامّةً في كلّ ِمن أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدّين ، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً إجماعاً وبنص هذه الآية.

التفسير وحل المشكلات :

١-التفسير :

يقول الزحيلي في تفسيره(/٢٢٦) والعنى إنَّ الذين تتوفاهم الملائكة حين انتهاء آجالهم حالةَ كونهم ظالمي أنفسهم بترك الهجرة ، ورضاهم الإقامة في دار الشرك تقول لهم الملائكةُ توبيخاً وتقريعاً : في أيِّ شيئ كنتم من أمر دينكم ؟

أي :إنهم لم يكونوا في شيء منه لقدرتهم على الهجرة ولم يهاجروا وهؤلاء كانوا أناساً من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة إلى المدينة فرضاً .

فقالوا معتذرين عما وبخوا به بغير العذر الحقيقي: كنا مستضعفين ومستذلين في مكة فلم نقدر على إقامة الدين وواجباته، وهذه حجة واهية لم تقبلها الملائكة فردّواعليهم المعذرة قائلين ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ والمراد أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهاردينكم ومن الهجرة إلى رسول الله كما فعل المهاجرون إلى الحبشة.

وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة شعائر دينه أوعلم أنه في غير بلده يكون أقوم بحق الله ، وأدوم على العبادة

حقت عليه المهاجرة.فإن كان يستطيع إقامة شعائر دينه كالمقيمين في عصرنا في أمريكا ودول اوربا فلا تجبُ عليهم إنما تسن لهم ويكره مقامهم في دار الكفر ...



الاستنباط :

١- ثبوت وجود هذا العالم وإلا فمن يتوفى أولئك المذكورين وغيرهم ممن انتهت آجالهم؟

٢-أن للملائكة وظائف ، ومن بين تلك الوظائف قبض الأرواح وعلى النحو الذي يؤمرون به.

٣-أن الملائكة مخلوقات عاقلة تسأل وتحاور وتناقش.

التوحد والتكرار :

إن الحديث عن توفي الأرواح من قبل ملك الموت وأعوانه كثير جدا وتنوعت الصور على حسب الأشخاص الذين انتهت آجالهم.

٢١-إنكار عالم الملائكة كفر وضلال بعيد

وهذا المعنى في الآية (١٣٦) من سورة (النساء) ونصُّ الآية :



بين يدي التفسير :

١- المفردات والإعراب والبلاغة :

١ً-المفردات :

١٣٧-**يَكْفُرْ**: الكفر في اللغة :ستر الشيء ...وكفر النعمة وكفرانها : سترها بترك أداء شكرها ...

وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة ...

والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحدُ بالوحدانية أو النبوة أوالشريعة أوثلاثتها [1]

١٣٨-**ضَلَّ** : **قال صاحب المفردات** [2] الضلال: العدول عن الطريق المستقيم ويضادُّه الهداية...

والضلال ضربان : **ضلال في العلوم** النظرية كالضلال في معرفة

١-انظر "المفردات "م / كفر.

٢-انظر " المفردات م / ضلَّ.

الله ووحدانيته ومعرفة النبوة ونحوِهِما المشار إليهما بقوله وساق الآية ...

٢ ً-الإعراب :

مَنْ : اسم شرط جازم يجزم فعلين في محل رفع مبتدأ.

يَكْفُرْ: مضارع مجزوم بـ**مَن** وهو فعل الشرط.

بِاللَّهِ : جار ومجرور، وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ واليومِ الآخرِ : معطوفٌ عليه .

فَقَدْ: الفاء رابطة لجواب الشرط ، **قد** : حرف تحقيق وجملة (**ضلَّ**) جواب شرط واقترنت بالفاء لوجود (**قد**)

٢-المناسبة :

سُبِق هذا المقطع بقوله تعالى " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ** " فهذا المقطع جاء تصريحاً بالمفهوم المخالف وتوضيحاً وتأكيداً.

التفسير وحل الإشكالات :

١-التفسير :

ومعنى الآية أن من يجحد وجود الله، أو يشرك به ، أو ينكر وجود ملائكته ... فقد كفر باعتقاده هذا وضل ضلالاً بعيداً .

فالإيمان كلٌّ لايتجزأ، ووحدةٌ لا تتفرق فالدُّخول يقتضي الإيمان بكل مكوناته وأركانه وأجزائه ، وليس للمؤمن خيار أمام هذه الأركان بالإيمان بما يحلوله منها ، وترك وجحود ما لا يحلو له منها، وقديما خاطب الله بني إسرائيل بقوله "**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** "؟

يقول صاحب الظلال (١/ ٣٤٠) والإيمان بالملائكة طرف من الإيمان بالغيب ... وهو يخرج الإنسان من نطاق الحواس المضروب على الحيوان

ويطلقه يتلقى المعرفة مما وراء ذلك النطاق الحيواني وبذلك يعلن إنسانيته بخصائصها المميزة.

٢-حل الإشكالات :

لعل فينا من يقول إن مطلع الآية يقول " **آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ** "

فما بال الآية لم تنص على الإيمان بالملائكة في جزئها الأول ، ونصَّت على الملائكة في جزئها الثاني؟

يقول صاحب الظلال (٧٧٨/٢) وقد ذُكر في الأمر الإيمان بالله وكتبه ورسله ولم يذكر الملائكة ، وكُتُبُ الله تتضمن ذكر الملائكة ، وذكر اليوم الآخر.

ومن مقتضى الإيمان بهذه الكتب الإيمان بالملائكة واليوم الآخر ولكنه يبرزها هنا لأنه موطن الوعيد والتهديد الذي يبيّن فيه كل عنصر على التحديد.

الاستنباط:

١- إثبات وجود هذا العالم ، كيف لا وقدْ عَدَّ الله الكفر به كفراً وضلالاً بعيداً.

٢- أن الكفر بالملائكة بمعنى جحودها وإنكار وجودها – ومثله في الحكم وصفها بما لا يليق بها كفر وضلال بعيد.

التكرار والتوحد:

يلتقي هذا المعنى مع قوله تعالى:

" **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)** " [البقرة: ٢٨٥]

غير أن ذاك المعنى إيجابي ، وهذا المعنى سلبي.

٢٢-الملائكة تشهد بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وهذه هي الشهادة الثانية من شهادات الملائكة وقد سجلتها لنا الآية (١٦٦) من سورة (النساء) ونصها يقول:



بين يدي التفسير:

١- المفردات والإعراب والبلاغة :

١ً-المفردات :

١٣٩- **يَشْهَدُ /يَشْهَدُونَ** :**قال في المفردات** : وقد يعبَّر بالشَّهادة عن الحكم ... وعن الإقرار، فالمعنى أن الله يقر وكذلك ملائكته.

١٤٠- **بِعِلْمِهِ** :**قال ابن كثير (١١٩٤/١)** أي : فيه علمُه الذي أراد أن يطلع عليه من البينات والهدى والفرقان ، وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل وما فيه من ذكر صفاته المقدسة التي لا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، إلا أن يُعْلِمَهُ الله به.

١٤١-**كَفَى** : اكتفِ ،ولها معنيان آخران : أغنى ، وقى ، وليسا مرادين هنا.

٢ ً-الإعراب :

لَكِنِ : حرف استدراك مهمل لا محل له من الإعراب

اللَّهُ : لفظ الجلالة مبتدأ ، خبره جملة (يشهد)

كَفَى : فعل ماض

بِاللَّهِ : الباء زائدة جوازاً وبالتالي فيجوز حذفها على حد قول الشاعر :

كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهياً، وما بعدها : فاعل مرفوع

شَهِيدًا :تمييزمنصوب وعلامة نصبه الفتحة .

٣ ً-البلاغة :

١-في قوله " **يَشْهَدُ** ، **يَشْهَدُونَ** ، **شَهِيدًا** ، ما يقال له جناس الاشتقاق.

٢-في قوله : **كَفَى بِاللَّهِ** " الباء زائدة بهدف التوكيد.

٢-المناسبة :

لهذه "الآية "ولكل " آية " مناسبة بينها وبين ما قبلها، **وقد بينها لنا الإمام ابن كثير (١١٩٤/١)** لَمَّا تَضَمَّنَ قَوْلُهُ تَعَالَى: " **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**" إِلَى آخَرِ السِّيَاقِ، إِثْبَاتَ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالرَّدَّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ نُبُوَّتَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: " **لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزلَ إِلَيْكَ** " أَيْ: وَإِنْ كَفَرَ بِهِ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِمَّنْ كَذَّبَكَ وَخَالَفَكَ، فَاللَّهُ يَشْهَدُ لَكَ بِأَنَّكَ رَسُولُهُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ...

وَقَوْلُهُ " **وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ** " أَيْ: بِصِدْقِ مَا جَاءَكَ وَأُوحِيَ إِلَيْكَ وَأُنْزِلَ عَلَيْكَ، مَعَ شَهَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَكَ بِذَلِكَ " **وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا** "

وقال الإمام الرازي (١١/ ٢٦٨) اعلم أن قوله " لكن " لا يبتدأ به لأنه استدراك على ما سبق وفي ذلك المستدرك قولان :

الأول : أن هذه الآيات بأسرها جوابٌ عن قوله "يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء" ، وهذا الكلام يتضمن أن هذا القرآن ليس كتابا نازلا من السماء ، فكأنه قيل إنهم وإن شهدوا بأن القرآن لم ينزل عليه من السماء لكن الله يشهد بأنه نازل عليه من السماء.

الثاني : أنه تعالى لما قال " إنا اوحينا إليك " قال القوم : نحن لا نشهد لك بذلك فنزل " **لكن الله يشهد**" اهـ

٣-سبب النزول:



لقد جاء في سبب نزول هذه الآية ما رواه ابن هشام صاحب السيرة (٥٦٣/١) حيث قال :

قال ابن إسحاق وقال سُكين وعدي بن زيد : يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى، فأنزل الله " إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) " [النساء / ١٦٣-١٦٤-١٦٥]

ودخلت على رسول الله جماعة منهم فقال لهم : أما والله إنكم لتعلمون أني رسول من الله إليكم، قالوا : ما نعلمه وما نشهد عليه فأنزل الله " لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦) " [النساء / ١٦٦].

التفسير وحل الإشكالات :

١-التفسير:

يقول الرازي (٢٩٩/١١) وقد أوجز وأحسن "والمقصود كأنه قيل: يامحمد إن كذّبك هؤلاء اليهود فلا تبال بهم فإن الله وهو إله العالمين يصدّقك في ذلك ، وملائكة السموات السبع يصدّقونك في ذلك ومن صدّقه الله رب العالمين وملائكة العرش والكرسي والسموات السبع أجمعون لم يلتفت إلى تكذيب أخسِّ الناس وهم هؤلاء اليهود.

٢-حل الإشكالات :

فإن قلت: ولكن ما معنى شهادة الله وما معنى شهادة الملائكة للرسول بالرسالة ؟

وللجواب نسوق ما قاله الإمام الرازي (٢٦٩/١١) قال : شهادة الله إنما عرفت بسبب أنه أنزل عليه هذا القرآن البالغ في الفصاحة في اللفظ،والشرف في المعنى، إلى حيث عجزالأولون والآخرون عن معارضته فكان ذلك معجزاً، وإظهارالمعجز شهادةٌ بكون المدعي صادقاً ، ولما كانت شهادته إنما عرفت بواسطة إنزال القرآن لا جرم قال : **لكن الله يشهدُ بما أنزل إليك** أي: يشهدُ لك بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي أنزله عليك .

ثم قال : والملائكة يشهدون وإنما تعرف شهادة الملائكة له بذلك لأن ظهور المعجزة على يده يدل على أنه تعالى شَهِد له بالنبوة ، وإذا شهد الله له بذلك فقد شهدت الملائكة لا محالة بذلك لما ثبت في القرآن أنهم لا يسبقونه بالقول.

الاستنباط :

١-إثبات وجود هذا العالم إثباتا لا يقبل معه تأويل ولا رد ، وإلا فأي شهادة لشيء لا وجود له ؟

٢-أن الملائكة قد شهدت بالرسالة والنبوة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

التوحد والتكرار :

هذه هي الآية الثانية التي سجلت شهادة للملائكة إذن فعندنا شهادتان أدلت بهما الملائكة:

١-**الشهادة بوحدانية الله "** شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة .... "

٢-الشهادة برسالة محمد " لكن الله يشهد بما انزل إليك ..... والملائكة يشهدون "

وليس ثمة شهادة ثالثة سجلت للملائكة في القرآن الكريم والله اعلم.

٢٣-الملائكة المقربون لا يتكبرون عن أن يكونوا عباداً لله

وهذاالمعنى ما كشفت عنه الآية (١٧٢) من سورة (النساء) ونصّها يقول :



بين يدي التفسير :

المفردات والإعراب والبلاغة :

١ ً-المفردات :

١٤٢- **يَسْتَنْكِفَ** : **قال صاحب المفردات** [1]: يقال نكفت من كذا ، واستنكفت منه: أنفت وساق الآية

وقال في **القاموس المحيط**[2] : **استنكف** : استكبر

١٤٣- **عَبْدًا** : **قال صاحب المفردات** [3]**العبودية** : إظهار التذلل ، والعبادة : أبلغ منها ، لأنها غاية التذلل ، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى ولهذا قال : **ألا تعبدواإلا إياه** ، ثم قال :

١-انظر " المفردات " م / نكف.
٢-انظر "القاموس المحيط " م / نكف.
٣-انظر " المفردات " م / عبد.

والعبادة نوعان :

١- **عبادة بالتسخير** ...

٢-**وعبادة بالاختيار** وهي لذوي النطق وهي المأمور بها في نحو قوله " **اعبدوا ربكم** "...

١٤٤- **الْمُقَرَّبُونَ** : جمع مقرَّب -اسم مفعول -**قال صاحب المفردات**[1] :القرب والبعد يتقابلان ... ويستعمل ذلك في المكان والزمان والنسبة والحظوة والرعاية والقدرة ... وفي الحظوة :" **ولا الملائكة المقربون** "

١٤٥-**يَسْتَكْبِرْ**: **قال صاحب المفردات**[2] : الكبر والتكبر والاستكبار متقارب والاستكبار على وجهين... **والثاني منهما** : أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له وهذا مذموم وعلى هذا كل ما ورد في القرآن

١٤٦-**سَيَحْشُرُهُمْ** : مضارع حشر : **قال صاحب المقاييس**[3] " **الحشر** : الجمع مع سَوْق، وكل جمع حشر.

٢ ً-الإعراب :

لَنْ يَسْتَنْكِفَ:ناصب ومنصوب ، و**المسيح**: فاعل.

أَنْ يَكُونَ : ناصب ومنصوب ، والمصدر المؤول من أَنْ وما بعدها منصوب على نزع الخافض، و**التقدير**: عن أن يكون.

وَلَا الْمَلَائِكَةُ : **الواو** عاطفة و **لا** : مزيدة لتوكيد النفي ، **الملائكة** : معطوف

١-انظر " المفردات " م/ قرب.
٢-انظر " المفردات "م / كبر.
٣-انظر " المقاييس "م / حشر.

على المسيح مرفوع مثله .

الْمُقَرَّبُونَ: صفة مرفوعة وعلامة رفعها الواو لأنه جمع مذكر سالم ..

مَنْ يَسْتَنْكِفْ : من : جازمة في محل رفع مبتدأ ، ويستنكف : مضارع مجزوم وهو فعل الشرط و(يستكبر) عطف عليه وجملة (سيحشرهم) في محل جزم جواب الشرط، واقترنت بالفاء الرَّابطة لأن المضارع صُدِّر بالسين .

جَمِيعًا : حال من الهاء منصوب .

٣ً-البلاغة :

١-في قوله : " **و الْمَلَائِكَةُ** " فيه زيادة (لا)للتوكيد .

٢-في قوله " **وَيَسْتَكْبِرْ** " إطناب لأن معنى الاستكبار في معنى الاستنكاف.

٢-المناسبة :

يقول الرازي (٢٧٣/١١) لَمَّا أَقَامَ الْحُجَّةَ الْقَاطِعَةَ عَلَى أَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّه، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ابْنًا لَهُ أَشَارَ بَعْدَهُ إِلَى حِكَايَةِ شُبْهَتِهِمْ وَأَجَابَ عَنْهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشُّبْهَةَ الَّتِي عَلَيْهَا يُعَوِّلُونَ فِي إِثْبَاتِ أَنَّهُ ابْنُ اللَّه هُوَ أَنَّهُ كَانَ يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ وَكَانَ يَأْتِي بِخَوَارِقِ الْعَادَاتِ مِنَ الْإِحْيَاءِ وَالْإِبْرَاءِ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قال: و يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ بِسَبَبِ هَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ عَنْ عِبَادَةِ اللَّه تَعَالَى فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ أَعْلَى حَالًا مِنْهُ فِي الْعِلْمِ بِالْمُغَيَّبَاتِ لِأَنَّهُمْ مُطَّلِعُونَ عَلَى اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَأَعْلَى حَالًا مِنْهُ فِي الْقُدْرَةِ لِأَنَّ ثَمَانِيَةً مِنْهُمْ حَمَلُوا الْعَرْشَ عَلَى عَظَمَتِهِ، ثُمَّ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ مَعَ كمال حالهم في العلوم والقدرة لا يَسْتَنْكِفُوا عَنْ عُبُودِيَّةِ اللَّه، فَكَيْفَ يَسْتَنْكِفُ الْمَسِيحُ عَنْ عُبُودِيَّتِهِ بِسَبَبِ هَذَا الْقَدْرِ الْقَلِيلِ الَّذِي كَانَ مَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ.

٣-سبب النزول :

جاء في تفسير الرازي ما نصه (٢٧٣/١١): رُوِيَ أَنَّ وَفْدَ نَجْرَانَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِمَ تَعِيبُ صَاحِبَنَا قَالَ: وَمَنْ صَاحِبُكُمْ؟ قَالُوا عِيسَى، قَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ قُلْتُ؟ قَالُوا تَقُولُ إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ بِعَارٍ أَنْ يَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

التفسير وحل المشكلات :

١-التفسير :

يقول صاحب الظلال (٨٢٠/٢) إن المسيح عيسى بن مريم لن يتعالى عن أن يكون عبداً لله. لأنه - عليه السلام- وهو نبي الله ورسوله- خير من يعرف حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية وأنهما ماهيتان مختلفتان لا تمتزجان...

وكذلك الملائكة المقربون- وفيهم روح القدس جبريل- شأنهم شأن عيسى عليه السلام وسائر الأنبياء- فما بال جماعة من أتباع المسيح يأبون له ما يرضاه لنفسه ويعرفه حق المعرفة؟! "**مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً**" فاستنكافهم واستكبارهم لا يمنعهم من حشر الله لهم بسلطانه..سلطان الألوهية على العباد.. شأنهم في هذا شأن المقرين بالعبودية المستسلمين لله..

الاستنباط :

١-إثبات وجود هذا العالم ثبوتاً لا يرضى معه تأويل ولا رد.

٢-أن الملائكة –حتى المقربين منهم –لا يتكبرون ولا يترفعون عن العبودية لله والعبادة له.

٣-أن إبليس ليس من الملائكة لأنه أبى واستكبر، والملائكة لا يستكبرون عن عبادة الله.

٤-فتحت هذه الآية شهية العلماء للموازنة بين عالمي الإنس والملائكة:

يقول العلامة ابن كثير (/ ١١٩٩) لَقَدِ اسْتَدَلَّ بَعْضُ مِنْ ذَهَبَ إِلَى تَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْبَشَرِبِهَذِهِ الْآيَةِ حَيْثُ قَالَ: " **وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ** " وَلَيْسَ لَهُ فِي ذَلِكَ دِلَالَةٌ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا عَطَفَ الْمَلَائِكَةَ عَلَى الْمَسِيحِ؛ لِأَنَّ الِاسْتِنْكَافَ هُوَ الِامْتِنَاعُ، وَالْمَلَائِكَةُ أَقْدَرُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْمَسِيحِ؛ فَلِهَذَا قَالَ:" **وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ** " وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِمْ أَقْوَى وَأَقْدَرَ عَلَى الِامْتِنَاعِ أَنْ يَكُونُوا أَفْضَلَ.

وقيل : إنما ذكروا لأنهم اتخذوا آلهة مع الله ، كما اتخذ المسيح فأخبر تعالى أنهم عبيدٌ من عبيده، وخلق من خلقه .

ويقول العلامة الرازي(٢٧٣/١١) اسْتَدَلَّ الْمُعْتَزِلَةُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الْمَلَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْبَشَرِ...

والجواب أَنَّا نُسَلِّمُ أَنَّ اطِّلَاعَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْمُغَيَّبَاتِ أَكْثَرُ مِنَ اطِّلَاعِ الْبَشَرِ عَلَيْهَا وَنُسَلِّمُ أَنَّ قُدْرَةَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي هَذَا الْعَالَمِ أَشَدُّ مِنْ قُدْرَةِ الْبَشَرِ...

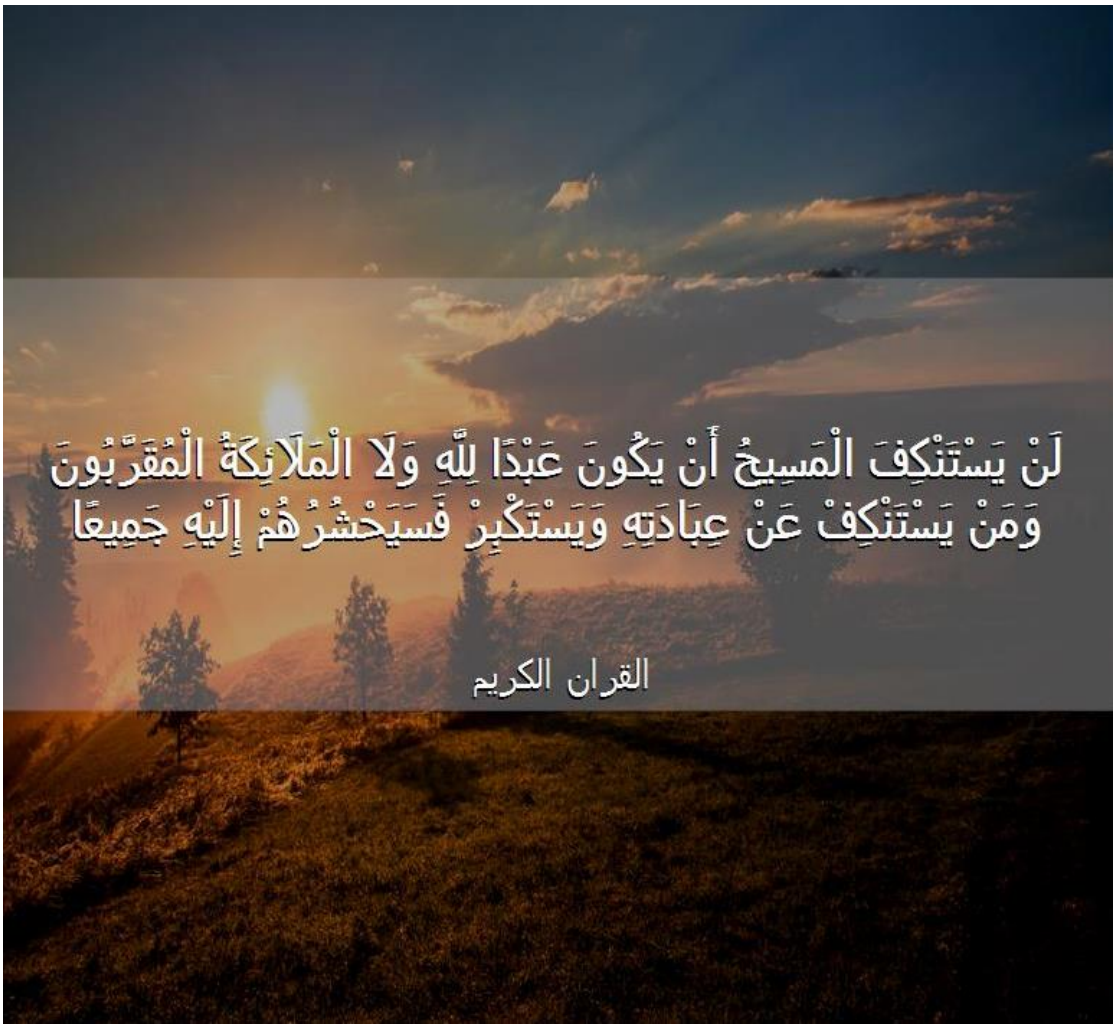
إِنَّمَا النِّزَاعُ فِي أَنَّ ثَوَابَ طَاعَاتِ الْمَلَائِكَةِ أَكْثَرُ أَمْ ثَوَابَ طَاعَاتِ الْبَشَرِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ لَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الْبَتَّةَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّصَارَى إِنَّمَا أَثْبَتُوا إِلَهِيَّةَ عِيسَى بِسَبَبِ أَنَّهُ أَخْبَرَ عَنِ الْغُيُوبِ وَأَتَى بِخَوَارِقِ الْعَادَاتِ.

فَإِيرَادُ الْمَلَائِكَةِ لِأَجْلِ إِبْطَالِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ إِنَّمَا يَسْتَقِيمُ إِذَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ أَقْوَى حَالًا فِي هَذَا الْعِلْمِ، وَفِي هَذِهِ الْقُدْرَةِ مِنَ الْبَشَرِ، وَنَحْنُ نَقُولُ بِمُوجَبِهِ.

فَأَمَّا أَنْ يُقَالَ: الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ تَفْضِيلُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْمَسِيحِ فِي كَثْرَةِ الثَّوَابِ عَلَى الطَّاعَاتِ فَذَلِكَ مِمَّا لَا يُنَاسِبُ هَذَا الْمَوْضِعَ

التوحد والتكرار :

لقد وصف الله الملائكة بأنهم لا يستكبرون عن عبادته في عدة مواطن من القرآن الكريم .



الآيات الواردة في

- ٤ -

سورة المائدة



مما له صلة بعالم الملائكة

٢٤- من نعم الله على عيسى أن أيده بروح القدس (جبريل)

وقد ورد هذا المعنى ضمن الآية (١١٠) من سورة (المائدة) ونصُّ المقطع يقول :



وبما أن هذا المقطع قد تكرر من قبلُ مرتين فإننا سنكتفي بإيرادهما والموازنة بينها، وأما تفسيرها و الاستنباط منها فلا يخرج عما سبق.

أما الموطن الأول فقد وقع في الآية (٨٧) من سورة البقرة

" وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا

وأما الموطن الثاني فقد وقع في الآية (٢٥٣) من سورة البقرة أيضاً

" تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ "

الموازنة :

لا يخرج ما جاء في المائدة عما وقع في البقرة سوى في التقديم والتأخير.

ففي آيتي **البقرة** قُدِمَت البينات على التأييد .

وفي **المائدة** أخرت، والسر في ذلك أن آية المائدة مسوقة لبيان النعم فناسب أن تبسط وتفصل فلذا أخرت لتكون مفصلة للبينات.

التفسير :

يقول العلامة ابن كثير :(٢/٢١٥) يذكر تعالى ما امتن به على عبده ورسوله عيسى ابن مريم

... فقال : **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ** ، أي: في خلقي إياك من أم بلا ذكر ،وجعلي إياك آية، ودلالةً قاطعةً على كمال قدرتي على الأشياء ، **" وَعَلَى وَالِدَتِكَ "** حيث جَعَلْتُكَ لها برهاناً على براءتها مما نسبه الظالمون الجاهلون إليها من الفاحشة **" إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ "** وهو جبريل ...

الاستنباط :

١-إثبات وجود هذا العالم من خلال إثبات وجود فرد منه وهو روح القدس.

٢-أن جبريل يقال له روح القدس.

الآيات الواردة في

-٥-

سورة الأنعام









مما له صلة بعالم الملائكة

٢٥- من شبهات منكري النبوات حول الملائكة

الشبهة الأولى

هلَّا أنزل عليك ملك يصدقك فنصدقك

وهذه الشبهة مع الإجابة عنها جاءت في الآية (٨) من سورة (الأنعام) ونصها :

وقالُوا لوْلا أُنْزِل عليْهِ ملكٌ ولوْ أنْزلْنا ملكاً لقُضِي الْأمْرُ ثُمَّ لا يُنْظرُون ﴿٨﴾

بين يدي التفسير :

١-المفردات والإعراب والبلاغة :

١ ً-المفردات :

١٤٧-**لَوْلَا** : **قال صاحب المغني**[1] : والثاني من معاني (**لولا**) أن تكون للتحضيض ... فتختص بالمضارع أو ما في تأويله ...

والتحضيض: طلب بحث وإزعاج .

١٤٨-**لَقُضِيَ** : **قال صاحب المفردات**[2] : **القضاء** : فصل الأمر قولاً كان أو

١-انظر المغني" لابن هشام "٣٦١/١

٢-انظر " المفردات " م/ قضي.

فعلاً .. **وقضي الأمرُ** : أي: فُصِل : تنبيهاً أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه.

١٤٩-**يُنْظَرُونَ**: **قال صاحب المفردات: النظر**[1] : الانتظار ، يقال نظرتُهُ وانتظرتُه وأنظرته، أي: أخرته.

٢ ً-الإعراب :

لَوْلَا : حرف تحضيض بمعنى هلّا، ولا يحتاج إلى جواب.

وَلَوْ : حرف شرط غير جازم، أو حرف امتناع لامتناع .

لَقُضِيَ : اللام واقعة في جواب **لو**، وجملة (**قضي الأمر**) فعلية جواب شرط غير جازم لا محل لها من الإعراب.

الْأَمْرُ : نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

ثُمَّ : حرف عطف.

لَا : نافية.

يُنْظَرُونَ: مضارع مرفوع مبني لما لم يسمَّ فاعله والواو : نائب فاعل.

٢-المناسبة :

جاءت هذه الآية ضمن الحديث عن الشبهات التي طالما أثارها الكفار من منكري النبوات في وجه أنبيائهم

١-انظر " المفردات " م/ نظر.

التفسير وحل الإشكالات :

التفسير :



يقول ابن جرير(٢٦٦/١١) يقول الله : قال هؤلاء المكذبون بآياتي ...هلا نزل عليك – يامحمد – ملك من السماء في صورته، يصدّقكَ على ما جئتنا به، ويشهد لك بحقيقة ما تدَّعي من أنَّ الله أرسلك إلينا!... كما قال تعالى ذكره مخبرًا عن المشركين في قِيلهم لنبي الله صلى الله عليه وسلم: " **وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأسْوَاقِ لَوْلا أُنزلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا** [سورة الفرقان: ٧]

" **ولو أنزلنا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ** "، يقول: ولو أنزلنا ملكًا على ما سألوا، ثم كفروا ولم يؤمنوا بي وبرسولي، لجاءهم العذابُ عاجلا غيرَ آجل، ولم يُنْظروا فيؤخّروا بالعقوبة مراجعةَ التوبة، كما فعلت بمن قبلهم من الأمم التي سألت الآيات، ثم كفرت بعد مجيئها، من تعجيل النقمة، وترك الإنظار...

ونقل عن مجاهد قوله: " **ولو أنزلنا ملكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ** "، يقول: لجاءهم العذاب.

أقول : وهذا التأويل أوجه مما قاله ابن كثير (٢/ ٢٣٢) حيث قال : لو نَزَلَتْ عليهم الملائكة على ماهم عليه لجاءهم من الله العذاب اهـ.

فاعتمد ما ذكره ابن جرير والله أعلم.

الاستنباط :

١- إثبات وجود هذا العالم.

٢-أن الكفار كانوا يؤمنون بوجود عالم غيبي هو عالم الملائكة بدليل أنهم طالبوا نبيهم أن يسأل ربه أن ينزل عليهم ملكاً على صورته الملكية فيخاطبهم ويؤكد لهم ويشهد أمامهم بصدق دعوى النبي وعندها يصدقون !

٣-أن الإيمان بالملائكة على هذه الصورة غير نافع وغير مجد لأنه استخدم لمضادة الأنبياء.

التكرار :

إن هذه الشبهة قد تكررت في القرآن فكأن كفار كل عصر كانوا يواجهون بها نبيهم قاتلهم الله أنَّى يؤفكون!

في الآية (٧) من سورة (الفرقان) وقد سقناها عند التفسير

في الآية (٥٣) من سورة (الزخرف) ونصها

" فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقرّنين "

٢٦- من شبهات منكري النبوات حول الملائكة

الشبهة الثانية

اقتراحهم أن يكون الرسول لهم ملكياً لا بشرياً

وهذا الاقتراح مع الإجابة عنه هو موضوع الآية (٩) من سورة (الأنعام) وتقول :



بين يدي التفسير :

١-المفردات والإعراب والبلاغة :

١ً-المفردات :

١٥٠- **جَعَلْنَاهُ : قال صاحب المفردات**[1]جعل لفظ عام في الأفعال كلها ، وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها ويتصرف على خمسة أوجه –وأقربها لما نحن فيه –تصييرالشيئ على حالة دون حالة غيرها.

١٥١-**لَلَبَسْنَا** : **قال صاحب المقاييس**[2] **:** اللَّبس : اختلاطُ الأمر ، يقال : لبست

١-انظر " المفردات " م / جعل.
٢- انظر " المقاييس " م / لبس.

عليه الأمر ألبِسه –بالكسر –وساق الآية.

٢ ً-الإعراب :

لَوْ : حرف شرط غير جازم ، أو امتناع لامتناع.

جَعَلْنَاهُ : فعل وفاعل ومفعول به أول.

مَلَكًا:مفعول به ثان ...

لَجَعَلْنَاهُ : **اللام** : واقعة في جواب الشرط ، وجملة (**جعلناه**) فعلية جواب شرط غير جازم لا محل لها .

رَجُلًا: مفعول به ثان ...

وَ: عاطفة .

لَلَبَسْنَا: اللام وما بعدها معطوف على لجعلناه .

مَا: موصولية في محل نصب مفعول به ، وجملة (**يلبسون**) صلتها لا محل لها من الإعراب .

٢-المناسبة :

لما ذكر المولى الشبهة الأولى فيما يتصل بالملائكة وتتمثل في اقتراح المشركين مجيء الملائكة على صورتها لتشهد بصدق النبي ، أتبعها بالشبهة الثانية وهي اقتراح أن يكون الرسول كله ملكياً وهذا من باب الترقي فهي أشنع من الأولى لأن الأولى لا تعني رفض النبي البشري بل المطالبة بالدليل على نبوته ، وأما الثانية فتحمل رفضاً تاماً لفكرة النبي البشري.

التفسير وحل المشكلات :

التفسير :

يقول العلامة ابن كثير(٢٣٢/٢) أي: لَوْ بَعَثْنَا إِلَى الْبَشَرِ رَسُولًا مَلَكِيًّا لَكَانَ عَلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ لتُفْهِمَ مُخَاطَبَتُهُ وَالِانْتِفَاعِ بِالْأَخْذِ عَنْهُ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَالْتَبَسَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ كَمَا يَلْبِسُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي قَبُولِ رِسَالَةِ الْبَشَرِيِّ، ...فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ أَنَّهُ يُرْسِلُ إِلَى كُلِّ صِنْفٍ مِنَ الخلائق... رُسُلًا مِنْهُمْ، لِيَدْعُوَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلِيُمَكِّنَ بَعْضَهُمْ أَنْ يَنْتَفِعَ بِبَعْضٍ فِي الْمُخَاطَبَةِ وَالسُّؤَالِ.

ونقل عن ابن عباس قوله لَوْ أَتَاهُمْ مَلَكٌ مَا أَتَاهُمْ إِلَّا فِي صُورَةِ رَجُلٍ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ النَّظَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنَ النُّورِ

ويقول العلامة الرازي (٤٨٦/١٢) اعْلَمْ أَنَّ هَذَا النَّوْعَ الثَّالِثَ مِنْ شُبَهِ مُنْكِرِي النُّبُوَّاتِ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَوْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَى الْخَلْقِ رَسُولًا لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الرَّسُولُ وَاحِدًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَإِنَّهُمْ إِذَا كَانُوا مِنْ زُمْرَةِ الْمَلَائِكَةِ كَانَتْ عُلُومُهُمْ أَكْثَرَ، وَقُدْرَتُهُمْ أَشَدَّ، وَمَهَابَتُهُمْ أَعْظَمَ، وَامْتِيَازُهُمْ عَنِ الْخَلْقِ أَكْمَلَ، وَالشُّبُهَاتُ وَالشُّكُوكُ فِي نُبُوَّتِهِمْ وَرِسَالَتِهِمْ أَقَلَّ. وَالْحَكِيمُ إِذَا أَرَادَ تَحْصِيلَ مُهِمٍّ فَكُلُّ شَيْءٍ كَانَ أَشَدَّ إِفْضَاءً إِلَى تَحْصِيلِ ذَلِكَ الْمَطْلُوبِ كَانَ أَوْلَى.

فَلَمَّا كَانَ وُقُوعُ الشُّبُهَاتِ فِي نُبُوَّةِ الْمَلَائِكَةِ أَقَلَّ، وَجَبَ لَوْ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا إِلَى الْخَلْقِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الرَّسُولُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وقد أجاب الله تعالى عن هذه الشبهة وبين الحكمة من إرسال الرسل للبشر من البشر:

أولها: أَنَّ الْجِنْسَ إِلَى الْجِنْسِ أَمْيَلُ.

وَثَانِيهَا: أَنَّ الْبَشَرَ لَا يُطِيقُ رُؤْيَةَ الْمَلَكِ، أَنَّهُمْ إِذَا شَاهَدُوا الْمَلَكَ زَهَقَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ هَوْلِ مَا يَشْهَدُونَ.

وَتَقْرِيرُهُ: أَنَّ الْآدَمِيَّ إِذَا رَأَى الْمَلَكَ فَإِمَّا أَنْ يَرَاهُ عَلَى صُورَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ أَوْ عَلَى صُورَةِ الْبَشَرِ.

فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَ لَمْ يَبْقَ الْآدَمِيُّ حَيًّا، أَلَا تَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى صُورَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ غُشِيَ عَلَيْهِ.

وَإِنْ كَانَ الثَّانِيَ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَرْئِيُّ شَخْصًا عَلَى صُورَةِ الْبَشَرِ، وَذَلِكَ لَا يَتَفَاوَتُ الْحَالُ فِيهِ سَوَاءٌ كَانَ هُوَ فِي نَفْسِهِ مَلَكًا أَوْ بَشَرًا... أَنَّ طَاعَاتِ الْمَلَائِكَةِ قَوِيَّةٌ فَيَسْتَحْقِرُونَ طَاعَةَ الْبَشَرِ، وَرُبَّمَا لَا يَعْذُرُونَهُمْ فِي الْإِقْدَامِ عَلَى الْمَعَاصِي.أَنَّ إِنْزَالَ الْمَلَكِ وَإِنْ كَانَ يَدْفَعُ الشُّبُهَاتِ الْمَذْكُورَةَ إِلَّا أَنَّهُ يُقَوِّي الشُّبُهَاتِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ أَيَّ مُعْجِزَةٍ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ قَالُوا هَذَا فِعْلُكَ فَعَلْتَهُ بِاخْتِيَارِكَ وَقُدْرَتِكَ، وَلَوْ حَصَلَ لَنَا مِثْلُ مَا حَصَلَ لَكَ مِنَ الْقُدْرَةِ وَالْقُوَّةِ وَالْعِلْمِ لَفَعَلْنَا مِثْلَ مَا فَعَلْتَهُ أَنْتَ، فَعَلِمْنَا أَنَّ إِنْزَالَ الْمَلَكِ وَإِنْ كَانَ يَدْفَعُ الشُّبْهَةَ مِنَ الْوُجُوهِ الْمَذْكُورَةِ لَكِنَّهُ يُقَوِّي الشُّبْهَةَ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ.

ثُمَّ قَالَ: وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ إِذَا جَعَلْنَا الْمَلَكَ فِي صُورَةِ الْبَشَرِ فَهُمْ يَظُنُّونَ كَوْنَ ذَلِكَ الْمَلَكِ بَشَرًا فَيَعُودُ سُؤَالُهُمْ أَنَّا لَا نَرْضَى بِرِسَالَةِ هَذَا الشَّخْصِ.

وَتَحْقِيقُ الْكَلَامِ أَنَّ اللَّهَ لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَصَارَ فِعْلُ اللَّهِ نَظِيرًا لِفِعْلِهِمْ فِي التَّلْبِيسِ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ تَلْبِيسًا لِأَنَّ النَّاسَ يَظُنُّونَ أَنَّهُ بَشَرٌ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا كَانَ فِعْلُهُمْ تَلْبِيسًا لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ لِقَوْمِهِمْ إِنَّهُ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَالْبَشَرُ لَا يَكُونُ رَسُولًا مِنْ عند الله تعالى.

الاستنباط :

١-إثبات وجود هذا العالم.

٢-أن أهل الكفر من المنكرين للنبوات كانوا يؤمنون بوجود عالم الملائكة بدليل أنهم اقترحوا أن يكون الرسول إليهم من الله ملكياً لا بشرياً .

٣-قدرة الملائكة على التشكل بصورة البشر " **لجعلناه رجلاً** " أي: على صورتهم ومثالهم.

٤-أن رؤية الملائكة على شكلها الأصلي ممكن ولكنه فوق قدرة البشر العاديين .

التكرار:

ولقد تكرر هذا المعنى فقلَّ أمةٌ إلاَّ وواجهت نبيها بهذه الشبهة، وقد رأينا هذا يحدث مع الرسول الأول –بعد آدم –وهو نوح عليه السلام .

٢٧- لستُ ملكاً ... يقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

وهذا جزء من الآية (٥٠) من سورة (الأنعام) وتمامها:



بين يدي التفسير :

١-المفردات والإعراب والبلاغة :

١ً-المفردات:

١٥٢- **خَزَائِنُ**: **قال صاحب المفردات** [1]:الخزن: حفظ الشيء في الخزانة ، ثم يعبر به عن كل حفظٍ كحفظ السر ونحوه ... وقوله " **لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ** " أي :مقدرواته التي منعها الناس لأن الخزنة ضَرْب من المنع ، وقيل جوده الواسع وقدرته ، وقيل هو قوله : كن اهـ.

وقال الرازي (١٢/٥٢٨) والخزائن : جمع خزانة وهواسم للمكان الذي يخزّن فيه الشيء ، وخزّن الشيء : إحرازه بحيث لا تناله الأيدي.

١-انظر " المفردات " م / خزن.

١٥٣- **الْغَيْبَ : قال صاحب المفردات**[1]: الغيب : مصدر غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن العين ... واستعمل في كل غائب عن الحاسة ، وعما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب .

١٥٤- **يُوحَى** : **قال صاحب المقاييس**[2] : **الوحي** أصلٌ يدل على إلقاء علم في إخفاءٍ أو غيرهِ إلى غيرك اهـ

وأضاف صاحب المفردات[3] : ويقال للكلمة الإلهية التي تلقي إلى أنبيائه وأوليائه وحي.

١٥٥- **يَسْتَوِي** : من المساواة وهي المعادلة[4]

١٥٦- **الْأَعْمَى** :**قال صاحب المفردات**[5]: العمى يقال في افتقاد البصروالبصيرة ...



وعلى الثاني ما ورد من ذَمِّ العمى في القرآن الكريم ...بل لم يَعُدَّ افتقادّ البصر في جنب افتقاد البصيرة عمى .

١٥٧-**الْبَصِيرُ** : **قال صاحب المقاييس**[6]: في مادة **بصر:** وأصل ذلك كله وضوح الشيء.

١٥٨- **تَتَفَكَّرُونَ** : **قال صاحب المقاييس**[7] : الفكر : تردد القلب في الشيء ،

١-انظر " المفردات " م/ غيب.
٢-انظر " المقاييس "م/ وحي.
٣-انظر المفردات " م/وحي.
٤-انظر " المفردات " م / سوا.
٥-انظر المفردات " م/ عمى.
٦-انظر " المقاييس "م/ بصر.
٦-انظر " المقاييس " م/ فكر.

يقال تفكر : إذا ردَّ قلبه معتبراً .

ونقل صاحب المفردات عن بعض الأدباء [1] قوله : الفكر مقلوب عن الفرك لكن يستعمل الفكر في المعاني ، وهي فرك الأموروبحثها للوصول إلى حقيقتها .

٢ ً-الإعراب :

قُلْ : فعل أمر مبني على السكون ، والفاعل ضمبر مستتر وجوباً تقديره (أنت).

لَا: نافية.

أَقُولُ : مضارع مرفوع ، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره (أنا).

لَكُمْ : جار ومجرور متعلقان بالفعل أقول.

عِنْدِي : مفعول فيه ظرف مكان ، متعلق بالخبر المقدم ، والمبتدأ هو خزائن ، **والله** : مضاف أليه والجملة مقول القول، وجملة " **لا أعلم الغيب** " وجملة " **لا أقول لكم إني ملك** " معطوفان عليها في محل نصب مثلها وجملة (**إني ملك**) مقول القول لأقول الأخيرة .

إِنْ : نافية.

أَتَّبِعُ: مضارع مثل أقول.

إِلَّا : أداة حصر.

مَا : اسم موصول مفعول به، وجملة (يوحى إلى) صلته .

أَفَلَا : **الهمزة** : للاستفهام الإنكاري ، الفاء عاطفة ، لا نافية .

تَتَفَكَّرُونَ : مضارع مرفوع من الأفعال الخمسة ، وأما المعطوف عليه

١-انظر " المفردات " م/ فكر.

فمحذوف **والتقدير** : ألا تستمعون هذا الكلام الَّذي يتلى عليكم فلا تتفكرون فيه فتتبينون معانيه ؟

٣ً-البلاغة :

١-في قوله " **إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ** " أسلوب حصر باستخدام النَّافي مع إلَّا

٢-في قوله " **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ** " استفهام خرج إلى معنى النفي : أي لا يستويان

٣-في قوله " **الْأَعْمَى** " استعارة تصريحية حيث شبه الضَّالَ الكافر بالأعمى ثم حذف المشبه وصرَّح بالمشبه به .

٤-في قوله : " **الْبَصِيرُ**": استعارة تصريحية حيث شبه المهتدي المؤمن بالبصير ثم حذف المشبه وصرح بالمشبه به .

٥-في قوله " **الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ** " طباق الإيجاب حيث جمع بين الشيء وضده بهدف الإيضاح

٦-في قوله " **أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ** " استفهام خرج بمعنى التوبيخ أي: لماذا لا يفعلون أو فليفعلوا ذلك .

٢-المناسبة :

ولقد كشف من مناسبة هذه الآية لما سبقها **العلامة الرازي حيث قال (٥٣٣/١٢)**

اعلم أن هذا من بقية الكلام على قوله " **لولا نزل عليه آية من ربه** "[الأنعام / ٧٣] فقال تعالى : قل لهؤلاء الأقوام : إنما بعثت مبشراً ومنذرا وليس لي أن أتحكم على الله، وأمره أن ينفي عن نفسه ثلاثة أمور...

التفسير و حل الإشكلات :

١-التفسير :

يقول العلامة الرازي(٥٢٧/١٢) لقد أَمَرَ اللَّه تعَالَى نبيه أَنْ يَنْفِيَ عَنْ نَفْسِهِ أُمُورًا ثَلَاثَةً:

أَوَّلُهَا: قَوْلُهُ " **لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ** " فَاعْلَمْ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا يَقُولُونَ لَهُ إِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللَّه، فَاطْلُبْ مِنَ اللَّه حَتَّى يُوَسِّعَ عَلَيْنَا مَنَافِعَ الدُّنْيَا وَخَيْرَاتِهَا، وَيَفْتَحْ عَلَيْنَا أَبْوَابَ سَعَادَتِهَا.

فَقَالَ تَعَالَى قُلْ لَهُمْ إِنِّي" **لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّه** " فَهُوَ تَعَالَى يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ لَا بِيَدِي

وَثَانِيهَا: قَوْلُهُ " **وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ** " وَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا يَقُولُونَ لَهُ إِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللَّه فَلَا بُدَّ وَأَنْ تُخْبِرَنَا عَمَّا يَقَعُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَضَارِّ، حَتَّى نَسْتَعِدَّ لِتَحْصِيلِ تِلْكَ الْمَصَالِحِ، وَلِدَفْعِ تِلْكَ الْمَضَارِّ.

فَقَالَ تَعَالَى: قُلْ إِنِّي لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ فَكَيْفَ تَطْلُبُونَ مِنِّي هَذِهِالْمَطَالِبَ؟

وَثَالِثُهَا: قَوْلُهُ **وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ** وَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا يَقُولُونَ: مالِ هذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْواقِ وَيَتَزَوَّجُ وَيُخَالِطُ النَّاسَ.

فَقَالَ تَعَالَى: قُلْ لَهُمْ إِنِّي لَسْتُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

٢-حل الإشكالات :

قد يثور في الذهن سؤال حاصله لماذا وقع الاقتصار على تلك الأشياء الثلاثة دون غيرها ؟

وللإجابة عن هذا السؤال نسوق ما قاله الرازي (٥٣٨/١٢) حيث قال :

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي أَنَّهُ مَا الْفَائِدَةُ فِي ذِكْرِ نَفْيِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الثَّلَاثَةِ؟

فَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ أَنْ يُظْهِرَ الرَّسُولُ مِنْ نَفْسِهِ الْتَّوَاضُعَ للَّه

وَالْخُضُوعَ لَهُ وَالِاعْتِرَافَ بِعُبُودِيَّتِهِ، حَتَّى لَا يُعْتَقَدَ فِيهِ مِثْلُ اعْتِقَادِ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا يَقْتَرِحُونَ مِنْهُ إِظْهَارَ الْمُعْجِزَاتِ الْقَاهِرَةِ الْقَوِيَّةِ، كَقَوْلِهِمْ **"وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً** [الْإِسْرَاءِ: ٩٠] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَقَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ **" قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا** [الْإِسْرَاءِ: ٩٣] يَعْنِي لَا أَدَّعِي إِلَّا الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ، وَأَمَّا هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي طَلَبْتُمُوهَا، فَلَا يُمْكِنُ تَحْصِيلُهَا إِلَّا بِقُدْرَةِ اللَّهِ، فَكَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ إِظْهَارَ الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ وَأَنَّهُ لَا يَسْتَقِلُّ بِتَحْصِيلِ هَذِهِ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي طَلَبُوهَا مِنْهُ.

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ قوله لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ مَعْنَاهُ أَنِّي لَا أَدَّعِي كَوْنِي مَوْصُوفًا بِالْقُدْرَةِ اللَّائِقَةِ بِالْإِلَهِ تَعَالَى. وَقَوْلُهُ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ أَيْ وَلَا أَدَّعِي كَوْنِي مَوْصُوفًا بِعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى. وَبِمَجْمُوعِ هَذَيْنِ الْكَلَامَيْنِ حَصَلَ أَنَّهُ لَا يَدَّعِي الْإِلَهِيَّةَ.

ثُمَّ قَالَ: وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الْإِلَهِيَّةِ دَرَجَةٌ أَعْلَى حَالًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَصَارَ حَاصِلُ الْكَلَامِ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَا أَدَّعِي الْإِلَهِيَّةَ وَلَا أَدَّعِي الْمَلَكِيَّةَ وَلَكِنِّي أَدَّعِي الرِّسَالَةَ، وَهَذَا مَنْصِبٌ لَا يَمْتَنِعُ حُصُولُهُ لِلْبَشَرِ، فَكَيْفَ أَطْبَقْتُمْ عَلَى اسْتِنْكَارِ قَوْلِي وَدَفْعِ دَعْوَايَ؟

الاستنباط :

١-إثبات وجود هذا العالم.

٢-أن الرسل بشر وليسوا ملائكة ولا يمكن أن يكونوا كذلك.

٣-استنبط بعضهم من هذه الآية تفضيل الملائكة على البشر **ويقول الرازي في الرد عليهم (٥٣٨/١٢)** إن كان الغرض بما نفى طريقه التواضع فالأقرب أن يدل ذلك على أن المَلَكْ أفضل وإن كان المراد نفي قدرته عن أفعال لا يقوى عليها إلا الملائكة لم يدل على كونهم أفضل ا هـ

التوحد والتكرار :

لقد تكرر هذا المعنى مواطن منها :

-في الآية (٣١) من سورة (هود) وقد جاءت الآيات على لسان نوح وهي مطابقة لما هنا

" ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك "

٢٨- من وظائف الملائكة

الملائكة الحفظة ــ ملائكة الموت

وقد اجتمعا معا في آية واحدة وهي (٦١) من سورة (الأنعام) ونصُّها يقول :



بين يدي التفسير :

١-المفردات والإعراب والبلاغة :

١ ً-المفردات:

١٥٩- **الْقَاهِرُ**: **قال صاحب المفردات[1] القهر** : الغلبة والتذليل معاً ، ويستعمل في كل واحدٍ منهما وساق الآية .

وقال ابن كثير : (٢٥٤/٢) أي: هو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبرياءه كل شيء اهـ.

١٦٠- **فَوْقَ**: **قال صاحب المفردات[2]فوق**: يستعمل في المكان والزمان والجسم والعدد والمنزلة وذلك أنواع ... السادس : باعتبار القهر والغلبة

١-انظر " المفردات " م/ قهر.
٢-انظر" المفردات" م/ فوق.

وساق الآية اهـ.

١٦١- **يُرْسِلُ** : مضارع أرسل ،**قال صاحب المفردات**[1]أصل الرِّسْلِ : الانبعاث على التؤدة ...

ورسُل الله تارةً يراد بها **الملائكة**، وتارة يراد بها **الأنبياء**

فمن الملائكة قوله: " **إنه لقول رسول كريم** "

ومن الأنبياء قوله: " **وما محمد إلا رسول** "

وقد يكون ببعث من له اختيار نحو إرسال الرسل، وساق الآية

وقد يكون بالتخلية وترك المنع.

١٦٢- **حَفَظَةً**: جمع حافظ **قال صاحب المقاييس**[2]



الحفظ يدل على مراعاة الشيء

ويقال: حفظت الشيء حفظاً١هـ

قال ابن كثير (٢/ ٢٥٤-٢٥٥)

حَفَظَةً أي : من الملائكة يحفظون بدن الإنسان ...

وحفظة يحفظون عمله ويحصونه عليه .

١٦٣- **جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ** : **قال ابن كثير (٢/٢٥٥)** أي : إذا احتُضر وحان أجله.

١٦٤-**توفتّه** : **قال صاحب المفردات**[3]**:** الوافي الذي بلغ التمام ...

وقد عبر عن الموت والنوم بالتوفي ... وساق الآية.

١-انظر " المفردات " م/ رسل.
٢-انظر " المقياس " م/حفظ.
٣-انظر " المفردات " م/ وفى.

قال ابن كثير (٢/٢٥٥) أي: توفته ملائكة موكلون بذلك اهـ .

١٦٥- **يُفَرِّطُونَ** : **قال صاحب المقاييس**[1] يقال: أفرط إذا تجاوز الحدَّ في الأمر وكذلك التفريط وهو التَّقصير ...

٢ ً-الإعراب :

وَ: استئنافية.

هُوَ : ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ خبره : **القاهر**.

فَوْقَ :مفعول فيه ظرف متعلق ب القاهر ، وهو مضاف ، **عبادِه** : مضاف إليه.

يُرْسِلُ: مضارع مرفوع ، فاعله : ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى الله ، **وحفظةً** : مفعوله، **وعليكم** : جار ومجرور متعلقان بالفعل يرسل.

حَتَّى : حرف ابتداء.

إِذَا: ظرفية شرطية غير جازمة ، **قال ابن هشام صاحب المغني**[2]**:**والجمهور على أنَّ (إذا) لا تخرج عن الظرفية وأنَّ(حتّى) في نحو (حتى إذا) حرف ابتداء دخل على الجملة بأسرها ولا عمل له ا هـ.

جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ: فعل ماض **وأحدكم**: مفعول به مقدم **والموت**: فاعل مؤخر، والجملة : في محل جر بالإضافة.

تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا: فعل ماض **والهاء**: ضمير متصل في محل نصب مفعول به مقدم، **ورسلنا:** فاعل مؤخر، والجملة جواب الشرط غير الجازم لا محل لها .

١-انظر "المقياس "م/ فرط.

٢-انظر "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب " ١/١٢٩.

وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ: **هم** : مبتدأ، و خبره جملة (**لا يفرطون**) والجملة الكبرى في محل نصب حال .

٢-المناسبة:

يقول العلامة الرازي(١٣/١٣) كاشفاً عن وجه مناسبة هذه الآية لما سبقها من الآيات

قال رحمه الله : اعلم أن هذا نوع آخر من الدلائل الدالة على كمال قدرة الله وكمال حكمته ا هـ.

التفسير وحل المشكلات :

١-التفسير :

يقول العلامة الرازي (١٤/١٣) فَالْمُرَادُ أَنَّ مِنْ جُمْلَةِ قَهْرِهِ لِعِبَادِهِ إِرْسَالَ الْحَفَظَةِ عَلَيْهِمْ وَهَؤُلَاءِ الْحَفَظَةُ هُمُ الْمُشَارُ إِلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:" **لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** " [الرَّعْدِ: ١١] .

وَقَوْلُهُ: " **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** " [ق: ١٨].

وَقَوْلُهُ:" **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ** " [الِانْفِطَارِ: ١٠، ١١].

وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ حُضُورِ هَؤُلَاءِ الْحَفَظَةِ ضَبْطُ الْأَعْمَالِ



ويقول ابن كثير (٢/٢٥٥) عند قوله "**حتى إذا جاء أحدكم الموت**" أي إذا احتضر وحان أجله : " **توفته رسلنا** " : أي : ملائكة موكلون بذلك.

ونقل عن ابن عباس قوله:لملك الموت أعوان من الملائكة يخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم.

ويقول صاحب الظلال (٢/١١٢٢) فهو صاحب السلطان القاهر وهم تحت سيطرته وقهره. هم ضعاف في قبضة هذا السلطان لا قوة لهم ولا ناصر. هم عباد. والقهر فوقهم. وهم خاضعون له مقهورون..

لا يذكر النص هنا ما نوعهم.. وفي مواضع أخرى أنهم ملائكة يحصون على كل إنسان كل ما يصدر عنه..

أما هنا فالمقصود الظاهر هو إلقاء ظل الرقابة المباشرة على كل نفس. ظل الشعور بأن النفس غير منفردة لحظة واحدة، وغير متروكة لذاتها لحظة واحدة. فهناك حفيظ عليها رقيب يحصي كل حركة وكل نأمة ويحفظ ما يصدر عنها لا يند عنه شيء..

وهذا التصور كفيل بأن ينتفض له الكيان البشري وتستيقظ فيه كل خالجة وكل جارحة..

" **حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ** " الظل نفسه، في صورة أخرى.. فكل نفس معدودة الأنفاس، متروكة لأجل لا تعلمه- فهو بالنسبة لها غيب لا سبيل إلى كشفه- بينما هو مرسوم محدد في علم الله، لا يتقدم ولا يتأخر.

وكل نفس موكل بأنفاسها وأجلها حفيظ قريب مباشر حاضر، ولا يغفو ولا يغفل ولا يهمل- فهو حفيظ من الحفظة- وهو رسول من الملائكة- فإذا جاءت اللحظة المرسومة الموعودة- والنفس غافلة مشغولة- أدى الحفيظ

مهمته.وقام الرسول برسالته..

وهذا التصور كفيل كذلك بأن يرتعش له الكيان البشري وهو يحس بالقدر الغيبي يحيط به ويعرف أنه في كل لحظة قد يُقبض، وفي كل نفس قد يحين الأجل المحتوم.

٢-حل الإشكالات :

أثارت – ماتزال –هذه الآية تثير أسئلة كثيرة منها :

١-لماذا جاءت كلمة (حفظة) هنا مجملة في حين أنها في مواطن أخرى جاءت مفصلة فهناك الحفظة الحرسة ، وهناك الحفظة الكتبة ؟

٢-جاء هنا " **توفته رسلنا**" في حين جاء في مواطن أخرى " **الله يتوفى الأنفس حين موتها** " وفي موطن آخرى" **قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم** " فكيف نوفق بين تلك النصوص جميعا؟

٣-ما الحكمة من جعل الملائكة موكلين على بني آدم؟

للإجابة عن السؤال الأول نُذّكِرُ بما ذكره صاحب الظلال (١١٢٢/٢)

لأن المقصود الظاهر هو إلقاء ظل الرقابة المباشرة على كل نفس.

ظل الشعور بأن النفس غير منفردة لحظة واحدة، وغير متروكة لذاتها لحظة واحدة. فهناك حفيظ عليها رقيب يحصي كل حركةٍ...لا يند عنه شيء...

وهذا التصور كفيل بأن ينتفض له الكيان البشري وتستيقظ فيه كل خالجة وكل جارحة.. ١ هـ

وأضيف بأن الأجواء هنا لسوق الدلائل على كمال قدرة الله وكمال حكمته ويناسب هذا الإجمال وترك التفصيل إلى مواطن أكثر ملائمة له كما سيتضح لك

وللإجابة عن السؤال الثاني نسوق هنا ما قاله الرازي (١٣/١٥) وتابعه عليه كثيرون :

الْبَحْثُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ:" **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**" [الزُّمَرِ: ٤٢] وَقَالَ: **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ** [الْمُلْكِ: ٢] فَهَذَانِ النَّصَّانِ يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّ تَوَفِّيَ الْأَرْوَاحِ لَيْسَ إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. ثُمَّ قَالَ: **قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ** [السَّجْدَةِ: ١١] وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ الْوَفَاةَ لَا تَحْصُلُ إِلَّا مِنْ مَلَكِ الْمَوْتِ. ثُمَّ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: " **تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا** " فَهَذِهِ النُّصُوصُ الثَّلَاثَةُ كَالْمُتَنَاقِضَةِ.

وَالْجَوَابُ: أَنَّ التَّوَفِّيَ فِي الْحَقِيقَةِ يَحْصُلُ بقدرة اللَّه تعالى، وهو في عالم الظَّاهِرِ مُفَوَّضٌ إِلَى مَلَكِ الْمَوْتِ، وَهُوَ الرَّئِيسُ الْمُطْلَقُ فِي هَذَا الْبَابِ، وَلَهُ أَعْوَانٌ وَخَدَمٌ وَأَنْصَارٌ، فَحَسُنَتْ إِضَافَةُ التَّوَفِّي إِلَى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ بِحَسَبِ الِاعْتِبَارَاتِ الثَّلَاثَةِ واللَّه أَعْلَمُ.

وللإجابة عن السؤال الثالث نقول: قال الرازي(١٣/ ١٥) ذَكَرُوا فِي فَائِدَةِ جَعْلِ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلِينَ عَلَى بَنِي آدَمَ وُجُوهًا:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُكَلَّفَ إِذَا عَلِمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مُوَكَّلُونَ بِهِ يُحْصُونَ عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ وَيَكْتُبُونَهَا في صحائف تعرض على رؤوس الْأَشْهَادِ فِي مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ كَانَ ذَلِكَ أَزْجَرَ لَهُ عَنِ الْقَبَائِحِ.

الثَّانِي: يُحْتَمَلُ فِي الْكِتَابَةِ أَنْ يَكُونَ الْفَائِدَةُ فِيهَا أَنْ تُوزَنَ تِلْكَ الصَّحَائِفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ وَزْنَ الْأَعْمَالِ غَيْرُ مُمْكِنٍ، أَمَّا وَزْنُ الصَّحَائِفِ فَمُمْكِنٌ.

الثَّالِثُ: يَفْعَلُ اللَّه مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ. وَيَجِبُ عَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا وَرَدَ بِهِ الشَّرْعُ سَوَاءٌ عَقَلْنَا الْوَجْهَ فِيهِ أَوْ لَمْ نَعْقِلْ.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة إثباتاً لا يقبل معه تأويل ولا رد ، كيف وقد جعل الله الملائكة حفظة لأبداننا من الأسواء، ومسجلين لأعمالنا من الصباح إلى المساء، ويتوفون الأرواح عند انتهاء الآجال.

٢-التَّنصيص هنا على صنفين من الملائكة : الحفظة (للأبدان وللأعمال)، قبضة الأرواح.

٣-استدل الرازي هنا على عصمة الملائكة، وعبارته (١٦/١٣) **وهذا يدلُّ على أن الملائكة الموكلين بقبض الأرواح لا يقصرون فيما أمروا به ، وقوله في صفة ملائكة النار" لا يعصون الله ما أمرهم " يدل على أن ملائكة العذاب لا يقصرون في تلك التكاليف ، وكل من أثبت عصمة الملائكة في هذه الأحوال أثبت عصمتهم على الإطلاق فدلت هذه الآية على ثبوت عصمة الملائكة على الإطلاق .**

التكرار :

جاءت الآية هنا مجملة " حفظة " وقد جاءت مفصلة في مناسبات أخرى:

١-**ملائكة الحفظ:** حفظ الحراسة في قوله:

" له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله.

٢-**ملائكة الحفظ:** حفظ الأعمال في قوله

"وأن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون "

" ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد"

وقد كشفنا عن وجه الحكمة في ذلك ، والله أعلم.

٢٩-الملائكة تقبضُ أرواح الظالمين

الذين افتروا على الله كذباً، والذين ادّعوا النبوّة

وهذا المشهد رصدته لنا الآية (٩٣) من سورة (الآنعام) ونصها يقول :



بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة :

١-المفردات :

١٦٥- **أَظْلَمُ: قال صاحب المفردات**[1]: الظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء : وَضْعُ الشيء في غير موضعه المختصِّ به ،إمّا بنقصانٍ وإمّا بزيادةٍ ، وإمْا بعدول عن وقته أو مكانه.

١٦٦- **افْتَرَى**: **قال صاحب المقاييس** [2] ويقال :فرى فلان كذباً يفريه إذا خَلَقَه.

١٦٧- **أُوحِيَ**: **قال صاحب المقاييس**[3] : الوحي اصل يدلُّ على إلقاء علمٍ في إخفاءٍ أو غيره إلى غيرك .

١-انظر " المفردات " م / ظلم.
٢-انظر " المقاييس " م / فرى.
٣-انظر " المقاييس " م / وحي.

وأضاف صاحب المفردات[1]: ويقال للكلمة الآلهية التي تلقى إلى أنبيائه ... وحي.

١٦٨- **غَمَرَاتِ**: جمع غمرة **قال صاحب المقاييس**[2] : وغمرات الموت : شدائده التي تغشى ، وكل شدةٍ غمرةٌ سميت لأنها تغشى .

١٦٩- **بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ**: **قال في المفردات**[3] وبسط اليد مدّها .... وبسط الكف يستعملُ **تارة للطلب** نحو " **كباسط كفيه إلى الماء** " **وتارةً للأخذ** وساق الآية ....

١٧٠- **أَنْفُسَكُمُ** : **قال صاحب المفردات**[4] النفس الروح في قوله تعالى : "**أخرجوا أنفسكم** "

١٧١- **تُجْزَوْنَ** : **قال صاحب المفردات**[5]الجزاء مافيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير ، وإن شرّ فشر .

١٧٢- **عَذَابَ** : العذاب هو الإيجاع الشديد ، وقد عذَّبه تعذيباً أكثر حبسه في العذاب[6]

١٧٣- **الْهُونِ** : **قال صاحب المفردات**[7] : الهوان على وجهين :

أحدهما : تذلل الإنسان في نفسه لما لا يلحق به غضاضة فيمدح ُبه نحو قوله " **وعباد الرحمن الذين يمشون على**

١-انظر " المفردات "م/ وحي.
٢-انظر " المقاييس "م/ غمر.
٣-انظر "المفردات "م/بسط.
٤-انظر " المفردات "م/نفس.
٥-انظر "المفردات "م/جزا.
٦-انظر "المفردات "م/ عذب.
٧-انظر " المفردات "م/هان.

الأرض هوناً "...

الثاني : أن يكون من جهة متسلط مستخف به فيذم به وعلى الثاني الآية .

١٧٤- **تَسْتَكْبِرُونَ** : **قال صاحب المفردات**[1] : الكبر والتكبر والاستكبار تتقارب. **فالكبر** الحالة التي يتخصص بها الإنسانُ من إعجابه بنفسه ، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره وأعظمُ التكبر: التكبر على الله بالامتناع عن قبول الحق والإذعان له بالعبادة.

والاستكبار: على وجهين ... **والثاني** منهما: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له وهذا هو المذموم وعلى هذا ما ورد في القرآن.

٢ ً-الإعراب :

وَ: الواو: استئنافية.

مَنْ: اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ، وخبره (أظلم).

مِمَّنِ: مركبة من : **مِنْ**: الجارة ، **ومَنْ** الموصولية وهي في محل جر ب مِنْ: والجار والمجرورمتعلقان بأظلم، وجملة (الذي) صلته.

كَذِبًا : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة

لَمْ يُوحَ: جازم ومجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، **وشيء** : نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

وَمَنْ قَالَ : **الواو** : عاطفة ، **مَنْ** :اسم موصول معطوف على (مَنْ) السابقة

١-انظر " المفردات " م/كبر.

في محل جر مثلها أي: ممن افترى ...وممن قال.

مِثْلَ : مفعول به لسأنزل ، **ما** : اسم موصول في محل جر مضاف إليه ، وجملة (**أنزل الله**)صلته

لَوْ: حرف شرط غير جازم ، **وترى** : فعل الشرط ، وأما جواب الشرط فمحذوف **والتقدير** :أمراً عظيماً ، ومفعول ترى محذوف أيضاً، والتقدير ولو ترى الظالمين.

إِذِ: ظرف للزمن المستقبل .

قال ابن هشام[1]: والجمهور لا يُثْبِتُونَ هذا القسم ويجعلون الآية من باب " **ونفخ في الصور** " أعني من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع ،وقد يحتج لغيرهم بقوله" **فسوف يعلمون إذ الأغلال** " فإن " **يعلمون** " مستقبل لفظاً ومعنى، لدخول حرف التنفيس عليه ، وقد أعمل في **إذ** فيلزم أن يكون بمنزلة **إذا.**

الظَّالِمُونَ: مبتدأ، خبرهُ متعلَّق الجار والمجرور " **في غمرات الموت** "

وَالْمَلَائِكَةُ : **الواو** : حالية ، الملائكة مبتدأ خبره باسطو وهو مضاف، **أيديهم:** مضاف إليه

الْيَوْمَ : مفعول فيه ظرف زمان.

تُجْزَوْنَ : مضارع مرفوع لما لم يُسمَّ فاعله ، **والواو** : نائب فاعل **وعذاب** َ مفعول به ثانٍ وهو مضاف ، **والهون** : مضاف إليه.

بِمَا: الباء جارة ، **ما:** اسم موصول في محل جر بالباء ، **وكنتم** : صلته ، **وتقولون**: خبرها.

١-انظر " المغني "١١٣/١

غَيْرَ: صفة لموصوف محذوف ، **والتقدير** تقولون القول غيرَ الحق، أو مفعول به على معنى تنطقون.

٣ً-البلاغة :

١-في قوله " **وَمَنْ أَظْلَمُ** "خرج الاستفهام إلى معنى النفي والاستبعاد قال ابن كثير (٢٨٨/٢) أي: لا أحد أظلم ...

٢-في قوله " **وَلَوْ تَرَى** " إيجاز الحذف حيث حذف الجواب ليذهب القارئ في تقديره كلَّ مذهب وهذا ما قيل فيه : **الحذف أكثر إفادة من الذكر.**

٣-في قوله " **غَمَرَاتِ الْمَوْتِ** " قال الرضي : هذه استعارة عجيبة حيث شبه سبحانه ما يعتورهم من كُرب الموت وغصصه بالذين تتقاذفهم غمرات الماء ولججه .

٢-المناسبة :

ثمة ارتباط وثيق بين هذه الآية وما سبقها وفي جلاء المعنى يقول الرازي (٦٦/١٣)

اعلم أنه تعالى لما شرح كونَ القرآن كتاباً نازلاً من عند الله ، وبين ما فيه من صفات الجلالة والشرف والرفعة ، ذكر عقيبه ما يدلُّ على وعيد من ادّعى النبوّة والرسالة على سبيل الكذب والإفتراء فقال : "**ومن أظلم ...**



٣-سبب النزول :

لقد تصدى لبيان سبب النزول وما يتصل به الإمام الأثري الكبير ابن جرير (٥٣٧/١١) فقال راوياً عن عكرمة أنه قال : نزلت " **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ**" نزلت في مسيلمة اخي بني عدي بن حنيفة فيما كان يسجعُ ويتكهن به.

ونزلت " **وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ** " في عبد الله بن سعد بن السرح ... كان يكتب للنبي ... فرجع عن الإسلام ولحق بقريش وقال لهم : لقد كان ينزلُ عليه " عزيزٌ حكيم " فأحوّله ثم أقرأ ما كتبتُ، فيقول : نعم سواء ثم رجع إلى الإسلام .

التفسير وحل الإشكالات :

التفسير :

يقول العلامة الرازي(٦٧/١٣) اعلم أنه تعالى عظَّم عبدَ من ذكر أحد الأشياء الثلاثة :

فأولها :أن يفتري على الله كذباً ... ويدخل فيه من يدعي الرسالة ولكن لا يقتصر عليه ... **فكلُّ من نسبَ إلى الله** ما هو بريئ منه **إما** كذباً **بالذات وإما في الأفعال** كان داخلاً تحت هذا الوعيد.

والنوع الثاني من الأشياء التي وصفها الله بكونها افتراءً قوله : " **أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ**" ، **والفرق بين هذا القول والّذي قبله** أن **في الأول** كان يدّعي أنّه أوحي إليه ، وما كان يكذب بنزول الوحي محمد

وأما في هذا القول فقد أثبت الوحيَ لنفسه ونفاه عن محمد ، فكان هذا جامعاً بين نوعين عظيمين من الكذب وهو إثبات ما ليس بموجود ، ونفي ما هو موجود .

والنوع الثالث : قوله" **سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ** " المراد ما قاله **المنذر بن الحارث وهو قوله :لو شاء لقلنا مثل هذا** ...

وكل أحد يمكنه الإثبات بمثله، وما وصله أن هذا القائل يدّعي معارضة القرآن .

وروى أيضاً أنَّ عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب الوحي لرسول الله فلما نزل " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ" املاهُ عليه الرسول فلما انتهى إلى قوله " ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ" عجب عبد الله فقال: تبارك الله أحسن الخالقين! فقال الرسول هكذا أنزلت الآية، فسكت عبد الله وقال إن كان محمداً صادقاً فقد أوحي إليَّ، وإن كان كاذباً فقد عارضته، فهذا هو المراد قوله " **سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ** "

ونتابع الآية مع صاحب الظلال (١١٤٩/٢) والمشهد الذي يرسمه السياق في جزاء هؤلاء الظالمين (أي المشركين) مشهد مفزع مرعب مكروب مرهوب.

الظالمون في غمرات الموت وسكراته- ولفظ غمرات يلقي ظله المكروب- والملائكة يبسطون إليهم أيديهم بالعذاب، وهم يطلبون أرواحهم للخروج! وهم يتابعونهم بالتأنيب:

" وَلَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ: أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ، وَكُنْتُمْ عَنْ آياتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ» ..

وجزاء الاستكبار العذاب المهين، وجزاء الكذب على الله هذا التأنيب الفاضح.. وكله مما يضفي على المشهد ظلالاً مكروبة، تأخذ بالخناق من الهول والكآبة والضيق! ثم في

النهاية، ذلك التوبيخ والتأنيب من الله تعالى، الذي كذبوا عليه، وها هم أولاء بين يديه، يواجههم في موقف الكربة والضيق ١هـ.

الاستنباط:

١-إثبات وجود هذا العالم، كيف لا وقد نسب القرآن إليه توفي أرواح الظالمين؟

٢-أن من مهمات الملائكة قبض الأرواح ويختلف على حسب حال المقبوض عليه أهو مؤمن أم كافر أم فاسق؟

٣-أن الملائكة مخلوقات عاقلة تحاور وتجادل.

التوحد والتكرار:

١-لقد سبق مشهد التوفي في الآية (٩٧- ٩٨) من سورة النساء وفيها يقول القرآن.

" إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا(٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا"

ومن الجدير بالذكر أن الظلم في سورة النساء غيره في الأنعام، فهو هناك ظلم المؤمن لنفسه في قعوده عن الهجرة وهو قادر عليها.

وهنا ظلم من افترى على الله الكذب، أو ادعى أنه يوحى إليه، أو ادعى أنه قادر على معارضة القرآن، فهو ظلم بمعنى الكفر

ولعلك من تأمل السياق هنا وهناك ترَ الفرق بينهما.

٢-في الآية (٥٠- ٥١) من سورة (الأنعام).

٣-في الآية (٢٧) من سورة (محمد)

وهنا اقتصرنا على توفي أرواح الظالمين، ولو ضممنا له التوفي مطلقاً لكثرت المواطن والله أعلم.

٣٠-لو رأى الكافرون الملائكة وشهدت بصدق الرسول فلن يؤمنَ منهم إلا من شاء الله هدايته

تجد هذا المعنى واضحاً في الآية (١١١) من سورة الأنعام ونصها يقول :



بين يدي التفسير :

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ ً-المفردات :

١٧٥-**وَحَشَرْنَا:** الحشر هو الجمع مع سَوْقٍ.

١٧٦-**قُبُلًا: قال صاحب المقاييس**[1]: **قبل** : أصل صحيح تدل كَلِمه كلُّها على مواجهة الشيء للشيء و يتفرع بعد ذلك اهـ.

وأضاف صاحب المفردات[2] **...**وقوله " **كل شيء قُبُلاً** " قُبُل جمع قابل، **ومعناه** مقابلٌ لحواسهم، **وقال مجاهد**: جماعة جماعة فيكون جمع قَبيل ... ومن قرأ " **قُبُلاً** " فمعناه عياناً اهـ.

قال ابن كثير (٢٠٣/٢): قرأ بعضهم بالفتح والكسر من المقابلة

١-انظر " المقاييس " م/ قبل.
٢-انظر " المفردات "م/ قبل.

والمعاينة ، وآخرون بضمها، قيل : معناه من المقابلة والمعاينة أيضاً .... **وقال مجاهد** " قُبُلاً " أفواجاً ، قبيلاً قبيلاً أي :تُعرض عليهم كل أمة بعد أمة فتخبرهم بصدق الرسل فيما جاؤوا به.

١٧٧-**يَشَاءَ: قال صاحب المفردات**[1] : المشيئةُ عند أكثر المتكلمين كالإدارة سواء .

٢ ً-الإعراب :

وَ: استئنافية.

لَوْ:شرطية غير جازمة، أو حرف امتناع لامتناع.

أَنَّنَا: **أنّ:** حرف توكيد ونصب، **ونا:** ضمير متصل في محل نصب اسمها، وجملة (**نزلنا**)خبرها **وأن** وما بعدها بتأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف تقديره (يثبتُ).

إِلَيْهِمُ: جار ومجرور متعلقان بالفعل (**نزلنا**).

الْمَلَائِكَةَ : مفعول به منصوب...

وَ: عاطفة .

كَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ: **كلم:** فعل ماض، **والهاء**: ضمير متصل في محل نصب مفعول به مقدم، والميم للجمع **والموتى**: فاعل مؤخر لزوماً، والجملة معطوفة على (**نزلنا**) في محل رفع مثلها.

وَ: عاطفة

حَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ: فعل وفاعل ومفعول به ، وشيء : مضاف إليه، والجملة معطوفة على (**نزلنا**).

١-انظر " المفردات"م/ شيء.

قُبُلًا : حال منصوبة...

مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا: **ما** : نافية ، **وكان** : فعل ماض ناقص ، **والواو** : اسمها، وخبرها محذوف وهومتعلّق الجار والمجرور الناتج من أن المصدرية المحذوفة وجوباً بعد لام الجحود وهي الناصبة للمضارع بعدها .

إِلَّا :أداة استثناء من أعم الأحوال، **والمعنى:** ما كانوا ليؤمنوا في حال من الأحوال إلا في حال مشيئة الله عَزَّ وجَلّ

أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ: ناصب ومنصوب ، والمصدر المؤول في موضع نصب على الحال، أو في موضع نصب على الظرفية الزمانية على معنى إلا في زمانِ مشيئة الله ...

٢-المناسبة :

لهذه الآية شديد الصلة بما قبلها (١٠٩/١١٠) فهي تحمل النتيجة لما اقترحوه .

قال ابن كثير (٣٠٣/٢) يَقُولُ تَعَالَى: وَلَوْ أَنَّنَا أَجَبْنَا سُؤَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ " **لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا** " فَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ... ما كانوا لؤمنوا.

وقال الرازي (١١٧/١٣) اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَفْصِيلَ مَا ذَكَرَهُ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ بِقَوْلِهِ: وَما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذا جاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ فَبَيَّنَ أَنَّهُ تَعَالَى لَوْ أَعْطَاهُمْ مَا طَلَبُوهُ مِنْ إِنْزَالِ الْمَلَائِكَةِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى حَتَّى كَلَّمُوهُمْ بَلْ لَوْ زَادَ فِي ذَلِكَ مَا لَا يَبْلُغُهُ اقْتِرَاحُهُمْ بِأَنْ يَحْشُرَ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهِ.

٣-سبب النزول :

لبيان سبب النزول نسوق ما أورده ابن جرير (٢٨/١٢) بسنده إلى محمد بن كعب القرظي قال :

كلّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريشًا، فقالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصًا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، وتخبرنا أنّ عيسى كان يحيي الموتى، وتخبرنا أن ثَمُود كانت لهم ناقة، فأتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أيَّ شيء تحبُّون أن آتيكم به؟ قالوا: تجعَلُ لنا الصَّفَا ذهبًا.



فقال لهم: فإن فعلت تصدقوني؟ قالوا: نعم والله، لئن فعلت لنتبعنّك أجمعين! فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو، فجاءه جبريل عليه السلام فقال له: لك ما شئت، إن شئتَ أصبح ذهبًا، ولئن أرسل آيةً فلم يصدقوا عند ذلك لنعذبنَّهم، وإن شئت فأنْدِحْهُم حتى يتوب تائبهم. فقال: بل يتوب تائبهم.

فأنزل الله تعالى:" **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ**"

التفسير وحل الإشكلات :

١-التفسير:

يقول ابن جرير (١٣/ ٤٦) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد، آيسْ من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الأوثانَ والأصنام، القائلين لك: **" لئن جئتنا بآية لنؤمنن لك"**، فإننا لو نزلنا إليهم الملائكة حتى يروها عيانًا، وكلمهم الموتى بإحيائنا إياهم حُجَّةً لك، ودلالة على نبوّتك، وأخبروهم أنك محقٌّ فيما تقول، وأن ما جئتهم به حقٌّ من عند الله.



وحشرنا عليهم كل شيء فجعلناهُم لك قبلا ما آمنوا ولا صدّقوك ولا اتبعوك إلا أن يشاء الله ذلك لمن شاء منهم...

ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك، يحسبون أن الإيمان إليهم، والكفرَ بأيديهم، متى شاؤوا آمنوا، ومتى شاؤوا كفروا.

وليس ذلك كذلك، ذلك بيدي، لا يؤمن منهم إلا من هديته له فوفقته، ولا يكفر إلا من خذلته عن الرشد فأضللته.

الاستنباط :

١-إثبات وجود عالم الملائكة إثباتاً لا يقبل منه تأويل ولا رد ، كيف وقد جعل الله رؤية الملائكة دليلاً على صدق النبي - لو أراد أن يكون ذلك -.

التوحد والتكرار :

لقد تكرر هذا المعنى في مواضع من القرآن الكريم وذلك في الآية (٢١) من سورة [الفرقان]

" وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا "

٣١-آمنوا قبل أن تقبض الملائكة أرواحكم

وهذا المعنى هو ما دلَّت عليه الآية (١٥٨) من سورة الأنعام ونصها يقول:


هل ينظُرُون إلَّا أنْ تأْتِيهُمُ الْملائِكةُ أوْ يأْتِي ربُّك أوْ يأْتِي بعْضُ آياتِ ربِّك يوْم يأْتِي بعْضُ آياتِ ربِّك لا ينْفعُ نفْساً إيمانُها لمْ تكُنْ آمنتْ مِنْ قبْلُ أوْ كسبتْ فِي إيمانِها خيْرا قُلِ انْتظِرُوا إنَّا مُنْتظِرُون ١٥٨

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ ً-المفردات:

١٧٨-**يَنْظُرُونَ**: **قال في المفردات[1]:** والنظر: الانتظار، فالمعنى هل ينتظرون.

١٧٩-**تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ**: **قال ابن جرير (٢٤٥/١٢)** أي: بالموت فتقبض أرواحهم.

١٨٠-**يَأْتِيَ رَبُّكَ**: **قال قتادة[2]**: أي يوم القيامة.

١٨١-**يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ**: **قال مجاهد**: هو طلوع الشمس من مغربها.

وقال ابن كثير: (٢٥٣/٢) وذلك كائن قبل يوم القيامة من أمارات الساعة وأشراطها، وساق ابن

١-انظر "المفردات" م /نظر.
٢-انظر "جامع البيان لابن جرير" ١٢ /٢٤٦.

كثير حديث البخاري **عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها فذلك حين " لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل "** اهـ.



٢ ً-الإعراب:

أَنْ تَأْتِيَهُمُ: ناصب ومنصوب، والمصدر المؤول في محل نصب مفعول به للفعل **(ينتظرون)**.

أَوْ يَأْتِيَ: مضارع منصوب معطوف على تأتيهم، وكذلك الفعل **يأتي**.

يَوْمَ: ظرف زمان متعلق بالفعل **(ينفع)**، وجملة **(يأتي بعض آيات ربك)** في محل جر بالإضافة.

لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا: فعل مضارع ومفعول به مقدم لـزوماً، **وإيمانها**: فاعل مؤخر لزوماً لئلا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبةً.

لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ: جازم ومجزوم وجملة (**آمنت**) خبرها، والجملة الكبرى (**لم تكن آمنت**) صفة لـ(**نفساً**) فإن الجمل بعد النكرات صفات، وجاز الفصل بين الصفة (**لم تكن**) وصفتها (**نفساً**) لأن الفاصل فاعل وما هو بأجنبي.

مِنْ قَبْلُ: **من** حرف جر، **قبل**: اسم مبني على الضم في محل جر بـ**من**.

٣ً-البلاغة:

١-في قوله " **هَلْ يَنْظُرُونَ** " جملة استفهامية خرجت إلى معنى النفي.

٢-في قوله " **لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا** " اشتمل هذا الكلام على النوع المعروف في علم البيان **باللّف، وأصل الكلام**: يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنة قبلُ إيمانها بعدُ، ولا نفساً لم تكسب في إيمانها خيراً قبلُ ما تكسبه من الخير بعدُ، إلا أنه لفَّ الكلامين فجعلهما كلاماً واحداً بلاغةً واقتصاراً وإعجازاً.

٢-المناسبة:

يقول العلامة الرازي (١٤/١٨٨) وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ أَنَّهُ إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ إِزَالَةً لِلْعُذْرِ وَإِزَاحَةً لِلْعِلَّةِ وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أَلْبَتَّةَ وَشَرَحَ أَحْوَالًا تُوجِبُ الْيَأْسَ عَنْ دُخُولِهِمْ فِي الْإِيمَانِ فَقَالَ: **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ** [الانعام: ١٥٨]

ومعنى ينظرون: ينتظرون وهل اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ النَّفْيُ.

وَتَقْدِيرُ الْآيَةِ: أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِكَ إِلَّا إِذَا جَاءَهُمْ أَحَدُ هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ ١- وَهِيَ مَجِيءُ الْمَلَائِكَةِ .

٢- أَوْ مَجِيءُ الرَّبِّ.

٣- أَوْ مَجِيءُ الْآيَاتِ الْقَاهِرَةِ مِنَ الرَّبِّ.

التفسير وحل الإشكالات:

يقول ابن جرير (٢٤٥/١٢) هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام.

" **إلا أن تأتيهم الملائكة** "، بالموت فتقبض أرواحهم أو أن يأتيهم ربك، يا محمد، بين خلقه في موقف القيامة... " **أو يأتي بعض آيات ربك**"

يقول: طلوعُ الشمس من مغربها... وحينها لا ينفع من كان قبل ذلك مشركاً بالله أن يؤمن بعد مجيء تلك الآية...

لأنها حالة لا تمتنع نفسٌ من الإقرار بالله، لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله، فحكم إيمانهم، كحكم إيمانهم عند قيام الساعة، وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحدانية الله، لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال ولا ينفع مَنْ كان بالله وبرسله مصدِّقًا، ولفرائض الله مضيعًا، غير مكتسب بجوارحه لله طاعة، إذا هي طلعت من مغربها أعمالُه إن عمل، وكسبُه إن اكتسب، لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها...

ويقول صاحب الصفوة (٣٩٩/١) والمعنى: ما ينتظر هؤلاء المشركون ألا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعذيبها وهو وقت لا تنفع فيه توبتهم.



أو يأتيهم ربك في موقف القيامة للفصل بين خلقه، أو يأتيهم بعض آيات ربك وهي طلوع الشمس من مغربها...

وحينئذٍ لا ينفع الإيمان نفساً كافرة آمنت في ذلك الحين، ولا نفساً عاصية لم تعمل خيراً ١هـ.

أقول: فالمعنى العام هو دعوى الكفار ليسارعوا إلى الإيمان قبل أن يتعذر عليهم بالموت، أو بظهور العلامات الدالة على قيام الساعة والتي لا ينفع الإيمان معها، أو قيام الساعة ذاتها ١هـ.

الاستنباط:

١-إثبات وجود هذا العالم كيف لا وقد جعل مجيئها لقبض الأرواح أحد الأسباب المانعة عن التوبة.

٢-أن من مهام الملائكة قبض الأرواح.

التوحد والتكرار:

لقد سبق هذا المعنى في الآية (٢١٠) من سورة (البقرة)

" هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ".

الآيات الواردة في

- ٦ -

سورة الأعراف



رجال على الأعراف

مما له صلة بعالم الملائكة

٣٢-الملائكة تسجد لآدم، وإبليس لم يكن من الساجدين

وهذا المشهد رصدته لنا الآية (١١) من سورة (الأعراف) ونصُّها يقول:



وبما أن هذا المشهد قد سبق في الآية (٣٤) من سورة (البقرة) ونصّها يقول:

" وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٢٤)"

فإننا سنكتفي بتفسير المفردات الجديدة، والمناسبة، والتفسير والاستنباط وحل الإشكالات.

تفسير المفردات الجديدة:

١٨٢-**خَلَقْنَاكُمْ: قال صاحب المفردات[1]:** الخلق أصله: التقدير المستقيم...

ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء وساق الآية.

أقول: وفي المراد ب(**خلقناكم**) خلاف سيأتي.

١-انظر "المفردات" م /خلق.

١٨٣-**صَوَّرْنَاكُمْ:قال صاحب المفردات[1]:** الصورة ما ينتقش به الأعيان، ويتميز بها غيرها وذلك **ضربان**:

أحدهما: محسوس يدركه الخاصة والعامة، بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان، كصورة الإنسان والفرس... بالمعاينة.

والثاني: معقول يدركه الخاصة دون العامة كالصورة التي اختص الإنسان بها من العقل والروية، والمعاني التي خص بها شيء بشيء، وإلى الصورتين أشار بقوله تعالى " **ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ** "

٢-المناسبة:

يقول الإمام الرازي(١١/٢٠٢)اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى رَغَّبَ الْأُمَمَ فِي قَبُولِ دَعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِالتَّخْوِيفِ أَوَّلًا ثُمَّ بِالتَّرْغِيبِ ثَانِيًا عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ وَالتَرْغِيبُ إِنَّمَا كَانَ لِأَجْلِ التَّنْبِيهِ عَلَى كَثْرَةِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ فَبَدَأَ فِي شَرْحِ تِلْكَ النِّعَمِ بِقَوْلِهِ:

" **وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۗ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ**"

ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ أَنَّهُ خَلَقَ أَبَانَا آدَمَ وَجَعَلَهُ مَسْجُودًا لِلْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْعَامُ عَلَى الْأَبِ يَجْرِي مَجْرَى الْإِنْعَامِ عَلَى الِابْنِ فَهَذَا هُوَ وَجْهُ النَّظْمِ.

١-انظر "المفردات" م / صوّر.

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

يقول صاحب الظلال(١٢٦١/٣) إن الخلق قد يكون معناه: الإنشاء. والتصوير قد يكون معناه: إعطاء الصورة والخصائص.. وهما مرتبتان في النشأة لا مرحلتان والتصوير أرقى مرتبة من مجرد الوجود.

فالوجود يكون للمادة الخامة .

ولكن التصوير- بمعنى إعطاء الصورة الإنسانية والخصائص- يكون درجة أرقى من درجات الوجود. فكأنه قال: إننا لم نمنحكم مجرد الوجود ولكن جعلناه وجوداً ذا خصائص راقية ...

على أية حال لقد أعلن الله بذاته العلية الجليلة ميلاد هذا الكائن الإنساني فيحفل حافل من الملأ الأعلى: " **ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ. فَسَجَدُوا. إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ** " ..

والملائكة خلق آخر من خلق الله لهم خصائصهم ووظائفهم لا نعلم عنهم إلا ما أنبأنا الله من أمرهم وكذلك إبليس فهو خلق غير الملائكة ...

فأما الملائكة- وهم الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون- فقد سجدوا مطيعين منفذين لأمر الله، لا يترددون ولا يستكبرون...

هذه طبيعتهم، وهذه خصائصهم... وإلى هنا تتمثل كرامة هذا الكائن الإنساني على الله، كما تتمثل الطاعة المطلقة في ذلك الخلق المسمى بالملائكة من عباد الله.

وأما إبليس فقد امتنع عن تنفيذ أمر الله- سبحانه وعصاه.

٢- حل الإشكالات:

يقول العلامة الرازي(١٤/٢٠٥) فِي هَذِهِ الْآيَةِ سُؤَالٌ وَهُوَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: " **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ** " يُفِيدُ أَنَّ الْمُخَاطَبَ بِهَذَا الْخِطَابِ نَحْنُ.

ثُمَّ قَالَ بَعْدَهُ: ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ وَكَلِمَةُ (**ثُمَّ**) تُفِيدُ التَّرَاخِي فَظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِي أَنَّ أَمْرَ الْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ وَقَعَ بَعْدَ خَلْقِنَا وَتَصْوِيرِنَا وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ.

ثم ذكر إجابات ونقتصر منها على ما عدّه الرأي المختار حيث قال:
إِنَّ قَوْلَهُ: " **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ** " أَيْ: خَلَقْنَا أَبَاكُمْ آدَمَ وَصَوَّرْنَاكُمْ أَيْ: صَوَّرْنَا آدَمَ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَيُوسُفَ النَّحْوِيِّ وَهُوَ الْمُخْتَارُ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَمْرَ الْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ تَأَخَّرَ عَنْ خَلْقِ آدَمَ وَتَصْوِيرِهِ وَلَمْ يَتَأَخَّرْ عَنْ خَلْقِنَا وَتَصْوِيرِنَا.

أَقْصَى مَا فِي الْبَابِ أَنْ يُقَالَ: كَيْفَ يَحْسُنُ جَعْلُ خَلْقِنَا وَتَصْوِيرِنَا كِنَايَةً عَنْ خَلْقِ آدَمَ وَتَصْوِيرِهِ؟

فَنَقُولُ: إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْلُ الْبَشَرِ فَوَجَبَ أَنْ تَحْسُنَ هَذِهِ الْكِنَايَةُ نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ** [الْبَقَرَةِ: ٦٣] أَيْ: مِيثَاقَ أَسْلَافِكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ويقول العلامة ابن جرير بعد استعراض مختلف الآراء (١٢/٣٢٠)

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويله: (**ولقد خلقناكم**) ، ولقد خلقنا آدم (**ثم صورناكم**) ، بتصويرنا آدم، كما قد بينا فيما مضى من خطاب العرب الرجلَ بالأفعال تضيفها إليه، والمعنيُّ في ذلك سلفه...

وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن الذي يتلو ذلك قوله " **ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ**" ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم، قبل أن يصوّر ذريته في بطون أمهاتهم، بل قبل أن يخلُق أمهاتهم...

الاستنباط:

١-إثبات وجود هذا العالم وجوداً غير مقبول فيه رد ولا تأويل.

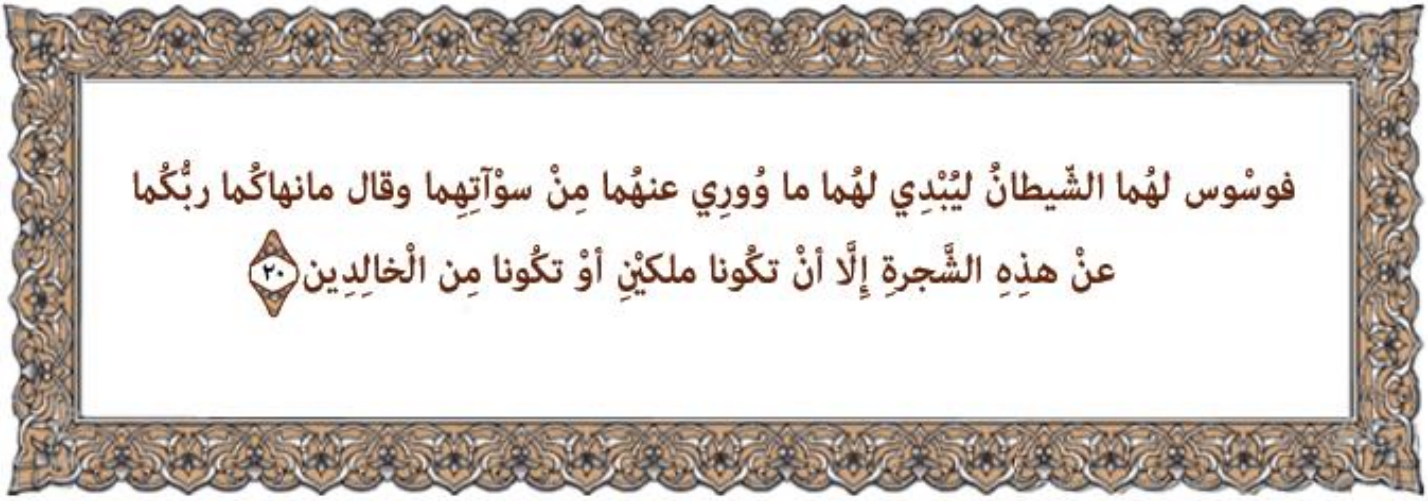
٢-أن الملائكة لا تعصي الله ما يأمرها به.

٣-أن إبليس ليس من الملائكة.

٤-تفيد هذه الآية تفضيل البشر على الملائكة .

٣٣-الملائكة طعم استخدمه إبليس لإغراء آدم ليأكل من الشجرة

وهذا المشهد احتوته الآية (٢٠) من سورة (الأعراف) ونصّها يقول:


فوسْوس لهُما الشّيطانُ ليُبْدِي لهُما ما وُورِي عنهُما مِنْ سوْآتِهِما وقال مانهاكُما ربُّكُما عنْ هذِهِ الشَّجرةِ إِلَّا أنْ تكُونا ملكيْنِ أوْ تكُونا مِن الْخالِدِين ٢٠

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً- المفردات:

١٨٤-**وَسْوَسَ**: **قال صاحب المفردات**[1]: الوسوسة: الخطرة الرديئة، وأصله من الوَسْوَاسِ، وهو صوتُ الحَلي، والهمسُ الخفي ١هـ.

وأضاف الرازي قيد التكرار فقال[2]: وسوس: إذا تكلم كلاماً خفياً يكرره ١هـ.

وشرح ابن جرير (٢٤٦/١٢) المراد بالوسوسة في هذه الآية فقال: فوسوس لهما، أي: إليهما، وتلك الوسوسة كانت قولَه

١-انظر "المفردات" م / وسوس.
٢-انظر "تفسير الرازي" ١٤ / ٢١٣.

لهما "**مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** " وإقسامه لهما على ذلك ١هـ.

١٨٥- **الشَّيْطَانُ**: المراد به هو إبليس عليه لعائن الله.

١٨٦- **لِيُبْدِيَ**: **قال صاحب المفردات**[1]: بدا الشيء... أي: ظهر ظهوراً بيّناً.

١٨٧- **وُورِيَ**: فعل ماض مبني للمجهول وفعله (**وارى**) فلما بني للمجهول احتيج إلى ضم ما قبل الألف فقلبت واواً[2].

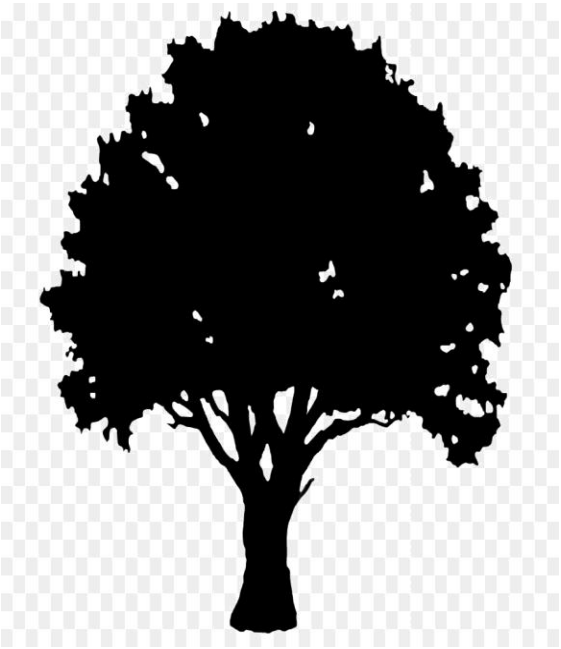
قال صاحب المفردات[3]: يقال: واريت كذا: إذا سترته ١هـ.

١٨٨- **سَوْآتِهِمَا**: **قال صاحب المفردات**[4]**:** السوء كل ما يغم الإنسان... وكني عن الفرج بالسوْءَة وساق الآية.

وقال الرازي (٢١٨/١٤) السوأة فرج الرجل والمرأة وذلك لأن ظهروه يسوء الإنسان.

ونقل عن ابن عباس قوله: كأنهما قد أُلبسا ثوباً يستر عورتهما فلما عصيا زال عنهما ذلك الثوب اهـ.

١-انظر "المفردات" م / بدا.
٢-انظر "جامع الدروس العربية" ٢ / ١٢٣.
٣-انظر "المفردات" م / ورى.
٤-انظر "المفردات" م /سوء.



١٨٩- **الشَّجَرَةِ**: **قال العلامة ابن كثير (٢٣٣/١)**
قال الإمام ابن جرير: والصواب في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فأكلا منها، ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك من القرآن ولا من السنة الصحيحة.

وقد قيل كانت شجرة البُر وقيل... وقيل... وجائز أن تكون واحدة منهما -أوغيركل ما ذكر- وذلك علم إذا علم لا ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضرّه جهله به اهـ.

أقول: بل إن العلم به مضر والجهل به نافع، ولا تتعجب من هذا فإن الله لو كشف لنا عن نوع تلك الشجرة فلربما تشائم الناس منها وقالوا: إنها شجرة الخطيئة فلا نأكل منها فيحرّموا ما أحل الله، ومثل ذلك ما طواه القرآن عنا من بيان الجزء من البقرة الذي ضرب به الميت فأحياه الله لئلا يقدس الناس ذاك الجزء.

١٩٠- **مَلَكَيْنِ**: بفتح اللام، مثنى مَلَكْ.

قال ابن جرير (٣٥١/١٢) والقراءة التي لا استجيز القراءة في ذلك بغيرها القراءة التي عليها قَرَأَة الأمصار وهي فتح اللام من مَلَكَين بمعنى: ملكين من الملائكة لما قد تقدم من بياننا في أن كل ما كان مستفيضاً في قَرَأَة الإسلام من القراءة فهو الصواب الذي لا يجوز خلافه اهـ.

١٩١- **الْخَالِدِينَ**: تقدم أن الخلود هي تبرّي الشيء من اعتراض الفساد عليه وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وكل ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود[1]...

٢ً-الإعراب:

فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ: فعل ماض وفاعله والجار والمجرور متعلقان بالفعل (وسوس).

لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا: **اللام** للتعليل ويجوز أن تكون للعاقبة وعلى كل حال فالمضارع منصوب بأن المضمرة بعد اللام.

والمصدر المؤول مجرور باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل **(وسوس)** و**(ما)** اسم موصول في محل نصب مفعول به، وجملة **(ووري)** صلته، **(وعنهما)** و**(من سوءاتهما)** جار ومجرور متعلقان بالفعل (ووري) وهو مبني للمجهول ونائب الفاعل محذوف.

مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ: **(ما)** نافية ، **(نهاكما ربكما)**: فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر، **(عن هذه)**: جار ومجرور و**الشجرة**: بدل من اسم الإشارة.

١-انظر "المفردات" م / خلد.

إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ: **إلا:**أداة حصر، **أن تكونا ملكين:** ناصب ومنصوب وهو فعل مضارع ناقص والألف اسمها وملكين: خبرها والمصدر المؤول في محل جر بالإضافة على تقدير: إلا كراهة كونهما.

أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ: معطوف على ما قبله مثله.

٢-المناسبة:

جاءت هذه الآية ضمن سياق قصة آدم مع الملائكة ومع إبليس، وهي ترجمة للتهديد الذي أطلقه إبليس في الآيات (١٦ – ١٧)

" قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ "

التفسير وجل الإشكالات:

١-التفسير:

قال العلامة ابن كثير (٣٧٧/٢) يَـذْكُـرُ تَعَالَى أَنَّهُ أَبَاحَ لِآدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِزَوْجَتِهِ [حَوَّاءَ] الْجَنَّةَ أَنْ يَأْكُلَا مِنْهَا مِنْ جَمِيعِ ثِمَارِهَا إِلَّا شَجَرَةً وَاحِدَةً....

فَعِنْدَ ذَلِكَ حَسَدَهُمَا الشَّيْطَانُ، وَسَعَى فِي الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ وَالْوَسْوَسَةِ لِيُسلبا مَا هُمَا فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَاللِّبَاسِ الْحَسَنِ.

وَقَالَ كَذِبًا وَافْتِرَاءً: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ إِلَّا لِتَكُونَا مَلَكَيْنِ أَيْ: لِئَلَّا تَكُونَا مَلَكَيْنِ، أَوْ خَالِدَيْنِ هَـاهُـنَا وَلَـوْ أَنَّكُمَا أَكَلْتُمَا مِنْهَا لَحَصَلَ لَكُمَا ذَلِكُمَا. .. وحَلَفَ لَهُمَا بِاللَّهِ ...حَتَّى خَدَعَهُمَـا...

فَقَالَ: إِنِّي خُلقت قَبْلَكُمَا، وَأَنَا أَعْلَمُ مِنْكُمَا، فَاتَّبِعَانِي أُرْشِدُكُمَا.

وقال صاحب الظلال (٣/١٢٦٨) ووسوسة الشيطان لا ندري نحن كيف تتم لأننا لا ندري كنه الشيطان حتى ندرك كيفيات أفعاله، وكذا اتصاله بالإنسان وكيفية إغوائه.

ولكننا نعلم - بالخبر الصادق وهو وحده المصدر المعتمد عندنا عن هذا الغيب - أن إغواء على الشر يقع في صورة من الصور وإيحاء بارتكاب المحظور يتم في هيئة من الهيئات.

وأن هذا الإيحاء وذلك الإغواء يعتمدان على نقط الضعف الفطرية في الإنسان.

وهكذا وسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما.. فهذا كان هدفه.. لقد كانت لهما سوآت، ولكنها كانت مواراة عنهما لا يريانها-

وسنعلم من السياق أنها سوآت حسية جسدية تحتاج إلى تغطية مادية، فكأنها عوراتهما- ولكنه لم يكشف لهما هدفه بطبيعة الحال! إنما جاءهما من ناحية رغائبهما العميقة .

" وَقَالَ: ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ " بذلك داعب رغائب «الإنسان» الكامنة...

وعلى قراءة «ملكين» بفتح اللام يكون الإغراء بالخلاص من قيود الجسد كالملائكة مع الخلود...

٢-حل الإشكالات:

لطالما أثارت هذه الآية الكثير من الإشكالات وقلَّ من أثارها أو تصدى لها من المفسرين:

١-ما معنى "أن تكونا ملكين"؟

٢-كيف يرغب آدم أن يصير كالملائكة وقد سجدت له، وأوتي من العلم مالم تؤت؟

٣-أولا يدل هذا على أفضلية الملائكة على آدم؟

وللإجابة عن السؤال الأول نسوق ما قاله الرازي (٢١٨/١٤):

وَمَعْنَى الْكَلَامِ أَنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لَهُمَا فِي الْوَسْوَسَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ ملكين وأراد بِهِ أَنْ تَكُونَا بِمَنْزِلَةِ الْمَلَائِكَةِ إِنْ أَكَلْتُمَا مِنْهَا أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ إِنْ أَكَلْتُمَا...

وللإجابة عن السؤال الثاني نقول: لا شك أن الملائكة سجدت لآدم وعلم هو ما لم تعلم هي ولكنها رأى ماعليه الملائكة من الطاعة الدائمة وما أوتيت من القدرات الهائلة فرغب أن يكون مثلها في ذلك مع عدم انسلاخه من البشرية **وأجاب الرازي بجوابين ليسا بقويين (٢١٨/١٤)**

وللإجابة عن السؤال الثالث نقول: إن الخصوصية لا تقتضي الأفضلية فهو يريد أن يشابه الملائكة في الطاعة والمقدرة ولا يعني هذا بالضرورة أنها أفضل منه، فالتفضيل إجمالي في الغالب وأن كان في المفضول ما لا يوجد عند الفاضل.

الاستنباط:

١-إثبات وجود هذا العالم وأمره واضح.

٢-ما تتمتع به الملائكة من مكانة عالية في ذاتها وصفاتها حتى رغب آدم أن يكون على مثالها.

٣-أن إبليس –قطعاً- ليس من الملائكة وإلا لما طمع آدم أن يكون مثلهم وقد علم كفر إبليس عندما تأبّى عن السجود له.

التوحد والتكرار:

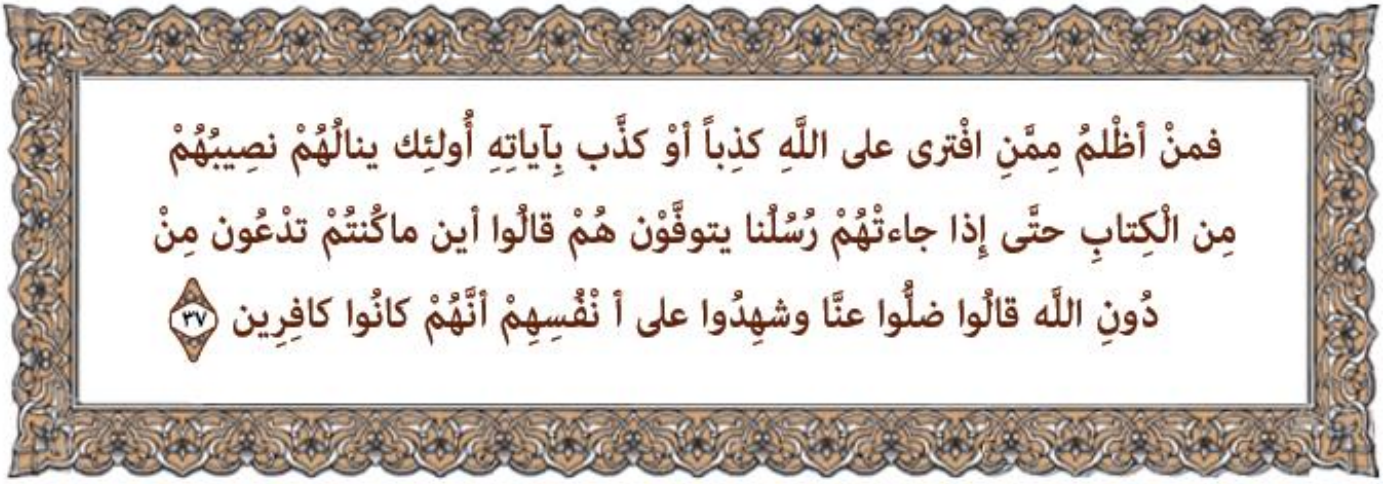
هذا المشهد من المشاهد التي لم تتكرر وقريب منه ما جاء في الآية (١٢٠) من سورة طه.

" قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ "

ولكن لا ذكر للملائكة في (طه) والله أعلم.

٣٤-الملائكة تقبض أرواح الظالمين الذين افتروا على الله كذباً، والذين كذبوا بآياته

وهذا المشهد المرعب رصدته لنا الآية ذات الرقم (٣٧) من سورة (الأعراف) ونصّها يقول:


فمنْ أظْلمُ مِمَّنِ افْترى على اللَّهِ كذِباً أوْ كذَّب بِآياتِهِ أُولئِك ينالُهُمْ نصِيبُهُمْ
مِن الْكِتابِ حتَّى إذا جاءتْهُمْ رُسُلُنا يتوفَّوْن هُمْ قالُوا أين ماكُنتُمْ تدْعُون مِنْ
دُونِ اللَّه قالُوا ضلُّوا عنَّا وشهِدُوا على أ نْفُسِهِمْ أنَّهُمْ كانُوا كافِرِين ٣٧

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ ً- المفردات:

١٩٢- **مَنْ**: اسم استفهام لكنه خرج إلى معنى النفي.

قال ابن كثير (٣٨٩/٢) أي: لا أحد أظلم...

١٩٣-**أَظْلَمُ**: سبق وقلنا: إن الظلم -**عند أهل اللغة**- هو وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقص، وإما بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه، وما نحن فيه من باب الزيادة لأنه المناسب لمعنى الافتراء.

١٩٤-**افْتَرَى**: سبق وقلنا: أن الافتراء هو الاختلاق، فمعنى افترى كذباً: اختلقه من عند نفسه.

١٩٥-**كَذِبًا**: **قال صاحب المقاييس**[1]: كَذَبَ –أصل صحيح – يدل على خلاف الصدق.

هذا وقد سبق لصاحب المقاييس[2] أنه قال في باب **(صَدَقَ)**: إنه أصل يدل على قوة في الشيء قولاً وغيره، من ذلك الصدق خلاف الكذب سمي بذلك لقوته في نفسه، ولأن الكذب لا قوة له وهو باطل.

١٩٦-**بِآيَاتِهِ**: **قال صاحب المفردات**[3]: الآية: هي العلامة الظاهرة...

والصحيح أنها مشتقة من التأيي الذي هو التثبت والإقامة على الشيء، وقيل لكل جملة من القرآن دالة على حكم آية، سورة كانت أو فصولاً أو فصلاً من سورة .

أقول: فالآيات تشمل القرآن وسائر المعجزات والأشياء الدالة على وجود الله تعالى.

١٩٧- **نَصِيبُهُمْ**: **قال صاحب المفردات**[4]**:** النصيب الحظ المنصوب أي: المعيّن.

وقال صاحب المقاييس[5]: والنصيب الحظ في الشيء يقال:

١-انظر "المقاييس" م / كذب.
٢-انظر "المقاييس" م / صدق.
٣-انظر "المفردات" م / أيي.
٤-انظر "المفردات" م / نصب.
٥-انظر "المقاييس م / نصب.

هذا نصيبي أي: حظي.

١٩٨- **الْكِتَابِ**: الكتاب هنا بمعنى المكتوب.

قال ابن جرير (٤١٤/١٢) وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك... أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أي: مما كتب لهم من خير وشر في الدنيا ورزق وعمل وأجل.

١٩٩- **رُسُلُنَا**: المراد هنا ملائكة قبض الأرواح.

٢٠٠- **يَتَوَفَّوْنَهُمْ**: أي يقبضون أرواحهم عند تمام آجالهم.

٢٠١- **تَدْعُونَ: قال ابن كثير (٣٨٩/٢)** أي: تعبدونهم من دون الله.

٢٠٢- **ضَلُّوا**: **قال صاحب المقاييس**: الضلال: ضياع الشيء وذهابه في غير حقه.

وقال ابن كثير: (٣٨٩/٢) أي: ذهبوا عنا فلا نرجو نفعهم ولا خيرهم.

٢٠٣- **شَهِدُوا**: **قال ابن كثير: (٣٨٩/٢)** أي: أقروا واعترفوا على أنفسهم.

٢ً-الإعراب:

فَمَنْ أَظْلَمُ: **الفاء** استئنافية، **ومن** استفهامية مبتدأ، خبرها (**أظلم**) وما بعدها متعلق بها.

مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا: **ممن:** مركبة من (**مِنْ**) الجارة و(**مَنْ**) الموصولية التي في محل جربها، وجملة (**افترى**) صلتها

و(**على الله**) جار ومجرور متعلقان بالفعل، و**كذباً:** مفعول به على معنى اختلق واختدع كذباً.

أُولَئِكَ: اسم إشارة مبتدأ، **والكاف**: للخطاب، وخبره جملة **(ينالهم)** و **(نصيبهم)** فاعله.

حَتَّى: ابتدائية.

إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا: **إذا**: ظرفية شرطية، وفعلها **(جاءتهم)** وهو مضاف إليه وجوابها **(قالوا)** وجملة **(يتوفونهم)** في محل نصب حال من الرسل أي: جاؤوهم قابضين أرواحهم.

أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ: **أين**: اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية، **(ما)** اسم موصول مبتدأ. و**(كنتم تدعون)**: صلته، وخبر **(ما)** متعلق بالظرف **(أين)**.

أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ: أنَّ:حرف توكيد ونصب، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها، وجملة **(كانوا كافرين)** في محل رفع خبرها، والمصدر المؤول منصوب على نزع الخافض **والمعنى**: شهدوا بكفرهم.

٣ً ـ البلاغة:

١-في قوله " **فَمَنْ أَظْلَمُ** " استفهام خرج إلى معنى النفي **قال ابن كثير (٣٨٩/٢)** أي: لا أحد أظلم...

٢-في قوله " **أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** " استفهام خرج إلى معنى الزجر والتقريع.

٢-المناسبة:

قال الإمام الرازي (١٢٣٦/١٤) اعلم أن قوله فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته، يرجع إلى قوله " **وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**" [٣٦].

التفسير وحل المشكلات:

التفسير:

قال العلامة الرازي (٢٣٦/١٤) فَمَنْ أَعْظَمُ ظُلْمًا مِمَّنْ يَقُولُ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ يَقُلْهُ أَوْ كَذَّبَ مَا قَالَهُ.

الْأَوَّلُ: هُوَ الْحُكْمُ بِوُجُودِ مَا لَمْ يُوجَدْ ويدخل فِيهِ قَوْلُ مَنْ أَثْبَتَ الشَّرِيكَ لِلَّهِ.

وَالثَّانِي: هُوَ الْحُكْمُ بِإِنْكَارِ مَا وُجِدَ وَيَدْخُلُ فِيهِ قَوْلُ مَنْ أَنْكَرَ كَوْنَ الْقُرْآنِ كِتَابًا نَازِلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَوْلُ مَنْ أَنْكَرَ نبوة محمد صلّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ.

ونتابع مع العلامة ابن جرير (٤١٤/١٢) وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قولُ من قال: معنى ذلك: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب، مما كتب لهم من خير وشر في الدنيا، ورزق وعمل وأجل. وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله: " **حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله** " فأبان بإتباعه ذلك قولَه: " **أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب** " ، أن الذي ينالهم من ذلك إنما هو ما كان مقضيًّا عليهم في الدنيا أن ينالهم، لأنه قد أخبر أن ذلك ينالهم إلى وقت مجيئهم رسلَه لتقبض أرواحهم.

ولو كان ذلك نصيبهم من الكتاب، أو مما قد أعدّ لهم في الآخرة، لم يكن محدودًا بأنه ينالهم إلى مجيء رسل الله لوفاتهم، لأن رسل الله لا تجيئهم للوفاة في الآخرة، وأن عذابهم في الآخرة لا آخر له ولا انقضاء، فإن الله قد قضى عليهم بالخلود فيه.

ونترك مشهد القبض لصاحب الظلال يقول رحمه الله (١٢٨٩/٣) ها نحن أولاء أمام مشهد هؤلاء الذين افتروا على الله كذباً أو كذبوا بآياته وقد جاءتهم رسل ربهم من الملائكة يتوفونهم، ويقبضون أرواحهم. فدار بين هؤلاء وهؤلاء حوار.

" **قالُوا: أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟** " ..

أين دعاويكم التي افتريتم على الله؟

وأين آلهتكم التي توليتم في الدنيا، وفتنتم بها عما جاءكم من الله على لسان الرسل؟

أين هي الآن في اللحظة الحاسمة التي تسلب منكم فيها الحياة فلا تجدون لكم عاصماً من الموت يؤخركم ساعة عن الميقات الذي أجله الله؟

" **قالُوا: ضَلُّوا عَنَّا** "! غابوا عنا وتاهوا! فلا نحن نعرف لهم مقراً، ولا هم يسلكون إلينا طريقاً! ..

فما أضيع عباداً لا تهتدي إليهم آلهتهم، ولا تسعفهم في مثل هذه اللحظة الحاسمة!

وما أخيب آلهة لا تهتدي إلى عبادها. في مثل هذا الأوان!

" **وَشَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ** " ..



الاستنباط:

١-إثبات وجود هذا العالم كيف لا وقد أسند إليهم قبض الأرواح.

٢-أن من وظائف الملائكة قبض الأرواح.

٣-أن الملائكة مخلوقات عاقلة بدليل الحوار الذي دار بينها وبين الذين توفت أرواحهم.

٤-أن الله وصفهم هنا بالرسل وهم كذلك.

التوحد والتكرار:

لقد سبق هذا المشهد في موطنين:

١-الآية (٩٧ – ٩٩) من سورة (النساء) (م / ٢٠)

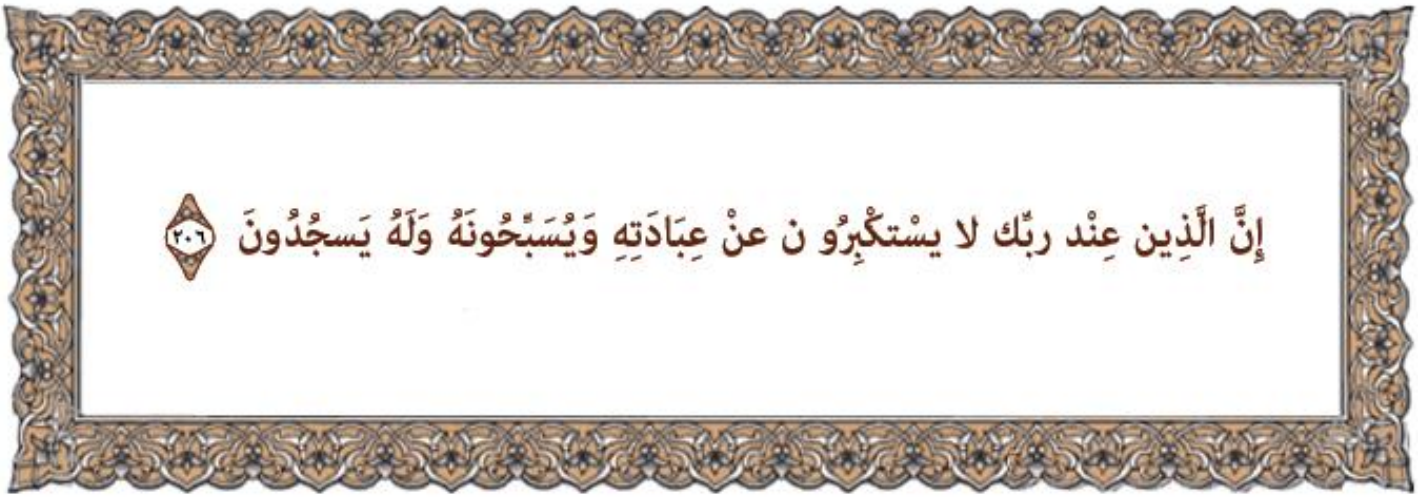
٢-الآية (٩٣) من سورة (الأنعام) (م / ٢٩).

وسيتكرر في مواطن أخرى: ١-الآية (٥٠ – ٥١) من سورة (الأنفال).

٢-الآية (٢٥ – ٢٨) من سورة (محمد).

٣٥-الملائكة لا يستكبرون عن عبادة ربهم ويسبحونه وله يسجدون

بهذا مدح الله ملائكته وختم سورة الأعراف في الآية (٢٠٦) ونصها يقول:


إِنَّ الَّذِين عِنْد ربّك لا يسْتكْبِرُو ن عنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسجُدُونَ ٢٠٦

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً-المفردات:

٢٠٤-**عِنْدَ رَبِّكَ: قال ابن جرير (٣٥٧/١٣)** أي من ملائكته.

قال الرازي (٤٤٥/١٥) ولا خلاف أن هذه العنديَّة ليست لأجل المكان والجهة **والمراد:** القرب بالشرف

٢٠٥-**لَا يَسْتَكْبِرُونَ:** تقدم أن المعنى لا يأنفون ولا يمتنعون.

٢٠٦-**وَيُسَبِّحُونَهُ:** التسبيح كما تقدم عبارة عن تنزيه الله عن كل سوء.

٢٠٧-**وَلَهُ يَسْجُدُونَ: قال ابن جرير (٣٥٧/١٥)** أي: ولله يصلون.

٢ ً-الإعراب:

إِنَّ: حرف مشبه بالفعل.

الَّذِينَ: اسم موصول في محل نصب اسمها.

(عِنْدَ رَبِّكَ):ظرف متعلق بالصلة المحذوفة وأما خبرها فجملة **(لَا يَسْتَكْبِرُونَ)** وما بعدها **(يُسَبِّحُونَهُ) (ولَهُ يَسْجُدُونَ):** عطف عليها.

٣ ً-البلاغة:

١-في قوله تعالى " **ولَهُ يَسْجُدُونَ** " فيه من البلاغة **الحصر** (القصر) وطريقه هنا تقديم ما حقه التأخير.

قال الرازي (١٥/٤٤٦) قوله: " **ولَهُ يَسْجُدُونَ** " يفيد الحصر، ومعناه: أنهم لا يسجدون لغير الله.

٢-المناسبة:

قال العلامة الرازي(١٥/٢٤٥) لَمَّا رَغَّبَ اللَّه رَسُولَهُ فِي الذِّكْرِ وَفِي الْمُوَاظَبَةِ عَلَيْهِ ذَكَرَ عَقِيبَهُ مَا يُقَوِّي دَوَاعِيَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ:" **إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ** "

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مَعَ نِهَايَةِ شَرَفِهِمْ وَغَايَةِ طَهَارَتِهِمْ وَعِصْمَتِهِمْ... لَمَّا كَانُوا مُوَاظِبِينَ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ وَالسُّجُودِ وَالْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ، فَالْإِنْسَانُ مَعَ كَوْنِهِ مُبْتَلًى بِظُلُمَاتِ عَالَمِ الْجُسْمَانِيَّاتِ وَمُسْتَعِدًّا لِلَّذَّاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْبَوَاعِثِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَوْلَى بِالْمُوَاظَبَةِ عَلَى الطَّاعَةِ.

وقال ابن جرير(٣٥٧/١٣) يقول تعالى: لا تستكبر أيها المستمع المنصت للقرآن عن عبادة ربك واذكره إذا قُرِء القرآن تضرعاً وخيفةً، ودون الجهر بالقول فإن الذين عند ربك من ملائكته لا يستكبرون عن التواضع والتخشع وذلك هو العبادة.

التفسير وحل المشكلات:

١-التفسير:

يقول العلامة ابن كثير (٥١٥/٢) وَلِهَذَا مَدَحَ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ...

وَإِنَّمَا ذَكَّرَهُمْ بِهَذَا لِيُتَشَبَّهَ بِهِمْ فِي كَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ؛ وَلِهَذَا شُرِعَ لَنَا السُّجُودَ هَاهُنَا لَمَّا ذُكِرَ سُجُودُهُمْ لِلَّهِ.

ويقول صاحب الظلال (١٣٢٨/٣) يضرب الله مثلاً بالذين عنده من الملائكة المقربين: الذين لا ينزغ في أنفسهم شيطان، فليس له في تركيب طبيعتهم مكان!

ولا تستبد بهم نزوة، ولا تغلبهم شهوة.

ومع هذا فهم دائبون على تسبيح الله وذكره، لا يستكبرون عن عبادته ولا يقصرون



ولَلإنسانُ أحوجُ منهم إلى الذكر والعبادة والتسبيح.

وطريقه شاق!

وطبيعته قابلة لنزغ الشيطان...

وجهده محدود. لولا هذا الزاد في الطريق.

٢-حل الإشكالات:

قد تثير هذه الآية في ذهن القارئ اللقن الفطن عدّة استفسارات منها:

١-لماذا عبر القرآن عن الملائكة ب " **الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ** " في حين صرح باسمهم في مواطن مماثلة مثل: " **وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** "

" **وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**، ...

٢-ألا يوهم هذا التركيب المكان والجهة؟

٣-كيف نوفق بين ما هنا وما جاء معنا من سجود الملائكة لآدم عليه السلام؟

وللإجابة عن السؤال الأول نقول: ثمة عدة أسباب اقتضت ذلك التعبير الفريد:

١-**ما ذكره الرازي (١٥/٤٤٦)** إِنَّمَا قَالَ تَعَالَى فِي صِفَةِ الْمَلَائِكَةِ:

" **الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ** " لِأَنَّهُمْ رُسُلُ اللَّهِ إِلَى الْخَلْقِ كَمَا يُقَالُ: إِنَّ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ جَيْشًا عَظِيمًا، وَإِنْ كانوا متفرقين في البلد.

٢-أن المقام هنا مقام اقتداء **وإلى هذا أشار ابن كثير (٢/٥١٥)** وإنما ذكرهم بهذا ليتشبه بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم.

٣-للدلالة على أن الله إنما يقرب منه - قرب مكانة لا مكان – من كانت تلك صفته والله أعلم.

وللإجابة عن السؤال الثاني نقول: إن كل نصٍ يوهم المشابهة بين الخالق وخلقه في الذات أو الصفات فهو متروك الظاهر لزوماً فالمراد بالعندية هنا عندية الشرف لا عندية الجهة.

قال الرازي (١٥/٤٤٦) هَذَا تَشْرِيفٌ لِلْمَلَائِكَةِ بِإِضَافَتِهِمْ إِلَى اللَّه مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ أَسْكَنَهُمْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَرَّمَهُ وَشَرَّفَهُ وَجَعَلَهُ مَنْزِلَ الْأَنْوَارِ وَمَصْعَدَ الْأَرْوَاحِ وَالطَّاعَاتِ وَالْكَرَامَاتِ.

وللإجابة عن السؤال الثالث نقول: إن السجود هنا سجود العبادة بدليل سياق الآية حيث ذكر أنهم لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وأما ما حدث لآدم فقد أسلفنا أنه على جهة التحية والتكريم امتثالاً لأمر الله ولينكشف أمر إبليس اللعين.

وقد ذكر الرازي إجابات لا تخلوا عن ضعف وتكلف وأضعفها أنه جعل الملائكة الذين سجدوا لآدم هم ملائكة الأرض لا عظماء ملائكة السماء ولو صحَّ هذا فما معنى قوله تعالى " **كلهم أجمعون**"

الاستنباط:

١-إثبات وجود هذا العالم والأمر، واضح جلي.

٢-ذكر ما عليه الملائكة من التسبيح والصلاة مع عدم التكبر والترفع رغم القَدْرِ والقُدر.

٣-أن علينا الاقتداء بالملائكة والتشبه **قال ابن كثير:** وإنما ذكرهم بهذا لنتشبه بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم.

٤-مكانة الملائكة عند الله حيث وصفهم بقوله: " **عِنْدَ رَبِّكَ** " وقلنا إنها مكانة لا مكان.

٥-عصمة الملائكة.

٦-إبليس ليس منهم لأنه قد وصف بأنه " **أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ** " والذين عند ربك لا يستكبرون عن

عبادته.

التوحد والتكرار:

لقد تكرر هذا المعنى كثيراً في القرآن الكريم:

١-في الآية (٥٧) من سورة (**الزمر**).

٢-في الآيات (١٦٥ – ١٦٦) من سورة (**الصافات**).

٣-في الآيات (٧ – ٩) من سورة (**غافر**).

٤-في الآيات (٣٧ – ٣٨) من سورة (**فصلت**).

٥-في الآية (٥) من سورة (**الشورى**).

الآيات الواردة في

-٧-
سورة الأنفال



مما له صلة بعالم الملائكة

٣٦-الـمـلائـكـة يـوم بـدر

مردِفين، مثبتين، مشاركين في القتال

وقد دل على ذلك ما ذكر في الآيات (٩ – ١٢) من سورة الأنفال، تقول الآية:

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ ربكُمْ فاسْتجاب لكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِن الْملائِكةِ مُرْدِفين ﴿٩﴾ وما جعلهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرى
ولِتطْمئِنَّ بِهِ قلُوبُكُمْ وما النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّه إِنَّ اللَّه عزِيزٌ حكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغشّيكُمُ النُّعاس أمنة مِنْهُ
ويُنزِّلُ عليْكُمْ مِن السَّماءِ ماءً لِيُطهِّركُمْ بِهِ ويُذْهِب عنْكُمْ رِجْز الشَّيْطانِ ولِيرْبِط على قُلُوبِكُمْ ويُثبِّت بِهِ
الْأقْدا م ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي ربُّك إِلى الْملائِكةِ أَنِّي معكُمْ فثبِّتُوا الَّذِين آمنُوا سأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِين كفرُوا
الرُّعْبَ فَاضرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقَ واضرِبُوا مِنْهُم كُلَّ بَنَان ﴿١٢﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً-المفردات:

٢٠٩-**إِذْ:** سبق مراراً أن (**إذ**) الواقعة في مطلع الآيات مفعول به، **والمعنى:**

اذكروا إذ تستغيثون.



٢١٠-**تَسْتَغِيثُونَ: قال الرازي (١٥/٢٥٩)** أي: تطلبون الإغاثة، يقول الواقع في بلية : أغثني أي: فرّج عني.

٢١١-**فَاسْتَجَابَ لَكُمْ:** أي: أغاثكم.

٢١٢-**مُمِدُّكُمْ:** أي: معينكم ومغيثكم ومفرج عنكم بما أرسله إليكم من الملائكة.

٢١٣-**مُرْدِفِينَ:** فيها قراءتان[1]:

١-**بكسر الدال:** على أنها **اسم فاعل** و**المعنى**: متتابعين يأتي بعضهم في إثر بعض.

٢-**بفتح الدال:** على أنها **اسم مفعول** و**المعنى**: فُعل بهم ذلك.

أفاده الرازي(٤٦٠/١٥)

وقال ابن جرير (٤١٤/١٣) معناه إذا قرئ بالكسر: أن الملائكة جاءت يتبع بعضها بعضاً...

ومعناه بالفتح: أنهم مفعول بهم كأن معناه: بألف من الملائكة يُرْدِفُ الله بعضهم بعضاً. اهـ

والمعنى من خلال القراءتين أنهم ألف يتبع بعضهم بعضاً بأمر من الله.

٢١٤-**بُشْرَىٰ: قال صاحب المفردات**[2]: أبشرْتُ الرجل وبشَّرته... أخبرته بخبر سار بسط بشرة وجهه.

٢١٥-**لِتَطْمَئِنَّ:** تقدم أن الطمأنينة تعني السكون (الراحة النفسية) بعد الانزعاج (القلق).

٢١٦-**يُغَشِّيكُمُ: قال صاحب المفردات**[3]**:** الغشاوة ما يغطي به الشيء وساق الآية فالمعنى إذ يغطيكم.

٢١٧-**النُّعَاسَ: قال صاحب المفردات**[4]**:** النعاس: النوم القليل وساق الآية...

١-قال في " غيث النفع بالقراءات السبع " (٢٦٣/١) مردفين: قرأ نافع بفتح الدال، والباقون بالكسر، وقنبل منهم، ومن جعله كنافع فقد وهم.

٢-انظر "المفردات " م / بشر.

٣-انظر "المفردات " م / غشي.

٤-انظر "المفردات " م / نعس.

وقيل: النعاس هنا عبارة عن السكون والهدوّ والقول الأول أصح، فقد جاء عن أبي طلحة أنه قال:



(كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد ولقد سقط السيف من يدي مرارا يسقط وآخذه ويسقط وآخذه ولقد نظرت إليهم – يعني الصحابة المقاتلين- يميدون وهم تحت الحجف)

وهذا وإن كان وارداً في أحد فالمعنى يتناول الكل.

٢١٨-**أَمَنَةً: قال ابن كثير (٥٣٢/٢)** أي: أماناً من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم.

٢١٩-**رِجْزَ: قال صاحب المفردات[1] بعد أن ساق هذه الآية " رِجْزَ الشَّيْطَانِ "** ما يدعو إليه من الكفر والبهتان والفساد.

أقول وهو قريب مما ذكره ابن كثير (٥٣٢/٢) حيث قال: من وسوسة أو خاطر سيء وهو تطهير الباطن.

٢٢٠-**لِيَرْبِطَ: قال صاحب المفردات[2]**: يقال فلان رابط الجأش: إذا قوي قلبه، وساق الآية.

وقال ابن كثير (٥٣٢/٢) أي بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء وهو شجاعة الباطن.

٢٢١-**يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ:** هو شجاعة الظاهر، **أفاده ابن كثير (٥٣٢/٢).**

١-انظر "المفردات " م / رجز.
٢-انظر "المفردات " م / ربط.

٢٢٢-**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ:** أي اضربوا الهام ففلّقوها، واحتزّوا الرقاب فقطعوها.



٢٢٣-**وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ:** أي: قطعوا الأطراف منهم وهي أيديهم وأرجلهم **أفادهما ابن كثير (٥٣٢/٢).**

٢ ً-الإعراب:

إِذْ: اسم مبني على السكون في محل نصب مفعول به لـ (**اذكروا**).

مُرْدِفِينَ: حال منصوبة من الملائكة.

بُشْرَىٰ: مفعول لأجله منصوب.

وَلِتَطْمَئِنَّ: ناصب ومنصوب، والناصب هنا أن المضمرة بعد لام التعليل، والمصدر المؤول مجرور باللام وهو معطوف على محل بشرى.

إِذْ: بدل من إذ السابقة، ويجوز اعتبارها مفعولاً به لفعل محذوف (اذكروا).

النُّعَاسَ: مفعول به ثان للفعل يغشي، ومفعوله الأول ما اتصل به من ضمير.

أَمَنَةً: مفعول لأجله منصوب أي: مثل ذلك من أجل أمانكم من الخوف.

لِيُطَهِّرَكُمْ: مثل لتطمئن وهو متعلق بينزل.

٣ً-البلاغة:

١-في قوله "**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ**" عبر بالمضارع وإن كان الأمر قد وقع وانقضى لاستحضار صورتها الغريبة في الذهن.

٢-في قوله "**فَاسْتَجَابَ**" عبر بالفاء ليفيد التعقيب والاتصال بين استغاثتهم به وغوثه لهم.

٣-في قوله "**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ**" فيه أسلوب الحصر باستخدام النافي مع إلا.

٤-في قوله " **وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ** " فيه أيضاً أسلوب حصر كسابقه.

٥-في قوله " **إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** " أكد الجملة الخبرية تأكيداً لعزته التي لا يفوتها ما تطلبه، ولحكمته التي تضع الأشياء مواضعها.

٦-في قوله " **يُغَشِّيكُمُ، يُنَزِّلُ، يُوحِي** " عدول عن الماضي إلى المضارع لاستحضار صورها.

٢-المناسبة:

جاءت هذه الآيات ضمن سياق قصة بدر التي تبدأ عند الآية (٥) من السورة، وهي تنفرد بالحديث عن مشاركة الملائكة للمسلمين في بدر، فالمناسبة واضحة وجلية ومنطقية جداً.

٣-سبب النزول:

لهذه الآيات سبب اقتضى نزولها كشف لنا عنه الإمام مسلم في صحيحه قال: **حدَّثَني عُمرُ بنُ الخَطَّابِ رضِيَ اللهُ عنه، قال: لَمّا كان يومُ بَدْرٍ، قال: نَظَرَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وسلّمَ إلى أصحابِهِ وهُمْ ثلاثُ مِئةٍ ونَيِّفٌ، ونَظَر إلى المُشركينَ فإذا هُمْ ألْفٌ وزيادةٌ،**

فاستقبلَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وسلَّم القِبلةَ، ثُمَّ مدَّ يديْهِ وعليه رِداؤُهُ وإزارُهُ، ثمَّ قال: اللَّهُمَّ أينَ ما وَعَدْتَني؟ اللَّهُمَّ أَنجِزْ لي ما وَعَدْتَني، اللَّهُمَّ إنّكَ إنْ تُهلِكْ هذهِ العِصابةَ مِن أهْلِ الإسلامِ، فلا تُعْبَدُ في الأرضِ أبدًا. قال: فما زالَ يَستَغِيثُ ربّهُ عزَّ وجلَّ ويَدْعُوهُ حتَّى سَقَط رِداؤُهُ، فأَتاهُ أبو بكرٍ رضِيَ اللهُ عنه، فأَخَذ رِداءَهُ فرَدَّاهُ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِن وَرائِهِ، ثمَّ قال: يا نَبِيَّ اللهِ، كَفاكَ مُناشَدَتُكَ ربّكَ؛ فإنَّهُ سيُنْجِزُ لكَ ما وَعَدَكَ. وأَنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: " إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ "

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

قصة بدر مشهورة معروفة وسنقتصر هنا على ما له صلة بموضوع كتابنا الملائكة:

الآية ٩-"إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ" أي اذكروا حين تطلبون من ربكم الغوث بالنصر على المشركين.

" فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ" أي: استجاب الله الدعاء بأني معينكم بألف من الملائكة.

" مُرْدِفِينَ" أي متتابعين يتبع بعضهم بعضاً. [1]

الآية ١٠-" وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ" أي: وما جعل إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بالنصر.

١-انظر "صفوة التفاسير" ٤٦٠/١

" **وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ**" أي ولتسكن بهذا الإمداد نفوسكم .

" **وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**" أي وما النصر في الحقيقة إلا من عند الله العلي الكبيرفثقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وعُدَتِكُم.

" **إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**" أي غالبٌ لا يُغلب، يفعل ما تقتضي به الحكمة[1].

الآية١٢-" **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ**" وهذا تذكير بنعمة أخرى أي: يوحي إلى الملائكة بأني معكم بالعون والنصر .

" **فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا**" أي: ثبتوا المؤمنين وقووا أنفسهم على أعدائهم .

" **سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**" أي: سأقذف في قلوب الكافرين الخوف والفزع حتى ينهزموا.

" **فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ**" المراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق.

" **وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**" أي: اضربوهم على أطراف الأصابع، و فائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال فأمكن أسره وقتله[1].

١-انظر "صفوة التفاسير" ٤٦٠/١

ويقول صاحب الظلال (١٤٨٣/٢) وتروى روايات كثيرة مفصلة عن الملائكة في يوم بدر: عددهم. وطريقة مشاركتهم في المعركة.

وما كانوا يقولونه للمؤمنين مثبتين، وما كانوا يقولونه للمشركين مخذلين وبحسبنا أن نعلم أن الله لم يترك العصبة المسلمة وحدها في ذلك اليوم، وهي قلة، والأعداء كثرة. وأن أمر هذه العصبة وأمر هذا الدين قد شارك فيه الملأ الأعلى مشاركة فعلية على النحو الذي يصفه الله- سبحانه- في كلماته.

وهذه بعض الروايات التي تؤكد مشاركة الملائكة وطبيعتها:


نظم اسماء اهل بدر للشيخ السيد علي البندنيجي
بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وانعم
نحمدك يا مصطفى هدانا ، صرّه بالحق مقتدانا
اعزم في بدر بالجنود ، بموكب الاصحاب كالاسود
اطلع شمس الدين من افاقه ، واظهر الاسلام من اشراقه
ارسله مبشرا ومنذرا ، كان له مؤيدا وناصرا
حتى غدت راياته منشوره ، وملة الشرك به مقهوره
صلى عليه الرب وعلى ، آله اقطاب دوائر العلا
بعد اقول ما حواه صدري ، بالنظم عن اسماء اهل بدر
انقلها مفصلا عن سيدي ، وعن اجازة من ارباب يد
ابدأ بأحمد فاروى عنهم ، ابي بن كعب كذاك منهم
واوس بن ثابت المقدام ، واوس بن حولي الهمام
اوس ابو صامت وارقم ، اعني به بجل ابي الارقم
واسد بن فضله المكرم ، وابن معاذ انس المحترم
واسعد والد يزيد ، كذاك سهل ابو زيد

١- روى البخاري في باب شهود الملائكة بدراً

عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ، قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ المَلاَئِكَةِ

٢-وروى البخاري أيضاً عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ : هَذَا جِبْرِيلُ ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ.

٣- روى مسلم عن ابن عبّاسٍ رضِي اللهُ عنه قال: بينما رجُلٌ مِن المُسلِمينَ يومَئذٍ يشتَدُّ في أثَرِ رجُلٍ مِن المُشركين أمامَه إذ سَمِعَ ضربةً بالسَّوطِ فوقه وصوتَ الفارسِ يقولُ: أقدِمْ حَيْزومُ فنظَر إلى المُشركِ أمامه خرَّ مُستلقيًا فإذا هو قد خُطِمَ أنفُه وشُقَّ وجهُه كضربةِ السَّوطِ، فاخضَرَّ ذلك أجمعُ فجاء الأنصاريُّ، فحدَّث رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال: صدَقْتَ، ذلك مِن مَدَدِ السَّماءِ الثَّالثةِ...

٤-روى ابن جرير(٤٢٣/١٢) بسنده إلى ابن عباس حديثاً ومما جاء فيه: وأمد الله نبيّه بألف من الملائكة فكان جبريل عليه السلام في خمسمئة من الملائكة مجنِّبة، وميكائيل في خمسمئة مجنِّبة.



٥-روى الإمام أحمد- بإسناد صحيح – عن علي حديثاً طويلاً عن موقعة بدر ومما فيه مما له صلة بكتابناهذا...

فقتلنا منهم سبعين، وأسرنا سبعين فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرا، فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرني لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجها على فرس أبلق ما أراه في القوم فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله فقال اسكت فقد أيدك الله بملك كريم.

٦- روى مَالِكٍ في الموطأ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا، هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَغْيَظُ، مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ ... إِلَّا مَا أُرِيَ يَوْمَ بَدْرٍ. قِيلَ وَمَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ يَزَعُ الْمَلَائِكَةَ



٧-روى البيهقي في الدلائل بسنده إلى أَبَي أُسَيْدٍ مَالِكَ بْنَ رَبِيعَةَ أنه قال: بَعْدَ أَنْ أُصِيبَ بَصَرُهُ لَوْ كُنْتُ مَعَكُمُ الْيَوْمَ بِبَدْرٍ ومعي بصري لَأَرَيْتُكُمُ الشِّعْبَ الَّذِي خَرَجَتْ مِنْهُ الْمَلائِكَةُ، لا أُمَارِي وَلا أَشُكُّ.

وأورد الإمام البيهقي عدة أحاديث في هذا المجال.

٢-حل الإشكالات:

لطالما أثارت هذه الآيات العديد من الاستفسارات ومن أبرزها:

١-كيفية التوفيق بين الأعداد الواردة هنا والأعداد الواردة في آل عمران؟

٢-ما هي الحكمة من إمداد المسلمين بالملائكة؟

٣-لماذا لم تقم الملائكة لوحدها بهذه المهمة؟

٤-لماذا كلُّ هذه الأعداد؟ مع أن واحداً منهم مثل جبريل قادر على إبادة كفار الأرض كلهم؟

وللإجابة عن السؤال الأول نقول: لقد أسلفنا أن سورة (آل عمران) تتحدث عن معركة أحد وحققنا أن الملائكة لم تشارك فيها أصلاً.

وأما (الأنفال) فتتحدث عن معركة بدر وقد شاركت فيها الملائكة فلا تعارض إذن.

وللإجابة عن السؤال الثاني نقول: لقد كفانا القرآن مؤونة الجواب ورتل معي قول الحق " **وَمَا وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَاالنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**"

يقول ابن جرير (٤١٧/١٣) لم يجعل الله إرداف الملائكة بعضها بعضاً وتتابعها بالمصير إليكم أيها المؤمنون مدداً لكم " **إِلَّا بُشْرَىٰ** " لكم، تبشركم بنصر الله إياكم على أعدائكم " **وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ** " أي لتسكن بمجيئها إليكم وتوقن بنصر الله لكم...

وللإجابة عن السؤال الثالث نقول: قال عبد الكريم زيدان في كتابه المستفاد (١٣١/٢ – ١٣٢) لقد مضت سنة الله بتدافع الحق وأهله، مع الباطل وأهله وأن الغلبة تكون وفقاً لسنن الله في الغلبة والانتصار، وأن هذا التدافع يقع في الأصل بين أهل الجانبين: الحقِ والباطلِ، ومن ثمرات التمسك بالحق والقيام بمتطلباته أن يحصلوا على عون وتأييد من الله بأشكالٍ، وأنواع متعددة من التأييد والعون، ولكن تبقى المدافعة والتدافع يجريان وفقاً لسنن الله فيهما، وفي نتيجة هذا التدافع فالجهة الأقوى بكل معاني القوة اللازمة للغلبة هي التي تغلب، فالإمداد بالملائكة هو بعض ثمرات إيمان تلك العصبة المجاهدة، ذلك الإمداد الذي تحقق به ما يستلزم الغلبة على العدو ولكن بقيت الغلبة موقوفة على ما قدّمه أولئك المؤمنون في قتال ومباشرةٍ لأعمال القتال، وتعرّضهم للقتل،

وصمودهم وثباتهم في الحرب، واستدامة توكلهم على الله، واعتمادهم عليه، وثقتهم به وهذه معانٍ جعلها الله حسب سننه في الحياة أسباباً للغلبة والنصر مع الأسباب الأخرى المادية، مثل العدة والعدد والاستعداد للحرب وتعلم فنونها...إلخ

ولهذا فإن الإسلام يدعو المسلمين إلى أن يباشروا بأنفسهم إزهاق الباطل وقتال المبطلين وأن يهيئوا الأسباب المادية والإيمانية للغلبة والانتصار وبأيديهم ينال المبطلون ما يستحقونه من العقاب قال تعالى " **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**"

وللإجابة عن السؤال الرابع نقول: إن هذا العدد جاء متفقاً تماماً مع عدد جيش الأعداء، كما أنه في أُحُد جاء موافقاً لجيش الأعداء وقابلاً للزيادة، ولا شك أن كثرة العدد الذي يجيء به المدد يورث من البشارة والطمأنينة ما لا تبعثه الأعداد القليلة والله أعلم.

الاستنباط:

١-إثبات وجود هذا العالم وجوداً لا تقبل آياته تأويلاً ولا تعطيلاً، وهل يمكن أن يمد الله المؤمنين بأشياء لا وجود لها؟ ثم تشارك وتقاتل وتقتل وتأسر؟!

٢-أن من وظائف الملائكة الدفاع عن أهل الإيمان والمشاركة معهم في معاركهم ضد الباطل.

٣-مشاركة الملائكة بقيادة جبريل وميكائيل في بدر فثبتت القلوب وقاتلت وقتلت وأسرت.

٤-تفاضل الملائكة حيث فُضِلَ الملائكة المشاركون ببدر على غيرهم من سائر الملائكة.

٥-أفضلية جبريل وميكائيل وبيان ذلك أن أفضل الملائكة من شاركوا في بدر وجبريل كان قائدهم العام فهو أفضل المفضَّلين!.

التوحد والتكرار:

إذا نظرنا لخصوص بدر فهذا المشهد لم يتكرر، وإذا نظرنا لعموم المشاركة في القتال فقد تكرر هذا المعنى كثيراً في أحد والأحزاب (الخندق) وحُنين.



٣٧-الملائكة تقبض أرواح الكافرين

وهذا المشهد رسمته لنا الآيات من (٥٠ – ٥١) من سورة الأنفال ونصّها يقول:



وبما أن هذا المشهد قد تكرر قبل هذا الموطن، وسيأتي أيضاً فنكتفي بمناسبته وتفسيره.

٢-المناسبة:

يقول العلامة الرازي (٤٩٢/١٥) اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا شَرَحَ أَحْوَالَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ شَرَحَ أَحْوَالَ مَوْتِهِمْ، وَالْعَذَابَ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ١هـ.

ويقول العلامة ابن كثير(٥٨١/٢) وَهَذَا السِّيَاقُ -وَإِنْ كَانَ سَبَبُهُ وَقْعَةَ بَدْرٍ - وَلَكِنَّهُ عَامٌّ فِي حَقِّ كُلِّ كَافِرٍ؛ وَلِهَذَا لَمْ يُخَصِّصْهُ تَعَالَى بِأَهْلِ بَدْرٍ

"وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ"

التفسير:

يقول العلامة ابن جرير (١٥/١٣) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولو تعاين، يا محمد، حين يتوفى الملائكةُ أرواحَ الكفار، فتنزعها من أجسادهم، تضرب الوجوه منهم والأستاه، ويقولون لهم: ذوقوا عذاب النار التي تحرقكم يوم ورودكم جهنم اهـ.

ويقول العلامة الزمخشري (٢٢٩/٢) وأدبارهم: استاههم ولكن الله كريم يكنى، وإنما خصوها بالضرب. لأنّ الخزي والنكال في ضربها أشدّ، وبلغني عن أهل الصين أن عقوبة الزاني عندهم أن يصبر (يربط) ، ثم يعطى الرجل القوى البطش شيئاً عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض، فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوّته فيجمد في مكانه....

ثم قال: وجواب لو محذوف: أي لو رأيت... لرأيت أمراً فظيعاً منكراً.

ويقول صاحب الظلال (١٥١٣/٣) فالتعبير القرآني يرسم صورة منكرة للذين كفروا، والملائكة تستل منهم أرواحهم في مشهد مهين يضيف المهانة والخزي إلى العذاب والموت.

"**وَلَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ** "

ثم يتحول السياق من صيغة الخبر إلى صيغة الخطاب.

" **وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ** ". ليرد المشهد حاضراً كأنه اللحظة مشهود وكأنما جهنم بنارها وحريقها في المشهد وهم يدفعون إليها دفعاً مع التأنيب والتهديد.

" **ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ** " ..وأنتم إنما تلاقون جزاء عادلاً، تستحقونه بما قدمت أيديكم:" **وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** " ..

الآيات الواردة في

-٨-
سورة التوبة



مما له صلة بعالم الملائكة

٣٨-الملائكة يوم حنين

" وأنزل جنوداً لم تروها "

وقد سجلت لنا هذا المشهد الآيات (٢٥ ــ ٢٦) من سورة (التوبة / براءة) ونصها يقول:



إن أحداث غزوة حنين معروفة، وسنقتصر منها هنا على ما له صلة ببحثنا تجنباً للإطالة ونقف عند قول الحق:

" وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا"

وهذا وقد فصّلتِ السنة النبوية طبيعة تلك المشاركة، وإليك تلك الروايات التي تفصّل ما أجملته تلك الآيات:

يقول العلامة ابن كثير (٦٣٠/٢) " وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا" وهم الملائكة ثم قال:

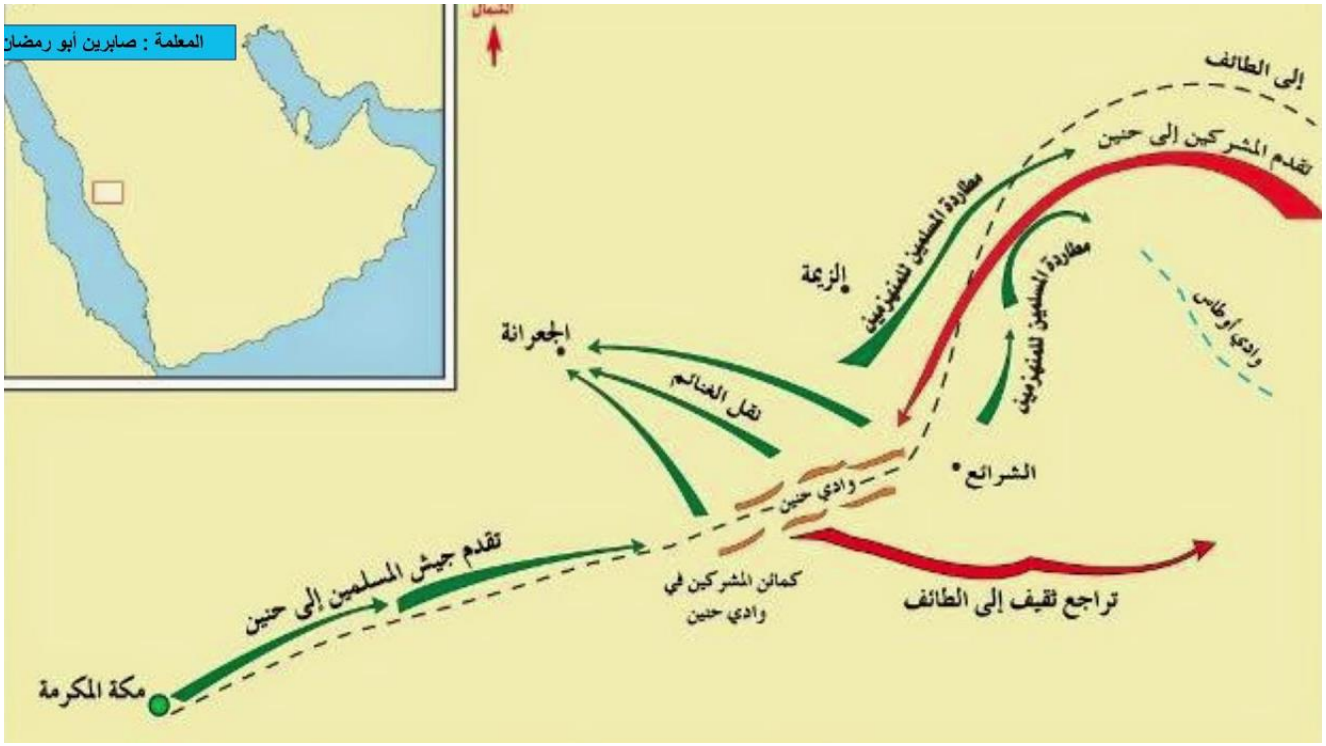
١-روى ابن جرير بسنده إلى عبد الرحمن مولى ابن برثن، حدثني رجل كان مع المشركين يوم حنين قال: فلما التقينا نحن وأصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يوم حنين، لم

يقوموا لنا حلب شاة، قال: لما كشفناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، قال: فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا، قال: فانهزمنا وركبوا أكتافنا، فكانت إياها.

٢- روى البيهقي في الدلائل عن مصعب بن شيبة، عن أبيه، قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين، والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ولكنِّ أبيت أن تظهر هوازن على قريش فقلت وأنا واقف معه: يا رسول الله، إني أرى خيلا بُلْقاً قال: " يا شيبة، إنه لا يراها إلا كافر " فضرب يده على صدري،ثم قال: اللهم اهد شيبة... الحديث.

٣- روى محمد بن إسحاق بسنده إلى جبير بن مطعم قال: إِنَّا لمع رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يَوْم حنين وَالنَّاس يقتتلون إِذْ نظرت الى مثل البجاد الْأسود يهوي من السَّمَاء حَتَّى وَقع بَيْننَا وَبَين الْقَوْم فَإِذا نمل منثور قد مَلأ الْوَادي فَلم يكن إِلَّا هزيمَة الْقَوْم فَمَا كُنَّا

نـشـك أنـهـا الـمَـلَائـِكَـة.



٣٩-الملائكة في الغَار

" وأيده بجنود لم تروها "

وهذا المشهد العجيب رصدته لنا الآية (٤٠) من سورة (التوبة / براءة) ونصّها يقول:


إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ ً-المفردات:

٢٢٣-**إِلَّا:** مركبة من **إن** الشرطية و**لا** النافية.

٢٢٤-**تَنْصُرُوهُ: قال صاحب المفردات[1]:** النَّصر والنُّصرة: العون...

ونصرة الله للعبد ظاهرة.

٢٢٥-**ثَانِيَ اثْنَيْنِ: قال الإمام النحوي ابن هشام في شرحه على قطر النّدي (٣١١)** واعلم أن لأسماء الأعداد التي على وزن فاعل أربع حالات:

١-انظر "المفردات" م / نصر.

والثانية منها: أن يضاف إلى ما هو مشتق منه فتقول ثاني اثنتين، وثالث ثلاثة... ومعناه: واحد من اثنين، وواحد من ثلاثة... وساق الآية.

وقال الزمخشري (٢/٢٧٢) وهما رسول الله وأبو بكر الصديق.

٢٢٦-**الْغَارِ:** المراد هنا غار ثور، جاء في **كتاب (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) (١/٣٤٨)** وهو ثور أَطْحَلْ وهو جبل في مكة الذي فيه غارالنبي، **وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: " لحق رسول الله وأبو بكر بغارٍ في جبل ثور"** ١هـ

٢٢٧-**لِصَاحِبِهِ:** هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

٢٢٨-**لَا تَحْزَنْ: قال صاحب المفردات[1]:** الحُزْنُ والحَزْنُ: خشونة في الأرض، وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم ويضاده الفرح.

٢٢٩-**سَكِينَتَهُ: قال صاحب المفردات[2]:** السُّكون: ثبوت الشيء بعد تحرك... وقيل: السكينة والسكن واحد وهو زوال الرعب.

٢٣٠-**بِجُنُودٍ:** هي الملائكة.

٢ ً-الإعراب:

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ: أسلوب شرط، **(إن)**: أداة شرط زيد عليها **لا** النافية وأدغمت معها، وفعل الشرط **(تنصروه)** وجواب الشرط جملة **(قد نصره الله)**اقترنت بالفاء لوجود **(قد)**.

١-انظر "المفردات" م / حزن.
٢-انظر "المفردات" م / سكن.

قال الإمام الزمخشري (٢/٢٧٢) فإن قلت: كيف يكون قوله " **فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ**" جواباً للشرط؟ قلت فيه وجهان:

أحدهما: إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد، ولا أقل من واحد، فدل بقوله " **فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ**" على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت.

إِذْ: ظرف لما مضى في الزمان متعلق بالفعل (**نصره الله**) وجملة (**أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**) في محل جر بالإضافة.

ثَانِيَ: حال منصوبة من الهاء في (**أخرجه**) **والتقدير:** إذ أخرجه الذين كفروا حال كونه منفرداً عن جميع الناس إلا أبا بكر، و**اثنين:** مضاف إليه وهو ملحق بالمثنى.

إِذْ: بدل من **إذ** الأولى.

هُمَا فِي الْغَارِ: جملة اسمية مبتدأ وخبر، وهي في محل جر بالإضافة.

إِذْ: بدل من إذ الأولى.

٢-المناسبة:

يقول العلامة الرازي (١٦/٤٩) اعلم أنَّ هذا ذكر طريق آخر في ترغيبهم في الجهاد وذلك لأنه تعالى ذكر في الآية الأولى أنهم إن لم ينفروا باستنفاره ولم يشتغلوا بنصرته، فإنَّ الله ينصره بدليل أنَّ الله نصره وقوَّاه حالَ لم يكن معه إلا رجل واحد.

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

يقول صاحب الظلال (١٦٥٩/٣) ذلك حين ضاقت قريش بمحمد ذرعاً، كما تضيق القوة الغاشمة دائماً بكلمة الحق، لا تملك لها دفعاً، ولا تطيق عليها صبراً، فائتمرت به، وقررت أن تتخلص منه فأطلعه الله على ما ائتمرت، وأوحي إليه بالخروج، فخرج وحيداً إلا من صاحبه الصدّيق، لا جيش ولا عدة، وأعداؤه كثر، وقوتهم إلى قوته ظاهرة. والسياق يرسم مشهد الرسول- صلى الله عليه وسلم- وصاحبه:" **إِذْ هُما فِي الْغارِ** "

والقوم على إثرهما يتعقبون، والصديق- رضي الله عنه - يجزع- لا على نفسه ولكن على صاحبه- أن يطلعوا عليهما فيخلصوا إلى صاحبه الحبيب، يقول له: لو أن أحدهم نظر إلى قدمية لأبصرنا تحت قدميه.

والرسول- صلى الله عليه وسلم- وقد أنزل الله سكينته على قلبه، يهدئ من روعه ويطمئن من قلبه فيقول له: " **يا أبا بكر ما ظنك بأثنين الله ثالثهما؟**

ثم ماذا كانت العاقبة، والقوة المادية كلها في جانب، والرسول- صلى الله عليه وسلم- مع صاحبه منها مجرد؟ كان النصر المؤزر من عند الله بجنود لم يرها الناس. وكانت الهزيمة للذين كفروا والذل والصغار

٢-حل الإشكالات:

لعل من فينا يقول كيف أيد الله رسوله وصاحبه بالملائكة؟

<u>للجواب نقول:</u> لقد جاءت الآية مجملة، ولم يرد في السنة شيء من التفصيل.

١-**قال ابن جرير (٢٩١/١٤) يقول:** وقوّاه بجنود من عنده من الملائكة لم تروها أنتم.

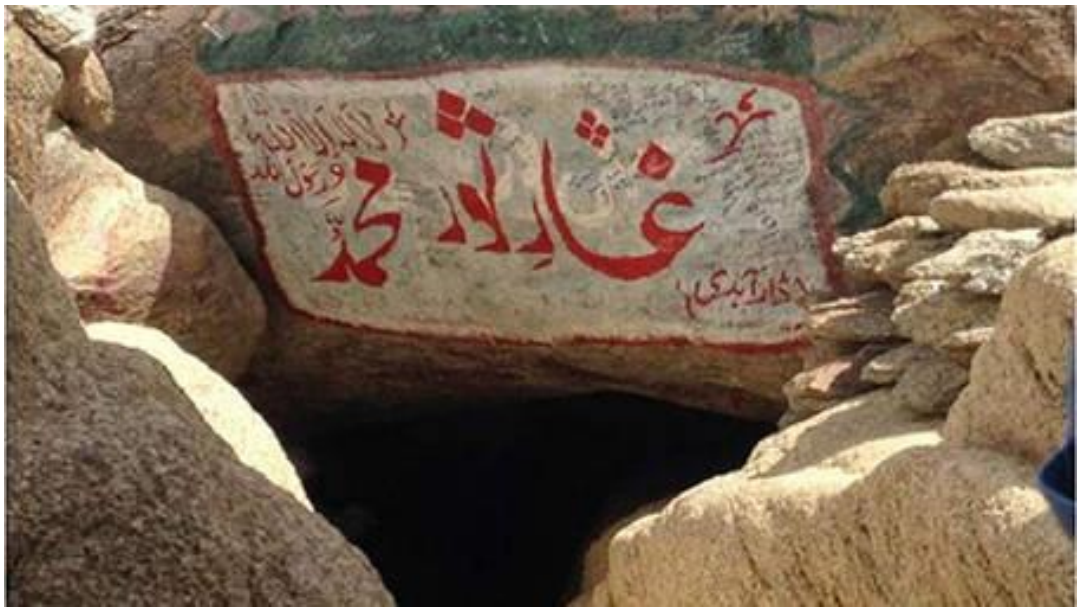
الاستنباط:

١-إثبات وجود هذا العالم إثباتاً يرْفَضُ معه كل تأويل وتعطيل، وإلا فبأي شيء أيد الله رسوله؟

٢-أن من وظائف الملائكة تأييد أولياء الله.

التوحد والتكرار:

هذا المشهد من المشاهد المفردة التي لم تتكرر في القرآن الكريم.



الآيات الواردة في

-٩-

سورة هود



مما له صلة بعالم الملائكة

٤٠-بلغ ما أنزل إليك ولو طالبوك بدلائل مادية ومنها مجيء ملك مصدق لك بأنك رسول من الله

تجد هذا المعنى في الآية (١٢) من سورة هود ونص الآية:

فلعلَّك تـارِكٌ بعْض مـا يُوحىٰ إِليْك وضائِـقٌ بِـهِ صدْرُك أنْ يقُولُوا لوْلا أُنْزِل عليْهِ كنْزٌ أوْ جاء معهُ ملكٌ إِنَّما أنْت نذِيرٌ و اللَّهُ علىٰ كُلِّ شيْءٍ وكِيلٌ ﴿١٢﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ ً-المفردات:

٢٣١-**لَعَلَّكَ:** هي من أخوات **إنَّ** وتفيد معنى الرجاء.

قال الرازي(٣٢٤/١٧) فإن قيل: **فلعلك**: كلمةُ شك فما الفائدة فيها؟

قلنا: المراد منه الزجر، والعرب تقول للرجل: إذا أرادوا إبعاده عن أمر لعلك تقدرأن تفعل كذا مع أنه لا شك فيه ويقول لولده لو أمره: لعلك تقصر فيما أمرتك به ويريد توكيد الأمر **فمعناه:** لا تترك.

٢٣٢-**تَارِكٌ:** غَيْرُ مُبَلِّغٍ.

قال ابن جرير (٢٥٨/١٥) تارك بعض ما يوحي إليك ربك أن تبلغه.

وينقل الرازي (٣٢٣/٣) عن ابن عباس تفسير ذلك البعضِ، وعبارته: قال ابن عباس قال المشركون للنبي: ائتنا بكتاب ليس فيه شتم آلهتنا حتى نتبعَكَ ونؤمن بكَ...

٢٣٣-**ضَائِقٌ**: اسم فاعل من ضاق، وعبَّر به دون الصفة المشبهة (ضيّق) لحكمة كشف عنها **الإمام الزمخشري حيث قال (٣٨٢/٢)**

فإن قلت: لمَ عدل من ضيّق إلى ضائق؟

قلت: ليدل على أنه ضيقٌ عارضٌ غيرُ ثابتٍ لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدراً.



٢٣٤-**كَنْزٌ: قال الرازي (٣٢٤/١٧)** المراد: ما يُكنز، وجرت العادة أن يسمى المال الكثير بهذا الاسم.

٢٣٥-**نَذِيرٌ:** أي منذر بالعقاب و المعنى رسول.

٢٣٦-**وَكِيلٌ: قال الرازي (٣٢٤/١٣)** ومعنى وكيل حفيظ يحفظ عليهم أعمالهم أي: يجازيهم بها ١هـ.

٢ ً-الإعراب:

لَعَلَّكَ: لعل: حرف ترجٍ ونصب، **والكاف:** اسمها، **وتارك**: خبرها.

بَعْضَ: مفعول به لاسم الفاعل **(تارك)**، وهو مضاف و**(ما)** مضاف إليه، وجملة **(يوحى)** صلته، **وإليك**: جار ومجرور متعلقان بيوحى.

وَضَائِقٌ: معطوف على (**تارك**) مرفوع مثله، **به**: جار ومجرور متعلقان بضائق، **وصدرك:** فاعله.

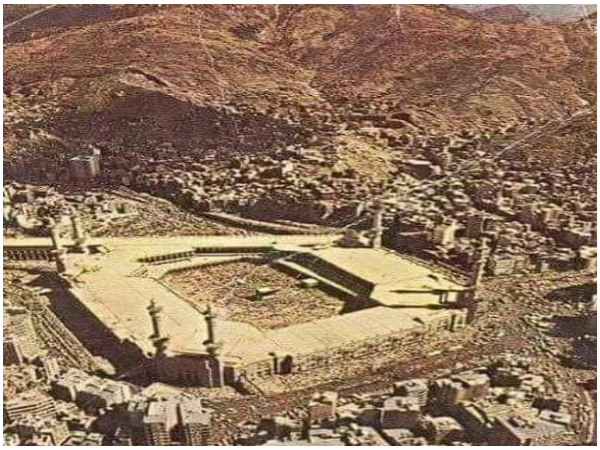
أَنْ يَقُولُوا: ناصب ومنصوب والمصدر المؤول منصوب على نزع الخافض على معنى لَأَنْ يقولوا أي: لقولهم.

لَوْلَا: حرف تحضيض فلا تحتاج إلى جواب.

٢-المناسبة:

قال الرازي (٣٢٣/١٧) اعلم أن هذا نوع آخر من كلمات الكفار ١هـ وقد سبق في الآيات (٧-٨-١٠) كلمات أخرى.

٣-سبب النزول:



روي عن ابن عباس أن رؤساء مكة قالوا: يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهباً إن كنت رسولاً، وقال آخرون: ائتنا بالملائكة يشهدون بنبوتك فقال: لا أقدر على ذلك فنزلت هذه الآية أفاده الرازي (٣٢٣/١٧).

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

قال العلامة الزمخشري (٣٨٣/٢) كانوا يقترحون عليه آياتٍ تعنتاً لا استرشاداً، لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آيةٌ واحدةٌ ممّا جاء به كافيةً في رشادهم.

ومن اقتراحاتهم قولهم: لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ وكانوا لا يعتدون بالقرآن...

فكان يضيق صدررسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقي إليهم مالا يقبلونه ويضحكون منه، فحرّك الله منه وهيجه لأداء الرسالة وطرحِ المبالاة بردّهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله " **فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ** " أي: لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافةَ ردّهم له، وتهاونهم به، وَضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أن تتلوه عليهم مخافةَ أن يقولوا: **لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ** كَنْزٌ أي: هلَّا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنزِ والملائكةِ، ولمَ أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه، ثم قال: **إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** "

ويقول العلامة الرازي (٣٢٤/١٧) فكأن القوم قالوا: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي أَنَّكَ رَسُولُ الْإِلَهِ...

فَهَلَّا أَنْزَلَ عَلَيْكَ مَا تَسْتَغْنِي بِهِ...

وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَهَلَّا أَنْزَلَ اللَّهُ مَعَكَ مَلَكًا يَشْهَدُ لَكَ عَلَى صِدْقِ قَوْلِكَ وَيُعِينُكَ عَلَى تَحْصِيلِ مَقْصُودِكَ فَتَزُولَ الشُّبْهَةُ فِي أَمْرِكَ، فَلَمَّا لَمْ يَفْعَلْ إِلَهُكَ ذَلِكَ فَأَنْتَ غَيْرُ صَادِقٍ.

فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُ رَسُولٌ مُنْذِرٌ بِالْعِقَابِ وَمُبَشِّرٌ بِالثَّوَابِ وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى إِيجَادِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ.

وَالَّذِي أَرْسَلَهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ فَإِنْ شَاءَ فَعَلَ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَفْعَلْ وَلَا اعْتِرَاضَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ فِي فِعْلِهِ وَفِي حُكْمِهِ اهـ.

الاستنباط:

١-إثبات وجود هذا العالم وهذا بين جلي.

٢-أن أهل الكفر كانوا يؤمنون بهذا العالم بدليل أنهم طلبوا أن يجيء مع الرسول ملك يشهد له على صدق دعوته .

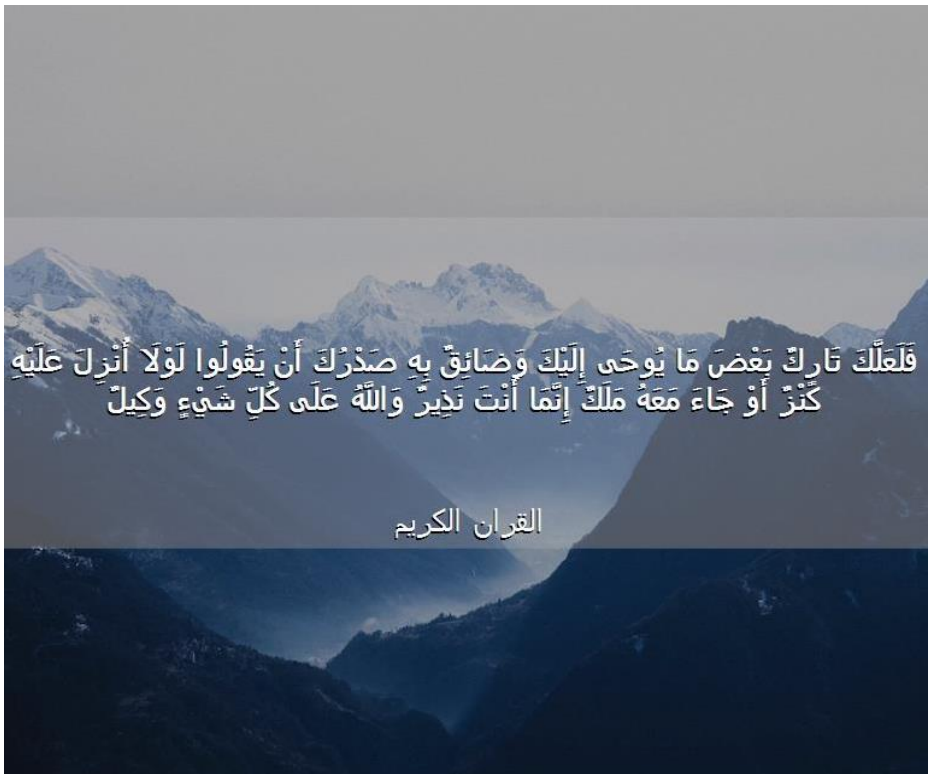
التوحد والتكرار:

إذا نظرنا الى الآية على الإجمال فهي فريدة ، وإذا نظرنا إلى خصوص طلب مجيء الملك فقد تكرر كثيراً .

١-في الآية (٨) من سورة **الأنعام.**

٢-في الآية (٧) من سورة **الفرقان**.

٣-في الآية (٥٣) من سورة **الزخرف**.



٤١-لست ملكاً... يقول نوح عليه السلام

وهذا جزء من الآية (٣١) من سورة (هود) ونصها الكامل يقول:



والقائل لما سبق هو نوح عليه السلام بدليل السياق:

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ" (هود / ٢٥)

وأقول: إن هذه الآية تعيد إلى ذاكرتنا الآية (٥٠) من سورة الأنعام ونصها يقول:

" قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ "

والقائل هنا هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، قال ابن كثير (٢٤٧/٢) يقول الله لرسوله صلى الله عليه وسلم...

أقول: والقارئ للآيتين يجد تطابقاً تاماً في الجمل الثلاثةِ الأولِ:

١-نفي أن يكون عنده خزائن الله.

٢-نفي أنه يعلم الغيب.

٣-نفي المَلَكِيَّةِ عنه.

والفارق هو القائل ففي (**الأنعام**) القائل هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي (**هود**) القائل هو سيدنا نوح عليه السلام.

ثم يذهب ما بعد تلك الجمل الثلاثة بما يناسب القائل والآية.

ولذا سأكتفي هنا ببيان المناسبة والتفسير.

المناسبة:

لقد جاءت هذه الآية ضمن قصة نوح في سورة هود فالمناسبة واضحة وختامها يناسب الآية (٢٩) وفيها " **وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا** " والآية (٣٠) وفيها: " **وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** "

التفسير:

يقول العلامة ابن كثير (٨١١/٢) يخبرهم أنه رسول من الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له... ويخبرهم:

١-أنه لا يقدر على التصرف في خزائن الله.

٢-ولا يعلم الغيب إلا ما أطلعه الله عليه.

٣-وليس هو بملك من الملائكة بل هو بشر مرسل مؤيد بالمعجزات .


سفينة نوح
عليه السلام

٤٢-الملائكة وإبراهيم

مهمتان مختلفتان

لقد زارت الملائكة إبراهيم مبشرة ومدمرة وهذا ما كشفت عنه الآيات (٦٩ – ٧٦) من سورة (هود) ونصها يقول:


ولقدْ جاءتْ رُسُلُنا إبراهِيم بِالبُشْرى قالُوا سلاماً قال سلامٌ فما لبِث أنْ جاء بِعِجْلٍ حنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فلمّا رأى أيْدِيهُمْ لاتصِلُ إلِيهِ نكِرهمْ وأوْجس مِنْهُمْ خِيفة قالُوا لا تخفْ إنَّا أُرْسِلْنا إلى قوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وامْرأتُهُ قائِمةٌ فضحِكتْ فبشَّرْناها بِإسْحاق ومِنْ وراءِ إسْحاق يعْقوب ﴿٧١﴾ قالتْ يا ويْلتى أألِدُ وأنا عجُوزٌ وهذا بعْلِي شيْخا إنَّ هذا لشيْءٌ عجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قالُوا أتعْجبِين مِنْ أمْرِ اللَّهِ رحْمتُ اللَّه وبركاتُه علِيْكُمْ أهْل الْبيْتِ إنَّهُ حمِيدٌ مجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فلمَّا ذهب عنْ إبْراهِيم الرَّوْعُ وجاءتْهُ الْبُشْرى يُجادِلُنا فِي قوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إنَّ إبْراهِيم لحلِيمٌ أوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يا إبْراهِيمُ أعْرِضْ عنْ هذا إنهُ قدْ جاء أمْرُ ربِك وإنهُمْ آتِيهِمْ عذابٌ غيرُ مردود ﴿٧٦﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً-المفردات:

٢٣٨-**رُسُلُنَا:** جمع رسول. **قال صاحب المفردات[1]:** أصل الرِّسْلِ: الانبعاثُ على التؤدة...

ومنه الرسول: المنبعث... ورسل الله تارة يراد بهم الملائكة – كما هنا – وتارة يراد بهم الأنبياء.

١-انظر " المفردات " م / رسل.

٢٣٩-**بِالْبُشْرَىٰ:** سبق أن البشارة هي الخبر السار الذي تنبسط له بشرة الوجه[1]، وقد فسرت البشارة في الآية (٧١) من ذات السورة " **فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ** ".

٢٤٠-**سَلَامًا: قال صاحب المفردات[2]:** السِّلم والسلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة.

٢٤١-**لَبِثَ: قال صاحب المفردات[3]**: لبث بالمكان: أقام به ملازماً له ١هـ فمعنى ما لبث لم يقم طويلاً بعد مجيئهم بل قام على الفور.

قال ابن كثير (٨٢٥/٢) أي: ذهب سريعاً فأتاهم بالضيافة.

٢٤٢-**بِعِجْلٍ: قال صاحب المقاييس[4]:** هو ولد البقرة.



٢٤٣-**حَنِيذٍ: قال صاحب المقاييس[5]:** حنذ أصل واحد وهو إنضاج الشيء، يقال: شواء حنيذ: أي مُنْضَج وذلك بأن تُحمى الحجارة وتوضع عليه حتى ينضج.

وقال ابن كثير(٨٢٥/٢) حنيذ: مشوي على الرَّضْفِ وهي الحجارة المحماة.

١-انظر " المفردات " م / بشر.
٢-انظر " المفردات " م / سلم.
٣-انظر " المفردات " م / لبث.
٤-انظر " المقاييس " م / عجل.
٥-انظر " المقاييس " م / حنذ.

٢٤٤-**نَكِرَهُمْ: قال صاحب المقاييس[1]:** نكر: أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب، وَنكر الشيء وأنكره: لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه.

٢٤٥-**أَوْجَسَ: قال صاحب المقاييس[2]:** وجس: كلمة تدل على الإحساس بشيء وتسمع له. يقال توجس الشيء: أحسَّ به فتسمع له.

٢٤٦-**خِيفَةً: قال صاحب المفردات[3]:** الخوف: توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة... ويضادُّ الخوف الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية...

والخيفة: الحالة التي عليها الإنسان من الخوف.

٢٤٧-**يَا وَيْلَتَىٰ:** الويل قبح، وقد يستعمل على التحسر[4] –كما هنا – أي يا حسرتي.

٢٤٨-**بَعْلِي: قال صاحب المفردات[5]:** البعل هو الذكر من الزوجين وساق الآية.

٢٤٩-**شَيْخًا: قال صاحب المفردات[6]:** يقال لمن طعن في السن الشيخ... وساق الآية.

٢٥٠-**أَتَعْجَبِينَ:** مضارع عجب، **قال صاحب المفردات[7]:** العجب والتعجب: حالة تعرض للإنسان عن الجهل بسبب الشيء.

١-انظر " المقاييس " م / نكر.
٢-انظر " المقاييس " م / وجس.
٣-انظر " المفردات " م / خوف.
٤-انظر " المفردات " م / ويل.
٥-انظر " المفردات " م / بعل.
٦انظر " المفردات " م / شيخ.
٧-انظر " المفردات " م / عجب.

وأضاف صاحب المقاييس[1]: وأمر عجيب: وذلك إذا استكبر واستعظم.

٢٥١-**الرَّوْعُ: قال صاحب المقاييس[2]:** الروع: الفزع.

وأضاف ابن كثير (٨٢٧/٢) وهو ما أوجس من الملائكة خيفة حين لم يأكلوا.

٢٥٢-**يُجَادِلُنَا:** مضارع جادل: **قال صاحب المفردات[3]:** الجدال هو المعارضة على سبيل المعارضة والمغالبة.

وأضاف صاحب المقاييس[4]: وهو امتداد الخصومة ومراجعة الكلام.

٢٥٣-**أَوَّاهٌ: قال ابن جرير (٥٣٨/١٢)** الدعّاء.

٢٥٤-**مُنِيبٌ:** رجّاع إلى طاعة الله.

٢٥٥-**جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ: قال ابن كثير (٨٥٧/٢)** أي: إنه نفذ فيهم القضاء، وحقت عليهم الكلمة بالهلاك وحلول البأس الذي لا يرد عن القوم الكافرين.

٢ ً-الإعراب:

سَلَامًا: مفعول مطلق لفعل محذوف والجملة مقول القول.

سَلَام: مبتدأ خبره محذوف **والتقدير:(عليكم)** والجملة مقول القول أيضاً.

١-انظر " المقاييس " م / عجب.
٢-انظر " المقاييس " م / روع.
٣-انظر " المفردات " م / جدل.
٤-انظر " المقاييس " م / جدل.

أَنْ جَاءَ: قال الزمخشري (٤٠٩/٢) فما لبث أن جاء، فما لبث في المجيء به على عجل فيه، أو فما لبث مجيئه.

فالمعنى على هذا أنَّ (أن) حرف مصدري: وجاء فعل ماض، والمصدر المؤول إما فاعل لبث، وإما إنه منصوب على نزع الخافض.

فَلَمَّا: الفاء: عاطفة، والمعطوف عليه محذوف **والتقدير**: فقربه إليهم فلم يمدوا أيديهم فقال ألا تأكلون فلما رأى... و**(لما)**: حرف أو ظرف على الخلاف.

رَأَىٰ: فعل ماض ورأى هنا بصرية **فأيديهم**: مفعوله الوحيد، وجملة **(لا تصل إليه)** حالية، وجملة: **(نكرهم)** جواب شرط غير جازم وما بعدها عطف عليها.

خِيفَةً: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على أخرة.

وَامْرَأَتُهُ: مبتدأ خبره (قائمة).

وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ: جار ومجرور ومضاف إليه ممنوع من الصرف وهما متعلقان بفعل محذوف.

يَعْقُوبَ: قال الزمخشري (٤٥/٢) وقرئ **يعقوب** بالنصب كأنه قيل: ووهبنا لها إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب.

يَا وَيْلَتَىٰ: يا: أداة نداء، **ويلتي**: منادى مضاف منصوب وعلامة نصبه الفتحة وهو مضاف والألف المنقلبة عن الياء في محل جر بالإضافة.

شَيْخًا: حال، **قال الزمخشري (٤١١/٢)** نصب بما دل عليه اسم الإشارة.

أَهْلَ الْبَيْتِ: منادى مضاف، والبيت: مضاف إليه.

٣ً-البلاغة:

١-في قوله (**قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ**) **قال ابن كثير (٨٢٥/٢)** قال علماء البيان: هذا أحسن مما حيوه به لأن الرفع يدل على الثبوت والدوام.

٢-في قوله (**ذهب – جاءته**) طباق إيجاب وهو من المحسنات المعنوية.

٣-في قوله (**إنهم آتيهم**)جملة خبرية اسمية ومؤكدة بإن، ووصف العذاب بأنه غير مردود، كل هذا لقطع الجدال مع إبراهيم الحليم الأواه المنيب.

٢-المناسبة:

قال الرازي (٣٧١/١٨) اعلم أن هذا هو القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة

وأقول: القصة الأولى هي قصة **نوح** من الآية (٣٣) وحتى الآية (٤٩).

والقصة الثانية هي قصة **هود** من الآية (٥٠) وحتى الآية (٦٠).

والقصة الثالثة هي قصة **صالح** من الآية (٦١) وحتى الآية (٦٨).

ثم تأتي قصة **إبراهيم** من الآية (٦٩) وحتى الآية (٧٦).

وهي مرتبة على حسب ظهورها على مسرح الأحداث الأرضية.

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

يقول صاحب الظلال رحمه الله (١٩٢١/٤)

الآية ٦٩- " وَلَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى "

ولا يفصح السياق عن هذه البشرى إلا في موعدها المناسب بحضور امرأة إبراهيم!

والرسل: الملائكة.

وهم هنا مجهولون، فلا ندخل- مع المفسرين- في تعريفهم وتحديد من هم بلا دليل.

" **قالوا: سلاماً. قال: سلام** "..

وكان ابراهيم قد هاجر من أرض الكلدانيين مسقط رأسه في العراق، وعبر الأردن، وسكن في أرض كنعان في البادية- وعلى عادة البدو في إكرام الأضياف راح إبراهيم يحضر لهم الطعام وقد ظنهم ضيوفاً.

" **فما لبث إن جاء بعجل حنيذ** " ..

أي: سمين مشوي على حجارة الرضف المحماة ولكن الملائكة لا يأكلون طعام أهل الأرض.

الآية ٧٠-" فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ " ..

أي: لا تمتد إليه.

" **نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً** " ..

فالذي لا يأكل الطعام يريب، ويشعر بأنه ينوي خيانة أو غدراً بحسب تقاليد أهل البدو..

وأهل الريف عندنا يتحرجون من خيانة الطعام، أي من خيانة من أكلوا معه طعاماً!

فإذا امتنعوا عن طعام أحد فمعنى هذا أنهم ينوون به شراً، أو أنهم لا يثقون في نياته لهم.. وعند هذا كشفوا له عن حقيقتهم.

" **قالُوا: لا تَخَفْ، إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ** " ..

وإبراهيم يدرك ما وراء إرسال الملائكة إلى قوم لوط! ولكن حدث في هذه اللحظة ما غير مجرى الحديث.

الآية ٧١-" وَامْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ " ..

وربما كان ضحكها ابتهاجاً بهلاك القوم الملوثين:

" **فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ** " ..

وكانت عقيماً لم تلد وقد أصبحت عجوزاً. ففاجأتها البشرى بإسحاق.
وهي بشرى مضاعفة بأن سيكون لإسحاق عقب من بعده هو يعقوب.
والمرأة- وبخاصة العقيم- يهتز كيانها كله لمثل هذه البشرى،
والمفاجأة بها تهزها وتربكها.

الآية ٧٢-" قالَتْ: يا وَيْلَتى! أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهذا بَعْلِي شَيْخاً؟ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ "

وهو عجيب حقاً. فالمرأة ينقطع طمثها عادة في سن معينة فلا تحمل.
ولكن لا شيء بالقياس إلى قدرة الله عجيب:

الآية ٧٣-" قالُوا: أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ؟ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ. إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ " ..

ولا عجب من أمر الله. فالعادة حين تجري بأمر لا يكون معنى هذا أنها سنة لا تتبدل.
وعند ما يشاء الله لحكمة يريدها- وهي هنا رحمته بأهل هذا البيت... يقع ما يخالف العادة، مع وقوعه وفق السنة الإلهية التي لا نعلم حدودها...
وإلى هنا كان إبراهيم- عليه السلام- قد اطمأن إلى رسل ربه، وسكن قلبه بالبشرى التي حملوها إليه.
ولكن هذا لم ينسه لوطاً وقومهوما ينتظرهم من وراء إرسال الرسالة.

الآيتان ٧٤-٧٥-" فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ الرَّوْعُ وَجاءَتْهُ الْبُشْرى يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ. إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ " .

والحليم الذي يحتمل أسباب الغضب فيصبر ويتأنى ولا يثور.
والأوّاه الذي يتضرع في الدعاء من التقوى.
والمنيب الذي يعود سريعاً إلى ربه..
وهذه الصفات كلها قد دعت إبراهيم أن يجادل الملائكة في مصير

قوم لوط وإن كنا لا نعلم كيف كان هذا الجدال لأن النص القرآني لم يفصله، فجاءه الرد بأن أمر الله فيهم قد قضي وأنه لم يعد للجدال مجال

الآية ٧٦-" يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هذا، إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ، وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ " ..

٢-حل الإشكالات:

ولعل مما يثار هنا تحديد من هم الملائكة الذين جاؤوا إلى إبراهيم؟

ولعل خير من أجاب عن ذلك الرازي حيث قال (٣٧١/١٨)ولفظ **" رُسُلُنَا "** جمع وأقله ثلاثة فهذا يفيد القطع بحصول ثلاثة وأما الزائد على هذا العدد فلا سبيل إلى إثباته إلا بدليل آخر، وأجمعوا على أن الأصل فيهم كان جبريل واختلفت الروايات فيما وراء ذلك.

الاستنباط:

١-إثبات وجود هذا العالم وهذا واضح جلي.

٢-أن الملائكة أي: بعضهم من جملة رسل الله **" وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا "**

٣-أن الملائكة قادرون على التصور والتمثل على هيئة البشر إلى حد أن إبراهيم لم يعرف أنهم ملائكة بل ظنهم بشراً عاديين.

قال الرازي (٣٧٣/١٨) يدل على ذلك أمور:

الأمر الأول: أنه تسارع إلى إحضار الطعام ولو عرف كونهم من الملائكة لما فعل ذلك.

الأمر الثاني: أنه لما رآهم ممتنعين من الأكل خافهم، ولو عرف كونهم من الملائكة لما استدل بترك الأكل على حصول الشر.

٤-أن الملائكة - ولو تصوّر على هيئة بشر- فإنهم لا تجري عليهم عوارض البشر كالطعام والشراب.

قال الرازي (٣٧٣/١٨) واعلم أن الأضياف إنما امتنعوا عن الطعام لأنهم مـلائـكـة، والملائكة لا يـأكـلـون ولا يشـربون وإنما أتوه في صورة الأضياف ليكونوا على صفة يحبها وهو كان مشغوفاً بالضيافة.

٥-أنهم مخلوقات عاقلة بدليل ذاك الحوار الذي دار بينهم وبين إبراهيم وزوجه.

التوحد والتكرار:

لهذا المشهد حضوره في القرآن الكريم فلسوف يتكرر في مواطن ثلاثة:

١-في الآيات (٥١ – ٥٦) من سورة (الحجر).

٢-في الآيات (٣١ – ٣٢) من سورة (العنكبوت).

٣-في الآيات (٢٤ – ٣٠) من سورة (الذاريات).

٤٣-الملائكة ولوط

-مهمة الإهلاك والتدمير-

بعد أن غادرت الملائكة إبراهيم انتقلت إلى لوط، وهذا ما كشفت عنه الآيات (٧٧ – ٨١) من سورة (هود) ونصّها يقول:



بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ ً-المفردات:

٢٣٧-**رُسُلُنَا:** جمع رسول، والمراد بهم الملائكة وهم الذين كانوا عند إبراهيم ثم انتقلوا إلى لوط.

٢٣٨-**سِـيءَ بِهِمْ:** السوء كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجة من فوات مال وجاه وفقد حميم[1]...

١-انظر " المفردات " م / سوء.

فالمعنى أنه أصابه ما غمه من مجيئهم.

قال ابن كثير (٨٢٨/٢) أي: ضاقت نفسه بسببهم ١هـ.

٢٣٩-**ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا: قال صاحب المقاييس**[1]: يقال: ضاق بهذا الأمر ذرعاً إذا تكلف أكثر مما يطيق فعجز.

٢٤٠-**يَوْمٌ عَصِيبٌ:** أي شديد[2].

ونقل ابن كثير(٨٢٨/٢) عن ابن عباس قوله: شديد بلاؤه.

وأضاف ابن كثير:لأنه علم أنه سيدافع عنهم ويشق عليه ذلك.

٢٤١-**يُهْرَعُونَ: قال صاحب المفردات**[3]**:** يقال: هرع وأهرعَ: ساقه سوقاً بعنف وتخويف وساق الآية.

وقال ابن جرير(٤١١/١٥) وجاء لوطاً قومه يستحثون إليه، يُرعدون مع سرعة المشي مما بهم من طلب الفاحشة.

أقول: وفي هذه الكلمة على وجازتها تصور الحالة التي كانوا عليها حالة الأسيرتسوقه شهوته بعنف وبلا هوادة**!**.

٢٤٢-**بَنَاتِي: قال ابن كثير (٨٢٨/٢)** يرشدهم إلى نسائهم فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة.

٢٤٣-**لَا تُخْزُونِ: قال صاحب المفردات**[4]**:**خزي الرجل لحقه انكسار إما من نفسه، وإما من غيره.

فالذي يلحقه من نفسه هو الحياء المفرط...

١-انظر " المقاييس " م / ذرع.
٢-انظر " المفردات " م / عصب.
٣-انظر " المفردات " م / هرع.
٤-انظر " المفردات " م / خزي.

والذي يلحقه من غيره يقال هو ضرب من الاستخفاف ١هـ

وكأن المعنى: لا تكسروني أمام ضيوفي فأخجل منهم أو لا تستخفوا بي أمامهم.

٢٤٤-**آوِي: قال صاحب المفردات[1]:** تقول آوى إلى كذا: انضم إليه.

٢٤٥-**رُكْنٍ: قال صاحب المقاييس[2]:** ركن: أصل واحد يدل على قوة، فركن الشيء جانبه الأقوى، وهو يأوي إلى ركن شديد أي: عزٍّومنعةٍ.



٢٤٦-**أَسْرِ: قال صاحب المفردات[3]:**
السُّرى: سير الليل وساق الآية.

٢٤٧-**بِقِطْعٍ: قال صاحب المفردات[4]:**
قطع من اللَّيل: قطعة منه وساق الآية.

٢ ً-الإعراب:

ذَرْعًا: تمييز منصوب وأصله ضاق ذرعه فحول فصار ضاق ذرعاً بهدف المبالغة.

يُهْرَعُونَ: مضارع مرفوع مبني للمجهول والجملة في محل نصب حال.

وَمِنْ قَبْلُ: قبل: اسم مبني على الضم في محل جر **بمن**، والجار والمجرور متعلقان بالفعل **(يعملون)**.

يَا قَوْمِ: منادى مضاف منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على ما قبل الياء المحذوفة رسماً.

١-انظر " المفردات " م / آوي.
٢-انظر " المقاييس " م / ركن.
٣-انظر " المفردات " م / سرى.
٤-انظر " المفردات " م / قطع.

هَٰؤُلَاءِ: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، خبره **(بناتي)** والأقوى اعتبارها بدلاً **وهنّ:** ضمير متصل والخبر **(أطهر)**.

مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ: ما: نافية، **ومن**: زائدة، **وحق:** مبتدأ خبره متعلَّقُ الجار والمجرور.

لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً: لو: أداة شرط وجوابها محذوف، **والتقدير**: لو أن لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت.

وأنَّ وما دخلت عليه بتأويل مصدر فاعل لفعل محذوف **تقديره:**ثبت واستقر.

أَوْ آوِي: أو: عاطفة، **آوي**: معطوفة على المعنى **والتقدير**: أو أني آوي.

وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ: إلا: أداة حصر، **امرأتك:** مستثنى بإلا منصوب.

٣ً-البلاغة:

١-في قوله **"وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا"** مبالغة من جهة التمييز المحول على الفاعل.

٢- في قوله **"وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ"** اعتراض هدفه الاحتراس فما جاؤوا تائبين بل عاصين.

٣- في قوله **"أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ"** استفهام خرج إلى معنى التقريع.

٤- في قوله **"أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ"** قال الشريف الرضي وهذه استعارة والمراد بها قومه وعشيرته جعلهم ركناً له لأن الإنسان يلجأ إلى قبيلته ويستند إلى أعوانه كما يستند إلى ركن البناء الرصين.

٥- في قوله **"أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ"** استفهام خرج إلى معنى التقرير: أي: إنه لقريب.

٢-المناسبة:

هذه هي القصة الخامسة، وهي شديدة الاتصال بالقصة الرابعة فالملائكة الذين قصدوا إبراهيم توجهوا بعد البشارة إلى قوم لوط لتدميرهم وإهلاكهم.

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

يقول صاحب الظلال رحمه الله (١٩١٣/٤):

الآية ٧٧-لقد كان يعرف قومه. ويعرف ما أصاب فطرتهم من انحراف وشذوذ عجيبين.

إذ يتركون النساء إلى الرجال، مخالفين الفطرة التي تهتدي إلى حكمة خلق الأحياء جميعاً أزواجاً، كي تمتد الحياة بالنسل ما شاء لها الله أن تمتد.

" سِيءَ بِهِمْ"

سيئ لوط بأضيافه. وهو يعلم ما ينتظرهم من قومه، ويدرك الفضيحة التي ستناله في أضيافه

" وَقَالَ: هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ " !

وبدأ اليوم العصيب!

الآية ٧٨-" وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ " ..

أي يسرعون في حالة تشبه الحمى.

" وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ "

وكان هذا ما ساء الرجل بضيوفه، وما ضيق بهم ذرعه، وما دعاه إلى توقع يوم عصيب!

ورأى لوط ما يشبه الحمى في أجساد قومه المندفعين إلى داره،

يهددونه في ضيفه وكرامته.

فحاول أن يوقظ فيهم الفطرة السليمة، ويوجههم إلى الجنس الآخر الذي خلقه الله للرجال.

" قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ "

فكان الجواب:

الآية ٧٩- " قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ"

وهي إشارة خبيثة إلى العمل الخبيث.وأسقط في يد لوط، وأحس ضعفه، وهو غريب بين القوم، نازح إليهم من بعيد، لا عشيرة له تحميه، وليس له من قوة في هذا اليوم العصيب وانفرجت شفتاه عن كلمة حزينة أليمة

الآية ٨٠- " قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ "

قالها وهو يوجه كلامه إلى هؤلاء الفتية- الذين جاء الملائكة في صورتهم- وهم صغارصباح الوجوه ولكنهم- في نظره- ليسوا بأهل بأس ولا قوة. فالتفت إليهم يتمنى أن لو كانوا أهل قوة فيجد بهم قوة. أو لو كان له ركن شديد يحتمي به من ذلك التهديد...

وعند ما ضاقت واستحكمت حلقاتها، وبلغ الكرب أشده.. كشف الرسل للوط عن الركن الشديد الذي يأوي إليه.

الآية ٨١- " قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ "

وأنبئوه نبأهم، لينجو مع أهل بيته الطاهرين، إلا امرأته فإنها كانت من القوم الفاسدين.

" فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ

مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ "

سؤال لإنعاش نفس لوط بعد ما ذاق. لتقريب الموعد وتأكيده. فهو قريب. مع مطلع الصباح.

ثم يفعل الله بالقوم- بقوته- ما لم تكن قوة لوط التي تمناها فاعله.

وأخيراً: مشهد الإهلاك

روى ابن جرير (١٥/٤٤٠) عدة روايات تعيدنا إلى مشهد الإهلاك

١- عن مجاهد أنه قال :(**أَخَذَ جبريلُ قَوْمَ لُوطٍ مِنْ سَرْحهم وَدُورِهِمْ، حَمَلَهُمْ بِمَوَاشِيهِمْ وَأَمْتِعَتِهِمْ، وَرَفَعَهُمْ حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ نُباح كِلَابِهِمْ ثُمَّ أَكْفَأَهُمْ)**

٢-وعن مجاهد أيضاً: **(أَدْخَلَ جَنَاحَهُ تَحْتَ الأرضِ السُّفلى مِنْ قَومِ لوطٍ ثُمَّ أَخَذَهُمْ بالجناحِ، الأيمنِ فأخذهم مع سرحهم ومواشيهم. ثم رفعها)**



الاستنباط:

يستفاد من هذه الآيات ما استفيد من قبلها تماماً ولك أن تحذف ما يتصل بالطعام والشراب لتضع محله هذه الفائدة:

١-ما يتمتع به الملائكة عموماً وجبريل على وجه الخصوص من القوة والقدرة، نرى ذلك في مشاهد الإهلاك التي سقناها آنفاً.

التوحد والتكرار:

لهذا المشهد حضوره في القرآن الكريم فلسوف يتكرر في مواطن ثلاثة:

١-في الآيات (٥١ – ٥٦) من سورة (الحجر).

٢-في الآيات (٢٧ – ٣٤) من سورة (العنكبوت).

٣-في الآيات (٣١ – ٣٧) من سورة (الذاريات).

ولقد أطلنا هنا لنختصر هناك.

الآيات الواردة في

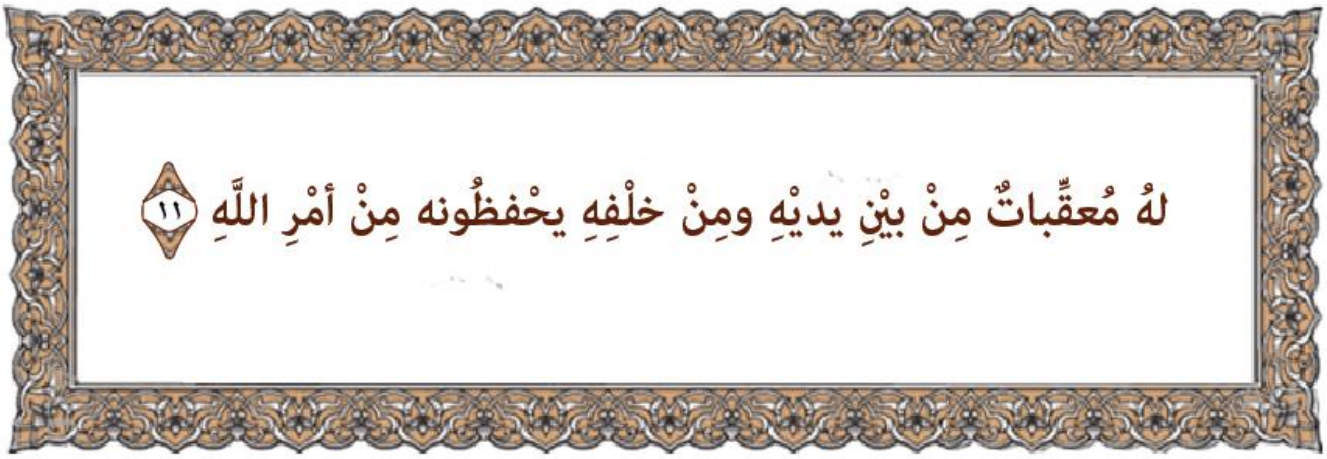
-١٠-
سورة الرعد



مما له صلة بعالم الملائكة

٤٤-الملائكة المعقّبات

وهم طائفة من الملائكة ورد ذكرهم في الآية (١١) من سورة (الرَّعد) ونصُّها يقول:



بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ ً-المفردات:

٢٤٨-**مُعَقِّبَاتٌ: قال صاحب المفردات[1]، والتعقيب:** أن يأتي بشيء بعد آخر، وساق الآية ثم قال:أي: ملائكةٌ يتعاقبون عليه حافظين له. **وقال صاحب المقاييس[2]: عَقِبَ** أصلان صحيحان، أحدهما: يدل على تأخير شيء وإتيانه بعد غيره، ونَقَلَ عن الخليل قوله: كل شيء يعقب شيئاً فهو عقيبه... بمنزلة الليل والنهار إذا مضى أحدهما عَقَبَ الآخر وهما عقيبان، كل واحد منهما عقيب صاحبه.

١-انظر " المفردات" م/عقب.
٢-انظر " المقاييس" م/عقب.

ونقل ابن حجر في الفتح (٣٤/٢) عن ابن عبد البر قوله: وإنما يكون التعاقب بين طائفتين أو رجلين بأن يأتي هذا مرة ويعقبه هذا اهـ.

٢٤٩-**مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ:** قدّامه وأمامه.

٢٥٠-**مِنْ خَلْفِهِ:** من ورائه.

٢٥١-**يَحْفَظُونَهُ:** مضارع حفظ، **قال صاحب المقاييس**[1] حفظ أصلٌ واحدٌ يدل على مراعاة الشيء.

٢٥٢-**مِنْ أَمْرِ اللَّهِ:** للعلماء أقوال في معنى هذا الجزء من الآية[2]:

١- **القول الأول: و قد** ذَكَرَهُ ابْنُ الأَنْبارِيِّ قال: إنَّ كَلِمَةَ "مِن" مَعْناها الباءُ، والتَّقْدِيرُ: يَحْفَظُونَهُ بِأمْرِ اللَّهِ وبِإعانَتِهِ، والدَّلِيلُ عَلى أنَّهُ لا بُدَّ مِنَ المَصِيرِ إلَيْهِ أنَّهُ لا قُدْرَةَ لِلْمَلائِكَةِ ولا لِأحَدٍ مِنَ الخَلْقِ عَلى أنْ يَحْفَظُوا أحَدًا مِن أمْرِ اللَّهِ ومِمّا قَضاهُ عَلَيْهِ.

٢- **القول الثاني:** أنَّ فِيهِ إضْمارًا؛ أيْ: ذَلِكَ الحِفْظُ مِن أمْرِ اللَّهِ؛ أيْ مِمّا أمَرَاللَّهُ بِهِ، فَحُذِفَ الِاسْمُ وأُبْقِيَ خَبَرُهُ.

٢-الإعراب:

لَهُ: جار ومجرور متعلقان بالخبر المقدم المقدر.

مُعَقِّبَاتٌ: مبتدأ مرفوع.

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ:جار ومجرور ومضاف إليه وهي متعلقة باسم الفاعل "معقبات"

وَمِنْ خَلْفِهِ: جار ومجرور معطوفان على ما قبلهما.

١-انظر " المفردات" م / حفظ.
٢-انظر " تفسير الرازي" ١٩ / ١٨

يَحْفَظُونَهُ: مضارع من الأفعال الخمسة مرفوع **والواو**: فاعله، **والهاء:** مفعول به.

مِنْ أَمْرِ اللَّهِ: جار ومجرور ومضاف إليه، متعلقان بالفعل.

وجملة (يَحْفَظُونَهُ): في محل رفع صفة لـ معقبات.

٣ً-البلاغة:

١-في قوله " **مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ**" طباق.

٢-المناسبة:

قال الإمام الرازي (١٧/١٩) اعلم أن الضمير في قوله " **لَهُ**" عائد إلى "من" في قوله " **سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ**"

التفسير وحل الإشكالات :

١-التفسير :

اتفق العلماء على أن " **المعقبات** " يتناول بالدرجة الأولى " **الملائكة الحراس** " ولكنهم اختلفوا فيما وراء ذلك بمعنى هل يقف هذا المعنى عند هذا الحد أم يتجاوز ذلك؟ **على أقوال**:

١- **يقول العلامة الرازي :** (١٩/ ١٧) فِي الْمُرَادِ بِالْمُعَقِّبَاتِ قَوْلَانِ: **الْأَوَّلُ:** وَهُوَ الْمَشْهُورُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ الْحَفَظَةُ وَإِنَّمَا صَحَّ وَصْفُهُمْ بِالْمُعَقِّبَاتِ، إِمَّا لِأَجْلِ أَنَّ مَلَائِكَةَ اللَّيْلِ تَعْقُبُ مَلَائِكَةَ النَّهَارِ وَبِالْعَكْسِ، وَإِمَّا لِأَجْلِ أَنَّهُمْ يَتَعَقَّبُونَ أَعْمَالَ الْعِبَادِ وَيَتْبَعُونَهَا بِالْحِفْظِ وَالْكَتْبِ، وَكُلُّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ فَقَدْ عَقَّبَ، فَعَلَى هَذَا الْمُرَادُ مِنَ الْمُعَقِّبَاتِ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ.

رُوِيَ عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنِ الْعَبْدِ كَمْ مَعَهُ مِنْ مَلَكٍ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَلَكٌ عَنْ يَمِينِكَ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ وَهُوَ أَمِينٌ عَلَى الَّذِي عَلَى الشِّمَالِ فَإِذَا عَمِلْتَ حَسَنَةً كُتِبَتْ عَشْرًا، وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً قَالَ الَّذِي عَلَى الشِّمَالِ لِصَاحِبِ الْيَمِينِ أَكْتُبُ؟

فَيَقُولُ لَا لَعَلَّهُ يَتُوبُ فَإِذَا قَالَ ثَلَاثًا قَالَ نَعَمْ اكْتُبْ أَرَاحَنَا اللَّهُ مِنْهُ فَبِئْسَ الْقَرِينُ مَا أَقَلَّ مُرَاقَبَتَهُ لِلَّهِ تَعَالَى وَاسْتِحْيَاءَهُ مِنَّا، وَمَلَكَانِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَمَلَكٌ قَابِضٌ عَلَى نَاصِيَتِكَ فَإِذَا تَوَاضَعْتَ لِرَبِّكَ رَفَعَكَ وَإِنْ تَجَبَّرْتَ قَصَمَكَ، وَمَلَكَانِ عَلَى شَفَتَيْكَ يَحْفَظَانِ عَلَيْكَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، وَمَلَكٌ عَلَى فِيكَ لَا يَدَعُ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَّةَ فِي فِيكَ، وَمَلَكَانِ عَلَى عَيْنَيْكَ... فَهَؤُلَاءِ عَشَرَةُ أَمْلَاكٍ عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ تُبَدَّلُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ بِمَلَائِكَةِ النَّهَارِ فَهُمْ عِشْرُونَ مَلَكًا عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ»

الثاني : وهو أيضاً منقول عن ابن عباس ، واختاره أبو مسلم الأصفهاني حيث قال والمرادُ :

أنه يستوي في علم الله السر والجهر والمستخفي بظلمة الليل، والسارب بالنهار المستظهر بالمعاونين والأنصار، وهم الملوك والأمراء فمن لجأ إلى الليل فلن يفوتَ اللهَ أمره، ومن سار نهاراً بالمعقبات وهم الأحراس والأعوان الذين يحفظونه لم ينجِّه أحراسه من الله، والمعقب العون ... والمقصود من هذا الكلام بعث السلاطين والأمراء والكبراء على أن يطلبوا الخلاص من المكاره عن حفظ الله وعصمته ولا يعولوا في دَفْعِها على الأعوان والأنصار ...

يقول العلامة ابن كثير(١٢١/٢) لِلْعَبْدِ مَلَائِكَةٌ يَتَعَاقَبُونَ عَلَيْهِ، حَرَس بِاللَّيْلِ وحَرَس بِالنَّهَارِ، يَحْفَظُونَهُ مِنَ الْأَسْوَاءِ وَالْحَادِثَاتِ، كَمَا يَتَعَاقَبُ مَلَائِكَةٌ آخَرُونَ لِحِفْظِ الْأَعْمَالِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، فَاثْنَانِ عَنِ الْيَمِينِ و"**عَنِ**" الشِّمَالِ يَكْتُبَانِ الْأَعْمَالَ، صَاحِبُ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ، وَصَاحِبُ الشِّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ، وَمَلَكَانِ آخَرَانِ يَحْفَظَانِهِ وَيَحْرُسَانِهِ، وَاحِدًا مِنْ وَرَائِهِ وَآخَرَ مِنْ قُدَّامِهِ، فَهُوَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَمْلَاكٍ بِالنَّهَارِ، وَأَرْبَعَةٍ آخَرِينَ بِاللَّيْلِ بَدَلًا حَافِظَانِ وَكَاتِبَانِ.

يقول العلامة ابن حجر(١٢/٢) نقلاً عن القرطبي قوله: والأظهر عندي أنهم غير الحفظة **(الكتبة)** وقال ابن حجر : ويقوّيه أنه لم ينقل أنّ الحفظة يفارقون العبد ولا أن حفظة الليل غير حفظة النهار وبأنهم لو كانوا

هم الحفظة لم يقع الاكتفاء في السؤال منهم عن حالة الترك دون غيرها في قوله " **كيف تركتم عبادي** "

والراجح -عندي - أنَّ الملائكة المعقبات تعني بالتحديد الملائكة الذين يتعاقبون على العبد :

حرس بالليل ،وحرس بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات .... واحد من قدامه ، وآخر من ورائه .



والذي رجح عندي هذا اعتبارات :

١-**ألفاظ الآية** فجميعها ذات صلة بالحماية والحراسة : **من بين يديه ، ومن خلفه، يحفظونه ، سوءاً ، لا مردَّ له** ...

٢-**توزع الملائكة أمامه وخلفه** وهذا شأن الحراس لا الكتبة فهما متوزّعان عن اليمين والشمال لا الأمام والخلف



٣- أن الله وصف هؤلاء بالمعقبات بينما وصف الكتبة بقوله " **عن اليمين وعن الشمال قعيد** "

٤-ختام الآية " **وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ**"

٥-**ما ذكرهُ ابن حجر من أنه :**

أ-لم ينقل أن الحفظة يفارقون العبد

ب-لو كان المراد بالحفظة هنا الكتبة لم يقع الاكتفاء في السؤال منهم عن حالة الترك دون غيرها في قول

" **كيف تركتم عبادي** "

٢-حل الإشكالات :

تثير هذه الآية عن قارئها الفطن استفسارات منها :

١-لماذا توزعت المعقبات بين يدي الإنسان ومن خلفه وحسبُ ؟

٢-ما معنى وجود المعقبات ونحن نرى الناس يصابون بشتى المصائب في أجسادهم ؟

وللإجابة عن السؤال الأول نسوق ما ذكره الرازي (١٧/١٩) حيث قال:

لأن السارب بالنهارإذا سعى في مهماته فإنما يحذر من بين يديه، ومن خلفه ١هـ

وأقوى من هذا أن نقول: إن الحراس البشريين نراهم يُطَوِقُونَ المحروس من أمامه ومن خلفه فغالب الأخطار تكون من هاتين الجهتين فإنَّ من أراد سوءاً بإنسان فإنه يهاجمه من أمامه، أو يغتاله من ورائه.

وللإجابة عن السؤال الثاني نسوق أمامك بعضاً من النقول عن جهابذة التفسير فيها الإجابة عن هذا السؤال :

١-**يقول ابن عباس:** ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله خلّوا عنه.

٢-**يقول مجاهد:** ما من عبد إلا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس الهوام، فما منها شيء يأتيه يريده إلا

قال الملك : وراءك إلا شيء يأذن الله به فيصيبه.

٣-**قال أبو أمامة**: ما من آدمي إلا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلمه للذي قُدِّر له.

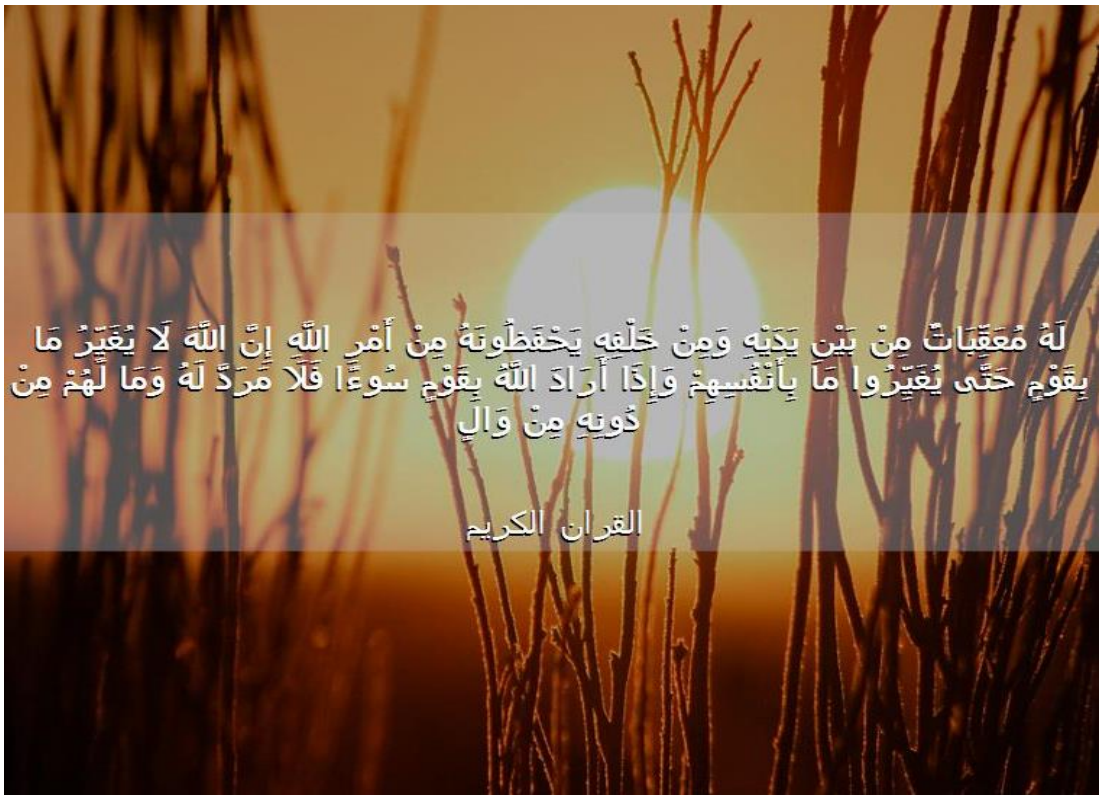
٤-**قال أبومجلز**: جاء رجل من مراد إلى علي وهو يصلي ، فقال: احترسّ، فإنَّ ناساً من مراد يريدون قتلك فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يُقَدَّرْ، فإذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه وإن الأجل جنة حصينة.



الاستنباط :

١-إثبات وجود عالم الملائكة الكرام.

٢-إثبات وجود صنف المعقبات التي تقوم بحراسة الناس وهما اثنان واحد من أمامه وآخر من خلفه، وهما يتعاقبان مع آخرين ويتم ذلك عند صلاتي العصر والفجر.



٤٥-الملائكة ـ تسبّح الله ـ من خيفته

وقد جاء هذا المعنى أثناء الحديث عن ظاهرتي البرق والرعد في الآيات (١٢-١٣) من سورة (الرعد) ونصُّها يقول :

هُو الَّذِي يُرِيكُمُ الْبرْق خوْفاً وطمعاً ويُنْشِئُ السَّحاب الثِّقال ﴿١٢﴾
ويُسبِّحُ الرَّعْدُ بِحمْدِهِ والْملائِكةُ مِنْ خِيفتِهِ ويُرْسِلُ الصَّواعِق فيُصِيبُ
بِها منْ يشاءُ وهُمْ يُجادِلُون فِي اللَّهِ وهُو شدِيدُ المِحالِ ﴿١٣﴾

ببن يدي التفسير :

١-المفردات والإعراب والبلاغة :

أ-المفردات :



٢٥٣- **الْبَرْقَ**: ظاهرة طبيعية بصرية تبدو على شكل شرارة كهربائية والتي تنشأ عن تفريغ مفاجئ وعنيف في مناطق الغلاف الجوي المشحونة.

أو هو ذاك الَّضوء المبهر الذي يظهر فجأة في قلب السماء في الأيام التي تسوء فيها الأحوال الجوية، وهذا الضوء المبهر

ناشئ نتيجة لتصادم سحابتين:

إحداهما تحملّ الشحنة الكهربائية السَّالبة، والأخرى تحمل الشحنة الكهربائية الموجبة[1].

٢٥٤- **خَوْفًا: قال ابن كثير (٢/٩٢٤)** قال قتادة : خوفاً للمسافر يخاف أذاه ومشقته.

٢٥٥-**طَمَعًا:قال ابن كثير (٢/٩٢٤)** قال قتادة : وطمعاً للمقيم يرجو بركته ومنفعته ويطمع في رزق الله.

٢٥٦- **السَّحَابَ الثِّقَالَ: قال العلماء " المعاصرون"** يتشكل البرق عادةً داخل السحاب الركامي المجتمع بعضه فوق بعض وهذا معنى الثقال.



٢٥٧- **يُسَبِّحُ: قال صاحب المفردات[2]السبح**: المَرُّ السريعُ في الماء وفي الهواء ...

والتسبيح : تنزيه الله ...وجُعِلَ عَلَماً على العبادات قولاً كانت أم فعلاً أم نية .

١-إذا علمت أنَّ ومضة البرق الواحدة تنتج تياراً كهربائياً يتراوح من (١٠) ألاف آمبير ، وحتى [1] (٢٠٠)ألف آمبير ، وإذا علمت أن شرارة البرق قد تمتد إلى أكثر من عشرة كم علمت معنى قول الله **خَوْفًا** على حقيقته.

٢-انظر "المفردات" م / سبح.

٢٥٨- **الرَّعْدُ:** هو ذاك الصوت الذي يحدث مصاحباً للبرق وبتدرج من دوي منخفض إلى فرقعة حادة وذلك اعتماداًعلى طبيعة البرق وبعد السّامع عن المصدر، ويسمى صوت الرعد هزيماً **وأما عن سبب حدوثه** فمردُّ ذلك إلى الارتفاع المفاجئ في الضغط ودرجات الحرارة في وسط الهواء المحيط بسبب حدوث البرق وهذا التمدد يشكل بدوره موجاتِ صدمةٍ صوتيةٍ تتمثل بصوت الرعد ١ هـ

٢٥٩- **بِحَمْدِهِ: قال صاحب المفردات**[1]الحمد لله الثناء عليه بالفضيلة وهو أخصُّ من المدح، وأعمُّ من الشكر .

٢٦٠- **خِيفَتِهِ: قال صاحب المفردات**[2] : الخيفة : الحالة التي عليها الإنسان من الخوف ... ويستعمل استعمال الخوف وساق الآية.

وقال صاحب المقاييس : الخوف يدل على الذعر والفزع .



٢٦١- **الصَّوَاعِقَ:** جمع صاعقة وهي شرارة ضخمة من الضوء يليها صوت عالٍ (الرعد)، وتؤدي الصاعقة إلى تسخين الهواء إلى درجة حرارة أكبر بخمسة أضعاف من درجة حرارة الشمس فيتمدد الهواء في الجو مما يحدث انفجاراً .

١-انظر"المفردات" م / حمد.
٢-انظر "المفردات "م / خوف.

٢٦٢- **يُجَـادِلُونَ:** مضارع :جادل **قال صاحب المفردات**[1]الجدال :المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة.

قال ابن كثير (٩٢٨/٢) أي يَشُكُّونَ في عظمته وأنه لا إله إلا هو .

٢٦٣- **الْـمِحَـالِ : قال ابن جرير (٣٩٤/١٦)** والله شديدةٌ مماحلَتُهُ في عقوبة من طغى عليه وعتا وتمادى في كفره .

٢ ً-الإعراب :

هُـوَ: ضمير منفصل مبتدأ.

الَّذِي: اسم موصول خبره ،وجملة (يريكم) صلته.

خَوْفًا: مفعول لأجله منصوب ولا مانع من إعرابه حالاً.

٢-المناسبة :

يقول العلامة الرازي (٢٠/١٩) اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا خَوَّفَ الْعِبَادَ بِإِنْزَالِ مَا لَا مَرَدَّ لَـهُ أَتْبَـعَـهُ بِذِكْرِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا دَلَائِلُ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحِكْمَتِهِ، وَأَنَّهَا تُشْبِهُ النِّعَمَ وَالْإِحْسَانَ مِنْ بَعْضِ الْوُجُـوهِ.

أقول : وعني بالأمور الثلاثة :البرق والرعد والصواعق.

٣-سبب النزول :

قال ابن جرير (٣٩٣/١٦) :

وقد اختلف فيمن أنزلت هذه الآية :

١-**فقال بعضهم** :نزلت في كافر من الكفار ذكرالله بغير ما ينبغي ذكره فأرسل

١-انظر "المقاييس "م / خوف.

عليه صاعقةً أهلكتهُ .

٢-**وقال آخرون** :نزلت في رجل من الكفار أنكر القرآن وكذّب النبيَّ .

٣-**وقال آخرون** : نزلت في أربد أخي لبيد بن ربيعة وكان همَّ بقتل رسولُ اللهِ هو وعامر بن الطفيل .

وأيّاً ما كانَ الأمرُ فالأسباب متقاربة .

التفسير وحل الإشكالات :

التفسير :

أورد صاحب الظلال كلاماً طويلاً نفيساً نسوقُ منه هذا المقتطف (٤/٢٠٢١) والعجيب أنه في هول البرق والرعد والصواعق وفي زحمة تسبيح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته ، وزمجرة العواصف بغضبه ... في هذا الهول ترتفع أصوات بشرية بالجدل في الله صاحب كل هذه القوى ، وباعث كل هذه الأصوات التي ترتفع على كل جدال وكل محال.

ما يقال عند سماع صوت الرعد :

روى مالك في مُوَطّئه عن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال : سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته.

ثم يقول :إن هذا لوعيد لأهل الأرض شديد .

روى الطبراني في الدعاء برقم (٩٨٥) عن ابن عباس أنه قال: كنا مع عمر بن الخطاب في سفر فأصابنا رعد وبرق وبَرد فقال لنا كعبُ من قال حين يسمع الرعد " سبحان من يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته " ثلاثاً عوفي مما يكون في ذلك الرعد قال ابن

عباس: فقلنا فعوفينا .

روى الطبراني في معجمه الكبير (١١٣٧١) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا سمعتم الرّعد فاذكروا الله فإنه لا يصيبُ ذاكراً.

الصواعق وآخر الزمان :

روى الإمام أحمد " بسندٍ صحيح "عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله قال : تكثر الصَّواعق عند اقتراب السَّاعة ،حتى يأتي الرجل القوم ، فيقول :من صَعِقَ قِبَلَكُم الغداة ؟

فيقولون : صَعِقَ فلان وفلان .



ويعلل العلامة ابن كثير هذا (٢/٩٢٥) فيقول عند قوله تعالى " **وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ** " أي: يرسلها نقمة ينتقم بها ممن يشاء ولهذا تكثر في آخر الزمان .

الإستنباط :

١-إثبات وجود عالم الملائكة .

٢-خوف الملائكة من الله خوفا يدعوها إلى تسبيحه .



٤٦-الملائكة يدخلون على أهل الجنة للسلام عليهم

وهذا المشهد عبرت عنه الآيات (٢٠-٢٤) من سورة الرعد ونصها الكامل يقول :

الَّذِين يُوفُون بِعهْدِ اللَّهِ ولاينْقُضُون الْمِيثاق ﴿٢٠﴾ والَّذين يَصِلُونَ ما أمر اللَّهُ بِهِ أنْ يُوصل ويخْشوْن ربَّهُمْ ويخافون سُوء الْحِسابِ ﴿٢١﴾ والَّذِين صبرُوا ابْتِغاء وجْهِ ربِّهِمْ وأقامُوا الصَّلاة وأنْفقُوا مِمَّا رزقْناهُمْ سِرًّا وعلانِية ويدْرءُون بِالْحسنةِ السَّيِّئة أُولئِك لهُمْ عُقْبى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جنَّاتُ عدْنٍ يدْخُلُونها ومنْ صلح مِنْ آبائِهِمْ وأزْواجِهِمْ و ذُرِّيَّاتِهِمْ والْملائِكةُ يدْخُلُون عَلَيهِم مِنْ كُلِّ باب ﴿٢٣﴾ سلامٌ عليْكُمْ بِما صبرْتُمْ فنِعْم عُقْبى الدَّارِ ﴿٢٤﴾

بين يدي التفسير :

١-المفردات والإعراب والبلاغة :

١-المفردات :

٢٦٤- **سَلَامٌ عَلَيْكُمْ** :**قال صاحب المفردات** السِّلم والسَّلامة : التّعري من الآفات الظاهرة والباطنة ...

والسَّلامة الحقيقية ليست إلا في الجنة إذ فيها بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وصحة بلا سقم.

٢٦٥- **بِمَا صَبَرْتُمْ**: **قال الإمام الرازي (٢٧/١٩)** وأما قوله : بما صبرتم فنعم عقبى الدار ففيه وجهان :

١-**أنه متعلق بالسّلام** : والمعنى أنه إنما حصلت لكم هذه السلامة بواسطة صبركم على الطاعات وترك المحرمات .

٢-**أنه متعلق بمحذوف والتقدير**: أن هذه الكرامات التي ترونها، وهذه الخيرات التي تشاهدونها، إنَّما حصلت بواسطة ذلك الصبر .

٢٦٦- **عُقْبَى :قال صاحب المفردات** : والعُقب والعُقبى يختصان بالثواب ، وساق الآية ١ هـ.

٢ ً-الإعراب :

وَالْمَلَائِكَةُ: الواو: للحال، **الملائكة**: مبتدأ خبره جملة (**يدخلون**) وما بعدها من الجار والمجرور**عليهم** ، **من كل باب:** متعلقان بالفعل.

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ: مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب مفعول به لفعل محذوف يقولون:.

بِمَا صَبَرْتُمْ:جار ومجرور متعلقان بسلام.

فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ: الفاء: استئنافية. **نعم :** فعل ماض جامد لإنشاء المدح، **عُقْبَى:** فاعل ، وما بعده مضاف إليه ،والمخصوص محذوف وتقديره: عقباكم أو هذه العقبة .

٢-المناسبة :

لهذه الآية ارتباطٌ بما قبلها حيث جاءت مُفَصِلَةً لقوله تعالى " **إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** " **أفاده الرازي (٣٢/١٩)**

التفسير وحل المشكلات :

١-التفسير :

يقول العلامة الرازي (٣٣/١٩) واعلم أن هذه الآية من أولها إلى آخرها جملةٌ واحدةٌ، شرطٌ وجزاءٌ، وشرطها مشتمل على قيود، وجزاؤها يشتمل على قيود.

أما القيود المعتبرة في الشرط فهي تسعة :

القيد الأول: قوله : " الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ " ... ويدخل فيه الإتيان بجميع المأمورات، والانتهاء عن كل المنهيات، ويدخل فيه الوفاء بالعقود في المعاملات ، وأداء الأمانات، وهذا هو القول المختار الصحيح في تأويل الآية .

القيد الثاني : قوله :" وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ " وقول الآكثرين أن هذا الكلام قريب من الوفاء بالعهد .

القيد الثالث : قوله: " وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ..." وهو رعاية جميع حقوق العباد فيدخل فيه صلة الرحم، وصلة القرابة الثابتة بسبب أخوة الإيمان.

القيد الرابع : قوله :" وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ".

القيد الخامس : قوله:" وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ".

القيد السادس : قوله:" وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ،وبالجملة الصبر على ترك المعاصي، وعلى أداء الطاعات .

القيد السابع : قوله : " وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ .

القيد الثامن :قوله : " وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً "

القيد التاسع :قوله : " وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ " فهم لا يقابلون

الشربالشر بل يقابلون الشر بالخير.

وأما القيود المعتبرة في الجزاء فهي أربعة :

القيد الأول : قوله :" أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ" أي: عاقبة الدار وهي الجنة .

القيد الثاني : قوله:" جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ".

القيد الثالث : قوله :" وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ " قاله

ابن عباس: يريد من صدّق بما صدّقوا به وإن لم يعمل مثل عملهم.

وقال الزجاج : بيَّنَ تعالى أن الأنساب لا تنفعُ إذا لم يحصل معها أعمال صالحة .

القيد الرابع : قوله :" وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ"

وقال العلامة ابن كثير (٢/٩٣٥) أي: وتدخل عليهم الملائكة من هاهنا وهاهنا للتهنئة بدخول الجنة ، فعند دخولهم إيّاها تَفِدُ عليهم الملائكة مسلّمين مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريبِ والإنعامِ ، والإقامةِ في دار السَّلام في جوار الأنبياء والصديقين والرسل الكرام.

روى الإمام أحمد بسند جيد **عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِي،عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ؟**

قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

قَالَ: أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ،وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً

فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحَيّوهُمْ،
فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ، وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟
قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِ، لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ، وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً
قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ"

الاستنباط :

١-إثبات وجود عالم الملائكة .

٢-أن من وظائف الملائكة الدّخول على أهل الجنة بعد دخولهم الجنة مهنِّئين .

الآيات الواردة في

-١١-
سورة الحجر



الحجر

مما له صلة بعالم الملائكة

٤٧-اقتراحات مراوغة من الكافرين

" لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصَّادقين "

ونجد هذا الاقتراح مع الرد عليه في الآيات (٦-٨) من سورة (الحجر) ونصُّها يقول :

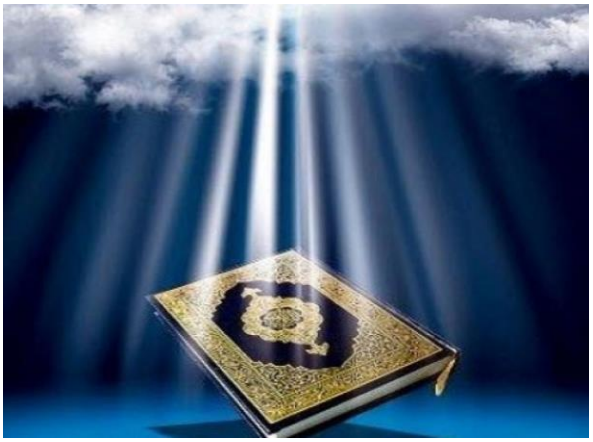


وبما أن هذا المعنى قد سبق في الآية (٨) من سورة الأنعام ، وسيأتي فإننا سنكتفي ببيان المناسبة مع التفسير والاستنباط .

المناسبة :

يقول العلامة الرازي (١٢١/١٩) اعلم أنه تعالى لمّا بالغ في تهديد الكفار بعد ذلك شُبَهَهُمْ في إنكار نبوته وأجاب عنها .

التفسير :



يقول العلامة ابن جرير ونعم ما قال (٩٩/١٢) يقول تعالى ذكره:وقال هؤلاء المشركون لك من قومك يا محمد " **يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ** " وهوالقرآن...

" **إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ** "في دعائك إيانا إلى أن نتَّبعك، ونذر آلهتنا

" **لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ** " قالوا: هلا تأتينا بالملائكة شاهدة لك على صدق ما تقول.

" **إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** " يعني: إن كنت صادقا في أن الله تعالى بعثك إلينا رسولا وأنزل عليك كتابا، فإن الربّ الذي فعل ما تقول بك، لا يتعذّر عليه إرسال ملك من ملائكته معك حجة لك علينا، وآية لك على نبوّتك، وصدق مقالتك...

فأجابهم الله بقوله " **مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ** " **والمعنى:** ما ننزل ملائكتنا إلا بالحقّ، يعني بالرسالة إلى رسلنا، أو بالعذاب لمن أردنا تعذيبه. ولو أرسلنا إلى هؤلاء المشركين.... فكفروا لم يُنظروا فيؤخروا بالعذاب، بل عوجلوا به كما فعلنا ذلك بمن قبلهم من الأمم حين سألوا الآيات فكفروا حين آتتهم الآيات، فعاجلناهم بالعقوبة.

يقول العلامة الرازي (١٢١/١٩) اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَالَغَ فِي تَهْدِيدِ الْكُفَّارِ ذَكَرَ بَعْدَهُ شُبَهَهُمْ فِي إِنْكَارِ نُبُوَّتِهِ.

فَالشُّبْهَةُ الْأُولَى: أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْجُنُونِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَبْعِدُونَ كَوْنَهُ رَسُولًا حَقًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، فَالرَّجُلُ إِذَا سَمِعَ كَلَامًا مُسْتَبْعَدًا مِنْ غَيْرِهِ فَرُبَّمَا قَالَ لَهُ هَذَا جُنُونٌ وَأَنْتَ مَجْنُونٌ لِبُعْدِ مَا يَذْكُرُهُ مِنْ طَرِيقَةِ الْعَقْلِ...

ثُمَّ حَكَى عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي تَقْرِيرِ شُبَهِهِمْ...

" **لَوْ مَا تَأْتِينا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** "والْمُرَادُ لَوْ كُنْتَ صَادِقًا فِي ادِّعَاءِ النُّبُوَّةِ لَأَتَيْتَنَا بِالْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ عِنْدَنَا بِصِدْقِكَ فِيمَا تَدَّعِيهِ مِنَ الرِّسَالَةِ، لِأَنَّ الْمُرْسَلَ الْحَكِيمَ إِذَا حَاوَلَ تَحْصِيلَ أَمْرٍ، وَلَهُ طَرِيقٌ يُفْضِي إِلَى تَحْصِيلِ ذَلِكَ الْمَقْصُودِ قَطْعًا، وَطَرِيقٌ آخَرُ قَدْ يُفْضِي وَقَدْ لَا يُفْضِي، وَيَكُونُ فِي مَحَلِّ الشُّكُوكِ وَالشُّبَهَاتِ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْحَكِيمُ أَرَادَ تَحْصِيلَ ذَلِكَ

الْمَقْصُودِ، فَإِنَّهُ يُحَاوِلُ تَحْصِيلَهُ بِالطَّرِيقِ الْأَوَّلِ لَا بِالطَّرِيقِ الثَّانِي، وَإِنْزَالُ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَكَ، وَيُقَرِّرُونَ قَوْلَكَ طَرِيقٌ يُفْضِي إِلَى حُصُولِ هَذَا الْمَقْصُودِ قَطْعًا، وَالطَّرِيقُ الَّذِي تُقَرِّرُ بِهِ صِحَّةَ نُبُوَّتِكَ طَرِيقٌفِي مَحَلِّ الشُّكُوكِ وَالشُّبَهَاتِ، فَلَوْ كُنْتَ صَادِقًا فِي ادِّعَاءِ النُّبُوَّةِ لَوَجَبَ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِنْزَالُ الْمَلَائِكَةِالَّذِينَ يُصَرِّحُونَ بِتَصْدِيقِكَ وَحَيْثُ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّكَ لَسْتَ مِنَ النُّبُوَّةِ فِي شَيْءٍ، فَهَذَا تَقْرِيرُ هَذِهِ الشُّبْهَةِ. نَظِيرُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ:

" وَقالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ " [الْأَنْعَامِ: ٨] **ثُمَّ أَنَّهُ تَعَالَى أَجَابَ عَنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ بِقَوْلِهِ:** مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَما كانُوا إِذاً...

وتَقْرِيرُ هَذَا الْجَوَابِ أَنَّ إِنْزَالَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَعِنْدَ حُصُولِ الْفَائِدَةِ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حَالِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ أَنَّهُ لَوْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ لَبَقُوا مُصِرِّينَ عَلَى كُفْرِهِمْ... فَيَصِيرُ إِنْزَالُهُمْ عَبَثًا بَاطِلًا، وَلَا يَكُونُ حَقًّا، فَلِهَذَا السَّبَبِ مَا أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

الاستنباط :

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي .

٢-أن الكفار كانوا يؤمنون بوجود هذا العالم ن ولكنه إيمانٌ غير مجدِ .

٤٨-الملائكة تسجد لآدم
و
يأبى إبليس أن يكون مع الساجدين

وهذا المشهدُ أفصحت عنه الآيات (٢٨-٣١) من سورة الحجر ونصها يقول :

وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

وبما أن المشهد قد سبق في سورة (البقرة) وغيرها ، وسيأتي في سورة (الإسراء) وغيرها فنكتفي بذكر المناسبة والتفسير مع الاستنباط.

المناسبة :

يقول العلامة الرازي(١٣٧/١٩)اعلم أن هذا هو النوع السابع من دلائل التوحيد، فإنه تعالى لما استدل بتخليق الحيوانات على صحة التوحيد في الآيات المتقدمة أردفه بالاستدلال بتخليق الإنسان على هذا المطلوب

التفسير :

يقول صاحب الظلال (٢١٣٨/٤) :وإذ قال ربك للملائكة.. متى قال؟. وأين قال؟ وكيف قال؟...

لا سبيل إلى الإجابة، لأنه ليس لدينا نص يجيب. وليس لنا من سبيل إلى ذلك الغيب إلا بنص... فأما خلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والنفخ فيه من روح الله فكيف كان؟ فهو كذلك ما لا ندري كيفيته، ولا سبيل إلى تحديد هذه الكيفية بحال من الأحوال.

ولقد كان خلق الإنسان من عناصر هذا الطين اللزج المتحول إلى صلصال ثم من النفخة العلوية التي فرقت بينه وبين سائر الأحياء ومنحته خصائصه الإنسانية، التي أفردته منذ نشأته عن كل الكائنات الحية فسلك طريقاً غيرطريقها منذ الابتداء. بينما بقيت هي في مستواها الحيواني لا تتعداه! هذه النفخة التي تصله بالملأ الأعلى وتجعله أهلاً للاتصال بالله، وللتلقي عنه ولتجاوز النطاق المادي... إلى النطاق التجريدي. لقد قال الله للملائكة:

" إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين" وقد كان ما قاله الله. فقوله – تعالى – إرادة. وتوجه الإرادة ينشئ الخلق المراد...

" فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ " .. كما هي طبيعة هذا الخلق- الملائكة- الطاعة المطلقة بلا جدل أو تعويق.

" إِلَّا إِبْلِيسَ أَبى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ".. وإبليس خلق آخر غير الملائكة. فهو من نار وهم من نور. وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. وهو أبى وعصى. فليس هو من الملائكة

بيقين.

أما الاستثناء هنا فليس على وجهه. إنما هو كما تقول: حضر بنو فلان إلا أحمد. وليس منهم. إنما هو معهم في كل مكان أوملابسة.

وأما أن الأمر المذكور للملائكة: " **وإذ قال ربك للملائكة** " فكيف شمل إبليس؟ فإن صدور الأمر إلى إبليس يدل عليه ما بعده، وقد ذكر صريحاً في سورة الأعراف: " **قال: ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك؟** " .. وأسلوب القرآن يكتفي بالدلالة اللاحقة في كثير من المواضع. فقول الله تعالى له: " **ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ؟** " .. قاطع في أن الأمر قد صدر له. وليس من الضروري أن يكون هذا الأمر هو أمره للملائكة. فقد يصدر إليه معهم لاجتماعه بهم في ملابسة ما. وقد يصدر إليه منفردا ولا يذكر تهوينا لشأنه وإظهارا للملائكة في الموقف. ولكن المقطوع به من النصوص ومن دلالة تصرفه أنه ليس من الملائكة.

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.
٢- الملائكة معصومة لا تعص الله ما أمرها.
٣- إبليس ليس من الملائكة فإنه أبى أن يكون مع الساجدين.

٤٩- الملائكة وإبراهيم
بشارة بغلام عليم ونذارة بعذاب أليم

وهذان المشهدان المتناقضان حوتهما الآيات: (٥١-٦٠) من سورة (الحجر) ونصُّها يقول:



وبما أن هذين المشهدين قد سبقا وسيتكرران فإننا سنكتفي ببيان المناسبة والتفسير مع الاستنباط.

المناسبة:

يقول العلامة الرازي (١٩/١٥٠) اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَالَغَ فِي تَقْرِيرِ أَمْرِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ أَرْدَفَهُ بِذِكْرِ دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ، ثُمَّ ذَكَرَ عَقِيبَهُ أَحْوَالَ الْقِيَامَةِ وَصِفَةِ الْأَشْقِيَاءِ وَالسُّعَدَاءِ، أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لِيَكُونَ سَمَاعُهَا مُرَغِّبًا فِي الطَّاعَةِ... وَمُحَذِّرًا عَنِ الْمَعْصِيَةِ... فَبَدَأَ أَوَّلًا بِقِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام.

التفسير:

يقول صاحب الظلال (٢١٤٧/٤) بعد أن سرد قول الحق"**وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ، قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ، قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ، قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ، قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ** " قالوا: سلاما. قال: إنا منكم وجلون..

ولم يذكر هنا سبب قوله، ولم يذكر أنه جاءهم بعجل حنيذ..-كما هو في هود- ذلك أن المجال هنا هو مجال تصديق الرحمة التي ينبئ الله بها عباده على لسان رسوله، لا مجال تفصيلات قصة إبراهيم...

قالُوا: **لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ** " .. وهكذا عجلوا له البشرى، وعجل بها السياق دون تفصيل. كذلك يثبت هنا رد إبراهيم ولا يدخل امرأته وحوارها في هذه الحلقة:

" **قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ** " فقد استبعد إبراهيم في أول الأمر أن يرزق بولد وقد مسه الكبر. فرده الملائكة إلى اليقين.

" **قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ** " أي من اليائسين. فآب إبراهيم سريعا، ونفى عن نفسه القنوط من رحمة الله.

" **قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ** " وبرزت كلمة " **الرحمة** " في حكاية قول إبراهيم تنسيقا مع المقدمة في هذا السياق وبرزت معها الحقيقة الكلية: أنه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون...

وهنا- وقد اطمأن إبراهيم إلى الملائكة، وثابت نفسه واطمأنت للبشرى- راح يستطلع سبب مجيئهم وغايته

" قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ، قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ، إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ " ولا يعرض السياق لجدال إبراهيم عن لوط وقومه هنا كما عرض له في سورة هود. بل يصل إخبار الملائكة له، بالنبأ كله.

ذلك أنه يصدق رحمة الله بلوط وأهله، وعذابه لامرأته وقومه. وينتهي بذلك دورهم مع إبراهيم، ويمضون لعملهم مع قوم لوط..

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.
٢- قدرة الملائكة على التشكل والتصور على المثال البشري.
٣- الملائكة صاحبة رسالة توصلها بالبشارة أو النذارة.
٤- الملائكة مخلوقات عاقلة.

٥٠- الملائكة ولوط

دابر قومك - يا لوط - مقطوع مصبحين

وهذا المشهد المروع الرّهيب جاء ضمن الآيات (٦١-٧٧) من سورة (الحجر) ونصُّها يقول:


فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾
فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ
مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ
نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾
فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

وبما أن هذا المشهد قد سبق فيما مضى فإننا سنكتفي ببيان المناسبة والتفسير مع الاستنباط:

المناسبة:

لما انتهى السياق القرآني من قصة إبراهيم انتقل لقصة لوط انتقالَ الملائكة من إبراهيم إلى لوط.

التفسير:

ونواصل مع صاحب الظلال (٢١٤٨/٤) يقول بعد أن ساق قول الحق " **فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ، قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ، وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ، فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ، وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ** "

وهكذا يعجل السياق إخبارهم للوط بأنهم الملائكة، جاءوه بما كان قومه يمترون فيه من أخذهم بذنوبهم وإهلاكهم جزاء ما يرتكبون، تصديقا لوعد الله، وتوكيدا لوقوع العذاب حين ينزل الملائكة بلا إبطاء.

" **قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ** "... قالها ضيّق النفس بهم، وهو يعرف قومه، ويعرف ماذا سيحاولون بأضيافه هؤلاء، وهو بين قومه غريب، وهم فجرة فاحشون.. إنكم قوم منكرون أن تجيئوا إلى هذه القرية وأهلها مشهورون بما يفعلون مع أمثالكم حين يجيئون!

" **قَالُوا: بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ، وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصادِقُونَ** " .. وهذه التوكيدات كلها تصور لنا جزع لوط وكربه. وهو في حيرة بين واجبه لضيفه وضعفه عن حمايتهم في وجه قومه...

" **فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ. وَاتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ، وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ، وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ** " وجاء الأمر للوط أن يسير بأهله في الليل قبل الصبح، وأن يكون هو في مؤخرتهم يتفقدهم ولا يدع أحدا منهم يتخلف أو يتلكأ أو يتلفت إلى الديار...

وكان الموعد هو الصبح والصبح قريب... وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ: أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ وأطلعناه على ذلك الأمر الخطير: أن آخر هؤلاء القوم- وهو دابرهم- مقطوع في الصباح. وإذا انقطع آخرهم فقد انقطع أولهم والتعبير على هذا النحو يصور النهاية الشاملة التي لا تبقي أحدا...



الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.
٢- قدرة الملائكة على التشكل والتصور على النموذج البشري.
٣- أن الملائكة من رسل الله.
٤- قوة الملائكة الهائلة حيث دمرت قوم لوط، وأخمدت أنفاسهم، وقطعت نسلهم وصاروا أثراً بعد عين وعبرة لمن يعتبر.

الآيات الواردة في

-١٢-
سورة النحل



مما له صلة بعالم الملائكة

٥١-الملائكة ينزلها الله بالروح

على

من يشاء من عباده

وهذا المعنى كشفت عنه الآية (٢) من سورة (النحل) ونصُّها يقول:

يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ ً-المفردات:

٢٦٧-**الْمَلَائِكَةَ:** المراد بالملائكة هنا جبريل عليه السلام .

قال الرازي (١٦٩/١٩) روي عن عطاء عن ابن عباس أنه قال: يريد بالملائكة جبريل وحده.

فإن قلت: ولكن كيف يطلق الجمع ويريد به واحداً؟

يجيب عن ذلك الواحدي فيما **نقله عنه الرازي (١٦٩/١٩)** قال: وتسمية الواحد باسم الجمع إذا كان الواحد رئيساً مقدماً جائز.

٢٦٨-**بِالرُّوحِ:** للروح في القرآن عدة معانٍ، والمراد منها هنا الوحي، **ذكر ذلك الطبري (١٦٤/١٧) وابن كثير (١٠٣٢/٢) .**

وللإمام الرازي كلام نفيس جداً يحسن سرده هنا يقول رحمه الله (١٦٩/١٩) القرآن والوحي به تكمل المعارف الإلهية، والمكاشفات الربانية، وهذه المعارف بها يشرق العقل ويصفو ويكملُ، والعقل به يكمل جوهر الروح، والروح به يكمل حال الجسد، وعند هذا يظهر أن الروح الأصلي الحقيقي هو الوحي والقرآن لأن به يحصل الخلاص من رقدة الجهل ونوم الغفلة... فظهر أن إطلاق لفظ الروح على الوحي في غاية المناسبة والمشاكلة ومما يقوي ذلك أنه تعالى أطلق لفظ الروح على جبريل في قوله: " **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ**" [الشعراء/ ١٩٣ – ١٩٤] وعلى عيسى في قوله " **رَوْحِ اللَّهِ** " [يوسف/٨٧] وإنما حسن

هذا الإطلاق لأنه حصل بسبب وجودهما حياة القلب وهي الهداية والمعارف، فلما حسن إطلاق اسم الروح عليهما لهذا المعنى فلأن يحسن إطلاق لفظ الروح على الوحي والنزيل كان ذلك أولى.

٢٦٩-**مِنْ أَمْرِهِ: قال الرازي (١٦٩/١٩)** يعني أن ذلك التنزيل والنزول لا يكون إلا بأمر الله تعالى، ونظيره " **وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ** "...[مريم / ٦٤] فكل هذه الآيات دالة على أنهم لا يُقْدِمُونَ على عمل من الأعمال إلا بأمر الله وبإذنه.

٢٧٠-**عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ: قال الطبري (١٦٥/١٧)** يعنى على من يشاء من رسله.

وقال ابن كثير (١٠٣٢/٢) وهم الأنبياء.

٢ ً-الإعراب:

أَنْ: تفسيرية.

أَنَّهُ: أنّ: حرف توكيد ونصب، **والهاء**: اسمها في محل نصب، وجملة **(لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا)** خبرها.

٣ ً-البلاغة:

١-قوله **(يُنَزِّلُ)**بالتضعيف ليفيد معنى التكثير والتكرار، وهو كذلك لكثرة الأنبياء ولكثرة ما ينزل

على كل نبي أو رسول.

٢-المناسبة:

لمَّا نزه الله نفسه عن الشريك أتبع ذلك ببيان أن الوحي الذي أنزل على جميع الأنبياء والمرسلين على مر العصور وكر الدهور هو الدعوة إلى توحيد الله عزوجل.

وثمة ملحظ آخر هو أن لسورة النحل اسم آخر.

قال الرازي (١٧٦/١٩) واعلم أن هذه السورة تسمى سورة **النِّعم** وقد استفتحت بأجلِّ النعم على البشرية: نعمة الوحي وعبّر عنه بالروح مما في هذه الكلمة من ظلال الحياة التي يضادها الموت،

قال صاحب الظلال (٢١٦٠/٢) وهو -الوحي- أول ما ينزله الله من السماء للناس وأول النعم التي يمن الله بها على العباد.

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

يقول العلامة ابن جرير(١٦٥/١٣) وتأويل الكلام أن الله ينزل ملائكته بما يحيا به الحق ويضمحل به الباطل من أمره **"عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** " يعني على من يشاء من رسله " **أَنْ أَنْذِرُوا..."** بأن أنذروا عبادي سطوتي على كفرهم وإشراكهم في اتخاذهم معي الآلهة والأوثان فإنه لا إله إلا أنا.

ويقول العلامة الرازي (١٨٦/١٩) إنه تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عبيده، ويأمر ذلك العبد بأن يبلّغ إلى سائر الخلق أنَّ إله العالم واحد كلّفهم بمعرفة التوحيد والعبادة... فبهذا الطريق صار مخصوصاً بهذه المعارف من دون سائرالخلق.

ويقول صاحب الظلال رحمه الله(٢١٦٠/٤) وهذا أولى نعمه وكبراها. فهو لا ينزل من السماء ماء يحيي الأرض والأجسام وحدها - كما سيجيء - إنما ينزل الملائكة بالروح من أمره وللتعبير بالروح ظله ومعناه. فهوحياة ومبعث حياة: حياة في النفوس والضمائر والعقول والمشاعر. وحياة في المجتمع تحفظه من الفساد والتحلل والانهيار. وهو أول ما ينزله الله من السماء للناس، وأول النعم التي يمن الله بها على العباد. تنزل به الملائكة أطهرخلق الله على المختارين من عباده - الأنبياء - خلاصته وفحواه " **أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ"**

٢-حل الإشكالات:

روي عن ابن عباس أن المراد بالملائكة هنا جبريل، فكيف أطلق وأراد الخصوص؟

يقول الواحدي فيما نقله عنه الرازي (١٦٩/١٩): وتسمية الواحد - يعني جبريل - باسم الجمع- يعني الملائكة - إذا كان ذاك الواحد رئيساً مقدماً فيهم جائز.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي إثباتاً لا يقبل معه نفي، ولا تأويل، فقد أضاف القرآن إلى الملائكة –جبريل- التنزل بالوحي على الأنبياء.

٢-أن من وظائف الملائكة المراد بها هنا جبريل كما روي ذلك ابن عباس مهمة جليلة هي التنزل بالوحي (كلام الله) على الأنبياء والمرسلين ليقوموا بتبليغه.

٥٢-الملائكة تتوفى أرواح الظالمين
و
هم عند ذاك الحال تراهم مستسلمين

وهذا المشهد المرعب حوته الآيات (٢٧ – ٢٩) من سورة النحل / النِّعم ونصّها يقول:


قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ
فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

وبما أن هذا المشهد قد سبق من قبل فإننا سنقتصر هنا على المناسبة والتفسير.

المناسبة:

قال الإمام الرازي (١٩٨/٢) اعلم أن المقصود من الآية المبالغة في وصف وعيد أولئك الكفار.

التفسير:

يقول العلامة ابن جرير(١٩٥/١٣) يقول تعالى ذكره **"قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ:** " إن الخزي اليوم والسوء على من كفر بالله فجحد وحدانيته .

" **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ** " يقول الذين تقبض أرواحهم الملائكة.

" **ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ** " يعني: وهم على كفرهم وشركهم بالله...

" **فَأَلْقَوُا السَّلَمَ**" يقول: فاستسلموا لأمره وانقادوا له حين عاينوا الموت قد نزل بهم فقالوا " **مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ**" اعتصاماً منهم بالباطل رجاء أن ينجوا بذلك،فكذبهم الله: بل كنتم تعملون السوء وتصدون عن سبيل الله.

" **إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ".

ويقول صاحب الظلال أطل الله بظله (٢١٦٩/٤) هذا مشهد ساعة الاحتضار، والملائكة تتوفاهم ظالمين لأنفسهم بما حرموها من الإيمان واليقين وبما أوردوها موارد الهلاك، وبما قادوها في النهاية إلى النار والعذاب.

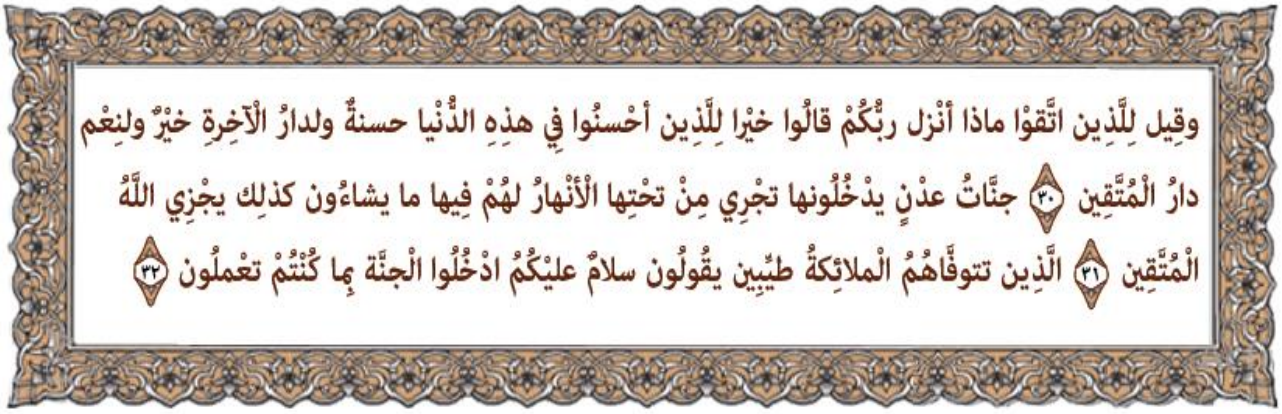
" **فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ** " ألقوا السلم هؤلاء المستكبرون فإذا هم مستسلمون لا يهمون بنزاع أو خصام إنما يلقون السلم ويعرضون الاستسلام ثم يكذبون -ولعله ظرف من مكرهم في الدنيا- فيقولون مستسلمين.

" **مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ** " وهو مشهد مخز وموقف مهين لأولئك المستكبرين ويجيئهم الجواب " **بَلَىٰ** " من العليم بما كان منهم.

" **إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** " فلا سبيل إلى الكذب والمغالطة والتمويه...

٥٣-الملائكة تتوفى أرواح المؤمنين
مع
السلام عليهم ودعوتهم لدخول الجنة

وهذا المشهد المحبب حضنته الآيات (٣٠ – ٣٢) من سورة النحل / النِّعم ونصّها يقول:


وقِيل لِلَّذِين اتَّقوْا ماذا أنْزل ربُّكُمْ قالُوا خيْرا لِلَّذِين أحْسنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حسنةٌ ولدارُ الْآخِرةِ خيْرٌ ولنِعْم
دارُ الْمُتَّقِين ﴿٣٠﴾ جنَّاتُ عدْنٍ يدْخُلُونها تجْرِي مِنْ تحْتِها الْأنْهارُ لهُمْ فِيها ما يشاءُون كذلِك يجْزِي اللَّهُ
الْمُتَّقِين ﴿٣١﴾ الَّذِين تتوفَّاهُمُ الْملائِكةُ طيِّبِين يقُولُون سلامٌ علَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجنَّة بِما كُنْتُمْ تعْملُون ﴿٣٢﴾

وبما أن هذا المشهد قد سبق فإننا سنقتصر على المناسبة والتفسير.

المناسبة:

يقول العلامة ابن كثير (١٠٤٢/٢) هذا خبر عن السعداء بخلاف ما أخبر به عن الأشقياء.

وقد بسط **الرازي المناسبة بأوسع مما سبق (٢٠٠/٢٠)** حيث قال: اعلم أنه تعالى لما بين أحوال الأقوام الذين إذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم؟ قالوا أساطير الأولين... وذكر أن الملائكة تتوفاهم ظالمي أنفسهم... أتبعه بذكر وصف المؤمنين الذين إذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم؟ قالوا خيراً... ذكر أن الملائكة تتوفاهم طيبين وتسلم عليهم وتدعوهم إلى دخول الجنة...

التفسير:

يقول العلامة ابن جرير (١٩٨/١٧)يعني جل ثناؤه أن الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين وهي تقول لهم: سلام عليكم صيروا إلى الجنة بشارة من الله تبشرهم بها الملائكة.

قال صاحب الظلال رحمه الله (٢١٦٩/٤) وهذا مشهد الاحتضار وهو مشهد هيّن ليّن كريم

" **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ** " طيبة نفوسهم لبقاء الله، معافين من الكرب وعذاب الموت.

" **يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ** " طمأنة لقلوبهم، وترحيباً بقدرهم.

" **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** " تعجيلاً لهم بالبشرى وهم على أعتاب الآخرة جزاءً وفاقاً على ما كانوا يعملون ١هـ.

٥٤-آمنوا- أيها الكفار – قبل أن تأتي الملائكة لقبض أرواحكم

وهذا المشهد عبرت عنه الآية (٣٣) من سورة النحل / النعم



ونصها يقول:

وبما أن هذا المشهد قد سبق فإننا سنكتفي هنا بمناسبته وتفسيره.

المناسبة:

لمّا طعن القوم بالقرآن وقالوا عنه: أساطير الأولين، وذكر الله أنواع التهديد والوعيد لهم، ثم أتبعه بذكر الوعد لمن وصف القرآن بكونه خيراً وصدقاً وصواباً، عاد إلى بيان أن أولئك الكفار لا ينزجرون عن الكفر إلا إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم أو يأتي أمر ربك بحشرهم لموقف القيامة.

التفسير:

يقول العلامة ابن كثير (٢/١٠٤٥) يقول تعالى متهدداً للمشركين على تماديهم في الباطل واغترارهم بالدنيا: هل ينتظر هؤلاء إلاَّ الملائكة أن تأتيهم تقبض أرواحهم.

" **أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ**" أي: يوم القيامة وما يعاينونه من الأهوال وقوله كذلك

" **مِنْ قَبْلِهِمْ** " أي هكذا تمادى في شركهم أسلافهم ونظراؤهم وأشباههم من المشركين، حتى ذاقوا بأس الله، وحلوا فيما هم فيه من العذاب والنكال...

ويقول صاحب الظلال رحمه الله (٢١٩٩/٤) وفي ظل هذا المشهد بشقيه: مشهد الاحتضار، مشهد البعث، يعقِّبُ السّياق بسؤال عن المشركين من قريش.

ماذا تنتظرون؟

أينتظرون الملائكة فتتوفاهم؟

أم ينتظرون أمر الله فيبعثهم؟

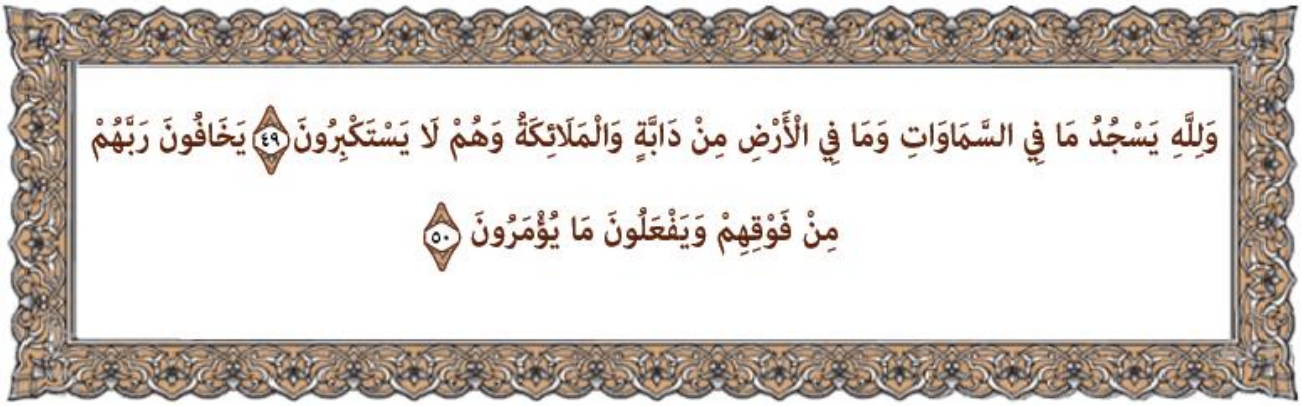
وهذا ما ينتظرهم عند الوفاة، وما ينتظرهم يوم يبعثهم الله!.

أوليس في مصير المكذبين قبلهم وقد شهدوه ممثلاً في ذينك المشهدين عبرة وغناء؟

٥٥-الملائكة تسجد لله

ويخافون منه، ويفعلون ما يؤْمرون

وهذا المعنى تجده في الآيات (٤٩ – ٥٠) من سورة النحل / النِّعم ونصُّها يقول:


وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

وبما أن هذا المعنى قد سَبق فإننا سنقتصر على المناسبة، والتفسير، والاستنباط.

المناسبة:

يقول الرازي (١٢٣/٢)اعلم أنه تعالى لما خوّف المشركين بالأنواع الأربعة المذكورة من العذاب أردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير أحوال العالم العلوي والسفلي- والذي يتمثل في خضوع كل شيء له، ليظهر لهم أن مع كمال هذه القدرة الباهرة، والقوة غير المتناهية لا يعجز عن إيصال العذاب إليهم على أحد تلك الأقسام الأربعة.

التفسير:

يقول العلامة ابن جرير (٢١٩/١٧) يقول تعالى ذكره: ولله يخضع ويستسلم لأمره ما في السماوات وما في الأرض، من دابة تدب عليها، والملائكة التي في السماوات وهم لا يستكبرون عن التذلل له بالطاعة.

" **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** " أي: يخاف هؤلاء الملائكة التي في السماوات، وما في الأرض من دابة. يخافون ربهم من فوقهم أن يعذبهم إن عصوا أمره،

"**وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** " أي: ما يأمرهم الله به فيؤدون حقوقه، ويجتنبون سخطه.

يقول صاحب الظلال (٢١٧٣/٤) والسياق القرآني يعبرعن خضوع الأشياء لنواميس الله بالسجود - وهو اقصى مظاهر الخضوع – ويوجه إلى حركة الظلال المتفيئة أي: الراجعة بعد امتداد... ويرسم المخلوقات داخرة أي: خاضعة خاشعة طائعة، ويضم إليها ما في السماوات وما في الأرض من دابة، ويضيف إلى الحشد الكوني الملائكة فإذا مشهد عجيب من الأشياء والظلال والدواب ومعهم الملائكة في مقام خشوع وخضوع وعبادة وسجود



لا يستكبرون عن عبادة الله، ولا يخالفون عن أمره، والمنكرون المستكبرون من بني الإنسان وحدهم شواذ في هذا المقام العجيب.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي كيف لا وقد نسب إليه كل تلك الصفات (السجود، عدم الاستكبار، الخوف من الله، امتثال الأوامر).
٢-عصمة الملائكة .

يقول العلامة الرازي(٢٠/٢١٧) وفيها دلالة قاطعة على عصمة الملائكة عن جميع الذنوب لأن قوله " **وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**" يدل على أنهم منقادون لصانعهم وخالقهم وأنهم ما خالفوه في أمر من الأمور...

وكذلك قوله " **وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** " يدل على أنهم فعلوا كل ما كانوا مأمورين به، وذلك يدل على عصمتهم عن كل الذنوب.

٣-إبليس ليس من الملائكة.

يقول الرازي (٢٠/٢١٧) وإذا ثبت بهذه الآية كون الملائكة معصومين من كل الذنوب، وثبت أن إبليس ما كان معصوماً من الذنوب بل كان كافراً، لزم القطع بأن إبليس ما كان من الملائكة.

٤-من صفات الملائكة الخوف من الله .

ويكشف الرازي عن طبيعة هذا الخوف فيقول (٢٠/٢١٨)الأصح أن خوف الملائكة خوف إجلال، هكذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والدليل على صحته قوله تعالى " **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**" [فاطر/٢٨]، وهذا يدل على أنه كلما كانت معرفة الله تعالى أتم، كان الخوف منه أعظم، وهذا الخوف لا يكون إلا خوف الإجلال والكبرياء.



٥٦- قل: نزّله على روح القدس

وهذا جزء من الآيات (١٠١ – ١٠٢) من سورة النحل / النِّعم وتمامها:



وقد سبق هذا المعنى غير مرة ولذا سنقتصر على المناسبة والتفسير والاستنباط.

المناسبة:

قال الرازي (٢٧/٢) اعلم أنه تعالى شرَعَ من هذا الموضع في حكاية شبهات منكري نبوة محمد.

التفسير:

يقول العلامة ابن كثير (١٠٧٩/٢) يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين وقلة ثباتهم وإيقانهم وأنه لا يتصور منهم الإيمان، وقد كتب عليهم الشقاوة وذلك أنهم إذا رأوا تغير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

" **إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ** " فقال تعالى مجيباً لهم " **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ** " أي:جبريل" **مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ** " أي: بالصدق والعدل.

" **لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا** " فيصدقوا بما أنزل أولاً وثانياً.

" وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ".

يقول العلامة صاحب الظلال (٤/٢١٩٤) إن المشركين لا يدركون وظيفة هذا الكتاب. لا يدركون أنه جاء لإنشاء مجتمع عالمي إنساني، وبناء أمة تقود هذا المجتمع العالمي. وأنه الرسالة الأخيرة التي ليست بعدها من السماء رسالة، وأن الله الذي خلق البشر عليم بما يصلح لهم من المبادئ والشرائع.

فإذا بدل آية انتهى أجلها واستنفدت أغراضها، ليأتي بآية أخرى **أصلح للحالة الجديدة** التي صارت إليها الأمة، **وأصلح للبقاء** بعد ذلك الدهر الطويل الذي لا يعلمه إلا هو، فالشأن له...

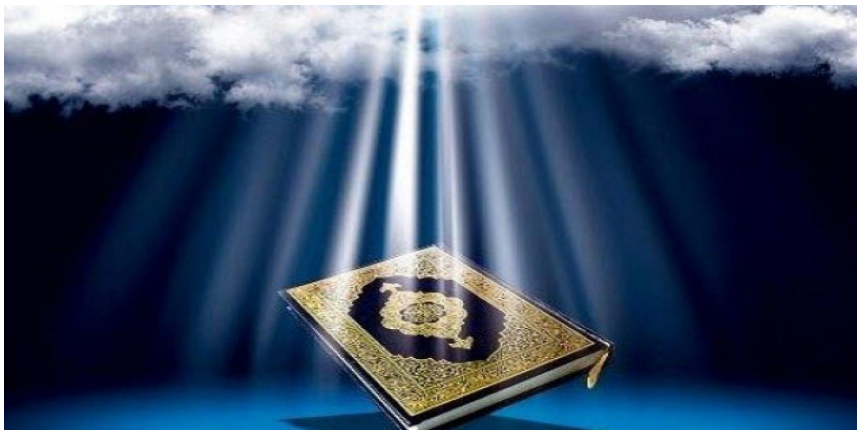
إن المشركين لا يدركون شيئاً من هذا كله، ومن ثم لم يدركوا حكمة تبديل آية مكان آية في حياة الرسول- صلى الله عليه وسلم- فحسبوها افتراء منه وهو الصادق الأمين الذي لم يعهدوا عليه كذباً قط.

" قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ " .. فما يمكن أن يكون افتراء وقد نزله " رُوحُ الْقُدُسِ "- جبريل عليه السلام- " مِنْ رَبِّكَ " لا من عندك " بِالْحَقِّ " لا يتلبس به الباطل.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-إثبات أن جبريل تنزَّل بالقرآن من عند الله.



الآيات الواردة في

-١٣-
سورة الإسراء



مما له صلة بعالم الملائكة

٥٧- ما اتخذ الله من الملائكة إناثاً

وهذا ما تصرح به الآية (٤٠) من سورة (الإسراء / بني إسرائيل) وتقول الآية:



المناسبة:

يقول العلامة الرازي (٣٤٤/٢٠) اعلم أنه تعالى لما نبه على فساد طريقة من أثبت لله شريكاً ونظيراً نبّه على طريقة من أثبت له الولد، وعلى كمال جهل هذه الفرقة وهي أنهم اعتقدوا أن الولد قسمان، فأشرفُ القسمين البنون، وأخسُّها البنات ثم أنهم أثبتوا البنين لأنفسهم... وأثبتوا البنات لله...

التفسير:

يقول ابن جرير (٤٥٢/١٧) يقول تعالى ذكره للذين قالوا من مشركي العرب: الملائكة بنات الله " **أَفَأَصْفَاكُمْ** " أيها الناس " **رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ** " يقول: أفخصكم ربكم بالذكور من الأولاد

" **وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا** " وأنتم لا ترضونهن لأنفسكم بل تئدونهن وتقتلونهن فجعلتم لله مالا ترضونه لأنفسكم، " **إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا** " أي: بقولكم الملائكة بنات الله.

يقول العلامة ابن كثير (١١٣٦/٢) يقول الله راداً على المشركين الكاذبين الزاعمين –عليهم لعائن الله- أن الملائكة بنات الله فجعلوا (اعتقدوا) الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، ثم ادعوا أنهم بنات الله، ثم عبدوهم، فأخطئوا في كلٍّ من المقامات الثلاث خطأ عظيماً فقال تعالى منكراً عليهم:

" **أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ**" أي: خصصكم بالذكور

" **وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا** " أي: واختار لنفسه على زعمكم البنات؟ ثم شدد الإنكار عليهم فقال

" **إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا**"، أي: في زعمكم أن لله ولداً، ثم في جعلكم ولده الإناث اللاتي تأنفون أن يكن لكم وربما قتلتموهن بالوأد

" **تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ** ".

يقول العلامة صاحب الظلال (٢٢٣٠/٤) بعد أن سرد قول الله " **أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا**" استفهام للاستنكار والتهكم. استنكار لما يقولون من أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن الولد والصاحبة كما تعالى عن الشبيه والشريك. وتهكم على نسبة البنات لله وهم يعدون البنات أدنى من البنين ويقتلون البنات خوف الفقرأو العار ومع هذا يجعلون الملائكة إناثا، وينسبون هؤلاء الإناث إلى الله! فإذا كان الله هو واهب البنين والبنات، فهل أصفاهم بالبنين المفضلين واتخذ لنفسه الإناث المفضولات؟! وهذا كله على سبيل مجاراتهم في ادعاءاتهم لبيان ما فيها من تفكك وتهافت. وإلا فالقضية كلها مستنكرة من الأساس:

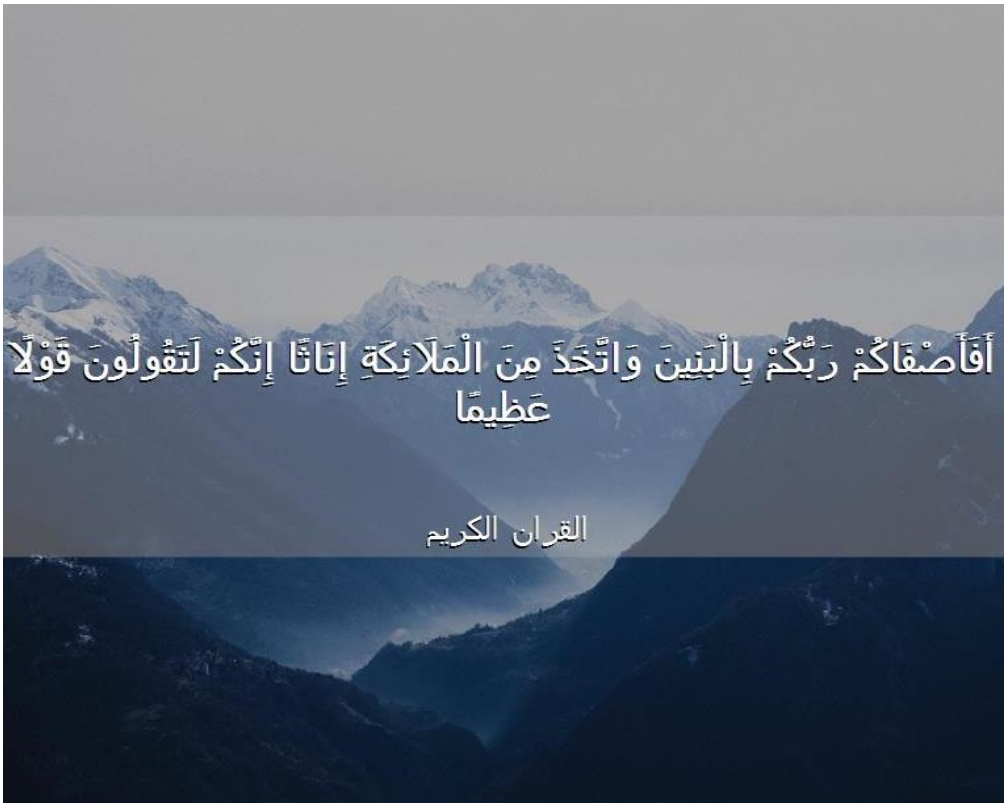
" **إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيماً** " .. عظيما في شناعته وبشاعته، عظيما في جرأته ووقاحته، عظيما في ضخامة الافتراء فيه، عظيما في خروجه عن التصور والتصديق.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-الملائكة لا يوصفون بأنوثة ومن زعم فيهن ذلك –من المسلمين- فهو كافر مرتد عن الإسلام.

٣-الملائكة عباد من عباد الله ولا يجوز أن تتوجه العبادة لهن فمن عبدهن من دون الله أو مع الله فهو كافر مرتد عن الإسلام والعياذ بالله.



٥٨- الملائكة يسجدون لآدم

وإبليس يجادل

وهذا المشهد تجده في الآية (٦١) من سورة (الإسراء / بني إسرائيل) ونصُّها يقول:



وبما أن هذا المشهد قد سبق فحسبنا المناسبة والتفسير وأما الاستنباط فقد سبق فلا نعيده.

المناسبة:

ذكر العلامة الرازي (٣٦٥/٢١) ثلاث مناسبات بعضها أجمل من بعض قال:

١- اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي مِحْنَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَأَهْلِ زَمَانِهِ، بَيَّنَ أَنَّ حَالَ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ أَهْلِ زَمَانِهِمْ كَذَلِكَ. أَلَا تَرَى أَنَّ أَوَّلَ الْأَوْلِيَاءِ هُوَ آدَمُ، ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ فِي مِحْنَةٍ شَدِيدَةٍ مِنْ إِبْلِيسَ.

٢-أَنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا نَازَعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَانَدُوهُ وَاقْتَرَحُوا عَلَيْهِ الِاقْتِرَاحَاتِ الْبَاطِلَةَ لِأَمْرَيْنِ الْكِبْرُ وَالْحَسَدُ، أَمَّا الْكِبْرُ فَلِأَنَّ تَكَبُّرَهُمْ كَانَ يَمْنَعُهُمْ مِنَ الِانْقِيَادِ.

وَأَمَّا الْحَسَدُ فَلِأَنَّهُمْ كَانُوا يَحْسُدُونَهُ عَلَى مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالدَّرَجَةِ الْعَالِيَة، فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ هَذَا الْكِبْرَ وَالْحَسَدَ هُمَا اللَّذَانِ حَمَلَا إِبْلِيسَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالدُّخُولِ فِي الْكُفْرِ، فَهَذِهِ بَلِيَّةٌ قَدِيمَةٌ وَمِحْنَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْخَلْقِ.

٣-أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا وَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ:" **فَما يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْياناً كَبِيراً** " [الْإِسْرَاءِ: ٦٠] بَيَّنَ مَا هُوَ السَّبَبُ لِحُصُولِ هَذَا الطُّغْيَانِ وَهُوَ قَوْلُ إِبْلِيسَ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا فَلِأَجْلِ هَذَا الْمَقْصُودِ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قِصَّةَ إِبْلِيسَ وَآدَمَ.

التفسير:

يقول صاحب الظلال (٢٢٣٨/٤) إن السياق يكشف عن الأسباب الأصلية لضلال الضالين فيعرض هذا المشهد هنا ليحذر الناس، وهم يطلعون على أسباب الغواية، ويرون إبليس عدوّهم وعدو أبيهم يتهددهم بها عن إصرار سابق قديم.

" **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا** " إنه حسد إبليس لآدم يجعله يذكر الطين ويغفل نفخة الله في هذا الطين! ويعرّض إبليس بضعف هذا المخلوق واستعداده للغواية فيقول في تبجح " **قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا** "



٥٩- إيمانٌ معلق بشروط
ومنها
" أن تأتي بالله والملائكة قبيلاً "

وهذا المشهد هو ما أفرجت وترجمت عنه الآيات (٩٠ – ٩٣) من سورة (الإسراء / بني إسرائيل) ونصُّها يقول:

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ
فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا
كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾

وبما أن هذا المشهد قد سبق فإننا سنقتصر على سبب النزول والمناسبة مع التفسير، وأما الاستنباط فقد سبق أيضاً.

سبب النزول:

يقول العلامة الرازي (٢١/٤٠٧) حُكِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: « أَنَّ رُؤَسَاءَ أَهْلِ مَكَّةَ أَرْسَلُوا إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ جُلُوسٌ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فَأَتَاهُمْ فَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ إِنَّ أَرْضَ مَكَّةَ ضَيِّقَةٌ فَسَيِّرْ جِبَالَهَا لِنَنْتَفِعَ فِيهَا وَفَجِّرْ لَنَا فِيهَا يَنْبُوعًا أَيْ نَهْرًا وَعُيُونًا نَزْرَعُ فِيهَا فَقَالَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ أَوْ يَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرُ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا فَقَالَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَقِيلَ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَيْ مِنْ ذَهَبٍ فَيُغْنِيكَ عَنَّا فَقَالَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ أَمَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَأْتِيَ قَوْمَكَ بِمَا يَسْأَلُونَكَ فَقَالَ لَا أَسْتَطِيعُ، قَالُوا فَإِذَا كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ الْخَيْرَ فَاسْتَطِعِ الشَّرَّ فَأَسْقِطِ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَيْ: قِطَعًا بِالْعَذَابِ وَقَوْلُهُ كَمَا زَعَمْتَ

إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ:" إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ ١" [الانشقاق:] ، " إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ " [الانفطار: ١].

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيُّ وَأُمُّهُ عَمَّةُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَا أُومِنُ بِكَ حَتَّى تَشُدَّ سُلَّمًا فَتَصْعَدَ فِيهِ وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْكَ فَتَأْتِي بِأَرْبَعَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَكَ بِالرِّسَالَةِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ لَا أَدْرِي أَنُؤْمِنُ بِكَ أَمْ لَا!

المناسبة:

يقول الرازي (٤٠٧/٢١) اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ بِالدَّلِيلِ كَوْنَ الْقُرْآنِ مُعْجِزًا وَظَهَرَ هَذَا الْمُعْجِزِ عَلَى وَفْقِ دَعْوَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحِينَئِذٍ تَمَّ الدَّلِيلُ عَلَى كَوْنِهِ نَبِيًّا صَادِقًا لِأَنَّا نَقُولُ إِنَّ مُحَمَّدًا ادَّعَى النُّبُوَّةَ وَظَهَرَ الْمُعْجِزُ عَلَى وَفْقِ دَعْوَاهُ وَكُلُّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَادِقٌ وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ كَوْنِهِ نَبِيًّا صَادِقًا تَوَاتُرُ الْمُعْجِزَاتِ الْكَثِيرَةِ وَتَوَالِيهَا لِأَنَّا لَوْ فَتَحْنَا هَذَا الْبَابَ لَلَزِمَ أَنْ لَا يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ فِيهِ إِلَى مَقْطَعٍ وَكُلَّمَا أَتَى الرَّسُولُ بِمُعْجِزٍ اقْتَرَحُوا عَلَيْهِ مُعْجِزًا آخَرَ وَلَا يَنْتَهِي الْأَمْرُ فِيهِ إِلَى حَدٍّ يَنْقَطِعُ عِنْدَهُ عِنَادُ الْمُعَانِدِينَ وَتَغَلُّبُ الْجَاهِلِينَ لِأَنَّهُ تَعَالَى حَكَى عَنِ الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ كَوْنُ الْقُرْآنِ مُعْجِزًا الْتَمَسُوا مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْقَاهِرَةِ.

التفسير:

يقول العلامة الرازي (٤٠٩/٢١) عند قوله تعالى **"أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا"** ذاكراً معاني **" قَبِيلًا"**:

١ً- القبيل: بمعنى **المقابل** كالعشير بمعنى المعاشر، وهذ القول منهم يدل على جهلهم حيث لم يعلموا أنه لا يجوز عليه المقابلة، ويقرب منه

"**وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً**" [الأنعام / ١١١].

٢ً- ماقاله ابن عباس يريد **فوجاً بعد فوج**.

٣ً- إن قوله " **قَبِيلًا**" معناه ها هنا **ضامناً وكفيلاً**.

٤ً- **المعاينة**، والدليل عليه قوله تعالى :" **لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا** " [الفرقان / ٢١]

قال صاحب الظلال (٢٢٤٢/٤) وهكذا قصر إدراكهم – يعني كفار قريش- عن التطلع إلى آفاق الإعجاز القرآنية فراحوا يطلبون تلك الخوارق المادية، ويتعنتون في اقتراحاتهم الدالة على الطفولة العقلية، أو يتبجحون في حق الذات الإلهية بلا أدب ولا تحرج... وعلّقوا إيمانهم بالرسول بأن يفجرلهم من الأرض ينبوعاً، أو بأن تكون له جنة من نخيل وعنب يفجر الأنهار خلالها تفجيراً!





أو يأخذهم بعذاب من السماء فيسقطها عليهم قطعاً...



أو أن يأتي بالله والملائكة قبيلاً يناصره ويدفع عنه كما يفعلون هم مع قبائلهم...

فإذا جاءهم بها نظروا في الإيمان به والتصديق له! وغفلوا عن الخارقة الباقية في القرآن...



٦٠-الملائكة لا يكونون أنبياء ولا مرسلين للبشر

وهذا المعنى في الآيات (٩٤ – ٩٥) من سورة (الإسراء / بني إسرائيل) ونصُّها يقول:


وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي
الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾

وبما أن هذا المعنى قد سبق فإننا سنكتفي بالمناسبة والتفسير، وأما عن الاستنباط فقد سبق .

المناسبة:

يقول العلامة الرازي (٢١/٤١٠) اعلم أنه تعالى لما حكى شبهة القوم في اقتراح المعجزات، وأجاب عنها، حكى عنهم شبهة أخرى وهي أن القوم استبعدوا أن يبعث الله إلى الخلق رسولاً من البشر بل اعتقدوا أن الله لوأرسل رسولاً إلى الخلق لوجب أن يكون ذلك الرسول من الملائكة فأجاب عن هذه الشبهة.

التفسير:

قال الرازي (٢١/٤١٠) والمعنى أَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ لَوْ كَانُوا مَلَائِكَةً لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِأَنَّ الْجِنْسَ إِلَى الْجِنْسِ أَمِيلُ أَمَّا لَوْ كَانَ أَهْلُ الْأَرْضِ مِنَ الْبَشَرِ لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُمْ مِنَ الْبَشَرِ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولًا.

وقال العلامة ابن كثير (٢٠/٤١٠) ثم قال تعالى منبهاً على لطفه ورحمته بعباده، أنه يبعث إليهم الرسول من جنسهم، ليفقهوا عنه، ويفهموا منه، لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته، ولو بَعَثَ إلى البشر رسولاً من الملائكة لما استطاعوا مواجهته، ولا الأخذ عنه...

ولهذا قال هنا " **قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ**" أي: كما أنتم فيها " **لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا**" أي: من جنسهم، ولمّا كنتم أنتم بشراً بعثنا لكم رسلنا منكم لطفاً ورحمة.

ولصاحب الظلال كلام نفيس نسوقه هنا (٤/٢٢٤٢) ولقد كانت الشبهة التي عرضت للأقوام من قبل أن يأتيهم محمد- صلى الله عليه وسلم- ومن بعد ما جاءهم، والتي صدتهم عن الإيمان بالرسل وما معهم من الهدى، أنهم استبعدوا أن يكون الرسول بشرا ولا يكون ملكا.

" **وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلَّا أَنْ قالُوا: أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا؟** " وقد نشأ هذا الوهم من عدم إدراك الناس لقيمة بشريتهم وكرامتها على الله، فاستكثروا على بشر أن يكون رسولا من عند الله. كذلك نشأ هذا الوهم من عدم إدراكهم لطبيعة الكون وطبيعة الملائكة، وأنهم ليسوا مهيئين للاستقرار في الأرض وهم في صورتهم الملائكية حتى يميزهم الناس ويستيقنوا أنهم ملائكة.

" **قُلْ: لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولًا** " .فلو قدر الله أن الملائكة تعيش في الأرض لصاغهم في صورة آدمية، لأنها الصورة التي تنفق مع نواميس الخلق وطبيعة الأرض، كما قال في آية أخرى: " **وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ**

رَجُلًا» والله قادر على كل شيء، ولكنه خلق نواميس وبرأ مخلوقاته وفق هذه النواميس بقدرته واختياره، وقدرأن تمضي النواميس في طريقها لا تتبدل ولا تتحول، لتحقق حكمته في الخلق والتكوين- غير أن القوم لا يدركون!



الآيات الواردة في

-١٤-
سورة الكهف



مما له صلة بعالم الملائكة

٦١- إبليس من الجن وليس من الملائكة

وهذا المعنى أوضحت عنه الآية (٥٠) من سورة (الكهف) وتقول الآية:



وبما أن هذا المشهد قد سبق وهو المشهد الأكثر تكراراً من المشاهد الملائكية، فإننا سنقتصر على المناسبة والتفسير وحسب.

المناسبة:

يقول الرازي (٢١ – ٢٧١) اعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ ذِكْرِ الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ الرَّدُّ عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ افْتَخَرُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَعْوَانِهِمْ عَلَى فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَهَذِهِ الْآيَةُ الْمَقْصُودُ مِنْ ذِكْرِهَا عَيْنُ هَذَا الْمَعْنَى، وَذَلِكَ لِأَنَّ إِبْلِيسَ إِنَّمَا تَكَبَّرَ عَلَى آدَمَ لِأَنَّهُ افْتَخَرَ بِأَصْلِهِ وَنَسَبِهِ وَقَالَ: **خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** فَأَنَا أَشْرَفُ مِنْهُ فِي الْأَصْلِ وَالنَّسَبِ فَكَيْفَ أَسْجُدُ وَكَيْفَ أَتَوَاضَعُ لَهُ! وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ عَامَلُوا فُقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِعَيْنِ هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ فَقَالُوا: كَيْفَ نَجْلِسُ مَعَ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءِ مَعَ أَنَّا مِنْ أَنْسَابٍ شَرِيفَةٍ وَهُمْ مِنْ أَنْسَابٍ نَازِلَةٍ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ وَهُمْ فقراء، فالله تعالى ذكر هذه القصة

هاهنا تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ هِيَ بِعَيْنِهَا طَرِيقَةُ إِبْلِيسَ ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى حَذَّرَ عَنْهَا وَعَنِ الِاقْتِدَاءِ بِهَا.

التفسير:

يقول العلامة ابن كثير (٣٧/٣) يَقُولُ تَعَالَى مُنَبِّهًا بَنِي آدَمَ عَلَى عَدَاوَةِ إِبْلِيسَ لَهُمْ وَلِأَبِيهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَمُقَرِّعًا لِمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْهُمْ وَخَالَفَ خَالِقَهُ وَمَوْلَاهُ، الَّذِي أَنْشَأَهُ وَابْتَدَاهُ، وَبِأَلْطَافٍ رَزَقَهُ وَغَذَّاهُ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ وَالَى إِبْلِيسَ وَعَادَى اللَّهَ، فَقَالَ تَعَالَى: " **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ** " أَيْ: لِجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ فِي أَوَّلِ سُورَةِ (الْبَقَرَةِ).

" **اسْجُدُوا لآدَمَ** " أَيْ: سُجُودَ تَشْرِيفٍ وَتَكْرِيمٍ وَتَعْظِيمٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:" **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** " [الْحِجْر:٢٨/٢٩]

وَقَوْلِهِ " **فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ** " أَيْ: خَانَهُ أَصْلُهُ؛ فَإِنَّهُ خُلِقَ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَأَصْلُ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ نُورٍ، **كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم، أنه قَالَ: خُلِقت الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وخُلق إِبْلِيسُ مِنْ مارج من نار، خُلق آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**





فَعِنْدَ الْحَاجَةِ نَضَحَ كُلُّ وِعَاءٍ بِمَا فِيهِ، وَخَانَهُ الطَّبْعُ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَوَسَّمَ بِأَفْعَالِ الْمَلَائِكَةِ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ، وَتَعَبَّدَ وَتَنَسَّكَ، فَلِهَذَا دَخَلَ فِي خِطَابِهِمْ، وَعَصَى بِالْمُخَالَفَةِ.

وَنَبَّهَ تَعَالَى هَاهُنَا عَلَى أَنَّهُ " **مِنَ الْجِنِّ** " أَيْ: إِنَّهُ خُلِق مِنْ نَارٍ، كَمَا قَالَ: " **أَنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** " [الْأَعْرَافِ:١٢]

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَا كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ قَط، وَإِنَّهُ لَأَصْلُ الْجِنِّ، كَمَا أَنَّ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَصْلُ الْبَشَرِ.

رواه ابن جرير بإسناد صحيح.



الآيات الواردة في

-١٥-
سورة مريم



أسرار آيات

مما له صلة بعالم الملائكة

٦٢- جبريل... ومريم... وجهاً لوجه

وقد جاء هذا المشهد الفريد في الآيات (١٦ – ٢١) من سورة (مريم) وتقول الآيات:



وقد سبق هذا المشهد في الآيات (٤٥ - ٤٨) من سورة (آل عمران)

" إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ، قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ"

قال العلامة الرازي (٢٢١/٨) ظاهر قوله **" إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ "** يفيد الجمع إلا أن المشهور أنَّ ذلك المنادي كان جبريل عليه السلام.

قال الواحدي وتسمية الواحد باسم الجمع إذا كان الواحد رئيساً مقدّماً - جائز- وسنكتفي هنا ببيان المناسبة والتفسير وأما الاستنباط فقد ذكر ومضى.

المناسبة:

يقول العلامة ابن كثير (٣/ ٨٣ – ٨٤) لما ذكر تعالى قصة زكريا وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولداً زكياً طاهراً مباركاً عطف بذكر قصة مريم في إيجاده ولدها عيسى منها من غير أب، فإنَّ بين القصتين مناسبة ومشابهة، ولهذا ذكرهما في آل عمران وههنا، وفي سورة الأنبياء، يقرن بين القصتين لتقارب ما بينهما في المعنى ليدلَّ عباده على قدرته وعظمة سلطانه، وأنه على ما يشاء قادر.

التفسير:

يقول العلامة ابن كثير (٣/٨٤) " **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ** " قال:وهي مريم بنت عمران، من سلالة داود عليه السلام.

" **انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا** " أي: اعتزلتهم، وتنحت عنهم وذهبت إلى شرقي المسجد المقدس.

" **فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا** " أي: استترت منهم وتوارت.

" **فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا** " **قال مجاهد وغيره** يعني جبريل .

قال ابن كثير: وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن فإنه تعالى قد قال في الآية الأخر" **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ** " [الشعراء/١٩٣]

" **فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا** " أي: جاءها على صورة إنسان تام كامل.

" **قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا**" أي:لمَّا تبدى لها الملك في صورة بشر، وهي في مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب خافت منه وظنت أنه يريدها على نفسها.

فقالت " **قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا** " أي: إن كنت تخاف الله – فلا تريدني بسوء - تذكره بالله، وينقل **ابن جرير**

عن أبي وائل تعليقاً على قول مريم: قد علمت أن التقي ذو نهية، " **قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا** " أي: فقال لها الملك جبريل مجيباً لها ومزيلاً لما حصل عندها من الخوف على نفسها، لست مما تظنين، ولكني رسول ربك أي بعثني الله إليك.

" **لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا** " أي: عيسى.

" **قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ** " أي: فتعجبت مريم من هذا، وقالت: كيف يكون لي غلام؟، أي: على أي صفة يوجد هذا الغلام مني ولست بذات زوج، ولا يتصور مني الفجور؟ ولهذا قالت: " **وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا** " والبغيّ: هي الزانية.

" **قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ** " أي: فقال لها الملك مجيباً لها عما سألت: إن الله قد قال: إنه سيوجد منك غلاماً وإن لم يكن لك بعل ولا توجد منك فاحشة فإنه على ما يشاء قادر ولهذا قال:" **وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ** " أي: دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم...

" **وَرَحْمَةً مِنَّا** " أي: ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبياً من الأنبياء يدعوإلى عبادة الله تعالى وتوحيده...

" **وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا** " مقضيا يحتمل أن هذا من تمام كلام جبريل لمريم يخبرها أن هذا أمر مقدر في علم الله تعالى وقدره ومشيئته، ويحتمل أن يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأنه كنى بهذاعن النفخ في فرجها...

قال محمد بن إسحاق " **وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا** " أي: إن الله قد عزم على هذا فليس منه بد واختاره **ابن جرير**.

يقول العلامة الرازي (٢١/ ٥٢٠) ... ولما جلست في ذلك المكان أرسل الله إليها الروح، واختلف المفسرون في هذا الروح فقال الأكثرون: إنه جبريل...

وهو الأقرب لأنه يسمى روحاً قال تعالى " **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ على قلبك** " وسمي روحاً لأنه روحاني، وقيل...

وقيل لأن الدين يحيا به، أو سماه الله بروحه على المجاز محبة له وتقريباً... وإذا ثبت أنه يسمى روحاً فهو هنا يجب أن يكون المراد به هو لأنه قال " **إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا** " ولا يليق ذلك إلا بجبريل.

... وإنما تمثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه، فلو ظهر لها في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه.



٦٣- الملائكة لا تتنزل إلا بأمر الله

وتجد هذا المعنى في الآيات (٦٤ – ٦٥) من سورة مريم ونصها يقول:


وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً-المفردات:

٢٧١-**نَتَنَزَّلُ**: **قال صاحب المفردات:** النزول في الأصل هو انحطاط من عُلوٍ...

والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآنِ والملائكةِ أنَّ **التنزيل** يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقاً، ومرة بعد مرة أخرى، و**الإنزال** عام وساق الآية مثالاً على التنزيل.

٢٧٢-**بِأَمْرِ رَبِّكَ**: **قال ابن جرير (٢٢٣/١٨)** إلا بقول ربك.

٢٧٣-**لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا**: **قال ابن كثير (١١٣/٣)** أمْرُ الدنيا، وقيل : ما نستقبل من أمر الآخرة.

٢٧٤-**وَمَا خَلْفَنَا**: أمر الآخرة، أفاده **ابن كثير**، وقيل: ما مضى من الدنيا.

٢٧٥-**وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ**: ما بين النفختين، أفاده **ابن كثير**. أو ما بين الدنيا و الآخرة.

٢٧٦-**نَسِيًّا**: ما نسيك ربك.

٢٧٧-**اصْطَبِرْ**: **قال صاحب المفردات:** الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع.

٢٧٨-**سَمِيًّا**: **قال صاحب المفردات:** أي: نظيراً له يستحق اسمه، وموصوفاً يستحق صفته على التحقيق، وليس المعنى: هل تجد من يتسمى باسمه إذ كان كثير من اسمائه قد يطلق على غيره.

٢ ً-الإعراب:

مَا: نافية.

نَتَنَزَّلُ: مضارع مرفوع فاعله ما استتر فيه من ضمير.

إِلَّا: أداة حصر.

بِأَمْرِ رَبِّكَ: جار ومجرور ومضاف إليه، وهما متعلقان بالفعل يتنزل.

لَهُ: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف.

مَا: اسم موصول مبتدأ، **بين أيدينا:** ظرف ومضاف إليه متعلقان بالصلة المحذوفة [استقرَّ].

رَبُّ: بدل مطابق.

٣ً ـ البلاغة:

في قوله " **ما بين أيدينا وما خلفنا** " طباق.

٢ـالمناسبة:

لهذه الآيات صلة بما قبلها فقد تحدثت الآيات عن الرسل البشريين وأن إرسالهم من الله، وكذلك الرسل الملكيين وأن تنزلهم بأمر الله، " **قل كل من عند الله** ".

٣ـسبب النزول:

روى البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلف، باب: ذكر الملائكة (٣٢١٨) عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت " وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدنا وما خلفنا "

التفسير وحل الإشكالات:

التفسير:

يقول صاحب الظلال (٤/٢٣١٥) وتتضافر الروايات على أن قوله " **وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ** " مما أمر جبريل أن يقوله للرسول رداً على استبطائه للوحي فترة لم يأته فيها جبريل، فاستوحشت نفسه، واشتاقت للاتصال بالحبيب، فكلف جبريل أن يقول له " **وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ** " فهو الذي يملك كل شيء من أمرنا

" **لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ**" وهو لا ينسى شيئاً، إنما ينزل الوحي عندما تقتضي حكمته أن ينزل.

" **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** " فناسب بعد ذلك أن يذكر الاصطبار على عبادة الله مع إعلان الربوبية له دون سواه.

"**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا** " فلا ربوبية لغيره، ولا شرك معه في هذا الكون الكبير .

" **فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ** " والعبادة في الإسلام ليست مجرد الشعائر، إنما هي كل نشاط ، كل حركة، كل خالجة، كل نية، كل اتجاه...

" **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** " هل تعرف له نظيراً؟ تعالى الله عن السمي والنظير.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن الملائكة مطيعة لربها كل الطاعة، وهي كذلك محفوظة عن المعصية وهذا معنى العصمة.

٣-يكشف سبب النزول عن العلاقة الطيبة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين جبريل عليهما السلام.



الآيات الواردة في

-١٦-
سورة طه



مما له صلة بعالم الملائكة

٦٤- قبضة من أثر الرسول

-جبريل-

وقد ورد هذا المشهد ضمن القصة الكاملة للسامري في الآيات (٩٥ – ٩٨) من سورة (طه) ونصُّها يقول:


قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ
وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي
الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

والمراد بالرسول هنا جبريل عليه السلام كما قاله ابن عباس وغيره.

المناسبة:

لما فرغ موسى عليه السلام من الكلام والحوار مع أخيه هارون انتقل للحوار مع السامري.

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

روى ابن جرير (٣١٠/١٨) عن ابن عباس، قال: لما قذفت بنو إسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون في النار، وتكسرت ورأى السامري أثر فرس جبريل عليه السلام، فأخذ تراباً من أثر حافره، ثم أقبل إلى النار فقذفه فيها. وقال: كن عجلاً جسداً له خوار، فكان للابتلاء والفتنة.

وقال صاحب الظلال رحمه الله (٢٣٤٩/٤) وتتكاثر الروايات حول قول السامري هذا. فما هو الذي بصر به؟ ومن هو الرسول الذي قبض قبضة من أثره فنبذها؟ وما علاقة هذا بعجل الذهب الذي صنعه؟ وما أثر هذه القبضة فيه؟

والذي يتردد كثيراً في هذه الروايات أنه رأى جبريل ـ عليه السلام ـ وهو في صورته التي ينزل بها إلى الأرض، فقبض قبضة من تحت قدمه، أو من تحت حافر فرسه، فألقاها على عجل الذهب، فكان له هذا الخوار. أو أنها هي التي أحالت كوم الذهب عجلا له خوار.



والقرآن لا يقرر هنا حقيقة ما حدث، إنما هو يحكي قول السامري مجرد حكاية، ونحن نميل إلى اعتبار هذا عذرا من السامري وتملصا من تبعة ما حدث. وأنه هو الذي صنع العجل من الذهب الذي قذفه بنو إسرائيل من زينة المصريين التي أخذوها معهم،

وأنه صنعه بطريقة تجعل الريح تصوت في فراغه فتحدث صوتا كالخوار. ثم قال حكاية أثر الرسول يبرر بها موقفه، ويرجع الأمر إلى فطنته إلى أثر الرسول...

٢ ً-حل الإشكالات:

أثار الإمام الرازي (٢٢/٩٩) عدة إشكالات حول هذه الآية ستأتي مع الإجابة عنها في **كتابنا أخبار الملائكة.**

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-ما للملائكة من القدرات والبركات.

٦٥- الملائكة سجدوا لآدم
و
إبليس أبى

تجد هذا المشهد في الآية (١١٦) من سورة (طه) ونصُّها يقول:



وبما أن هذا المشهد قد سبق وسيأتي وهو من أكثر المشاهد الملائكية تكراراً في القرآن الكريم فحسبنا هنا بيان المناسبة مع التفسير، وأما ما يستنبط منها فقد سبق فلا نعيده.

المناسبة:

يقول العلامة الرازي (٢٢/١٠٥) اعلم أن هذا هي المرة السادسة من قصة آدم في القرآن أولها في البقرة ثم في الأعراف ثم في الحجر ثم في الإسراء ثم في الكهف ثم ههنا.

واعلم أنَّ في تعلق هذه الآية بما قبلها وجوهاً:

أحدها: أنه تعالى لما قال: " **كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ** " [طه / ٩٩] ... ذكر هذه القصة إنجازاً للوعد وذكر وجوهاً أخرى لا يخلوا بعضها من التكلف.

التفسير وحل الإشكالات:

التفسير:

يقول العلامة ابن كثير (١٧٧/٣) يذكر تعالى تشريف آدم وتكريمه، وما فضله به على كثير ممن خلق تفضيلاً ... وأمره الملائكة بالسجود له تشريفاً وتكريماً، ويبين عداوة إبليس لبني آدم ولأبيهم قديماً ولهذا قال " **فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ** " أي: امتنع واستكبر.



الآيات الواردة في

-١٧-
سورة الأنبياء



الأنبياء
حال ما ذا صارع

مما له صلة بعالم الملائكة

٦٦- الملائكة... لا يستكبرون عن عبادة ربهم ولا يستحسرون ويسبحون ولا يفترون

وهذه الصفات تجدها مجتمعة في الآيات (١٩- ٢٠) من سورة الأنبياء وتقول الآيات:



بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً-المفردات:

٢٧٩-**وَمَنْ عِنْدَهُ: قال العلامة الرازي(٢٢/١٢٥)** ومن عنده: المراد بهم الملائكة بإجماع الأمة، ولأنه تعالى وصفهم بأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وهذا لا يليق بالبشر.

وهذه العِنْدِيّة عندية الشرف والرتبة لا عندية المكان و الجهة، فكأنه قال: الملائكة مع كمال شرفهم ونهاية جلالتهم لا يستكبرون عن طاعته فكيف يليق بالبشر الضعيف التمرّد عن طاعته؟

٢٨٠-**لَا يَسْتَكْبِرُونَ: قال صاحب المفردات[1]:** الكبر والتكبروالاستكبار تتقارب.

فالكبر: الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، **وأعظم التكبر التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة.**

٢٨١-**وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ: قال صاحب المقاييس[2]:** حسر أصل واحد وهو من كشف الشيء.

وقال ابن كثير (١٩١/٢) أي: لا يتعبون ولا يملون.

قال الزمخشري (٣/ ١٠٨) فإن قلت: الاستحسار مبالغة في الحسور،

فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور،

قلت: في الاستحسار: بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه، وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون.

٢٨٢-**يَفْتُرُونَ: قال صاحب المفردات[3]:** الفتور:سكون بعد حدة، ولين بعد شدة، وضعف بعد قوة.

وقال الرازي (١٢٦/٢٢) والمعنى: أن تسبيحهم متصل دائمٌ في جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ أو بشغل آخر.

١-انظر "المفردات" م / كبر.
٢- انظر "المقاييس" م / حسر.
٣- انظر "المفردات" م / فتر.

الإعراب:

مَنْ: اسم موصول مبتدأ صلته فعْلُ **[استقر]** المقدر بعده، وهو متعلق بالظرف الذي يليه، وخبره جملة **(لا يستكبرون)**

اللَّيْلَ: ظرف زمان، وما بعده معطوف عليه.

جملة (لَا يَفْتُرُونَ) في محل نصب حال من الواو في يسبحون.

٢-المناسبة:

قال الرازي (١٥٢/٢٢) في تعلق هذ الآية بما قبلها وجهان... الثاني وهو الأقرب أنه تعالى لما حكى كلام الطاعنين في النبوات، وأجاب عنها، وبين أن غرضهم من تلك المطاعن التمرّد وعدم الانقياد بيّن في هذه الآية أنه تعالى منزه عن طاعتهم لأنه هو المالك لجميع المحدثات والمخلوقات ولأجل أن الملائكة مع جلالتهم مطيعون له خائفون منه، فالبشر مع نهاية الضعف أولى أن يطيعوه.

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

يقول صاحب الظلال (٢٢٧٢/٤) يعرض القرآن هنا نموذجاً من نماذج الطاعة والعبادة في مقابل عصيانهم وإعراضهم، نموذجاً ممن هم أقرب منهم إلى الله ومع هذا فهم دائبون على طاعته وعبادته لا يفترون ولا يقصرون

ثم قال: والبشر يملكون أن تكون حياتهم كلها عبادة دون أن ينقطعوا للتسبيح والتعبد كالملائكة فالإسلام يعد كل حركة وكل نفس عبادة إذا توجه بها صاحبها إلى الله، ولو كانت متاعاً ذاتياً بطيبات الحياة!.

٢-حل الإشكالات:

روى ابن كثير (١٩١/٣) هنا أثراً يحسن سوقه فعن **عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: جلست إلى كعب الأحبار وأنا غلام فقلت له أرأيت قول الله تعالى للملائكة " يسبحون الليل والنهار لا يفترون " أما يشغلهم عن التسبيح الكلام والرسالة والعمل.**

فقال: من هذا الغلام؟

فقالوا: من بني عبد المطلب.

قال: فقبل رأسي ثم قال: يا بني إنه جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس أليس أنت تتكلم وأنت تتنفس وتمشي وأنت تتنفس؟

ذكر الرازي بعد أن أورد هذا الحديث شبهة وأجاب عنها (١٢٦/٢٢)

قال: فإن قيل: هذا القياس غير صحيح لأن الاشتغال بالتنفس إنما لم يمنع من الكلام لأن آلة التنفس غير آلة الكلام، وأما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال.

والجواب: أيُّ استبعاد في أن يخلق الله لهم ألسنة كثيرة ببعضها يسبحون الله، وببعضها يلعنون أعداء الله.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-وصفهم بأنهم لا يستكبرون عن عبادة الله.

٣-وصفهم بأنهم لا يصيبهم انقطاع ولا تعب.

٤- وصفهم بأنهم دائمو التسبيح على مدار الليل والنهار.

٥- وصفهم بأنهم لا يعتريهم أي فتور.

٦٧- الملائكة عباد مكرمون

هذه الصفة وسبع صفات أخرى تجدها في الآيات (٢٦ – ٢٩) من سورة (الأنبياء) ونصُّها يقول:


وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ
وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا
لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ
دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

بين يدي التفسير:

١-الإعراب والمفردات والبلاغة:

١ً-المفردات:

٢٨٣-**وَقَالُوا:** الضمير يعود على من زعم أن لله ولداً من الملائكة.

قال ابن كثير (٣/ ١٩٣) كمن قال ذلك من العرب: إن الملائكة بنات الله.

٢٨٤-**اتَّخَذَ: قال صاحب المفردات[1]:** الاتخاذ: افتعال من الأخذ، ويتعدى إلى مفعولين ويجري مجرى الجعل ١هـ **فالمعنى:** أنهم زعموا أن الله جعل لنفسه من الملائكة ولداً.

٢٨٥-**سُبْحَانَهُ:** التسبيح: تنزيه الله تعالى عما لا يليق به.

١-انظر "المفردات" م/ أخذ.

٢٨٦-**مُكْرَمُونَ: قال صاحب المفردات[1]:** الكرم إذا **وصف الله به** فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر..

وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق، والأفعال المحمودة التي تظهر منه، ولا يقال هو كريم حتى يظهر ذلك منه...

والإكرام والتكريم أن يوصل للإنسان إكرام أي: نفعٌ لا يلحقه فيه غضاضة، أو أن يجعل ما يوصل إليه شيئاً كريماً أي: شريفاً... وساق الآية.

قال الرازي (٢٢/١٣٥) لما نزه الله نفسه عن الولد أخبر عنهم بأنهم عباد، والعبودية تنافي الولادة إلا أنهم مكرمون مفضلون على سائر العباد.

٢٨٧-**لَا يَسْبِقُونَهُ: قال الرازي (٢٢/ ١٣٥)** لا يسبقونه مَنْ سَأَبَقْتُهُ فسبقتُه أَسْبِقُه، **والمعنى**: أنهم يتبعونه في قوله ولا يقولون شيئاً حتى يقوله فلا يسبقُ قولهم قولَهُ.

٢٨٨-**وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ:**أي: كما أن قولهم تابع لقوله، فعملهم أيضاً كذلك مبني على أمره، لا يعملون عملاً مالم يؤمروا به.

٢٨٩-**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ: قال ابن عباس**: يعلم ما قدّموا، وما أضاعوا من أعمالهم وقيل غير ذلك.

قال الرازي (٢٢/١٣٥) وحقيقة المعنى أنهم يتقلبون تحت

قدرته في ملكوته وهو محيط بهم، وإذا

١-انظر "المفردات" م/ كرم.

كانت هذه حالتهم

فكيف يستحقون العبادة؟

٢٩٠-**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ: قال صاحب المفردات[1]: الشفع**: ضم الشيء إلى مثله...

والشفاعة: الانضمام إلى آخرَ ناصراً له وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمةً ومرتبةً إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة يوم القيامة وساق الآية.

٢٩١-**مُشْفِقُونَ: قال صاحب المفردات[2]: الإشفاق:** عناية مختلطة بخوف...

وإذا عُدِّيَ ب **"من"** فمعنى الخوف فيه أظهر.

قال الرازي (٢٢/١٣٥) خائفون ولا يأمنون مكره.

٢ ً- الإعراب:

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَداً: قالوا: فعل ماض والواو فاعله وجملة **(اتخذ الرحمن ولداً)** مقول القول.

سُبْحَانَهُ: مفعول مطلق لفعل محذوف.

بَلْ: حرف إضراب.

عِبَادٌ: خبر لمبتدأ محذوف وما بعده صفة له.

وَهُمْ - بِأَمْرِهِ - يَعْمَلُونَ: هم: مبتدأ، خبره جملة **(يعملون)** والجملة الكبرى

١-انظر "المفردات" م/ شفع.
٢-انظر "المفردات" م/ شفق.

صفة ثالثة، والثانية (**لا يسبقونه بالقول**) والأولى (**مكرمون**):وسياتي بعد ذلك أربع صفات أخرى.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ: يعلم: مضارع، والفاعل هو، **وما:** اسم موصول مفعوله، وصلته جملة (**استقر**) المقدرة، وهي متعلَّقٌ للظرف بعدها، **وما خلفهم:** عطف عليه، والجملة صفة رابعة.

وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ: إلا: أداة حصر، **لمن**: جار ومجرور متعلقان بـ **يشفعون** و(**ارتضى**) صلته، والجملة صفة خامسة.

وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ: مبتدأ وخبر، والجملة صفة سادسة.

وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ: اسلوب شرط (**من**) أداته وهي في محل رفع مبتدأ، **ويقل**: فعل الشرط وجوابه جملة (**فذلك نجزيهم جهنم**) واقترنت بالفاء لإنها جملة اسمية، وجملة (**إني إله من دونه**) مقول القول، والجملة الكبرى من صفة سابعة.

كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ: الجار والمجرور متعلقان بمفعول مطلق محذوف، **والتقدير**: نجزي الظالمين جزاء مثل ذلك.

٢-المناسبة:

قال العلامة الرازي (٢٢/١٣٤) اعْلَمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ بِالدَّلَائِلِ الْبَاهِرَةِ كَوْنَهُ مُنَزَّهًا عَنِ الشَّرِيكِ وَالضِّدِّ وَالنِّدِّ أَرْدَفَ ذَلِكَ بِبَرَاءَتِهِ عَنِ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ

التفسير:

قال العلامة الرازي(١٣٢/٢٢) اعْلَمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ بِالدَّلَائِلِ الْبَاهِرَةِ كَوْنَهُ مُنَزَّهًا عَنِ الشَّرِيكِ...

أَرْدَفَ ذَلِكَ بِبَرَاءَتِهِ عَنِ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ فَقَالَ:" **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً** " نَزَلَتْ فِي خُزَاعَةَ حَيْثُ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ وَأَضَافُوا إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى صَاهَرَ الْجِنَّ عَلَى مَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فَقَالَ: " **وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً** " [الصَّافَّاتِ: ١٥٨] ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ لِأَنَّ الْوَلَدَ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ شَبِيهًا بِالْوَالِدِ فَلَوْ كَانَ لِلَّهِ وَلَدٌ لَأَشْبَهَهُ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ،

أَمَّا قَوْلُهُ: " **بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ** " فَاعْلَمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْوَلَدِ أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ عِبَادٌ وَالْعُبُودِيَّةُ تُنَافِي الْوِلَادَةَ إِلَّا أَنَّهُمْ مُكْرَمُونَ مُفَضَّلُونَ عَلَى سَائِرِ الْعِبَادِ...

" **لَا يَسْبِقُونَهُ** " مِنْ سَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ أَسْبِقُهُ. وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَتْبَعُونَهُ فِي قَوْلِهِ وَلَا يَقُولُونَ شَيْئًا حَتَّى يَقُولَهُ فَلَا يَسْبِقُ قَوْلُهُمْ قَوْلَهُ، وَكَمَا أَنَّ قَوْلَهُمْ تَابِعٌ لِقَوْلِهِ فَعَمَلُهُمْ أَيْضًا كَذَلِكَ مَبْنِيٌّ عَلَى أَمْرِهِ لَا يَعْمَلُونَ عَمَلًا مَا لَمْ يُؤْمَرُوا بِهِ. ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ مَا يَجْرِي مَجْرَى السَّبَبِ لِهَذِهِ الطَّاعَةِ فَقَالَ:

" **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ** " وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَمَّا عَلِمُوا كَوْنَهُ سُبْحَانَهُ عَالِمًا بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ عَلِمُوا كَوْنَهُ عَالِمًا بِظَوَاهِرِهِمْ وَبَوَاطِنِهِمْ، فَكَانَ ذَلِكَ دَاعِيًا لَهُمْ إِلَى نِهَايَةِ الْخُضُوعِ وَكَمَالِ الْعُبُودِيَّةِوَحَقِيقَةُ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ تَحْتَ قُدْرَتِهِ فِي مَلَكُوتِهِ وَهُوَ مُحِيطٌ بِهِمْ، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ حَالَتَهُمْ فَكَيْفَ يَسْتَحِقُّونَ الْعِبَادَةَ وَكَيْفَ يَتَقَدَّمُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَيَشْفَعُونَ لِمَنْ لَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ.

ثُمَّ كَشَفَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ:" **وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى** " أَيْ لِمَنْ هُوَ عِنْدَ اللَّه مَرْضِيٌّ:" **وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** " أَيْ مِنْ خَشْيَتِهِمْ مِنْهُ، فَأُضِيفَ الْمَصْدَرُ إِلَى الْمَفْعُولِ وَمُشْفِقُونَ خَائِفُونَ وَلَا يَأْمَنُونَ مَكْرَهُ.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: " **وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ** " فَالْمَعْنَى أَنَّ كُلَّ مَنْ يَقُولُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ذَلِكَ الْقَوْلَ فَإِنَّا نُجَازِي ذَلِكَ الْقَائِلَ بِهَذَا الْجَزَاءِ، ثم قال: هَذِهِ الصِّفَاتُ تَدُلُّ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ وَتُنَافِي الْوِلَادَةَ لِوُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ لَمَّا بَالَغُوا فِي الطَّاعَةِ إِلَى حَيْثُ لَا يَقُولُونَ قَوْلًا وَلَا يَعْمَلُونَ عَمَلًا إِلَّا بِأَمْرِهِ فَهَذِهِ صِفَاتٌ لِلْعَبِيدِ لَا صِفَاتُ الْأَوْلَادِ.

وَثَانِيهَا: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا كَانَ عَالِمًا بِأَسْرَارِ الْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَسْرَارَ اللَّه تَعَالَى وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْإِلَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ هُوَ لَا هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةَ

وَثَالِثُهَا: أَنَّهُمْ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَمَنْ يَكُنْ إِلَهًا أَوْ وَلَدًا لِلْإِلَهِ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّهُمْ عَلَى نِهَايَةِ الْإِشْفَاقِ وَالْوَجَلِ وَذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا مِنْ صِفَاتِ الْعَبِيدِ.

وَخَامِسُهَا: نَبَّهَ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: " **وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ** "عَلَى أَنَّ حَالَهُمْ حَالُ سَائِرِ الْعَبِيدِ الْمُكَلَّفِينَ فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ فَكَيْفَ يَصِحُّ كَوْنُهُمْ آلِهَةً.

يقول صاحب الظلال رحمه الله (٢٣٧٢) ودعوى البنوة لله- سبحانه- دعوى اتخذت لها عدة صور في الجاهليات المختلفة.

فقد عرفت **عند مشركي العرب** في صورة بنوة الملائكة لله.

وعند مشركي اليهود في صورة بنوة العزير لله.

وعند مشركي النصارى في صورة بنوة المسيح لله..

وكلها من انحرافات الجاهلية في شتى الصور والعصور.

وساق الآيات هنا يناقش دعوى العرب في بنوة الملائكة .

فجاء الرد من خلال بيان طبيعة الملائكة فهم ليسوا بنات لله- كما يزعمون- " **بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ** " عند الله. لا يقترحون عليه شيئا تأدبا وطاعة وإجلالا. إنما يعملون بأمره لا يناقشون. وعلم الله بهم محيط.ولا يتقدمون بالشفاعة إلا لمن ارتضاه الله ورضي أن يقبل الشفاعة فيه. وهم بطبيعتهم خائفون لله مشفقون من خشيته- على قربهم وطهارتهم وطاعتهم... وهم لا يدعون الألوهية قطعا.ولو ادعوها- جدلا- لكان جزاؤهم جزاء من يدعي الألوهية كائنا من كان، وهو جهنم. فذلك جزاء الظالمين...

الاستنباط:

لعل هذه الآية من أكثر الآيات التي يستنبط منها ما له صلة بعالم الملائكة:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أنهم عباد لله وليسوا أولاداً له وحاشاه.

٣-أنهم مكرمون عنده لهم منازل عالية ومقامات سامية.

٤-أنهم لا يتقدّمون بين يديه بأمر ما.

٥-أنهم لا يخالفون الله في أمر بل يبادرون إلى فعل ما أمروا به.

٦-أنهم لا يخرجون عن علم الله.

٧-أنهم لا يشفعون لأحد – ممن يستحق الشفاعة وهم المؤمنون – إلا بإذن الله.

٨-أنهم مشفقون خائفون من الله.

٩-أنهم لا يتصور منهم ادعاء الألوهية أو غيرها مما يخرجهم عن طوق العبودية.



٦٨- الملائكة تتلقى المؤمنين
قائلة لهم
"هذا يومكم الذي كنتم توعدون"

ونجد هذا المشهد ضمن الآيات (١٠١ – ١٠٣) من سورة (الأنبياء)
ونصُّها الكامل يقول:


إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ
حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ
وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ ً-المفردات:

٢٩٢-**سَبَقَتْ: قال صاحب المفردات[1]:** أي: نفذت وتقدمت.

٢٩٣-**لَهُمْ: قال الرازي (١٨٩/٢٢)** هي عامة في حق كل المؤمنين...

وعليه: فتكون الملائكة والمسيح وعزير داخلين فيها لا أن الآية مختصة بهم، وإليه **مال ابن كثير (٣/ ٢٣٢).**

وقال ابن جرير (١٨/ ٥٤٠) وأولى الأقوال بالصواب أن

١-انظر "المفردات" م / سبق.

المقصود بالآية ما كان من معبودٍ كان المشركون يعبدونه والمعبود مطيع لله، وعابدوه بعبادتهم إياه بالله. كافرون.

٢٩٤-**الْحُسْنَىٰ: قال الزمخشري (٣/ ١٣٧) الحسنى:** الخصلة المفضلة من الحسن، تأنيث الأحسن، وتابع قائلاً: وهي إما السعادة وإما البشرى بالثواب، وإما التوفيق للطاعة، **وأضاف ابن كثير (٢٣٢/٣)** نقلاً عن عكرمة تفسيراً آخر وهو الرحمة.

٢٩٥-**عَنْهَا:** أي عن النار.

٢٩٦-**حَسِيسَهَا: قال الرازي (٢٢/ ١٩٠)** والحسيس: الصوت الذي يحس.

٢٩٧-**اشْتَهَتْ:قال صاحب المفردات[1]:** أصل الشهوة: نزوع (ميلان) النفس إلى ما تريده.

٢٩٨-**الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ:قال ابن جرير (١٨/٥٤٢)** وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفرع الأكبر وآمن منه فهو مما بعده أحرى ألَّا يفزع، وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده.

٢ ً-الإعراب:

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ:إنَّ: حرف مشبه بالفعل، **الذين:** اسم موصول في محل نصب اسمها، وجملة **(سبقت لهم منا الحسنى)** صلته، وجملة **(أولئك عنها مبعدون)** جملة اسمية في محل رفع خبر إنَّ.

١-انظر "المفردات" م / شها.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا:جملة فعلية في محل رفع خبر ثانٍ.

وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ:هم: مبتدأ خبره **(خالدون)** و **فيما** جار ومجرور متعلقان بخالدون، وجملة **(شتهت أنفسهم)** صلته، والجملة حالية.

هَٰذَا:اسم إشارة مبتدأ. **يومكم:** خبر مرفوع، **والذي:** اسم موصول صفته، وجملة **(كنتم توعدون)** صلته، والجملة الكبرى مقول القول **والتقدير: (تتلقاهم الملائكة قائلين هذا يومكم...)**.

٢-المناسبة:

قال ابن كثير (٣/ ٢٣٢) لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَهْلَ النَّارِ وَعَذَابَهُمْ بِسَبَبِ شِرْكِهِمْ بِاللَّهِ، عَطَفَ بِذِكْرِالسُّعَدَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ ورسُله ، وَهُمُ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ السَّعَادَةُ، وَأَسْلَفُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ فِي الدُّنْيَا.

٣-سبب النزول:

روى ابن جرير (١٨/٥٤٠) عن ابن عباس، قال: لما نزلت " **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** " قال المشركون: فإن عيسى يُعبد وعُزَيروالشمس والقمر يُعبدون، فأنزل الله " **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** " لعيسى وغيره.

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

يقول العلامة الرازي (٢٢/ ١٨٩) بعد قوله تعالى " **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ** "... إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَرَحَ مِنْ أَحْوَالِ ثَوَابِهِمْ أُمُورًا خَمْسَةً:

أحدها: قوله: " **أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**" أَنَّ الْمُرَادَ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى لَا يَدْخُلُونَ النَّارَ وَلَا يَقْرَبُونَهَا الْبَتَّةَ.

والصفة الثانية: " **لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا**" لصّوْتُ الَّذِي يُحَسُّ.

والصفة الثالثة: " **وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ**"

والصفة الرابعة: " **لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ**" أَنَّهَا النَّفْخَةُ الْأَخِيرَةُ.

والصفة الخامسة: " **وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** "

وأضاف ابن كثير (٣/٢٢٥) " **وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**" يَعْنِي: تَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، تُبَشِّرُهُمْ يَوْمَ مَعَادِهِمْ إِذَا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ: " **هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** " أَيْ: قابلوا ما يسركم.



قال صاحب الظلال(٤/ ٢٢٩٩) عند قول الله " **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ**"

ولفظة " **حَسِيسَهَا** " من الألفاظ المصورة بجرسها لمعناها. فهو تنقل صوت النار وهي تسري وتحرق، وتحدث ذلك الصوت المفزع. وإنه لصوت يتفزع له الجلد ويقشعر.

ولذلك نجي الذين سبقت لهم الحسنى من سماعه- فضلا على معاناته- نجوا من الفزع الأكبر الذي يذهل المشركين. وعاشوا فيما تشتهي أنفسهم من أمن ونعيم. وتتولى الملائكة استقبالهم بالترحيب، ومصاحبتهم لتطمئن قلوبهم في جو الفزع المرهوب" **لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** "

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن من وظائف الملائكة أن تستقبل المؤمنين يوم معادهم إذا ما خرجوا من قبورهم قائلة لهم "**هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** "

الآيات الواردة في

-١٨-
سورة الحج



الحج

مما له صلة بعالم الملائكة

٦٩- الله يصطفى من الملائكة رسلاً

وهذا جزء من الآيات (٧٥ – ٧٦) من سورة (الحج) وتمامها:



سبب النزول:

قال ابن جرير (٦٨٧/١٨) وقد قيل: إنما أنزلت هذه الآية لما قال المشركون: أنزل عليه الذكر من بيننا، فقال الله لهم: ذلك إلي وبيدي دون خلقي، أختار من شئت منهم للرسالة.

وقال الرازي (٢٥٣/٢٣) قَالَ مُقَاتِلٌ: قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ: أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

المناسبة:

قال الرازي (٢٥٣/٢٣) اعْلَمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا قَدَّمَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْإِلَهِيَّاتِ ذَكَرَ هَاهُنَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالنُّبُوَّاتِ.

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

قال ابن جرير (١٨/ ٦٨٧) قول تعالى ذكره: الله يختار من الملائكة

رسلا كجبرئيل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه، ومن شاء من عباده ومن الناس، كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم.

ومعنى الكلام: الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس أيضا رسلا.

وقد قيل: إنما أنزلت هذه الآية لما قال المشركون: أنزل عليه الذكر من بيننا، فقال الله لهم: ذلك إلي وبيدي دون خلقي، أختار من شئت منهم للرسالة.

وقوله " **إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** " يقول: إن الله سميع لما يقول المشركون في محمد صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من عند ربه، بصير بمن يختاره لرسالته من خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى: "**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**"

يقول تعالى ذكره: الله يعلم ما كان بين أيدي ملائكته ورسله، من قبل أن يخلقهم وما خلفهم، يقول: ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم " **وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ** "

يقول: إلى الله في الآخرة تصير إليه أمور الدنيا، وإليه تعود كما كان منه البدء.

ويقول صاحب الظلال (٤/٢٤٤٥) فعن صاحب القوة العزيز الجناب يصدر الاختيار للملائكة والرسل.

ومن لدن القوي العزيز جاء محمد- صلى الله عليه وسلم- جاء بسلطان من عند القوي العزيز الذي اختاره واصطفاه.

فأنّى يقف له من يركنون إلى تلك الآلهة العاجزة الضعيفة المزدراة؟!

" **إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**" .. فهو يسمع ويرى فيعلم " **يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**

وَما خَلْفَهُمْ " علما شاملا كاملا، لا يند عنه حاضر ولا غائب، ولا قريب ولا بعيد.

" **وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ** " .. فهو الحكم الأخير، وله السيطرة والتدبير.

٢-حل الإشكالات:

قال الرازي (٢٣/ ٢٥٣) كَلِمَةُ (**مِنْ**) لِلتَّبْعِيضِ فَقَوْلُهُ : " **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا** " يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ الرُّسُلُ بَعْضَهُمْ لَا كُلَّهُمْ، وقوله: **جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا** [فاطر: ١] يَقْتَضِي كَوْنَ كُلِّهِمْ رُسُلًا فَوَقَعَ التَّنَاقُضُ.

وأجاب العلامة ابن حجر(٨٨٢/٨) عن هذا الإشكال بقوله: وللعلماء في ذلك قولان: الصحيح أن فيهم الرسل وغير الرسل، وقد ثبت أن منهم الساجد فلا يقوم، والراكع فلا يعتدل.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن الملائكة - بعضهم - رسل الله عزوجل.



الآيات الواردة في

-١٩-
سورة المؤمنون



المؤمنون

مما له صلة بعالم الملائكة

٧٠-لو شاء الله إيماننا لأنزل إلينا نبياً ملكاً

هكذا قالوا

هذه الشبهة جاءت في الآيات (٢٣ ــ ٢٤) من سورة (المؤمنون) ونصّها الكامل يقول:


وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ
يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا
الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾

وبما أن هذه الشبهة قد سبقت فسنقتصر هنا على المناسبة والتفسير، وأما ما يستنبط فقد سبق.

المناسبة:

يقول العلامة الرازي (٢٢/٢٧٠) وَاعْلَمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ دَلَائِلَ التَّوْحِيدِ أَرْدَفَهَا بِالْقَصَصِ كَمَا هُوَ الْعَادَةُ فِي سَائِرِ السُّوَرِ.

التفسير:

يقول العلامة ابن كثير (٣/٢١٧) يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ بَعَثَهُ إِلَى قَوْمِهِ، لِيُنْذِرَهُمْ عَذَابَ اللَّهِ...

" **فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ** "أَيْ: أَلَا تَخَافُونَ مِنَ اللَّهِ فِي إِشْرَاكِكُمْ بِهِ؟!

فَقَالَ الْمَلَأُ -وَهُمُ السَّادَةُ وَالْأَكَابِرُ مِنْهُمْ-: " **مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ**

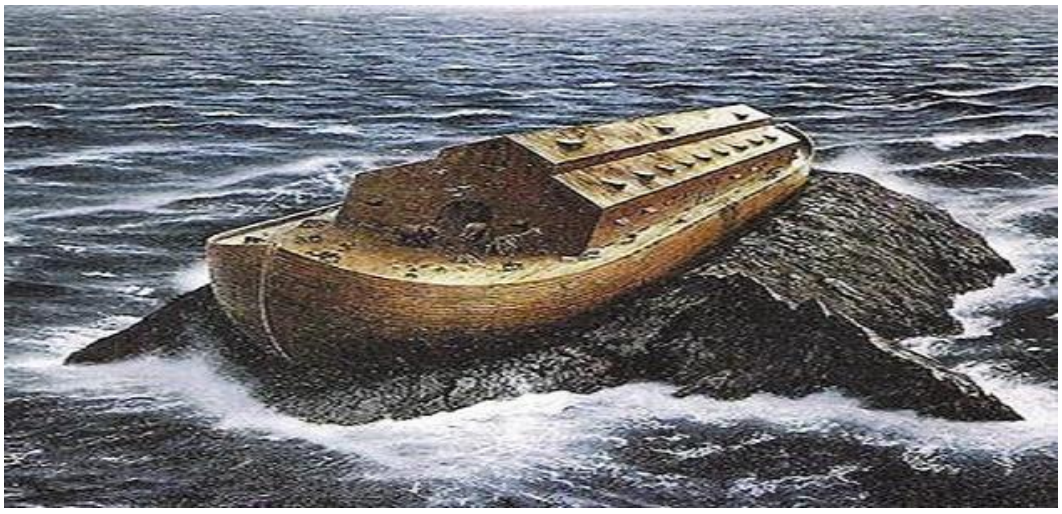
أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ " يَعْنُونَ: يَتَرَفَّعُ عَلَيْكُمْ وَيَتَعَاظَمُ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ، وَهُوَ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ. فَكَيْفَ أُوحِيَ إِلَيْهِ دُونَكُمْ؟

" **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأنزلَ مَلائِكَةً** " أَيْ: لَوْ أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ نَبِيًّا، لَبَعَثَ مَلَكًا مِنْ عِنْدِهِ وَلَمْ يَكُنْ بَشَرًا!...

ولصاحب الظلال كلام رائع دقيق في عرض هذه الشبهة وتفنيدها يقول رحمه الله (٤/٢٢٥١):

ولقد كانت الشبهة التي عرضت للأقوام من قبل أن يأتيهم محمد- صلى الله عليه وسلم- ومن بعد ما جاءهم، والتي صدتهم عن الإيمان بالرسل... أنهم استبعدوا أن يكون الرسول بشرا ولا يكون ملكا:... وقد نشأ هذا الوهم من عدم إدراك الناس لقيمة بشريتهم وكرامتها على الله... ومن عدم إدراكهم لطبيعة الكون وطبيعة الملائكة، وأنهم ليسوا مهيئين للاستقرار في الأرض وهم في صورتهم الملائكية حتى يميزهم الناس ويستيقنوا أنهم ملائكة.

وأقول: بما أن نوح هو أول رسول فإن قومه هم أول من عرضت له تلك الشبهة فعرضها، وبسببها - كذباً - أعرض عن الإيمان، وكل من جاء بعدهم من الكفار فهم لهم مقلدون، أو لهم موافقون فهم أصحاب هذه الاولوية، وبئست تلك الأولية.



الآيات الواردة في

-٢٠-
سورة الفرقان



الفرقان

مما له صلة بعالم الملائكة

٧١-لو شهدتِ الملائكةُ بنبوته... لآمنا به

هكذا قالوا

هذه إحدى شبهتين دَأَبَ الكفار على ترددهما ،إحداهما: لو بعث الله نبياً ملكاً، والثانية: ما عبرت عنه هذه الآية لو بعث الله ملكاً يؤيده وذلك في الآيات (٧ – ٩) من سورة الفرقان ونصُّها يقول:



وسنورد هنا المناسبة والتفسير وأما ما يستنبط فقد سبق:

المناسبة:

قال الرازي (٢٤ – ٤٣٢) اعْلَمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ تَكَلَّمَ **أَوَّلًا:** فِي التَّوْحِيدِ.

وَثَانِيًا: فِي الرَّدِّ عَلَى عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ.

وَثَالِثًا: فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَكَلَّمَ فِي مَسْأَلَةِ النُّبُوَّةِ، وَحَكَى سُبْحَانَهُ شُبَهَهُمْ فِي إِنْكَارِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأجاب عنها، وتمثل هذه الشبهة **الرابعة**.

يقول العلامة ابن كثير (٤٣٧/٣) " لَوْلا أُنزلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا " يَقُولُونَ : هَلَّا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَكُونَ لَهُ شَاهِدًا عَلَى صِدْق مَا يدَّعيه! وَهَذَا كَمَا قَالَ فِرْعَوْنُ: " **فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ** " [الزُّخْرُف: ٥٣] . وَكَذَلِكَ قَالَ هَؤُلَاءِ عَلَى السَّوَاءِ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ.

٧٢- لولا أنزل علينا الملائكة شاهدة بنبوته لآمنا به

هذه ثاني الشبهتين اللتين طالما رددها الكافرون عن الملائكة في الآيتين (٢١ – ٢٢) من سورة (الفرقان) ونصُّها يقول:



وسنقتصر هنا على المناسبة والتفسير، وأما ما يستنبط منها فقد سبق غير مرّة.

المناسبة:

قال الرازي (٢٤/ ٤٤٧) اعلم أنه قوله تعالى " **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا** " الشُّبْهَةُ الرَّابِعَةُ لِمُنْكِرِي نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

التفسير:

قال الرازي (٢١/ ١٤٧) والمعنى: لِمَ لمْ ينزل الملائكة حتى يشهدوا أن محمد محق في دعواه، أو نرى ربنا يخبرنا بأنه أرسله إلينا؟

وتَقْرِيرُ هَذِهِ الشُّبْهَةِ: أنَّ مَن أرادَ تَحْصِيلَ شَيْءٍ، وكانَ لَهُ إلى تَحْصِيلِهِ

طَرِيقانِ، أحَدُهُما يُفْضِي إلَيْهِ قَطْعًا والآخَرُ قَدْ يُفْضِي وقَدْ لا يُفْضِي، فالحَكِيمُ يَجِبُ عَلَيْهِ في حِكْمَتِهِ أنْ يَخْتارَ في تَحْصِيلِ ذَلِكَ المَقْصُودِ الطَّرِيقَ الأقْوى والأحْسَنَ، ولا شَكَّ أنَّ إنْزالَ المَلائِكَةِ لِيَشْهَدُوا بِصِدْقِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم أكْثَرُ إفْضاءً إلى المَقْصُودِ، فَلَوْ أرادَ اللَّهُ تَعالى تَصْدِيقَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم لَفَعَلَ ذَلِكَ، وحَيْثُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَلِمْنا أنَّهُ ما أرادَ تَصْدِيقَهُ، هَذا حاصِلُ الشُّبْهَةِ.

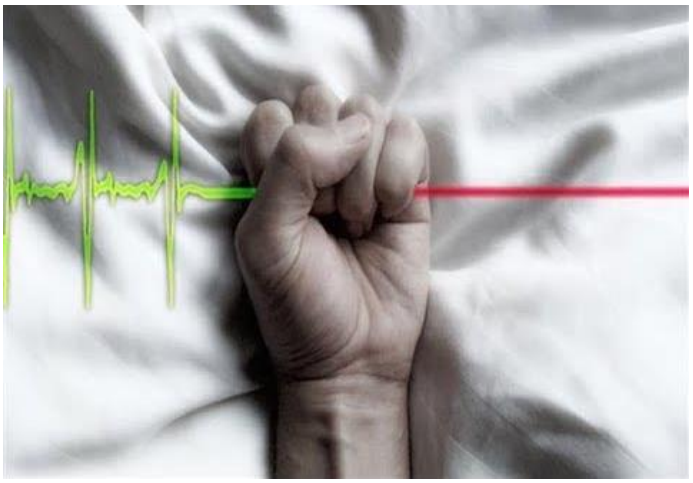
وأبدى ابن كثير وجهاً آخر حيث قال (٣/٤٤٣) يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ تَعَنُّت الْكَفَّارِ فِي كُفْرِهِمْ، وَعِنَادِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ: " **لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ** " أَيْ: بِالرِّسَالَةِ كَمَا نُزِّلَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: " **قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ** " [الْأَنْعَامِ: ١٢٤] ،

ثم قال (وهو كما قال الرازي وغيره) وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُمْ هَاهُنَا: **لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ** " فَنَرَاهُمْ عَيَانًا، فَيُخْبِرُونَا أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ .

وأما عن معنى قَوْلُهُ: " **يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا** "

فيقول الرازي (٢٤/ ٢٥٠) اختلفوا في ذلك اليوم فقال ابن عباس يريد عند الموت، وقال الباقون يريد يوم القيامة.

وقد ذكر ابن كثير كلا المعنيين فقال: (٣/ ٤٤٤) بعد أن سرد الآية:هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم، بل يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِهم وذلك يصدق على:



١-**وقت الاحتضار**، حين تبشرهم الملائكة بالنار وغضب الجبار، فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه اخرجي أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث، اخرجي إلى سموم وحميم وظل من يحموم فتأبى الخروج وتتفرق في البدن فيضربونه...

٢- وقال آخرون **بل المراد يوم القيامة** ثم قال: ولا منافاة بين هذا وما تقدم، فإن الملائكة في هذين اليومين - يوم الممات ويوم المعاد – تتجلى للمؤمنين والكافرين، فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان، وتخبر الكافرين بالخيبة والخسران، فلا بشرى يومئذ للمجرمين " **وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا** " أي وتقول الملائكة للكافرين: حرام محرم عليكم الفلاح اليوم...

والغرض أن الضمير في قوله " **يَقُولُونَ** "عائد على الملائكة... واختاره ابن جرير.

وذكر رأياً أخر **وهو أنه من قول المشركين ومعناه:** التعوذ من الملائكة وذلك أن العرب كانوا إذا نزل بأحدهم نازلة أو شدة يقولون حجراً محجوراً و قد استبعده ابن كثير.

٧٣-من أهوال القيامة

تشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة تنزلاً

وهذا المشهد الرهيب ما عبرت عنه الآية (٢٥) من سورة (الفرقان) ونصّها يقول:



المناسبة:

قال الإمام الرازي (٤٥٢/٢١) اعلم أنَّ هذا الكلام مبني على ما استدعوه (طلبوه) من إنزال الملائكة فبين سبحانه أنه يحصل ذلك في يوم له صفات وسردها.

التفسير:

يقول العلامة ابن كثير (٣/ ١٤٧) يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظيمة، فمنها انشقاق السماء وتفطرها، وانفراجها بالغمام وهو ظلل النور العظيم الذي يبهر الأبصار، ونزول ملائكة السماوات يومئذ، فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر، ثم يجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء. **ثم ساق ابن كثير** رواية تعطي مزيداً من التفصيل

وأعرضنا عنها لقوله: مداره –يعني الحديث الذي فيه التفاصيل- على

(**علي بن زيد بن جدعان**) وفيه ضعف وسياقاته غالباً نكارة شديدة.

ثم ساق روايات أخرى وعقب عليها بقوله " وهذا موقوف على عبد الله بن عمرو بن العاصي من كلامه ولعله من الزاملتين .

يعني: أنها من روايات أهل الكتاب.

يقول صاحب الظلال رحمه الله (٢٥٥٩/٥) وهذه الآية وكثيرغيرها في القرآن يقرر أن أحداثاً فليكة ضخمة ستتم في ذلك اليوم، وكلها تشير إلى اختلال كامل في النظام الذي يربط أجزاء هذا الكون المنظور وأفلاكه ونجومه وكواكبه، وإلى انقلاب في أوضاعه وأشكاله وارتباطاته، تكون به نهاية هذا العالم وهو انقلاب لا يقتصر على الأرض، وإنما يشمل النجوم والكواكب والأفلاك...

ثم قال: وفي هذه السورة يخوف الله المشركين بتشقق السماء بالغمام، وقد يكون هو السحب المتراكمة من أبخرة تلك الإنفجارات المروّعة، وتنزل الملائكة يومئذ على الكافرين كما كانوا يقترحون لا لتصديق الرسول ولكن ليتولّوا عذابهم بأمر ربِّهم.



الآيات الواردة في

-٢١-
سورة الشعراء



الشعراء

مما له صلة بعالم الملائكة

٧٤- جبريل نزل بالقرآن على قلب الرَّسول صلى الله عليه وسلم

وهذه الحقيقة عبّرت عنها الآيات (١٩٢ ــ ١٩٥) من سورة (الشعراء) ونصُّها يقول:



أقول: والروح الامين هو جبريل **قال ابن كثير (٥٠٣/٣)** وهذا مما لا نزاع فيه.

المناسبة:

يقول العلامة الرازي (٢٤/ ٥٣٠) اعلم أن الله لما ختم ما اقتصه من خبر الأنبياء ذكر بعد ذلك ما يدل على نبوته.

التفسير:

يقول ابن كثير (٥٠٣/٣) يقول تعالى مخبراً عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم " **إِنَّهُ** " أي: القرآن .

" **لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ** أي: أنزله الله عليك وأوحاه إليك.

" **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ** "وهو جبريل، قاله غير واحد من السلف ... وهذا ما لا نزاع فيه...

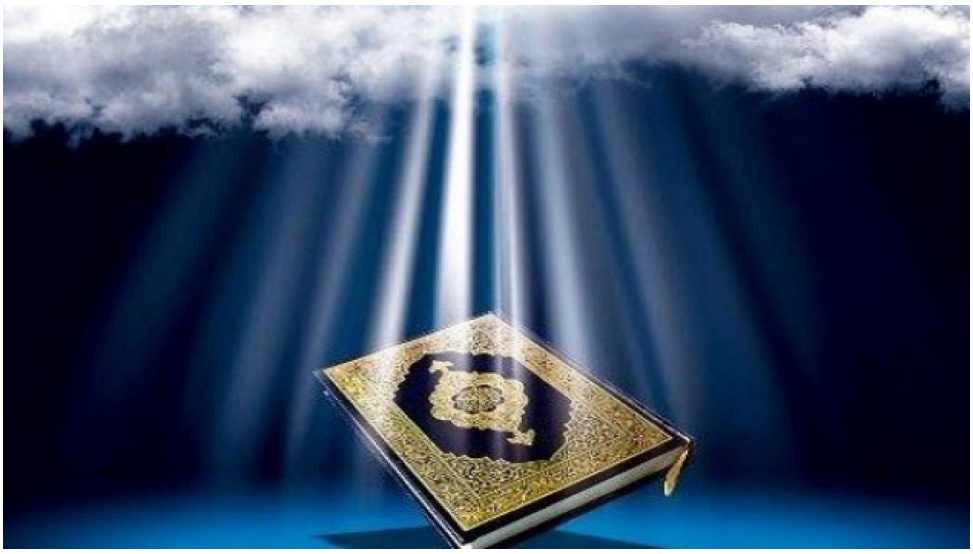
" **عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**" أي: نزل به ملك كريم أمين ذو مكانة عند الله مطاع في الملأ الأعلى.

" **عَلَىٰ قَلْبِكَ** " يا محمد سالماً من الدنس والزيادة والنقص.

" **لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ** " أي: لتنذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه ، وتبشر به المؤمنين المتبعين له.

" **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ**" أي هذا القرآن الذي أنزلناه إليك بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بيناً واضحاً ظاهراً، قاطعاً للعذر، مقيماً للحجة، دليلاً إلى المحجة.

يقول صاحب الظلال (٢٦١٧/٥) والروح الامين جبريل نزل بهذا القرآن من عند الله على قلب رسول الله وهو أمين على ما نزل به، حفيظ عليه، نزل به على قلبه فتلقاه تلقياً مباشراً، ووعاه وعياً مباشراً. نزل به على قلبه ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين هو لسان قومه الذي يدعوهم به ويتلوا عليهم القرآن، وهم يعرفون مدى ما يملك البشر أن يقولوا، ويدركون أن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر وإن كان بلغتهم، وأنه بنظمه ومعانيه ومنهجه وتناسقه يشي بأنه آت من مصدر غير بشري بيقين.



الآيات الواردة في

-٢٢-
سورة العنكبوت



مما له صلة بعالم الملائكة

٧٥- الملائكة تبشر إبراهيم
و
تتوعد قوم لوط

وهذا المشهد حوته الآيات (٣١ – ٣٢) من سورة (العنكبوت) ونصُّها يقول:



وقد سبق هذا المشهد ولذا فحسبنا هنا بيان مناسبته ومعناه، وقد سبق أن بينا ما يستنبط منه.

المناسبة:

قال العلامة الرازي (٥٠/٢٥) لما دعا لوط على قومه بقوله " **قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ** " استجاب الله دعاءه، وأمر ملائكته بإهلاكهم وأرسلهم مبشرين ومنذرين.

التفسير:

يقول صاحب الظلال (٢٧٣٣/٥) بعد ان سرد قول الله "**قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ**" وهنا يسدل الستار على دعاء لوط ليرفع عن الاستجابة، وفي الطريق يلمُّ الملائكة المكلفون بالتنفيذ بإبراهيم، يبشرونه بولد صالح من زوجه التي كانت من قبل عقيماً.

" **وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ، قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** "وهذا المشهد مشهد الملائكة مع إبراهيم مختصر في هذا الموضع لأنه ليس مقصوداً... لأن الغرض هو إتمام قصة لوط، فذكر أن مرور الملائكة بإبراهيم كان للبشرى، ثم أخبروه بمهمتهم الأولى: " **إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ**" وأدركت إبراهيم رقته ورأفته، فراح يذكر الملائكة أن في هذه القرية لوطاً، وهو رجل صالح وليس بظالم، وأجابه الرسل بما يطمئنه من ناحيته ويكشف له عن معرفتهم بمهمتهم وأنهم أولى بهذه المعرفة.

" **قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** "
وقد كان هواها مع القوم، تقر جرائمهم وانحرافهم، وهو أمر عجيب.



٧٦- الملائكة تأتي لتدمير قوم لوط

وهذا المشهد المفزع المروع كشفت عنه الآيات (٣٣/ ٣٥) من سورة (العنكبوت) ونصُّها يقول:


وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا
تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾
إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

وقد سبق هذا المشهد وحسبنا هنا مناسبته ومعناه، وأما ما يستنبط منه فقد سلف.

المناسبة:

لما فرغ من الحديث عن اللقاء بين إبراهيم والملائكة، وانتقل للحديث عما جرى بين الملائكة وقوم لوط.

التفسير:

يقول صاحب الظلال (٥/ ٢٧٣٤) يقول: ويختصر هنا هجوم القوم على الضيوف ومحاورة لوط لهم، وهم في سُعَار الشذوذ المريض، ويمضي إلى النهاية الاخيرة، إذ يكشف له الرسل عن حقيقتهم، ويخبرونه بمهمتهم وهو في هذا الكرب وذلك الضيق.

"وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ، إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ"

وترسم الآية مشهد التدمير الذي أصاب القرية وأهلها جميعاً - إلا لوطاً وأهله المؤمنين – وقد كان هذا التدمير بأمطار وأحجار ملوثة بالطين، وما تزال آثار هذا التدمير باقية تحدث عن آيات الله لمن يعقلها، ويتدبرها من القرون " **وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** " وكان هذا هو المصير الطبيعي لهذه الشجرة الخبيثة التي فسدت وانتنت فلم تعد صالحة للإثمار ولا للحياة. ولم تعد تصلح إلا للاجتثاث والتحطيم.



الآيات الواردة في

-٢٣-
سورة السجدة



السجدة حاسر خاشعا

مما له صلة بعالم الملائكة

٧٧-قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم

وهذا جزء من الآيات (١٠ – ١١) من سورة (السجدة) ونصُّها يقول:



قال ابن كثير (٧٠٤/٢) الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة... وقد سمي في بعض الآثار **بعزرائيل** وهو المشهور...

وله أعوان، وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد حتى إذا بلغت الروح الحلقوم تناولها ملك الموت ١هـ.

المناسبة:

لما تحدث المولى عن نشأة الإنسان في الآيات (٧-٩) ناسب أن يذكر منتهى أمره في الآيات التي تليها (١٠-١١).

التفسير:

يقول العلامة الرازي (٢٥-١٤٣) يعني: أنه لا بد من الموت ثم من الحياة بعده، وإليه الإشارة بقوله " **ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**" وقوله " **الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ**" إشارة إلى أنه لا يغفل عنكم، وإذا جاء أجلكم لا يؤخركم إذ لا شغل له إلا هذا.

وقوله " **يَتَوَفَّاكُمْ** " ينبئ عن بقاء الأرواح، فإنَّ التوفي: هو: **الاستيفاء،**

والقبض: هو الأخذ، والإعدامُ المحض ليس بأخذ...

يقول العلامة ابن كثير (٣/ ٧٠٣-٧٠٤) يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ فِي اسْتِبْعَادِهِمُ الْمَعَادَ حَيْثُ قَالُوا: " **أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ** " أَيْ: تَمَزَّقَتْ أَجْسَامُنَا وَتَفَرَّقَتْ فِي أَجْزَاءِ الْأَرْضِ وَذَهَبَتْ " **أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ** " ؟ أَيْ: أَئِنَّا لَنَعُودُ بَعْدَ تِلْكَ الْحَالِ؟! يَسْتَبْعِدُونَ ذَلِكَ، وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ بَعِيدٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِم الْعَاجِزَةِ، لَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرة الَّذِي بَدَأَهُمْ وَخَلَقَهُمْ مِنَ الْعَدَمِ، الَّذِي إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: " **بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ** ".

ثُمَّ قَالَ: " **قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ** " الظَّاهِرُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ مَلَكَ الموت شخص مُعَيَّنٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ...

وَقَدْ سُمِّيَ فِي بَعْضِ الْآثَارِ بِعِزْرَائِيلَ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ... وَلَهُ أَعْوَانٌ يَنْتَزِعُونَ الْأَرْوَاحَ مِنْ سَائِرِ الْجَسَدِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ تَنَاوَلَهَا مَلَكُ الْمَوْتِ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: حُويت لَهُ الْأَرْضُ فَجُعِلَتْ لَهُ مِثْلَ الطَّسْتِ، يَتَنَاوَلُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ.

وَقَوْلُهُ: " **ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ** " أَيْ: يَوْمَ معادكم وقيامكم من قبوركم لجزائكم.

يقول صاحب الظلال رحمه الله (٥/٢٨١١) إن الكافرين يستبعدون أن يخلقهم الله خلقا جديدا، بعد موتهم ودفنهم، وتحول أجسامهم إلى رفات يغيب في الأرض، ويختلط بذراتها، ويضل فيها، فماذا في هذا من غرابة أمام النشأة الأولى؟ لقد بدأ الله خلق الإنسان من طين. من هذه الأرض التي يقولون إن رفاتهم سيضل فيها ويختلط بها. فالنشأة الآخرة شبيهة بالنشأة الأولى، وليس فيها غريب ولا جديد...

لذلك يرد على اعتراضهم بتقرير وفاتهم ورجعتهم، مكتفيا

بالبرهان الحي الماثل في نشأتهم الأولى ولا زيادة.

" **قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ** " هكذا في صورة الخبر اليقين. فأما ملك الموت من هو؟ وكيف يتوفى الأنفس فهذا من غيب الله، الذي نتلقى خبره من هذا المصدر الوثيق الأكيد. ولا زيادة على ما نتلقاه من هذا المصدرالوحيد.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي، كيف لا وقد نسب إليهم مهمة جسيمة وهي قبض الأرواح.

٢-إثبات وجود ملك الموت المسؤول عن قبض الأرواح بعد صدور الأمر من الله، وتعينه على ذلك أعوانه.



الآيات الواردة في

- ٢٤ -

سورة الأحزاب



الأحزاب

مما له صلة بعالم الملائكة

٧٨- الملائكة تشارك في غزوة الأحزاب /الخندق

وهذا المشهد رصدته لنا الآية (٩) من سورة (الأحزاب) ونصُّها يقول:


يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٩

قال العلامة ابن كثير (٣/٧٢٨) عند قوله **"جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا"** وهم الملائكة زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف.

أقول: وهذه هي المعركة الرابعة -على حسب ترتيب المصحف- التي يتحدث فيها القرآن عن مشاركة الملائكة للمؤمنين مشاركة عسكرية.

١-ففي (**آل عمران**) في الآيات (١٢٤-١٢٧) كان الحديث عن المشاركة في غزوة (**أحد**).

٢-وفي (**الأنفال**) في الآيات (٩-١٤) كان الحديث عن المشاركة في غزوة (**بدر**).

٣-وفي (**التوبة**) في الآيات (٢٥-٢٦) كان الحديث عن المشاركة في غزوة (**حُنين**).

وهنا الحديث عن مشاركة الملائكة في غزوة (**الخندق/ الأحزاب**) التي حصلت في شوال سنة خمسٍ من الهجرة على الصحيح المشهور.

المناسبة:

يقول العلامة الرازي (١٦٠/٢٥) تحقيقاً لما سبق من الأمر بتقوى الله بحيث لا يبقى معه خوف من أحد، وذلك في واقعة اجتماع الأحزاب، واشتداد الأمر على الأصحاب حيث اجتمع المشركون بأسرهم،و اليهود بأجمعهم ونزلوا على المدينة وعمل النبي الخندق، كان الأمر في غاية الشدة والخوف بالغاً إلى الغاية، والله دفع القوم عنهم من غير قتال، وآمنهم من الخوف فينبغي ألا يخاف العبدُ غيرَ ربّه فإنه كافٍ أمره.

التفسير:

إن الحديث عن غزوة الخندق حديث مشوق، ولكنه يطول لذا سنكتفي هنا روماً للاختصار ولئلا نخرج عن موضوع بحثنا بتحليل مشهد مشاركة الملائكة لا نعدوه إلى غير.

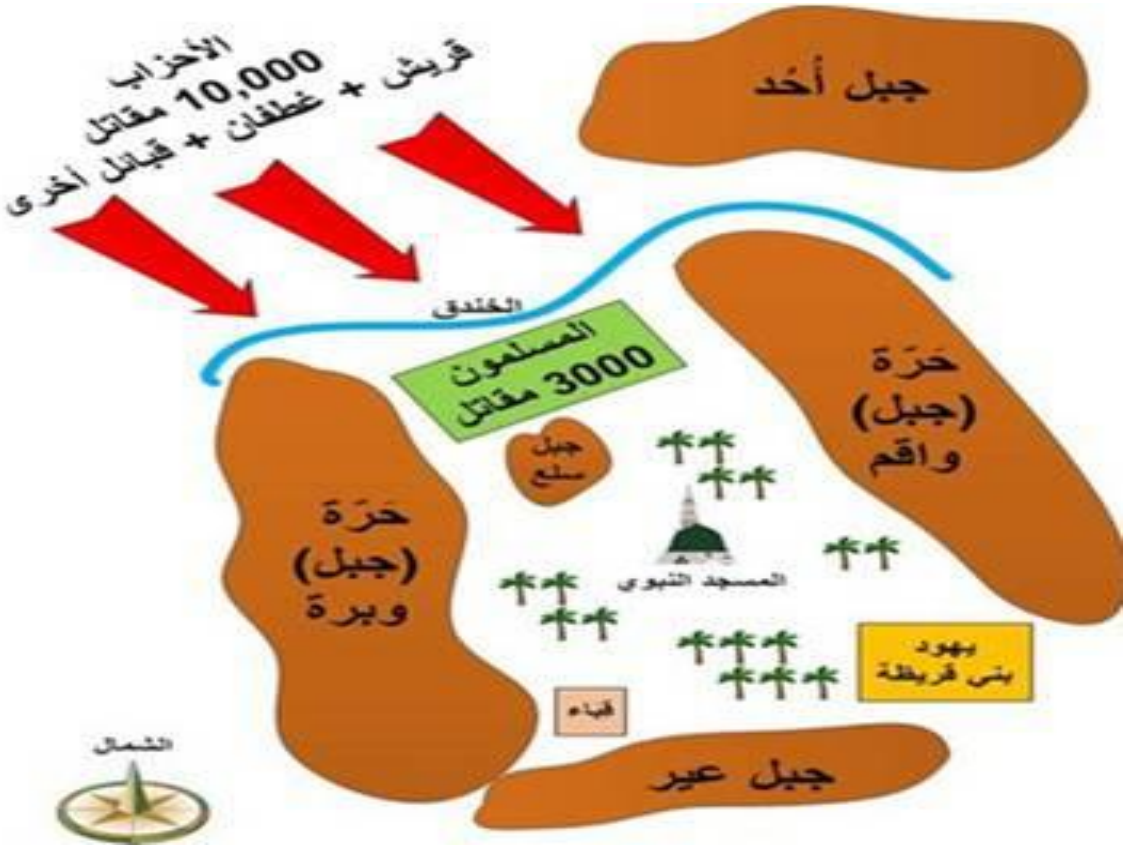
قال العلامة القرطبي (١٤٤/١٤) عند قوله تعالى "**وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا**" أي: لَمْ يَرَهَا الْمُشْرِكُونَ.

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَقَلَعَتِ الْأَوْتَادَ، وَقَطَعَتْ أَطْنَابَ الْفَسَاطِيطِ، وَأَطْفَأَتِ النِّيرَانَ، وَأَكْفَأَتِ الْقُدُورَ، وَجَالَتِ الْخَيْلُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الرُّعْبَ، وَكَثُرَ تَكْبِيرُ الْمَلَائِكَةِ فِي جَوَانِبِ الْعَسْكَرِ، حَتَّى كَانَ سَيِّدُ كُلِّ خِبَاءٍ يَقُولُ: يَا بَنِي فُلَانٍ هَلُمَّ إِلَيَّ فَإِذَا اجْتَمَعُوا قَالَ لَهُمُ: النَّجَاءَ النَّجَاءَ، لِمَا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنَ الرُّعْبِ.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن الملائكة شاركت مع المؤمنين في **غزوة الأحزاب/ الخندق**، وقد أوضح النص السابق طبيعة تلك المشاركة.



٧٩- الملائكة تصلي على المؤمنين

وقد أفصحت عن هذا المعنى الشريف الآيات (٤١-٤٣) من سورة (الأحزاب) ونصُّها يقول:



قال ابن كثير (٧٧٢/٣) وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار.

وأقول : ويدل على ذلك الحديث الذي رواه البخاري في كتاب الصلاة **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " المَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ "**

المناسبة:

قال الإمام الرازي (١٧٢/٢٥) يعني هو الذي يصلي عليكم ويرحمكم وأنتم لا تذكرونه، فذكر صلاته تحريضاً للمؤمنين على الذكر والتسبيح.

التفسير:

قال العلامة ابن كثير (٧٧٢/٣) عند قول الله " **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ**" هَذَا تَهْيِيجٌ إِلَى الذِّكْرِ، أَيْ: إِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَذْكُرُكُمْ فَاذْكُرُوهُ...
وَالصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ ثَنَاؤُهُ عَلَى الْعَبْدِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ ...

وَأَمَّا الصَّلَاةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَبِمَعْنَى الدُّعَاءِ لِلنَّاسِ وَالِاسْتِغْفَارِ...

وَقَوْلُهُ : " **لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**" أَيْ: بِسَبَبِ رَحْمَتِهِ بِكُمْ وَثَنَائِهِ عَلَيْكُمْ، وَدُعَاءِ مَلَائِكَتِهِ لَكُمْ، يُخْرِجُكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ إِلَى نُورِ الْهُدَى وَالْيَقِينِ.



قال صاحب الظلال (٥/٢٨٧١) وتعالى الله، وجلت نعمته، وعظم فضله، وتضاعفت منته وهو يذكر هؤلاء العباد الضعاف المحاويج الفانين، الذين لا حول لهم ولا قوة، ولا بقاء لهم ولا قرار. يذكرهم، ويعني بهم، ويصلي عليهم هو وملائكته، ويذكرهم بالخير في الملأ الأعلى فيتجاوب الوجود كله بذكرهم... ألا إنها لعظيمة لا يكاد الإدراك يتصورهاوهو يعلم أن هذه الأرض ومن عليها وما عليها إن هي إلا ذرة صغيرة زهيدة بالقياس إلى تلك الأفلاك الهائلة.

وما الأفلاك وما فيها ومن فيها إلا بعض ملك الله الذي قال له: كن فكان.

" **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**"

ونور الله واحد متصل شامل وما عداه ظلمات تتعدد وتختلف. وما يخرج

الناس من نـور الله إلا لـيـعـيـشـوا فـي ظـلـمة من الظلمات، أو في الظلمات مجتمعة وما يـنـقـذهـم مـن الـظـلام إلى نـور الله الـذي يشرق في قلوبهم، ويغمر أرواحهم، ويهديهم إلى فطرتهم.

وهـي فـطـرة هذا الوجود. ورحمة الله بهم وصلاة الملائكة ودعاؤها لهم، هي التي تخرجهم مـن الـظـلـمـات إلـى الـنـور حـين تتفتح قلوبهم للإيمان: " **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** "

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-إثبات صلاة الملائكة على المؤمنين والتي تعني دعاءَها لهم واستغفارها لذنوبهم.

٨٠- الملائكة تصلي على حضرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

وهذا المعنى الجليل في الآية (٥٦) من سورة (الأحزاب) ونصُّها يقول:



قال الإمام البخاري: قال أبو العالية:صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء.

وقال ابن عباس: يصلون: يبرّكون.

وقال الترمذي: وروي عن الثوري وغير واحد من أهل العلم أنهم قالوا: صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار.

المناسبة:

قال العلامة الرازي(١٨١/٢٥) لما أمر الله بالاستئذان وعدم النظر إلى وجوه نسائه احتراماً كمّل بيان حرمته، وذلك لأن حالته منحصرة في اثنتين:

حالة خلوته : وذكر مايدل على احترامه في تلك الحالة بقوله **" لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا**

دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ "

وحالة يكون في الملأ، والملأ: إما الملأ الأعلى، وإما الملأ الأدنى.

فأما الملأ الأعلى فهو محترم فإن الله وملائكته يصلون عليه.

وأما في الملأ الأدنى فذلك واجب الاحترام بقوله تعالى **" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا "**

التفسير:

قال العلامة ابن كثير (٣/٧٩٢) والمقصود من هذه الآية أن الله تعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيّه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه ، ثم أمر الله تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العَالَمَيْنِ العلوي والسفلي جميعاً.

ولصاحب الظلال كلام نفيس يقول (٥/٢٨٧٩) وصلاة الله على نبيه ذكره بالثناء في الملأ الأعلى، وصلاة الملائكة دعاؤهم له عند الله، ويا لها من مرتبة سنية حيث تردد جنبات الوجود ثناء الله على نبيه، ويشرق به الكون كله وتتجاوب به أرجاؤه...

وأين تذهب صلاة البشر وتسليمهم بعد صلاة الله العليّ وتسليمه، وصلاة الملائكة في الملأ الاعلى وتسليمهم؟ إنما يشاء الله تشريف المؤمنين بأن يقرن صلاتهم إلى صلاته، وتسليمهم إلى تسليمه، وأن يصلهم عن هذا الطريق بالأفق العلوي الكريم الأزلي القديم.

موازنة موفقة:

يقول العلامة الرازي (١٨١/٢٥) موازناً بين هذه الآية والآيات السابقة (٤١-٤٣) ما نصّه: قال هناك: **"هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ "** جعل الصلاة لله ،وعطف الملائكة على الله، وها هنا جمع نفسه وملائكته وأسند الصلاة إليهم فقال **" يُصَلُّونَ "** وفيه تعظيم النبي، وهذا لأن إفراد الواحد بالذكر، وعطف الغير عليه يوجب تفضيل للمذكور على المعطوف ...

فقال في حق النبي إنهم يصلون إشارة إلى أنه في الصلاة على النبي كالأصل، وفي الصلاة على المؤمنين يرحمهم، ثم إن الملائكة يوافقونه فهم في الصلاة على النبي يصلون بالإضافة كأنها واجبة عليهم أو مندوبة سواءً صلى الله أم لم يُصلِّ، وفي المؤمنين ليس كذلك.

أفضل الصيغ في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم:

وهي بلا شك الواردة على لسانه، وقد علمها لأصحابه، وساق أهل الحديث تلك الأحاديث في مصنفاتهم، والعجب ممن يعدل عنها إلى صيغ يركّبها هو من عنده -وإن كانت جائزة- ولكنها أشبه ما تكون بالورود الاصطناعية أمام الوردة الحمراء التي برأها الله.

رَوُى الْبُخَارِيُّ وغيره عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَة قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقد عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ؟ فَقَالَ: "قُولُوا: اللَّهُمَّ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ، بَارِكْ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ

وثمة صيغ أخرى واردة في السنة فخذها ورددها ووطنها لسانك والله يرعاك.

فضل الصلاة عن الرسول صلى الله عليه وسلم:

هذا وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الصلاة على الرسول ساق ابن كثير (٣/ ٧٩٧-٨٠٩) عدداً وافراً منها، ومنها ما له صلة بالملائكة:

روى الْإِمَامُ أَحْمَدُ بسنده إلى: عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ.

رَوَى الإمَام أَحْمَد بِسَنَدِهِ إِلى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى دَخَلَ نَخْلًا فَسَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ، حَتَّى خِفْتُ -أَوْ: خَشِيتُ -أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ تَوَفَّاهُ أَوْ قَبَضَهُ. قَالَ: فَجِئْتُ أَنْظُرُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "مَا لَكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟ " قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: "إِنَّ جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ لِي: أَلَا أُبَشِّرُكَ؟ إِنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ ".

مسك الختام:

قال النووي في أذكاره (ص/١٨٨) إذا صلّى على النبي فليجمع بين الصلاة والتسليم، فلا يقتصر على أحدهما، فلا يقول: صلى الله عليه فقط، ولا عليه السلام فقط.

قال ابن كثير (٣/٨١٢) وهذا الذي قاله منتزع من الآية الكريمة " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** " فالأولى أن يقال: صلى الله عليه وسلم تسليماً.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن الملائكة يصلون على النبي بمعنى أنهم يدعون له.



الآيات الواردة في

-٢٥-
سورة سبأ



سبأ

مما له صلة بعالم الملائكة

٨١- الملائكة وخشيتها من الله عزَّوجلَّ

وهذا المعنى تجده في الآيات (٢٢-٢٣) من سورة سبأ ونصُّها يقول:


قُلِ ادْعُوا الَّذِين زعمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يمْلِكُون مِثْقال ذرَّةٍ فِي السَّماواتِ
ولا فِي الأ رْضِ وما لهُمْ فِيهِ ما مِنْ شِرْكٍ و ما لهُ مِنْهُمْ مِنْ ظهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ولا
تنْفعُ الشَّفاعةُ عِنْدهُ إِلَّا لِمنْ أذِن لهُ حتَّى إِذا فُزِّ ع عنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا
ماذا قال ربُّكُمْ قالُوا الْحقَّ وهُو الْعلِيُّ الكبِيرُ ﴿٢٣﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة :

١ ً-المفردات:

٢٩٩-**قُلِ: قال ابن جرير (٣٩٤/٢٠)** أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم الجاحدين نعمنا عندهم.

٣٠٠-**ادْعُوا: قال صاحب المفردات[1]:** الدعاء كالنداء، فالمعنى: نادوا.

٣٠١-**زَعَمْتُمْ: قال صاحب المفردات[2]:** الزعم حكاية قولٍ يكون مظنة للكذب، ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلين به ١هـ.

٣٠٢-**مِثْقَالَ:** وزنَ.

١-انظر(المفردات) م / دعا.
٢-انظر(المفردات) م / زعم.

٣٠٣-**ذَرَّةٍ: قال صاحب المقاييس[1]:** الذُّر: صغار النمل، الواحدة ذرَّة.

٣٠٤-**شِرْكٍ: قال صاحب المقاييس[2]:** شَرَكَ: أصلان **أحدهما** يدل على مقارنة وخلاف انفراد...

ومنه الشركة: وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما ١هـ.

٣٠٥-**ظَهِيرٍ:** مُعِيْن.

٣٠٦-**الشَّفَاعَةُ: قال صاحب المفردات[3]:** الشفاعة الانضمام إلى آخر ناصراً له، وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة يوم القيامة.

٣٠٧-**فُزِّعَ: قال صاحب المفردات[4]:** الفزع: انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الجزع... وقوله "**فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**" أي أزيل عنها الفزع.

وقال صاحب المقاييس[5]: فأنا فزَّعْتُ عنه **فمعناه:** كشفت عنه الفزع وساق الآية.

٣٠٨-**الْحَقَّ: قال ابن كثير (٣/٨٤٧)** أي: أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان.

١-انظر(المقاييس) م / ذرّ.
٢-انظر(المقاييس) م / شرك.
٣-انظر(المفردات) م / شفع.
٤-انظر(المفردات) م / فزع.
٥-انظر(المقاييس) م / فزع.

٢ ً-الإعراب:

وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ: ما: نافية، **لهم فيهما:** جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، **من:** زائدة، **شرك:** اسم مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ وأصل الكلام:

وما شرك كائن له فيهما.

حَتَّى إِذَا: حتى: حرف غاية، **إذا:** ظرفية شرطية غير جازمة، فعلها **(فزع)** وجوابها **(قالوا)**.

مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ: ماذا:يجوز فيها أعاريب:

١-**ما:**اسم استفهام مبتدأ، وخبره **إذا** وما بعده صلته.

٢-**ماذا:** كلها اسم استفهام مبتدأ **والتقدير ماذا قاله ربكم؟.**

٣- كلها اسم استفهام مفعول به مقدم **والتقدير**: **ماذا قال؟ أي: أيَّ شيء قال؟**

الْحَقَّ: مفعول به لفعل محذوف **قال الحق.**

٣ ً-البلاغة:

١-في قوله " **ادْعُوا**" تعجيز وتحقير **قال الرازي (٢٠٣/٢٢)** على سبيل التهكم.

٢-في قوله " **مِنْ شِرْكٍ**" " **مِنْ ظَهِيرٍ**" زيدت "من" للاستغراق.

٣-في قوله "**وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ... إِلَّا لِمَنْ...**" حصر.

٢-المناسبة:

قال العلامة الرازي (٣٠٢/٢٢) لما بين الله حال الشاكرين وحال الكافرين وذكّرهم بمن مضى عاد إلى خطابهم، وقال لرسوله قل للمشركين... إلخ.

التفسير:

قال الإمام الزمخشري (٥٧٩/٣) قُلِ لمشركي قومك: ادْعُوا الَّذِينَ عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله، والتجئوا إليهم فيما يعروكم كما تلتجئون إليه، وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم.

ثم أجاب عنهم بقوله " لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ " من خير أوشر أو نفع أو ضر فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَما لَهُمْ في هذين الجنسين من شركة في الخلق، ولا في الملك.

قال الإمام الرازي (٢٠٣/٢٥) وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَذَاهِبَ الْمُفْضِيَةَ إِلَى الشِّرْكِ أَرْبَعَةٌ...

وَرَابِعُهَا: قَوْلُ مَنْ قَالَ إِنَّا نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ الَّتِي هِيَ صُوَرُ الْمَلَائِكَةِ لِيَشْفَعُوا لَنَا فَقَالَ تَعَالَى فِي إِبْطَالِ قَوْلِهِمْ **" وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ "** فَلَا فَائِدَةَ لِعِبَادَتِكُمْ غَيْرَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَأْذَنُ فِي الشَّفَاعَةِ لِمَنْ يَعْبُدُ غَيْرَهُ فَبِطَلَبِكُمُ الشَّفَاعَةَ تُفَوِّتُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمُ الشَّفَاعَةَ.

ونتابع مع ابن كثير:

يقول ابن كثير (٣/ ٨٤٦-٨٤٧) وَهذا أيضًا مقام رفيع في العظة. وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي، سمع أهل السموات كلامه، أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي...

" **حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ** "أَيْ: زَالَ الفزع عنها... يسألُ بعضُهُمْ بَعْضًا: ماذا قال ربّكُمْ؟ فَيُخْبِرُ بذلك حَمَلَةُ الْعَرْشِ لِلَّذِينِ يلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ لِمَنْ تَحْتَهُم، حتّى يَنتَهِيَ الْخَبَرُ إِلَى أَهْلِ السّمَاءِ الدُّنْيَا؛ وَلِهَذَا قَالَ:

" **قَالُوا الْحَقّ** " أَيْ: أَخْبَرُوا بِمَا قَالَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ.

" **وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** " .

روى البخاري حديثاً معلقاً عن ابن مسعود: إذا تكَلَّمَ اللهُ بالوحي سمع أهل السموات شيئاً فإذا فزِّعَ عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ونادوا " مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ "

أقول: وللقصة بقية رواها لنا البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ.**



الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن الملائكة مخلوقات مثلنا لا تملك مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وليس لها جزء أيضاً، ولا تشفع لأحد إلا بإذن الله.

٣-خشية الملائكة من الله وبيان حالها عند استماع الوحي.

٨٢-الملائكةُ تتبرّأُ من عابديها يوم القيامة

وهذا المعنى عبرت عنه الآيات (٤٠-٤٢) من سورة (سبأ) تقول الآيات:


وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا
سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ
النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً-المفردات:

٣٠٩-**يَحْشُرُهُمْ: قال صاحب المفردات[1]: الحشر:** إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها... وسُمي يوم القيامة يوم الحشر كما سمي يوم البعث والنشر.

٣١٠-**يَعْبُدُونَ: قال صاحب المفردات[2]: العبودية:** إظهار التذلل... ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى.

٣١١-**سُبْحَانَكَ: قال صاحب المفردات[3]: التسبيح**: تنزيه الله.

١-انظر(المفردات) م /حشر.
٢-انظر(المفردات) م /عبد.
٣-انظر(المفردات) م /سبح.

٣١٢-**وَلِيُّنَا: قال صاحب المفردات[1]:الوِلاية:** النُّصرة، **والوَلاية:** تولي الأمر... والوَلِيُّ والمَوْلَى: يستعملان في ذلك.

٢ ً-الإعراب:

جَمِيعًا: حال منصوبة.

أَهَؤُلَاءِ: الهمزة للاستفهام، **هؤلاء**: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، وخبره جملة **(كانوا يعبدون)**.

إِيَّاكُمْ: ضمير نصب منفصل في محل نصب مفعول به مقدّم.

سُبْحَانَكَ: مفعول مطلق لفعل محذوف.

٣ ً-البلاغة:

١-في قوله **"إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ"** حصر طريقه: تقديم ما حقه التأخير.

٢-المناسبة:

يقول العلامة الرازي (٢١١/٢٥) لما بين أن حال النبي كحال من تقدمه من الأنبياء، وحال قومه كحال من تقدم من الكفار، وتبين بطلان استدلالهم بكثرة أموالهم وأولادهم بيّن ما يكون من عاقبة حالهم فقال:

" وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ، فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ . بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ"

١-انظر(المفردات) م / ولي.

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

قال العلامة ابن كثير (٨٥٦/٣) يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَقْرَعُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رؤوس الْخَلَائِقِ، فَيَسْأَلُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَنْدَادَ الَّتِي هِيَ عَلَى صُورَةِ الْمَلَائِكَةِ لِيُقَرِّبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: " **أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ** " ؟ أَيْ: أَنْتُمْ أَمَرْتُمْ هَؤُلَاءِ بِعِبَادَتِكُمْ...

فتقول الملائكة " **سُبْحَانَكَ** " أَيْ: تعاليت وَتَقَدَّسْتَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ إِلَهٌ.



" **أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ** " أَيْ: نَحْنُ عَبِيدُكَ وَنَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ هَؤُلَاءِ.

" **بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ** " يَعْنُونَ: الشَّيَاطِينَ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يُزَيِّنُونَ لهمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَيُضِلُّونَهُمْ.

" **أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ** "

" **فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا** "أَيْ: لَا يَقَعُ لَكُمْ نَفْعٌ مِمَّنْ كُنْتُمْ تَرْجُونَ نَفْعَهُ الْيَوْمَ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ، الَّتِي ادَّخَرْتُمْ عِبَادَتَهَا لِشَدَائِدِكُمْ وكُرَبكم، الْيَوْمَ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا.

" **وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا** " – وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ - " **ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ**" أَيْ: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ، تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا.

ويقول صاحب الظلال (٢٩١١/٥) وها هم –أي الكفار- يحشرون يوم القيامة،حيث يواجههم الله سبحانه بالملائكة الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ثم يذوقون عذاب الملائكة الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، أو يتخذونهم عنده شفعاء. هؤلاء هم يواجهون بهم، فيسبحون الله تنزيها له من هذا الادعاء، ويتبرؤون من عبادة القوم لهم. فكأنما

هذه العبادة كانت باطلا أصلا، وكأنما لم تقع ولم تكن لها حقيقة إنما هم يتولون الشيطان إما بعبادته والتوجه إليه، وإما بطاعته في اتخاذ شركاء من دون الله وهم حين عبدوا الملائكة إنما كانوا يعبدون الشيطان! ذلك إلى أن عبادة الجن عرفت بين العرب وكان منهم فريق يتوجه إلى الجن بالعبادة أو الاستعانة: " **بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ**"

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-الملائكة لم تطلب من أحد أن يعبدها من دون الله عزوجل.

٣-أن الملائكة تتبرأ ممن عبدها من دون الله عزوجل.

الآيات الواردة في

-٢٦-

سورة فاطر

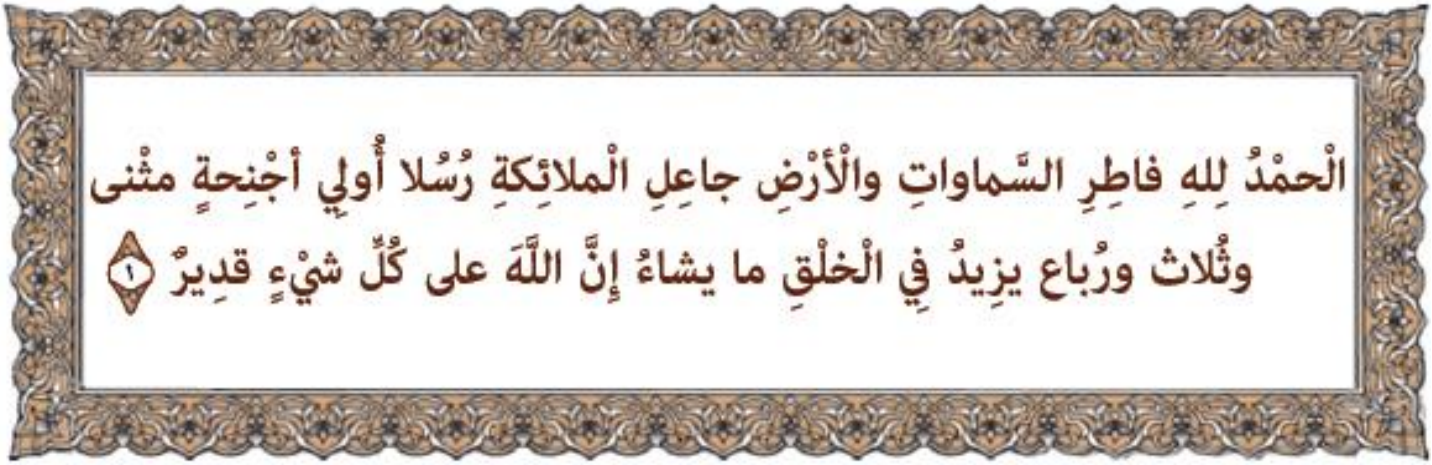
(الملائكة)



مما له صلة بعالم الملائكة

٨٣- الملائكة رسلٌ أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع

وتجد هذا في الآية (١) من سورة (فاطر[1]/ الملائكة) ونصُّها يقول:


الْحَمْدُ لِلهِ فاطِرِ السَّماواتِ والْأَرْضِ جاعِلِ الْملائِكةِ رُسُلا أُولِي أَجْنِحةٍ مثْنى
وثُلاث ورُباع يزِيدُ فِي الْخلْقِ ما يشاءُ إِنَّ اللَّهَ على كُلِّ شيْءٍ قدِيرٌ ١

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً-المفردات:

٣١٣-**الْحَمْدُ: قال صاحب المفردات[2]: الحمد لله** الثناء عليه بالفضيلة، وهو أخص من المدح، وأعمُّ من الشكر.

٣١٤-**فَاطِرِ: قال ابن عباس[3]:** كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه أنا فطرتها أي: بدأتها. **وقال ابن عباس أيضاً** فاطر: بديع.

١-الملائكة" هو الاسم الثاني لسورة (فاطر) جاء في الدر المنثور أخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة قال: سورة الملائكة مكية، وأخرج ابن سعد عن ابن أبي مليكة قال: كنت أقوم بسورة الملائكة في ركعة.

٢-انظر(المفردات) م /حمد.

٣-انظر(ابن كثير) ٣ /٨٦٤.

٣١٥-**جَاعِلِ:** اسم فاعل من جعل، **قال صاحب المفردات[1]: جعل**: لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعمُّ من فَعَلَ وصَنَعَ وسائر أخواتها ويتصرف على خمسة أوجه...

الرابع منها: تصيير الشيء على حالةٍ دون حالة.

٣١٦-**رُسُلًا: قال صاحب المفردات[2]:** أصل الرسل: الانبعاث على التؤدة... ومنه الرسول: المنبعث.

٣١٧-**أُولِي:** أصحاب.



٣١٨-**أَجْنِحَةٍ:** جمع جناح **قال صاحب المفردات[3]:**

الجناح: جناح الطائر...

وسُمّي جانبا الشيء جناحيه...

٣١٩-**مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ: قال الزمخشري(٣/٢٩٥)** مثنى وثلاث ورباع صفات لأجنحة، وإنما لم تنصرف لتكرر العدل فيها، ذلك أنها عدلت عن ألفاظ الأعداد من صيغ إلى صيغ أُخر...

والمعنى أن [من] الملائكة خلقاً أجنحتهم اثنان اثنان، أي: لكل واحد منهم جناحان.

و[من الملائكة] خلقاً أجنحتهم ثلاثة ثلاثة.

و[من الملائكة] خلقاً أجنحتهم أربعة أربعة.

١-انظر(المفردات) م /جعل.
٢-انظر(المفردات) م /رسل.
٣-انظر(المفردات) م /جنح.

٣٢٠-**الْخَلْق: قال الزمخشري (٣/٥٩٥)** أي: يزيد في خلق الأجنحة أقول: وقد ثبت أن لجبريل ستمئة جناح.

٢ ً-الإعراب:

الْحَمْدُ: مبتدأ، خبره متعلق الجار ومجروره.

فَاطِرِ: صفة، وهو مضاف وما بعدها مضاف إليه، ومعطوف عليه.

جَاعِلِ: صفة ثانية وهو مضاف من إضافة اسم الفاعل لمفعوله.

رُسُلًا: مفعول به ثان منصوب.

أُولِي: صفة لرسلاً منصوبة وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وهو مضاف وما بعدها مضاف إليه.

مَثْنَى: صفة لأجنحة ممنوعة من الصرف، وما بعدها معطوف عليها.

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

قال العلامة ابن جرير (٢٠/٤٣٤) الشكر الكامل للمعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي أن تكون لغيره خالق السماوات السبع والأرض،

"**جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا**" إلى من يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه.

"**أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ** " يقول: أصحاب أجنحة يعني ملائكة، فمنهم من له اثنان من الأجنحة، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة.

" **يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ** " وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء، ونقصانه عن الآخر ما أحب...

" **إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** " لا يمتنع عليه فعل شيء أراده سبحانه وتعالى.

يقول صاحب الظلال رحمه الله (٥/١٩٢١) والحديث في هذه السورة يتردد حول الرسل والوحي وما أنزل الله من الحق.. والملائكة هم رسل الله بالوحي إلى من يختاره من عباده في الأرض.

وهذه الرسالة هي أعظم شيء وأجله. ومن ثم يذكر الله الملائكة بصفتهم رسلا عقب ذكره لخلق السماوات والأرض. وهم صلة ما بين السماء والأرض. وهم يقومون بين فاطر السماوات والأرض، وأنبيائه ورسله إلى الخلق بأعظم وظيفة وأجلها.

ولأول مرة- فيما مر بنا من القرآن في هذه الظلال- نجد وصفا للملائكة يختص بهيئتهم. وقد ورد وصفهم من قبل من ناحية طبيعتهم ووظيفتهم، مثل قوله تعالى: **"وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا يَسْتَحسِرُونَ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ"**...

أما هنا فنجد شيئا يختص بتكوينهم الخلقي: **"أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ"** وهو وصف لا يمثلهم للتصور. لأننا لا نعرف كيف هم ولا كيف أجنحتهم هذه. ولا نملك إلا الوقوف عند هذا الوصف، دون تصور معين له. فكل تصور قد يخطئ. ولم يرد إلينا وصف محدد للشكل والهيئة من طريق معتمد. والذي ورد في القرآن هو هذا وهو قوله تعالى في وصف جهنم: **"عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ، لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ "** وهو كذلك لا يحدد شكلا ولا هيئة.

والذي ورد في الأثر: (**أن النبي- صلّى الله عليه وسلّم- رأى جبريل في صورته مرتين**) وفي رواية: (**له ستمائة جناح**) وهو كذلك لا يعين شكلا ولا هيئة. فالأمر إذن مطلق، والعلم لله وحده في هذه الغيبيات.

وبمناسبة ذكر الأجنحة مثنى وثلاث ورباع حيث لا يعرف الإنسان إلا شكل الجناحين للطائر، يذكر أن الله **" يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ "** فيقرر طلاقة المشيئة، وعدم تقيدها بشكل من أشكال الخلق.

٢-حل الإشكالات:

يوحي ظاهر الآية ان الملائكة كلهم رسل، وقد حقق **العلامة ابن حجر وغيره** هذا المقام فقال في الفتح (٨/٨٨٤) وقد تمسك به- وهو تفسير السفرة بالملائكة- من قال: إن جميع الملائكة رسل الله.

وللعلماء في ذلك قولان: الصحيح أن فيهم الرسل وغير الرسل وقد ثبت أن منهم الساجد فلا يقوم، والراكع فلا يعتدل.

واحتج الأول بقول الله تعالى " **"جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا"**

وأجيب بقول الله تعالى **"اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاس"** ١هـ.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي، وهذا جلي واضح حيث جعل الله منهم رسلاً بينه وبين خلقه.

٢-أن من الملائكة رسلاً بين الله وبين أنبيائه.

٣-أن لهذه الملائكة أجنحة **قال ابن كثير (٣/٨١٤)** يطيرون بها لِيُبَلِّغُوا ما أمروا به سريعاً.

٤-تتنوع عدد أجنحة الملائكة فمنهم من له زوجان من الأجنحة ، ومنهم من له ثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، ومنهم منةله أكثر من ذلك وهذا جبريل –كما ثبت في الصحيحين- له ستمئة جناحٍ.

الآيات الواردة في

-٢٧-

سورة يس



يس

مما له صلة بعالم الملائكة

٨٤- بصيحة واحدة لا بجنود ملكية هائلة أهلكهم الله.

وهذا المشهد رصدته لنا الآيات (٢٨-٢٩) من سورة (يس) ونصُّها الكامل يقول:



أقول: و المراد بجند من السماء الملائكة.

قال ابن جرير (٢٠/٢١١) بعد أن ذكر قولين في تحديد المراد بالجنود: وهذا القول الثاني [**أن المرد بهم الملائكة**] أولى القولين بتأويل الآية...

وذلك أن الرسل من بني آدم لا ينزلون من السماء، والخبر في ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مَهْلَك هذا المؤمن على قومه جنداً وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم.

المناسبة:

جاء هذا المشهد ضمن السياق الكامل للقصة وهذا المشهد هو المشهد الختامي للقصة.

التفسير:

يقول العلامة ابن كثير (٣/٩٠٥) يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ انْتَقَمَ مِنْ قَوْمِهِ بَعْدَ قَتْلِهِمْ إِيَّاهُ، غَضَبًا مِنْهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَقَتَلُوا وَلِيَّهُ. وَيَذْكُرُ تَعَالَى: أَنَّهُ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ، وَمَا احْتَاجَ فِي إِهْلَاكِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى إِنْزَالِ جُنْدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ، بَلِ الْأَمْرُ كَانَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ

" **إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ** " قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ بِعِضَادَتَيْ بَابِ بَلَدِهِمْ، ثُمَّ صَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ عَنْ آخِرِهِمْ، لَمْ يَبْقَ فِيهِمْ رُوحٌ تَتَرَدَّدُ فِي جَسَدٍ.



وقال صاحب الظلال (٥/٢٩٦) ولا يطيل هنا في وصف مصرع القوم، تهويناً لشأنهم، وتصغيراً لقدرهم، فما كانت إلا صيحة واحدةً أخمدت أنفاسهم، ويسدل الستار على مشهدهم البائس المهين الذليل.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن الملائكة من جنود الله ولهم من القوة والقدر ما يفوق تصور البشر.

الآيات الواردة في

-٢٨-
سورة الصافات



الصافات

مما له صلة بعالم الملائكة

٨٥- الله عزوجل يقسم بملائكته الصافات والزاجرات والتاليات يقسم بهم على وحدانيته

وهذا المعنى تجده في الآيات (١-٤) من سور (الصافات) ونصُّها يقول:



بين يدي التفسير:

١-المفردات والبلاغة والإعراب:

١ً-المفردات:

٣٢١-**وَ:** الواو حرف جر وقسم.

٣٢٢-**الصَّافَّاتِ: قال صاحب المفردات[1]:** الصَّفُ: أن تجعل الشيء على خط مستوٍ كالناس والأشجار ونحو ذلك.





١-انظر(المفردات) م /صف.

قال ابن جرير (٢١/٥٥٧) فأما الصافات فإنها الملائكة الصافات لربها في السماء، وهي جمع صافة، فالصافات: جمع الجمع، وقد نقل ذلك عن **ابن مسعود ومسروق وقتادة وغيرهم** ثم نقل إجماع أهل التأويل على ذلك.

وقد جاء بالسنة مزيد من التفاصيل حول وصف الملائكة بالصافات:

١-**روى مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ.**

٢-**روى مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ» قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حَلَقًا فَقَالَ: «مَالِي أَرَاكُمْ عِزِينَ»**

قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»

٣٢٣-**الزَّاجِرَاتِ: قال صاحب المفردات[1]: الزَّجر**: الطرد بصوت...
وقوله **فالزاجرات زجراً** أي الملائكة التي تزجر السحاب.

١-انظر(المفردات) م / زجر.

وقال ابن جرير بعد أن ذكر قولين في المسألة وهما:

١-الملائكة.

٢-آي القرآن.



قال (٨/٢١) والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا أنهم الملائكة لأن الله ابتدأ القسم بنوع من الملائكة وهم الصافون بإجماع من أهل التأويل فلأن يكون الذي بعده قسماً بسائر أصنافهم أشبه.

٣٢٤-**التَّالِيَاتِ: قال صاحب المفردات[1]:** تلاه: تبعه متابعة ليس بينهم ما ليس منها... والتّلاوة تختص باتِّباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام والائتمار لما فيها من أمر أو نهي...

وهي أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة... وساق الآية وغيرها.

وقال ابن جرير (٨/٢١) عند قول الله **"فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا"** يقول: فالقارئات كتاباً ثم قال: واختلف أهل التأويل في المعنيِّ بذلك فقال بعضهم: **الملائكة** ونقله عن مجاهد... وقيل غير ذلك.

وجزم ابن كثير (٣٩٤/٣) بأن المراد بالتاليات الملائكة ونقل عن السدي قوله: الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله.

أقول: ثمة فرق بين الآيتين فالتلاوة شيء، والإلقاء شيء آخر فتنبه.

١-انظر(المفردات) م / تلو.

٣٢٥-**ذِكْرًا:** المراد بالذكر هنا القرآن **ذكره صاحب المفردات**[1].

٢ ً-الأعراب:

وَالصَّافَّاتِ: الواو حرف جر وقسم، **الصافات:** مجرور به.

صَفًّا: مفعول مطلق منصوب.

فَالزَّاجِرَاتِ: معطوف على الصافات بالفاء مجرور مثله.

زَجْرًا: مفعول مطلق.

فَالتَّالِيَاتِ: معطوف على الزاجرات بالفاء مجرور مثله.

ذِكْرًا: مفعول به.

(**إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ**): إنَّ واسمها وخبرها، والجملة: جواب قسم لا محل له من الإعراب.

يقول الإمام الزمخشري (٣٤/٤) فإن قلت: ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات؟

قلت: إما أن تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله:

يا لهف زيابة للحارث الصا بـح فـالـغـانـم فـالآيـب

كأنه قيل: الذي صبح فغنم فآب.

وإما على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك: خذ الأفضل فالأكمل، واعمل الأحسن فالأجمل .

وإما على ترتيب موصوفاتها في ذلك كقوله: رحم الله المحلقين فالمقصرين.

١-انظر(المفردات) م / ذكر.

فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات.

فإن قلت: فعلى أيّ هذه القوانين هي فيما أنت بصدده؟

قلت: إن وحّدت الموصوف كانت للدلالة على ترتيب الصفات في التفاضل **وإن ثلثته** فهي للدلالة على ترتيب الموصوفات فيه.

وبيان ذلك: أنك إذا أجريت هذه الصفات على الملائكة وجعلتهم جاعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتباً لها في الفضل:

إما أن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة.

وإما على العكس.

وإن أجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية والثالثة على أخر، فقد أفادت ترتب الموصوفات في الفضل أعني أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلاً أو على العكس.

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

البداية من أجواء السورة بشكل عام:

يقول صاحب الظلال رحمه الله (٢٩٧٩/٥) هذه السورة... تعالج صورة معينة من صور الشرك التي كانت سائدة في البيئة العربية الأولى. وتقف أمام هذه الصورة طويلاً وتكشف عن زيفها وبطلانها بوسائل شتى، تلك هي الصورة التي كانت جاهلية العرب تستسيغها، وهي تزعم أن هناك قرابة بين الله - سبحانه - وبين الجن.

وتستطرد الأسطورة فتزعم أنه من التزاوج بين الله- تعالى- والجِنَّة ولدت الملائكة.

ثم تزعم أن الملائكة إناث، وأنهن بنات الله!

هذه الأسطورة تتعرض لحملة قوية في هذه السورة تكشف عن تهافتها وسخفها. ونظراً لأنها هي الموضوع البارز الذي تعالجه السورة، فإنها تبدأ بالإشارة إلى طوائف من الملائكة: " **وَالصَّافَّاتِ... فَالزَّاجِرَاتِ ... فَالتَّالِيَاتِ ...** "

يقول الإمام الزمخشري (٢٢/٤) أقسم الله سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة... أو أجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لأمر الله فَالزَّاجِراتِ السحاب سوقا، فَالتَّالِياتِ لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها.

ونتابع مع ابن كثير (٩٩٤/٣) وَقَوْلُهُ:"**إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ**" هَذَا هُوَ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ، أَنَّهُ تَعَالَى لَا إِلَهَ إلا هو.

ويقول صاحب الظلال (٢٩٨٠/٥) ومناسبة هذا القسم- كما أسلفنا- هو تلك الأسطورة التي كانت شائعة في جاهلية العرب من نسبة الملائكة إلى الله، واتخاذهم آلهة بما أنهم – بزعمهم – بنات الله!

٢-حل الإشكالات:

قد يقول قائل كيف يقسم الله بالملائكة؟

قال العلامة الرازي (٣١٦/٢٦) لَا يبعد أن تكون الحكمة في قسم من اللَّهِ تَعَالَى بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ التَّنْبِيهَ عَلَى شَرَفِ ذَوَاتِهَا وَكَمَالِ حَقَائِقِهَا، لَا سِيَّمَا إِذَا حَمَلْنَا هَذِهِ الْأَلْفَاظَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَإِنَّهُ تَكُونُ الْحِكْمَةُ فِي الْقَسَمِ بِهَا التَّنْبِيهَ عَلَى جَلَالَةِ دَرَجَاتِهَا وكمال مراتبها.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي ويدل على ذلك هنا إقسام الله بطوائف منه على أخطر أمر وأهمه ألا وهو وحدانيته جل وعلا.

٢-مكانة الملائكة العالية بدليل إقسام الله بها .

قال الرازي (٣١٦/٢٦) الْحِكْمَةُ فِي الْقَسَمِ بِهَا التَّنْبِيهَ عَلَى جَلَالَةِ دَرَجَاتِهَا وَكَمَالِ مَرَاتِبِهَا.



٣-أن الملائكة من صفاتها أنها صافات **وقد روى مسلم عن حذيفة أن الرسول صلى الله عليه ويلم قال: فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ .**

وفي حديث آخر رواه مسلم أيضاً عن جابر بن سمرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»

٤-أن الملائكة من مهامها أنها تسوق السحاب إلى حيث يريد الله عزوجل أن تهطل ماؤه.

٥- أن الملائكة من صفاتها ومهامها تلاوة القرآن بمعنى قراءته ولا يبعد أن يتعبد الله ملائكته بترتيل كتابه كما تعبدنا بذلك.

٨٦- أحاديث الملأ الأعلى
محفوظة
من كل شيطان مارد

وهذا المعنى تجده في الآيات (٦-١٠) من سورة (الصافات) وتقول الآيات:



بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ ً-المفردات:

٣٢٦-**زَيَّنَّا: قال صاحب المقاييس**[1] أحسنا.

وأضاف صاحب المفردات[2]**: الزينة** في الآية إشارة إلى الزينة التي تدرك بالبصر، ويعرفها الخاصة والعامة، وإلى الزينة المعقولة التي يختص بمعرفتها الخاصة من أحكامها وسيرها.

فالحاصل أن الله حسّن السماء الدنيا بنوعين من التحسين ما يدركه

١-انظر (المقاييس) م/ زين.
٢-انظر (المفردات) م/ زين.

كل أحد من جمالها وبهائها بكواكبها، ونوع آخر هو اتقان صنعتها والله أعلم.

٣٢٧-**الدُّنْيَا: قال ابن جرير (١٠/٢١)** أي: التي تليكم أيها الناس، وهي الدنيا إليكم.

ثم قال موضحاً نوع الزينة: بتزيينها الكواكب أي: بأن زينتها الكواكب.



٣٢٨-**الْكَوَاكِبِ:** جمع كوكب، وهو جرم سماوي يدور في مدار حول نجم أو بقايا نجم في السماء وهو كبير بما يكفي ليصبح شكله مستديراً تقريباً بفعل قوة جاذبيته.

قال ابن كثير (٣/٩٣٤) قرئ بالإضافة " **زِينَةِ الْكَوَاكِبِ**"وبالبدل " **بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ** " وكلاهما بمعنى واحد.

٣٢٩-**حِفْظًا: قال ابن كثير (٣/٩٣٤)** أي: وحفظناها حفظاً، والحفظ مراعاة الشيء.

٣٣٠-**شَيْطَانٍ: قال صاحب المفردات[1]:الشيطان:** اسم لكل عارم من الجن و الإنس والحيوانات.

أقول: وجلي أن المراد هنا العارم من الجن.

٣٣١-**مَارِدٍ: قال صاحب المفردات[2]:** المارد والمريد من شياطين الجن والإنس: المتعري من الخيرات.

١-انظر (المفردات) م/ شطن.
٢-انظر (المفردات) م/ مرد.

قال ابن كثير (٣/ ٩٣٤) يعني: المتمرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع أتاه شهاب ثاقب فأحرقه.

٣٣٢-**يَسَّمَّعُونَ: قال الإمام الزمخشري (٣٢/٤)** وأصله: يتسمعون، والتسمع: تطلب السّماع، يقال: تسمّع فسمع أو فلم يسمع.

٣٣٣-**الْمَلَإِ الْأَعْلَى: قال صاحب المفردات[1]:** الملأ: جماعة يجتمعون على رأي فيملؤون العينَ رواء ومنظراً، والنفوسَ بهاءً وجلالاً.

قال الزمخشري (٣٦/٤): الملأ الأعلى : الملائكة لأنهم يسكنون السموات، والإنس والجن هم الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض.

٣٣٤-**يُقْذَفُونَ: قال صاحب المفردات[2]:** القذف الرمي البعيد.

٣٣٥-**مِنْ كُلِّ جَانِبٍ: قال الإمام الزمخشري (٣٦/٤)** من جميع جوانب السماء من أي جهة صعدوا للاستراق.

وقال ابن كثير (٩٣٥/٣) من كل جهة يقصدون السماء منها.

٣٣٦-**دُحُورًا: قال صاحب المفردات[3]:** الدّحر: الطرد والإبعاد.

٣٣٧-**وَاصِبٌ:** أي دائم.

٣٣٨-**خَطِفَ: قال صاحب المفردات[4]:** الخطف والاختطاف: الاختلاس بسرعة، وساق الآية ثم قال: وذلك وصف للشياطين المسترقة للسمع.

١-انظر (المفردات) م/ ملأ.
٢-انظر (المفردات) م/ قذف.
٣-انظر (المفردات) م/ دحر.
٤-انظر (المفردات) م/ خطف.

٣٣٩-**الْخَطْفَةَ: قال ابن كثير (٣/٩٣٥)** وهي الكلمة التي يسمعها الشيطان من السماء فيلقيها إلى الذي تحته، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته.



٣٤٠-**شِهَابٌ: قال صاحب المفردات[1]:** الشهاب الشعلة الساطعة من النار الموقدة، ومن العارض في الجو.

٣٤١-**ثَاقِبٌ: قال صاحب المفردات[2]:** الثاقب المضيء الذي يثقب بنوره وإضاءَته ما يقع عليه.

٢ ً-الإعراب:

إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ: إنَّ: حرف مشبه بالفعل و(**نا**) اسمها و (**زينا**): خبرها، و**السماء:** مفعول به، و**الدنيا:** صفة السماء، **بزينة:** جار ومجرور متعلقان ب زيّنا. و**الكواكب:** بدل مجرور.

وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ: الواو: عاطفة، **حفظا.**

قال الزمخشري (٤/٣٥) وحفظاً مما حمل على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينةً للسماء وحفظاً من الشياطين...

ويجوز أن يقدّر الفعل المعلل (مفعول لأجله).

٣- انظر (المفردات) م/ شهب.
٤- انظر (المفردات) م/ ثقب.

كأنه قيل وحفظاً من كل شيطان زيناها بالكواكب، وقيل: وحفظناها حفظاً.

من كل: جار ومجرور وما بعده: مضاف إليه،

ومارد: صفته.

لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى: إعرابها جلي مفردات، وكجملة نورد ما ذكره العلامة **ابن هشام** في المغني [ص/٥٠١] **قال:**

فإنّ الذي يتبادر إلى الذهن أنها صفة لكل شيطان أو حال، وكلاهما باطل إذ لا معنى للحفظ من شيطان لا يسمع وإنما هي للاستئناف النحوي... ويحتمل أن الأصل لئلا يسمَّعوا ثم حذفت اللام.

دُحُورًا: مفعول لأجله منصوب.

وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ: عذاب مبتدأ، **واصب:** صفته ومتعلق الجار والمجرور وخبره.

إِلَّا: أداة استثناء، من: اسم موصول في محل نصب على الاستثناء وجملة **(خطف الخطفة)** صلته...

٢-المناسبة:

بعد أن أقسم الله بالملائكة الصافات فالزاجرات فالتاليات استطرد إلى موضوع آخر ذي صلة بالملائكة وهو صيانة مجتمعهم وما يدور فيه من أحاديث الوحي عن تطفل الشياطين مسترقي السمع.

التفسير وحل الإشكالات:

التفسير:

يقول العلامة ابن كثير (٣/٩٣٤) يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ زَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا لِلنَّاظِرِينَ إِلَيْهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ.

" **بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ** " وَحَفِظْنَاهَا حِفْظًا، " **مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ** " يَعْنِي: الْمُتَمَرِّدَ الْعَاتِيَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَرِقَ السَّمْعَ، أَتَاهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ فَأَحْرَقَهُ، وَلِهَذَا قَالَ: " **لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى**" أَيْ: لِئَلَّا يَصِلُوا إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى، وَهِيَ السَّمَاوَاتُ وَمِنْ فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِذَا تَكَلَّمُوا بِمَا يُوحِيهِ اللَّهُ مِمَّا يَقُولُهُ مِنْ شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ...

" **وَيُقْذَفُونَ** " أَيْ: يُرْمَوْنَ.

" **مِنْ كُلِّ جَانِبٍ** " أَيْ: مِنْ كُلِّ جِهَةٍ يَقْصِدُونَ السَّمَاءَ مِنْهَا.

" **دُحُورًا** " أَيْ: رَجْمًا يُدْحَرُونَ بِهِ وَيُزْجَرُونَ، وَيُمْنَعُونَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ...

" **إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ** " أَيْ: إِلَّا مَنِ اخْتَطَفَ مِنَ الشَّيَاطِينِ الخطفة، وهي الكلمة يسمعها مِنَ السَّمَاءِ فَيُلْقِيهَا إِلَى الَّذِي تَحْتَهُ، وَيُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى الَّذِي تَحْتَهُ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا بِقَدَرِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الشِّهَابُ فَيُحْرِقَهُ، فَيَذْهَبُ بِهَا الْآخَرُ إِلَى الْكَاهِنِ.

روى ابْنُ جَرِيرٍ(٢١/١٢) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبير، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ لِلشَّيَاطِينِ مَقَاعِدُ فِي السَّمَاءِ فَكَانُوا يَسْتَمِعُونَ الْوَحْيَ، قَالَ: وَكَانَتِ النُّجُومُ لَا تَجْرِي، وَكَانَتِ الشَّيَاطِينُ لَا تُرْمى .

قَالَ: فَإِذَا سَمِعُوا الْوَحْيَ نَزَلُوا إِلَى الْأَرْضِ، فَزَادُوا فِي الْكَلِمَةِ تِسْعًا.

قَالَ: فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جعل الشَّيْطَانُ

إِذَا قَعَدَ مَقْعَدَهُ جَاءَ شِهَابٌ فَلَمْ يُخْطِئْهُ حَتَّى يُحرِقَهُ.

قَالَ: فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى إِبْلِيسَ.

فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ حَدَثَ.

قَالَ: فَبَثَّ جُنُودَهُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَيْ نَخْلَةَ –

قَالَ وَكِيعٌ: يَعْنِي بَطْنَ نَخْلَةَ –

قَالَ: فَرَجَعُوا إِلَى إِبْلِيسَ فَأَخْبَرُوهُ.

فَقَالَ: هَذَا الَّذِي حَدَثَ.

وفي رواية أخرى: لم تكن النجوم يرمى بها من قبل ذلك... وهذا هو الصواب في الرواية.

يقول صاحب الظلال (٢٩٨٣/٥): بعد ما مس في مطلع السورة شطر الأسطورة الخاص بالملائكة، عاد يمس هنا شطرها الثاني وهو الخاص بالشياطين.

وكانوا يزعمون أن بين الله وبين الجنة نسبا. وبعضهم كانوا يعبدون الشياطين على هذا الأساس. وعلى أساس أن الشياطين يعرفون الغيب لاتصالهم بالملأ الأعلى.

وبعد ذكر السماوات والأرض وما بينهما وذكرالمشارق... يجيء ذكر الكواكب:" **إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ** " نظرة إلى السماء كافية لرؤية هذه الزينة ولإدراك أن الجمال عنصر مقصود في بناء هذا الكون وأن صنعة الصانع فيه بديعة التكوين جميلة التنسيق وأن الجمال فيه فطرة عميقة لا عرض سطحي...

ثم تقرر الآية التالية أن لهذه الكواكب وظيفة أخرى، وأن منها شهبا ترجم بها الشياطين كي لا تدنو من الملأ الأعلى: " **وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ،إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ** "

فمن الكواكب رجوم تحفظ السماء من كل شيطان عات متمرد وتذوده عن الاستماع إلى ما يدور في الملأ الأعلى فإذا حاول التسمع تلقفته الرجوم من كل جانب، فتدحره دحرا، وله في الآخرة عذاب موصول لا ينقطع.

ولقد يخطف الشيطان المارد خطفة سريعة مما يدور في الملأ الأعلى، فيتبعه شهاب يلاحقه في هبوطه فيصيبه ويحرقه حرقا.

ونحن لا نعرف كيف يتسمع الشيطان المارد ولا كيف يخطف الخطفة ولا كيف يرجم بالشهاب الثاقب. لأن هذه كلها غيبيات تعجز طبيعتنا البشرية عن تصوركيفياتها ومجالنا فيها هو تصديق ما جاء من عند الله فيها...

والمهم أن هذه الشياطين التي تمنع من الوصول إلى الملأ الأعلى، ومن التسمع لما يدور فيه هي التي يدعي المدعون أن بينها وبين الله نسبا، ولو كان شيء من هذا صحيحا لتغيير وجه المعاملة.

ولما كان مصيرالأنسباء والأصهار- بزعمهم- هو المطاردة والرجم والحرق أبدا...

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-تمايز عالم الملائكة عن عالم الجن والشياطين.

٣-المكانة العليا للملائكة فهم الملأ الأعلى ويدور بينهم أحاديث الوحي المحجوبة عن عالمي الإنس والجن.

٨٧- الملائكة ليسوا إناثاً

هذا الافتراء مع الرد عليه أفصحت عنه الآيات (١٤٩-١٦٠) من سورة (الصافات) ونصُّها يقول:


فاسْتفْتِهِمْ أَلِربِّك الْبناتُ ولهُمُ الْبنُون ﴿١٤٩﴾ أمْ خلقْنا الْملائِكة إناثاً وهُمْ شاهِدُون ﴿١٥٠﴾
ألا إنَّهُمْ مِنْ إفْكِهِمْ ليقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وإنَّهُمْ لكاذِبُون ﴿١٥٢﴾ أصْطفى الْبناتِ على
الْبنِين ﴿١٥٣﴾ ما لكُمْ كيْف تحْكُمُون أفلا تذكَّرُون ﴿١٥٤﴾ أ مْ لكُمْ سُلْطانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٥﴾ فأْتُوا
بِكِتابِكُمْ إنْ كُنْتُمْ صادِقِين ﴿١٥٦﴾ وجعلُوا بيْنهُ وبيْن الْجِنَّةِ نسباً ولقدْ علِمتِ الْجِنَّةُ إنَّهُمْ
لمُحْضرُون ﴿١٥٧﴾ سُبْحان اللَّهِ عمَّا يصِفُون ﴿١٥٨﴾ إلَّا عِباد اللَّهِ الْمُخْلصِين ﴿١٥٩﴾

وحسبنا -هنا- بيان المناسبة والتفسير:

المناسبة:

قال العلامة الزمخشري (٦٣/٤) فاستفتهم معطوف على مثله في أول السورة، وإن تباعدت بينهما المسافة.

أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه إنكارالبعث أوّلاً، ثم ساق الكلام موصولاً بعضه ببعضٍ، ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها، حيث جعلوا لله الإناث، ولأنفسهم الذكور...

قال العلامة الرازي (٣٥٩/٢٦) اعلم أنه تعالى لما ذكر أقاصيص الأنبياء عاد إلى شرح مذاهب المشركين وبيان قبحها وسخافتها ومن جملة أقوالهم الباطلة أنهم أثبتوا الأولاد لله، ثم زعموا أنها من جنس الإناث لا من جنس الذكور فقال: فاستفتهم... وهذا معطوف على قوله في أول السورة فاستفتهم أهم أشد خلقاً وذلك لأنه تعالى أمر رسوله باستفتاء قريش

على وجه إنكار البعث أولاً ثم ساق الكلام موصولاً بعضه ببعض إلى أن أمره بأن يستفتيهم في أنهم لمَ أثبتوا لله البنات ولأنفسهم البنين؟!

التفسير:

قال العلامة ابن كثير (٣/٩٦٨) - وهو ملخص هذه الآيات - فذكر الله عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب:

أولاً: جعلوهم بنات الله فجعلوا للهِ ولداً.

ثانياً: جعلوا ذلك الولد أنثى.

ثالثاً: عبدوهم من دون الله... وكلٌّ منها كاف في التخليد في نار جهنم.

يقول صاحب الظلال رحمه الله (٥/٣٠٠٠) إنه يحاصر أسطورتهم في كل مساربها ويحاجهم بمنطقهم ومنطق بيئتهم التي يعيشون فيها. وهم كانوا يؤثرون البنين على البنات ويعدون ولادة الأنثى محنة، ويعدون الأنثى مخلوقاً أقل رتبة من الذكر. ثم هم هم الذين يدعون أن الملائكة إناث. وأنهم بنات الله! فهو هنا يستطرد معهم وفق منطقهم، ويأخذهم به ليروا مدى تهافت الأسطورة وسخفها حتى بمقاييسهم الشائعة:

" **فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ** " أإذا كان الإناث أقل رتبة كما يدعون جعلوا لربهم البنات واستأثروا هم بالبنين؟! أو اختار الله البنات وترك لهم البنين؟! إن هذا أو ذاك لا يستقيم! فاسألهم عن هذا الزعم المتهافت السقيم.

واستفتهم كذلك عن منشأ الأسطورة كلها.من أين جاءهم علم أن الملائكة إناث؟ وهل هم شهدوا خلقهم فعرفوا جنسهم؟

" **أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ** " ويستعرض نص مقولتهم المفتراة الكاذبة على الله

" **أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ، وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** " وهم كاذبون حتى بحكم عرفهم الشائع ومنطقهم الجاري في اصطفاء البنين على البنات. فكيف اصطفى الله البنات على البنين؟

" **أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ** " ! ويعجب من حكمهم الذي ينسون فيه منطقهم الجاري:

" **مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** "ومن أين تستمدون السند والدليل على الحكم المزعوم؟

" **أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ، فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** " والأسطورة الأخرى. أسطورة الصلة بينه - سبحانه- وبين الجنة:

" **وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ** "

وكانوا يزعمون أن الملائكة هم بنات الله- بزعمهم- ولدتهم له الجنة! وذلك هو النسب والقرابة! والجن تعلم أنها خلق من خلق الله. وأنها محضرة يوم القيامة بإذن الله. وما هكذا تكون معاملة النسب والصهر! وهنا ينزه ذاته سبحانه عن هذا الإفك المتهافت.

" **سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** " ويستثنى من الجن الذين يحضرون للعذاب مكرهين تلك الطائفة المؤمنة. وقد كان في الجن مؤمنون..

" **إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ** "

٨٨- الملائكة هم الصّافون وهم المسبحون ولكلِّ مقامُه المعلوم

وهذه الصفات الجليلة كشفت عنها الآيات (١٦٤-١٦٦) من سورة (الصافات) وتقول الآيات:



قال ابن جرير (١٢٥/٤١) وما منا –يعني معشر الملائكة- إلا من له مقام في السماء معلوم.

بين يدي التفسير:

١-المفردات والبلاغة والإعراب:

١ً -المفردات:

٣٤٢-**مَقَامٌ: قال صاحب المفردات[١]:** والمقام يكون مصدراً، واسم مكان القيام وزمانه.



قال ابن كثير (٢/ ٩٦٩) أي: موضع مخصوص في السماوات، ومقامات العبادات.

٣٤٣-**مَعْلُومٌ: قال ابن كثير (٣/ ٩٦٩)** أي لا يتجاوزه ولا يتعداه.

١-انظر (المفردات) م/ قام.

٣٤٤-**الصَّافُّونَ:** جمع صاف، **قال صاحب المفردات[1]:** الصفُّ: أن تجعل الشيء على خط مستوٍ كالناس والأشجار ونحو ذلك...

وساق الآية ثم قال: يعني بهم الملائكة.

وقال الزمخشري (٣٣/٤) موضحاً المفعول به لاسم الفاعل (الصَّافون) قال: الصافون أقدامهم في الصلاة، أو الصافون أجنحتهم في الهواء واقفين منتظرين لأمر الله.

٣٤٥-**الْمُسَبِّحُونَ:** جمع مسبح، **قال صاحب المفردات[2]:** التسبيح تنزيه الله، وأصله: المرُّ السّريع في عبادة الله... وجعل التسبيح عاماً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نيّة.

٢ً -الإعراب:

وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ: الواو: استئنافية، **ما:** نافية، **منا:** جار ومجرور متعلقان بالخبر المقدر.

قال الزمخشري (٤/ ٦٦) وما منا أحد... فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه.

إلا: أداة حصر، وما بعده مبتدأ،وصفته وخبره محذوف تعلّق به الجار ومجروره.

وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ: إنَّ: حرف مشبه بالفعل، **ونا:** واسمها في محل نصب، **واللام مزحلقة** والضمير للفصل، والخبر **الصافون** ومفعوله محذوف.

١-انظر (المفردات) م/ صف.
٢-انظر (المفردات) م/ سبح.

٣ً-البلاغة:

١-في قوله "**وَمَا مِنَّا**" إيجاز بحذف الموصوف، وفيه أيضاً استغراق وحصر.

٢-في قوله "**إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ**" و " **إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ** " أسلوب حصر باستخدام ضمير الفصل.

٢-المناسبة:

يقول صاحب الظلال (٣٠٠١/٥) في هذه الآيات رد الملائكة على الأسطورة بأن لكل منهم مقامه الذي لا يتعداه فهم عباد من خلق الله، لهم وظائف في طاعة الله فهم يصفّون للصلاة ويسبحون بحمد الله، ويقف كل منهم على درجة لا يتجاوز حدّه، والله هو الله.

التفسير:

يقول العلامة الرازي (٣٦٢/٢٦) ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: " **وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ** " فَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَصَفُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْمُبَالَغَةِ فِي الْعُبُودِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ يَصْطَفُّونَ لِلصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ التَّنْبِيهُ عَلَى فَسَادِ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُمْ أَوْلَادُ اللَّهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ مُبَالَغَتَهُمْ فِي الْعُبُودِيَّةِ تَدُلُّ عَلَى اعْتِرَافِهِمْ بِالْعُبُودِيَّةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَدُلُّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَلَائِكَةِ فَأَوَّلُهَا: قَوْلِهِ تَعَالَى: " **وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ** " وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَرْتَبَةً لَا يَتَجَاوَزُهَا وَدَرَجَةً لَا يَتَعَدَّى عَنْهَا، وَتِلْكَ الدَّرَجَاتُ إِشَارَةٌ إِلَى دَرَجَاتِهِمْ فِي التَّصَرُّفِ فِي أَجْسَامِ هَذَا الْعَالَمِ وَإِلَى دَرَجَاتِهِمْ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَمَّا دَرَجَاتُهُمْ فِي التَّصَرُّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ فَهِيَ قَوْلُهُ: " **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ** وَالْمُرَادُ كَوْنُهُمْ صَافِّينَ فِي أَدَاءِ الطَّاعَاتِ وَمَنَازِلِ الْخِدْمَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ، وَأَمَّا دَرَجَاتُهُمْ فِي الْمَعَارِفِ فَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى:" **وإِنَّا**

لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ " وَالتَّسْبِيحُ تَنْزِيهُ اللَّهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ.

وقال العلامة ابن كثير (٣/٩١٩) ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُنزها لِلْمَلَائِكَةِ مِمَّا نَسَبوا إِلَيْهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بِهِمْ وَالْكَذِبِ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ: " **وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ** " أَيْ: لَهُ مَوْضِعٌ مَخْصُوصٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَقَامَاتِ الْعِبَادَةِ لَا يَتَجَاوَزُهُ وَلَا يَتَعَدَّاهُ.

أقول:جاء في كتاب تعظيم قدر الصلاة عن العلاء بن سعد – صحابي شهد الفتح - أن النبي قال لجلسائه هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا وما تسمع يا رسول الله؟ قال " أطَّت السَّمَاءُ وحقّ لَهَا أَنْ تَئِطّ، لَيْسَ فِيهَا مَوْضِعَ قَدَم إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ.



وقالت الملائكة وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون".

ونتابع مع ابن كثير عند قوله " **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ** " أَيْ: نَقِفُ صُفُوفًا فِي الطَّاعَةِ، **قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُغِيثٍ قَالَ: كَانُوا لَا يُصَفُّونَ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى نَزَلَتْ: " وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ " فَصُفُّوا.**

وَقَالَ أَبُو نَضْرَة: كَانَ عُمَرُ إِذَا أُقِيمتِ الصَّلَاةُ اسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، اسْتَوُوا قِيَامًا، يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ هَدْيَ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: " وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ " ، تَأَخَّرْ يَا فُلَانُ، تَقَدَّمْ يَا فُلَانُ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ فَيُكَبِّرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي، حَاتِمٍ وَابْنُ جَرِيرٍ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعلت صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ.



وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ مَسْجِدًا، وَتُرْبَتُهَا طَهُورًا

" وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ " أَيْ: نَصْطَفُّ فَنُسَبِّحُ الرَّبَّ وَنُمَجِّدُهُ وَنُقَدِّسُهُ وَنُنَزِّهُهُ عَنِ النَّقَائِصِ، فَنَحْنُ عَبِيدٌ لَهُ، فُقَرَاءُ إِلَيْهِ

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي وهذا واضح جلي.

٢-تفاوت مراتب الملائكة فيما بينها فلكل ملك مقامه في السماء والقرب.

٣-أن الملائكة هم الصافون على الكمال.

٤-أن الملائكة هم المسبحون على الكمال.

٥-قد يفهم من هذه الآيات تفضيل عالم الملائكة على البشر.

يقول الرازي (٣٦٢/٢٦) " وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ "

يُفِيدُ الْحَصْرَ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُمْ هُمُ الصَّافُّونَ فِي مَوَاقِفِ الْعُبُودِيَّةِ لَا غَيْرُهُمْ وَأَنَّهُمْ هُمُ الْمُسَبِّحُونَ لَا غَيْرُهُمْ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ طَاعَاتِ الْبَشَرِ وَمَعَارِفَهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى طَاعَاتِ الْمَلَائِكَةِ وَإِلَى مَعَارِفِهِمْ كَالْعَدَمِ، حَتَّى يَصِحَّ هَذَا الْحَصْرُ. وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ الثَّلَاثَةُ تَدُلُّ عَلَى أَسْرَارٍ عَجِيبَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَلَائِكَةِ فَكَيْفَ يَجُوزُ مَعَ هَذَا الْحَصْرِ أَنْ يُقَالَ الْبَشَرُ تَقْرُبُ دَرَجَتُهُ مِنَ الْمَلَكِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُقَالَ هَلْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ أَمْ لَا؟

الآيات الواردة في

-٢٩-

سورة ص



مما له صلة بعالم الملائكة

٨٩-اختصام الملأ الأعلى
الملائكة سجدوا و إبليس استكبر

وهذا المشهد رصدته لنا الآيات (٦٧-٨٥) من سورة (ص) والآيات تقول:


قُلْ هُو نبأ عظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عنْهُ مُعْرِضُون ﴿٦٨﴾ ما كان لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْملإِ الْأَعْلى إِذْ يخْتصِمُون ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّما أَنا نذِيرٌ
مُبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قال ربُّك لِلْملائِكةِ إِنِّي خالِقٌ بشراً مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فإِذا سوَّيْتُهُ ونفخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فقعُوا لهُ ساجِدِين ﴿٧٢﴾ فسجد
الْملائِكةُ كُلُّهُمْ أجْمعُون ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيس اسْتكْبر وكان مِن الْكافِرِين ﴿٧٤﴾ قال يا إِبْلِيسُ ما منعك أَنْ تسْجُد لِما خلقْتُ بِيدِيَّ أَسْتكْبرْت
أَمْ كُنْت مِن الْعالِين ﴿٧٥﴾ قال أنا خيْرٌ مِنْهُ خلقْتنِي مِنْ نارٍ و خلقْتهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قال فاخْرُجْ مِنْها فإِنَّك رجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وإِنَّ علَيْك
لعْنتِي إِلى يوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قال ربِّ فأَنْظِرْنِي إِلى يوْمِ يُبْعثُون ﴿٧٩﴾ قال فإِنَّك مِن الْمُنْظرِين ﴿٨٠﴾ إِلى يوْمِ الْوقْتِ الْمعْلُومِ ﴿٨١﴾
قال فبِعِزَّتِك لأُغْوِينَّهُمْ أجْمعِين ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبادك مِنْهُمُ الْمُخْلصِين ﴿٨٣﴾ قال فالْحقُّ والْحقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لأَمْلأَنَّ جهنَّم مِنْك ومِمَّنْ
تبِعك مِنْهُمْ أجْمعِين ﴿٨٥﴾

قال ابن كثير (٣/١٠٠٣) اختلاف الملأ الأعلى في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له، ومحاجته ربَّه في تفضيله عليه.

وحسبنا أمام هذا المشهد الذي سبق في البقرة والأعراف والحجر والإسراء،
والكهف أن نكتفي ببيان مناسبته وتفسيره بإيجاز، مع الإجابة عن إشكالاتهم.

المناسبة:

بعد أن عرَّف النبي بصفته وأنه منذر (الآية: ٦٥) أقام الدليل على ذلك (الآية: ٦٩-٧٠).

قال ابن كثير (٣/١٠٠٣) أي: لولا الوحي من أين كُنْتُ أدري باختلاف الملأ الأعلى في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له ومحاجته ربَّه في تفضيله عليه.

التفسير وحل الإشكالات:

١ ً-التفسير:

قال ابن كثير (٣/١٠٠٣)أَيْ: لَوْلَا الْوَحْيُ مِنْ أَيْنَ كُنْتُ أَدْرِي بِاخْتِلَافِ الْمَلَإِ الْأَعْلَى؟ يَعْنِي: فِي شَأْنِ آدَمَ وَامْتِنَاعِ إِبْلِيسَ مِنَ السُّجُودِ لَهُ، وَمُحَاجَّتِهِ رَبَّهُ فِي تَفْضِيلِهِ عَلَيْهِ.

هَذِهِ الْقِصَّةُ ذَكَرَهَا اللَّهُ، تَعَالَى فِي سُورَةِ **"الْبَقَرَةِ"** وَفِي أَوَّلِ **"الْأَعْرَافِ"** وَفِي سُورَةِ **" الْحِجْرِ"** وَ فِي سُبْحَانَ " وَ **" الْكَهْفِ "**، وَهَاهُنَا وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ الْمَلَائِكَةَ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ سَيَخْلُقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِالْأَمْرِ مَتَى فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ وَتَسْوِيَتِهِ فَلْيَسْجُدُوا لَهُ إِكْرَامًا وَإِعْظَامًا وَاحْتِرَامًا وَامْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ. فَامْتَثَلَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ ذَلِكَ سِوَى إِبْلِيسَ وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ جِنْسًا كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَخَانَهُ طَبْعُهُ وَجِبِلَّتُهُ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ فَاسْتَنْكَفَ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ وَخَاصَمَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَادَّعَى أنه خير من آدم فإنه مخلوق منْ نَارٍ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ طِينٍ وَالنَّارُ خَيْرٌ مِنَ الطِّينِ فِي زَعْمِهِ.

وَقَدْ أَخْطَأَ فِي ذَلِكَ وَخَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ، وَكَفَرَ بِذَلِكَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَرْغَمَ أَنْفَهُ وَطَرَدَهُ عَنْ بَابِ رَحْمَتِهِ وَمَحَلِّ أُنْسِهِ وَحَضْرَةِ قُدْسِهِ وَأَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ مَذْمُومًا مَدْحُورًا إِلَى الْأَرْضِ فَسَأَلَ اللَّهَ النَّظِرَةَ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَأَنْظَرَهُ الْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَل عَلَى مَنْ عَصَاهُ.

فَلَمَّا أَمِنَ الْهَلَاكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَمَرَّدَ وَطَغَى.

٢ ً-حل الإشكالات:

يقول الإمام الرازي (٤٠٨/٢٦) فَإِنْ قِيلَ الْمَلَائِكَةُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُمُ اخْتَصَمُوا بِسَبَبِ قَوْلِهِمْ: " **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** " [الْبَقَرَةِ: ٣٠] فَإِنَّ الْمُخَاصَمَةَ مَعَ اللَّهِ كُفْرٌ، قُلْنَا لَا شَكَّ أَنَّهُ جَرَى هُنَاكَ سُؤَالٌ وَجَوَابٌ، وَذَلِكَ يُشَابِهُ الْمُخَاصَمَةَ وَالْمُنَاظَرَةَ وَالْمُشَابَهَةُ عِلَّةٌ لِجَوَازِ الْمَجَازِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ حَسُنَ إِطْلَاقُ لَفْظُ الْمُخَاصَمَةِ عَلَيْهِ.

اختصام في أمر آخر:

لقد كشفت لنا السنة النبوية عن اختصام آخر للملأ الأعلى فيما بينهم:

روى الترمذي عن معاذ بن جبل قال: احتُبِسَ عنّا رسولُ اللَّهِ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ذاتَ غداةٍ من صلاةِ الصّبحِ حتّى كدنا نتراءى عينَ الشّمسِ، فخرجَ سريعًا فثوّبَ بالصَّلاةِ، فصلّى رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ وتجوَّزَ في صلاتِهِ، فلمَّا سلَّمَ دعا بصوتِهِ

فقالَ لَنا: علَى مصافِّكم كما أنتُمْ ثمَّ انفتلَ إلينا

فقالَ: أما إنّي سأحدِّثُكُم ما حبسَني عنكمُ الغداةَ: أنّي قمتُ منَ اللَّيلِ فتوضَّأتُ فصلَّيتُ ما قُدِّرَ لي فنعَستُ في صلاتي فاستثقلتُ، فإذا أنا بربّي تبارَكَ وتعالى في أحسنِ صورةٍ،

فقالَ: يا مُحمَّدُ قلتُ: ربِّ لبّيكَ، قالَ: فيمَ يختصِمُ الملأُ الأعلى؟

قلتُ: لا أدري ربِّ، قالَها ثلاثًا

قالَ: فرأيتُهُ وضعَ كفَّهُ بينَ كتفيَّ حتَّى وجدتُ بردَ أَناملِهِ بينَ ثدييَّ، فتجلَّى لي كلُّ شيءٍ وعرَفتُ.

فقالَ: يا محمَّدُ، قلتُ: لبّيكَ ربِّ، قالَ: فيمَ يختصمُ الملأُ الأعلى؟

قلتُ: في الكفَّاراتِ، قالَ: ما هنَّ؟ قلتُ: مَشيُ الأقدامِ إلى الجماعاتِ، والجلوسُ في المساجدِ بعدَ الصَّلاةِ، وإسباغُ الوضوءِ في المَكْروهاتِ





قـالَ: ثـمَّ فيمَ؟ قلتُ: إطعامُ الطَّعامِ. ولينُ الكلامِ، والـصّـلاةُ بـالـلـّيـلِ والـنّـاسُ نـيـامٌ.





ثم قال: هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل (البخاري) عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح.

قال ابن كثير (٣/١٥٠٤) وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور في القرآن فإن هذا قد فُسِّر

وأما الاختصمام الـذي فـي الـقـرآن فـقـد فـسـر بـعـد هـذا وسـاق " **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَوَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ، قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ، قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ، قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ، لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ** "

الآيات الواردة في

-٣٠-

سورة الزمر



الزمر

مما له صلة بعالم الملائكة

٩٠-حوار بين
خزنة النار وأصحاب النار

وهذا الحوار الذي سيدور بين خزنة النار وأهلها سجلته لنا الآيات (٧١-٧٢) من سورة (الزمر) تقول الآيات:

وسِيق الَّذِين كفرُوا إِلى جهنَّم زُمرا حتَّى إِذا جاءُوها فُتِحتْ أَبْوابُها وقال لهُمْ خزنتُها أَلمْ يأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يتْلُون عليْكُمْ آياتِ ربِّكُمْ ويُنْذِرُونكُمْ لِقاء يوْمِكُمْ هذا قالُوا بلى ولكِنْ حقَّتْ كلِمةُ الْعذابِ على الْكافِرِين ﴿٧١﴾ قِيل ادْخُلُوا أَبْواب جهنَّم خالِدِين فِيها فبِئْس مثْوى الْمُتكبِّرِين ﴿٧٢﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ ً-المفردات:



٣٤٦-**سِيقَ: قال صاحب المقاييس[1]:** السوق: حَدْوُ الشيء.

٣٤٧-**زُمَرًا:** جمع زمرة، وهي الجماعة القليلة أفاده **صاحب المفردات**[2].

٣٤٨-**خَزَنَتُهَا:** جمع خازن **قال صاحب المفردات:**[3] الخَزْنُ: حفظ الشيء في الخِزانةِ ثم يعبر به عن كل حفظ كحفظ السر ونحوه...

١-انظر (المقاييس) م/ ساق.
٢-انظر (المفردات) م/ زمر.
٣-انظر (المفردات) م/ خزن.

والخَزَنَة جمع الخازن وساق الآية ١هـ فالخزنة هم الحفظة.

٣٤٩-**يُنْذِرُونَكُمْ:** مضارع أنذر **قال صاحب المفردات**[1] الإنذار إخبار فيه تخويف.

٣٥٠-**حَقَّتْ: قال صاحب المقاييس**[2]**:** ويقال: حقَّ الشيءُ وجب.

٣٥١-**مَثْوَى: قال صاحب المفردات**[3]**:** الثواء: الإقامة مع الاستقرار يقال: ثوى يثوي ثواءً، وساق الآية.



٣٥٢-**الْمُتَكَبِّرِينَ:** جمع متكبر **قال صاحب المفردات**[4]**:** الكبر والتكبر والاستكبار تتقارب.

فالكبر الحالة التي يتخصص بها الإنسان في إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره.

وأعظم التكبر التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة ١هـ.

٢ً-الإعراب:

سِيقَ: فعل ماض مبني لما لم يسم فاعله.

الَّذِينَ: اسم موصول نائب فاعل وما بعده (صلته) **وإلى جهنم:** متعلقان بـ (سيق) **وجهنم:** ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث أو العجمة والتقدير: وساقت الملائكة الذين كفروا إلى جهنم.

١-انظر (المفردات) م/ نذر.
٢-انظر (المقاييس) م/ حق.
٣-انظر (المفردات) م/ ثوى.
٤-انظر (المفردات) م/ كبر.

زُمَرًا: حال منصوبة.

حَتَّى: حرف غاية.

إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا: إذا: ظرفية شرطية، والفعلان بعدها فعل الشرط وجوابه.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ: جازم ومجزوم، و**رسل:** فاعل و**(يتلون)** صفة أو حال من رسل.

لِقَاءَ: مفعول به وهو مضاف و**يومكم:** مضاف إليه، **وهذا:** اسم إشارة في محل جر صفة.

خَالِدِينَ: حال منصوبة.

فَبِئْسَ: فعل ماض جامد لإنشاء الذم، و**مثوى:** فاعله، وما بعده مضاف إليه، والمخصوص محذوف.

٣ ً-البلاغة:

١-في قوله "**سِيقَ**" "**فُتِحَت**" إيجاز الحذف.

٢-في قوله " **وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا...**" مع قوله " **وَسِيقَ الَّذِينَ اتقوا...**" مقابلة.

٢-المناسبة:

قال الإمام الرازي(٧٨/٢٧) اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال أهل القيامة على سبيل الإجمال فقال: "**وَوفيت كل نفس ما عملت**" بيّن بعده كيفية أحوال أهل العقاب، ثم كيفية أحوال أهل الثواب ثم ختم السورة، أما شرح أحوال أهل العقاب فهو المذكور في هذه الآية.

التفسير:

يقول ابن جرير (٣٣٧/٢١) وحشر الذين كفروا بالله إلى ناره التي أعدّها لهم يوم القيامة جماعات، جماعة جماعة، وحزبا حزبا.

" **حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا** " السبعة "



" **وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا** " قوامها:

" **أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ** " يعني: كتاب الله المنزل على رسله وحججه التي بعث بها رسله إلى أممهم.

" **وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا** " يقول: وينذرونكم ما تلقون في يومكم هذا قالوا: بلى: يقول: قال الذين كفروا مجيبين لخزنة جهنم: بلى قد أتتنا الرسل منا، فأنذرتنا لقاءنا هذا اليوم.

" **وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ** " يقول: قالوا: ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به علينا بكفرنا به...

" **قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** " فتقول خزنة جهنم للذين كفروا حينئذ: " **ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ** " السبعة على قدر منازلكم فيها.

" **خَالِدِينَ فِيهَا** " يقول: ماكثين فيها لا يُنقلون عنها إلى غيرها.

" **فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** " يقول: فبئس مسكن المتكبرين على الله في الدنيا، أن يوحدوه ويفردوا له الألوهة، جهنم يوم القيامة.

يقول العلامة ابن كثير (١٠٤١/٣) يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْأَشْقِيَاءِ الْكُفَّارِ كَيْفَ يُسَاقُونَ إِلَى النَّارِ؟

وَإِنَّمَا يُسَاقُونَ سَوْقًا عَنِيفًا بِزَجْرٍ وَتَهْدِيدٍ وَوَعِيدٍ...

" **حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا** " أَيْ: بِمُجَرَّدِ وُصُولِهِمْ إِلَيْهَا فُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُهَا سَرِيعًا، لِتُعَجِّلَ لَهُمُ الْعُقُوبَةَ.

ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ خَزَنَتُهَا مِنَ الزَّبَانِيَةِ -الَّذِينَ هُمْ غِلَاظُ الْأَخْلَاقِ، شِدَادُ الْقُوَى عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ وَالتَّنْكِيلِ.

" **أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ منكم** " أَيْ: مِنْ جِنْسِكُمْ تَتَمَكَّنُونَ مِنْ مُخَاطَبَتِهِمْ وَالْأَخْذِ عَنْهُمْ.

" **يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ** " أَيْ: يُقِيمُونَ عَلَيْكُمُ الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَى صِحَّةِ مَا دَعَوْكُمْ إِلَيْهِ.

" **وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا** " أَيْ: وَيُحَذِّرُونَكُمْ مِنْ شَرِّ هَذَا الْيَوْمِ؟ فَيَقُولُ الْكُفَّارُ لَهُمْ: " **بَلَى** " أَيْ: قَدْ جَاءُونَا وَأَنْذَرُونَا، وَأَقَامُوا عَلَيْنَا الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ .

" **وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ** " أَيْ: وَلَكِنْ كَذَّبْنَاهُمْ وَخَالَفْنَاهُمْ، لِمَا سَبَقَ إِلَيْنَا مِنَ الشَّقْوَةِ الَّتِي كُنَّا نَسْتَحِقُّهَا حَيْثُ عَدَلْنَا عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ.

" **قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا** " أَيْ: كُلٌّ مَنْ رَآهُمْ وَعَلِمَ حَالَهُمْ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ لِلْعَذَابِ؛ وَلِهَذَا لَمْ يُسْنِدْ هَذَا الْقَوْلَ إِلَى قَائِلٍ مُعَيَّنٍ...

" **قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا** " أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا لَا خُرُوجَ لَكُمْ مِنْهَا، وَلَا زَوَالَ لَكُمْ عَنْهَا.

" **فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** " أَيْ: فَبِئْسَ الْمَصِيرُ وَبِئْسَ الْمَقِيلُ لَكُمْ، بِسَبَبِ تَكَبُّرِكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَإِبَائِكُمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، فَهُوَالَّذِي صَيَّرَكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ، فَبِئْسَ الْحَالُ وَبِئْسَ الْمَآلُ.

ويقول صاحب الظلال (٣٠٦٢/٥) واستقبلتهم خزنتها يسجلون استحقاقهم لها ويذكرونهم بأسباب مجيئتهم إليها.

" **وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا** "

" **قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ** "

فالموقف موقف إذعان وتسليم لا موقف مخاصمة ولا مجادلة وهم مفرون مستسلمون.

" **قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** " ذلك ركب جهنم ركب المتكبرين.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن الملائكة مخلوقات عاقلة، و يفهم هذا من الحوار العميق الذي يدور بين خزنة النار وأهلها.

يقول العلامة الرازي (٤٧٩/٢٧) ودلت الآية على أنه لا وجوب قبل مجيء الشرع لأن الملائكة بينوا أنه ما بقي لهم علة ولا عذر بعد مجيء الأنبياء، ولو لم يكن مجيء الأنبياء شرطاً في استحقاق العذاب لما بقي في هذا الكلام فائدة.

٣-أن للنار ملائكتها القائمون عليها وسمّاهم القرآن " **خَزَنَتُهَا**".

٩١-ترحيب حار
بين
خزنة الجنة وأهلها

وقد رصدت لنا هذا المشهد الآية (٧٣) من سورة (الزّمر) ونصُّها يقول:



المناسبة:

قال الرازي (٤٧٩/٢٧) اعلم انه تعالى لما شرح أحوال أهل العقاب في الآيات المتقدمة شرح أحوال أهل الثواب في هذه الآية فقال " **وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**"

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

يقول ابن جرير (٣٣٨/٢١) وحُشر الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في الدنيا، وأخلصوا له فيها الألوهية، وأفردوا له العبادة، فلم يشركوا في عبادتهم إياه شيئا " **إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا** " يعني جماعات...

ثم يأتون باب الجنة فيستفتحون فيفتح لهم، فتتلقاهم خزنة الجنة فيقولون.

"**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ** " أي: أمنة من الله لكم أن ينالكم بعدُ مكروه أو أذى. وقوله " **طِبْتُمْ** " يقول: طابت أعمالكم في الدنيا، فطاب اليوم مثواكم. " **فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**"

ويقول العلامة ابن كثير (٣/١٠٤٢) وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ حَالِ السُّعَدَاءِ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ يُسَاقُونَ عَلَى النَّجَائِبِ وَفْدًا إِلَى الْجَنَّةِ " **زُمَرًا** " أَيْ: جَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ: الْمُقَرَّبُونَ، ثُمَّ الْأَبْرَارُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كُلُّ طَائِفَةٍ مَعَ مَنْ يُنَاسِبُهُمْ: الْأَنْبِيَاءُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقُونَ مَعَ أَشْكَالِهِمْ، وَالشُّهَدَاءُ مَعَ أَضْرَابِهِمْ، وَالْعُلَمَاءُ مَعَ أَقْرَانِهِمْ، وَكُلُّ صِنْفٍ مَعَ صِنْفٍ، كُلُّ زُمْرَةٍ تُنَاسِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

" **حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا** " أَيْ: وَصَلُوا إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ بَعْدَ مُجَاوَزَةِ الصِّرَاطِ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا



" **وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** " لَمْ يَذْكُرِ الْجَوَابَ هَاهُنَا، **وَتَقْدِيرُهُ:** حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا، وَكَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ مِنْ فَتْحِ الْأَبْوَابِ لَهُمْ إِكْرَامًا وَتَعْظِيمًا، وَتَلَقَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْخَزَنَةُ بِالْبِشَارَةِ وَالسَّلَامِ وَالثَّنَاءِ... سَعِدوا وَطَابُوا، وسُرّوا وَفَرِحُوا، بِقَدْرِ كُلِّ مَا يَكُونُ لَهُمْ فِيهِ نَعِيمٌ. وَإِذَا حُذِفَ الْجَوَابُ هَاهُنَا ذَهَبَ الذِّهْنُ كُلَّ مَذْهَبٍ فِي الرَّجَاءِ

وَالْأَمَلِ...وَقَوْلُهُ: " **وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** "
أَيْ: طَابَتْ أَعْمَالُكُمْ وَأَقْوَالُكُمْ، وَطَابَ سَعْيُكُمْ فَطَابَ جَزَاؤُكُمْ...

وَقَوْلُهُ: " **فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**" أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.

٢-حل الإشكالات:

١-استشكل الرازي التعبير بـ "سيق" في الحديث عن أهل الجنة فقال:

(٢٧-٤٧٩) فَإِنْ قِيلَ السَّوْقُ فِي أَهْلِ النَّارِ لِلْعَذَابِ مَعْقُولٌ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا أُمِرُوا بِالذَّهَابِ إِلَى مَوْضِعِ الْعَذَابِ وَالشَّقَاوَةِ لَا بُدَّ وَأَنْ يُسَاقُوا إِلَيْهِ، وَأَمَّا أَهْلُ الثَّوَابِ فَإِذَا أُمِرُوا بِالذَّهَابِ إِلَى مَوْضِعِ الْكَرَامَةِ وَالرَّاحَةِ وَالسَّعَادَةِ، فَأَيُّ حَاجَةٍ فِيهِ إِلَى السَّوْقِ؟

وأجاب إجابات أحسنها رابعها **وعبارته:** أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ يُسَاقُونَ **إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ بِسَوْقِ أَهْلِ النَّارِ** طَرْدُهُمْ إِلَيْهَا بِالْهَوَانِ وَالْعُنْفِ كما يفعل بالأسير إذ سِيقَ إِلَى الْحَبْسِ وَالْقَيْدِ.

وَالْمُرَادُ بِسَوْقِ أَهْلِ الْجَنَّةِ سَوْقُ مَرَاكِبِهِمْ لِأَنَّهُ لَا يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَّا رَاكِبِينَ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ السَّوْقِ إِسْرَاعُهُمْ إِلَى دَارِ الْكَرَامَةِ وَالرِّضْوَانِ كَمَا يُفْعَلُ بِمَنْ يُشَرَّفُ وَيُكَرَّمُ مِنَ الْوَافِدِينَ عَلَى الْمُلُوكِ، فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ السَّوْقَيْنِ.

٢-لطالما استوقفت **الواو** المفسرين فقالوا ما بالها دخلت في قوله "**وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**" عند الحديث عن أبواب الجنة، ولكنها خلت من قوله " **فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا** " عند الحديث عن أبواب النار وثمة إجابات:

١- **يقول العلامة الرازي (٢٧-٤٨٠)** فَإِنْ قِيلَ قَالَ أَهْلَ النَّارِ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا بِغَيْرِ الْوَاوِ، وَقَالَ هَاهُنَا بِالْوَاوِ فَمَا الْفَرْقُ؟ قُلْنَا الْفَرْقُ أَنَّ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ لَا تُفْتَحُ إِلَّا عِنْدَ دُخُولِ أَهْلِهَا فِيهَا، فَأَمَّا أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَفَتْحُهَا يَكُونُ مُتَقَدِّمًا عَلَى وُصُولِهِمْ إِلَيْهَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ " **جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ**" [ص: ٥٠]

فَلِذَلِكَ جِيءَ بِالْوَاوِ كَأَنَّهُ قِيلَ: حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَقَدْ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا.

٢-**ويقول العلامة ابن كثير (١٠٤٤/٣)** وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ " الْوَاوَ" فِي قَوْلِهِ: " **وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا** " وَاوُ الثَّمَانِيَةِ، وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةٌ، فَقَدْ أَبْعَدَ النَّجْعَةَ وَأَغْرَقَ فِي النَّزْعِ. وَإِنَّمَا يُسْتَفَادُ كَوْنُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةً فقد أبعد النُّجعة، وأغرق في النَّزع، وإنما يستفاد كون أبواب الجنة ثمانية من الأحاديث الصحيحة... ١هـ

ويلاحظ أنَّ ابن كثير لم يعلل سرَّ الواو!.

٣-وخلاصة القول وصفوته ما جاء في بعض الكتب المعاصرة: وتأمّل ما وراء هذه الواو " **وَفُتِحَتْ** " من تكريم وتشريف لهؤلاء الذين اتقوا، فقد فتحت لهم أبواب الجنة قبل أن يأتوها تكريماً لهم، وتعظيماً لشأنهم.

ثم انظر إلى وصف الذين كفروا " **حَتَّى**" إذا جاؤوها فتحت أبوابها تجد أن " **فُتِحَتْ** " قد جاءت بدون الواو... ومجيؤها بدون الواو يشيرإلى شدة مواجهتهم بالعذاب، فأبواب جهنم مغلقة لا تفتح إلا عند وصولهم إليها... حتى تواجههم بصنوف العذاب، وألوان الآلام.

أما أبواب الجنة فتفتح قبل مجيء الذين اتقوا وتجهز قبل وصولهم وتعدُّ تكريماً لهم وتعظيماً.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن للجنة خزنتها من الملائكة وهم الذين يديرون شؤونها بإذن الله.

٣-أن الملائكة مخلوقات عاقلة وها هي ذي ترحب بالمؤمنين عند دخولهم الجنة.

٩٢-المشهد الأخير
"وترى الملائكة حافين من حول العرش"

وهذا المشهد رصدته لنا الآيات الأخيرة (٧٥) من سورة (الزمر)
تقول الآية:



المناسبة:

لما أخبر الله عن مصير المكلفين من الإنس والجن، وأنه أنزل كلاً منزلتَهُ، وبوأه مكانه في الجنة أو في النار ذكر حال ملائكته وأنهم أحدقوا حول عرش ربهم يسبحون بحمد ربِّهم.

التفسير:

تمثل هذه الآية وما سبقها المشهد الأخير للعالمين، فأهل الجنة في جنتهم مخلدون، وأهل النار في نيرانهم مخلدون، وأهل الجنة والنار هم الإنس والجن، وأما عن الملائكة فقد رسمت هذه الآية مصيرهم.

يقول الإمام ابن جرير (٣٤٣/٢١) وترى يا محمد الملائكة محدقين من حول عرش الرحمن.

" **يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** " يقول: يصلّون حول العرش شكراً له.

وقال ابن كثير (١٠٤٨/٣) لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار، وأنه أنزل كلاً في المحل الذي يليق به، ويصلح له... أخبر عن ملائكته أنهم محدقون من حول عرشهالمجيد يسبحون بحمد ربهم، ويمجدونه، ويعظمونه ،ويقدسونه، وينزهونه عن النقائص والجور.

وقال الرازي (٤٨٠/٢٧) لَمَّا حَكَى مَا جَرَى بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَبَيْنَ الْمُتَّقِينَ مِنْ صِفَةِ ثَوَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَالَ بَعْدَهُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ وَلَمَّا قَالَ تَعَالَى:

" **وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ** " ذَكَرَ عَقِيبَهُ ثَوَابَ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ كَمَا أَنَّ دَارَ ثَوَابِ الْمُتَّقِينَ الْمُؤْمِنِينَ هِيَ الْجَنَّةُ، فَكَذَلِكَ دَارُ ثَوَابِ الْمَلَائِكَةِ جَوَانِبُ الْعَرْشِ وَأَطْرَافُهُ، فَلِهَذَا قَالَ: " **وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ** " أي محفين بِالْعَرْشِ. قَالَ اللَّيْثُ: يُقَالُ حَفَّ الْقَوْمُ بِسَيِّدِهِمْ يَحُفُّونَ حَفًّا إِذَا طَافُوا بِهِ. إِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَنَقُولُ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ دَارَ ثَوَابِهِمْ هُوَ جَوَانِبُ الْعَرْشِ وَأَطْرَافُهُ ثُمَّ قَالَ:

" **يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** " وَهَذَا مُشْعِرٌ بِأَنَّ ثَوَابَهُمْ هُوَ عَيْنُ ذَلِكَ التَّحْمِيدِ وَالتَّسْبِيحِ، وَحِينَئِذٍ رَجَعَ حَاصِلُ الْكَلَامِ إِلَى أَنَّ أَعْظَمَ دَرَجَاتِ الثَّوَابِ اسْتِغْرَاقُ قُلُوبِ الْعِبَادِ فِي دَرَجَاتِ التَّنْزِيهِ وَمَنَازِلِ التَّقْدِيسِ.



الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-مصير الملائكة في آخر مراحل القيامة وهو الإحاطة بعرش الرحمن مع التسبيح الدائم دوام الله عزوجل.

الآيات الواردة في

-٣١-

سورة غافر



غافر ياعليم ياقدير

مما له صلة بعالم الملائكة

٩٣-وظائف حملة العرش ومن حوله

وهي مجموعة في هذه الآيات (٧-٩) من سورة (غافر) تقول الآيات:


الَّذِين يحْمِلُون الْعرْش ومنْ حوْلهُ يُسبِّحُون بِحمْدِ ربِّهِمْ ويُؤْمِنُون بِهِ ويسْتغْفِرُون للَّذِين آمنُوا ربَّنا وسِعْت كُلَّ شيْءٍ رحْمةً وعِلْماً فاغْفِرْ لِلَّذِين تابُوا واتَّبعُوا سبِيلك وقِهِمْ عذاب الْجحِيمِ ﴿٧﴾ ربَّنا وأدْخِلْهُمْ جنَّاتِ عدْنٍ الَّتِي وعدْتهُمْ ومنْ صلح مِنْ آبائِهِمْ وأزْواجِهِمْ وذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّك أنْت الْعزِيزُ الْحكِيمُ ﴿٨﴾ وقِهِمُ السَّيِّئاتِ و منْ تقِ السَّيِّئاتِ يوْمئِذٍ فقدْ رحِمْتهُ وذلِك هُو الْفوْزُ الْعظِيمُ ﴿٩﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً-المفردات:

٣٥٣-**الْعَرْشَ: قال صاحب المفردات[1]:** العرش في الأصل شيء مسقَّف وجمعه عروش...

وعرش الله: ما لا يعلمه البشر على الحقيقة إلا بالاسم، وليس كما تذهب إليه أوهام العامة، فإنه لو كان كذلك لكان حاملاً له –تعالى الله عن ذلك- لا محمولاً والله يقول "**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا**" [فاطر/٤١].

٣٥٤-**وَمَنْ حَوْلَهُ:** أي: والملائكة الذين من حول العرش.

١-انظر " المفردات " م/عرش.

وعندي أن المراد بهم باقي الملائكة ويؤيد هذا الآية (٥) من سورة (الشورى) وتقول الآية **"تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ "**

قال ابن جرير (٢١/٣٥٤) ومن حول العرش ممن يحف به من الملائكة[1].

٣٥٥-**يُسَبِّحُونَ:** التسبيح: تنزيه الله.

٣٥٦-**بِحَمْدِ رَبِّهِمْ: قال ابن كثير (٣/١٠٥٣)** أي: يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص،والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح.

٣٥٧-**يَسْتَغْفِرُونَ:** يطلبون المغفرة للمؤمنين، **قال صاحب المقاييس[2]:** الغَفْر: الستر.

وأضاف صاحب المفردات[3]: الغفران والمغفرة من الله هو أن يصونَ الله العبد من أن يمسه العذاب...

والاستغفار: طلب ذلك بالمقال والفعال...

وقد قيل: الاستغفار باللسان من دون ذلك بالفعال فعل الكذابين.

١-**قال ابن كثير (٣/١٠٥٣)** ومن حوله من الكروبين (أي المقربين)، ويقول **الرازي (٢٧/٤٨٧)** وأقول: العقل يدل على أن حملة العرش والحافين حول العرش يجب أن يكونوا أفضل الملائكة... وما اخترناه هو الموقف المنسجم مع باقي الآي في الموضوع نفسه.

٢-انظر (المقاييس) م/غفر.

٣-انظر (المفردات) م/غفر.

٣٥٨-**وَسِعْتَ: قال صاحب المقاييس[1]:** وسع: كلمة تدل على خلاف الضيق والعسر.

قال ابن كثير (٣/١٠٥٤) أي: إن رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم، وعلمُك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم.

٣٥٩-**سَبِيلَكَ: قال صاحب المفردات[2]:** السبل : الطريق الذي فيه سهولة.

قال ابن كثير (٣/١٠٥٤) أي: اتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات.

٣٦٠-**جَنَّاتِ عَدْنٍ: قال صاحب المفردات[3]:** قال تعالى **جنات عدن:** أي استقرار وثبات، وعَدَنَ بمكان كذا: استقرَّ.

٣٦١-**ذُرِّيَّاتِهِمْ: قال صاحب المفردات[4]:** الذرية أصلها الصغار من الأولاد، وإن كان قد يقع على الكبار والصغار معاً في التعارف، ويستعمل للواحد والجمع، وأصله الجمع.

ثم قال: وفي الذرية ثلاثة أقوال:

١-قيل: هو من ذرأ الله الخلق فترك همزه نحو بريّة.

٢-وقيل: أصله ذروّيه.

٣-وقيل: هو فعليّة من الذّرّ نحو قمريّة.

١-انظر (المقاييس) م/وسع.
٢-انظر (المفردات) م/سبل.
٣-انظر (المفردات) م/عدن.
٤-انظر (المفردات) م / ذرأ.

٢ ً-الإعراب:

الَّذِينَ: اسم موصول مبتدأ، وجملة **(يحملون)** صلته، وجملة **(يسبحون)** خبره، وما بعدها **(يؤمنون ــيستغفرون)** عطف عليه.

وَمَنْ حَوْلَهُ: الواو عاطفة، **من:** اسم موصول معطوف على الذين في محل رفع مثله. **وحوله**: ظرف.

رَبَّنَا: منادى مضاف منصوب، **ونا:** مضاف إليه، وقد حذفت أداة النداء للعلم بها. والجملة: مقول القول أي: قائلين يا ربنا.

رَحْمَةً: تمييز، وأصله فاعل،**والتقدير**: وسعت رحمتُك كلَّ شيء،ثم حوّل للمبالغة،وما بعده عطف عليه.

جَنَّاتِ: مفعول به ثان وهو مضاف و**عدن:** مضاف إليه.

الَّتِي: اسم موصول صفة، وما بعدها **(وعدتهم)** صلته.

وَمَنْ صَلَحَ: الواو عاطفة، **مّنْ:** اسم موصول معطوف على الضمير المتصل في **(أدخلهم) وصلح:** صلته.

وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ: من: شرطية مبتدأ،خبرها مجموع فعل الشرط **(تق)** وجوابه **(قد رحمته)**.

٢-المناسبة:

قال العلامة الرازي (٤٨٧/٢٧) اعلم أنه تعالى لما بين أن الكفار يبالغون في إظهار العداوة مع المؤمنين بين أن أشرف طبقات المخلوقات وهم الملائكة الذين هم حملة العرش، والحافون حول العرش يبالغون في إظهار المحبة والنصرة للمؤمنين كأنه تعالى يقول: **إن كان هؤلاء الأراذل يبالغون في العداوة فلا تبال بهم، ولا تلتفت إليهم، ولا تقم لهم وزناً ، فإن حملة العرش معك، والحافون من حول العرش معك ينصرونك.**

التفسير وحل الإشكالات:

١-التفسير:

يقول العلامة ابن جرير (٣٥٤/٢١) الذين يحملون عرش الله من ملائكته، ومن حول عرشه، ممن يحفّ به من الملائكة.

" **يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** " يقول: يصلون لربهم بحمده وشكره

" **وَيُؤْمِنُونَ بِهِ** " يقول: ويقرّون بالله أنه لا إله لهم سواه، ويشهدون بذلك، لا يستكبرون عن عبادته .

" **وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا** " يقول: ويسألون ربهم أن يغفرللذين أقرّوا بمثل إقرارهم من توحيد الله، والبراءة من كلّ معبود سواه ذنوبهم، فيعفوها عنهم.

" **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا** " ويستغفرون للذين آمنوا يقولون: يا ربنا وسعت كلّ شيء رحمة وعلما.

ويعني بقوله: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء من خلقك، فعلمت كل شيء، فلم يخف عليك شيء، ورحمت خلقك، ووسعتهم برحمتك...

" **فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ** " يقول: فاصفح عن جرم من تاب من الشرك بك من عبادك، فرجع إلى توحيدك، واتبع أمرك ونهيك...

" **رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** " يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء ملائكته لأهل الإيمان به من عباده، تقول: يا " **رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ** " يعني: بساتين إقامة.

"**الَّتِي وَعَدْتَهُمْ** "يعني التي وعدت أهل الإنابة إلى طاعتك أن تدخلهموها.

" **وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ** " يقول: وأدخل مع هؤلاء الذين تابوا.

" **وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ** " جنات عدن من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، فعمل بما يرضيك عنه من الأعمال الصالحة في الدنيا...

(ما حدثنا أبو هشام، قال: ثنا يحيى بن يمان العجلي، قال: ثنا شريك، عن سعيد، قال: يدخل الرجل الجنة، فيقول: أين أبي، أين أمي، أين ولدي، أين زوجتي، فيقال: لم يعملوا مثل عملك، فيقول: كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم الجنة ثم قرأ " إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " يقول: أنك أنت يا ربنا العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبيره خلقه.

" وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " أي: اصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التي كانوا أتوها قبل توبتهم وإنابتهم، يقولون: لا يؤاخذهم بذلك، فتعذبهم به

" وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ " يقول: ومن تصرف عنه سوء عاقبة سيئاته بذلك يوم القيامة، فقد رحمته، فنجيته من عذابك.

" وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " لأنه من نجا من النار وأدخل الجنة فقد فاز، وذلك لا شك هو الفوز العظيم.

ويقول العلامة ابن كثير (١٠٥٣/٣) يُخْبِرُ تعالَى عَنِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ مِنْ حَمَلَة الْعَرْشِ الْأَرْبَعَةِ، وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْكُرُوبِيِّينَ، بِأَنَّهُمْ " يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ "، أَيْ: يَقْرِنُونَ بَيْنَ التَّسْبِيحِ الدَّالِّ عَلَى نَفْيِ النَّقَائِصِ، وَالتَّحْمِيدِ الْمُقْتَضِي لِإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْمَدْح.

" وَيُؤْمِنُونَ بِهِ " أَيْ: خَاشِعُونَ لَهُ أَذِلَّاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنَّهُمْ " وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا " أَيْ: مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مِمَّنْ آمَنَ بِالْغَيْبِ، فَقَيَّضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ أَنْ يَدْعُوا لِلْمُؤْمِنِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ سَجَايَا الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَانُوا يُؤَمِّنون عَلَى دُعَاءِ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ...

وَلِهَذَا يَقُولُونَ إِذَا اسْتَغْفَرُوا لِلَّذِينِ آمَنُوا: " رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا " أَيْ: إِنَّ رَحْمَتَكَ تَسَعَ ذُنُوبَهُمْ وَخَطَايَاهُمْ، وَعِلْمُكَ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ

أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ.

" **فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ** " أَيْ: فَاصْفَحْ عَنِ الْمُسِيئِينَ إِذَا تَابُوا وَأَنَابُوا وَأَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ، وَاتَّبَعُوا مَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ، مِنْ فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ.

" **وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** " أَيْ: وَزَحْزِحْهُمْ عَنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ، وَهُوَ الْعَذَابُ الْمُوجِعُ الْأَلِيمُ.

" **رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ** " أَيْ: اجْمَعْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ، لِتَقَرَّ بِذَلِكَ أَعْيُنُهُمْ بِالِاجْتِمَاعِ فِي مَنَازِلَ مُتَجَاوِرَةٍ...

" **إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** "...

" **وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ** " أَيْ: فِعْلَهَا أَوْ وَبالَها مِمَّنْ وَقَعَتْ مِنْهُ.

" **وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ** " أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ

" **فَقَدْ رَحِمْتَهُ** " أَيْ: لَطَفْتَ بِهِ وَنَجَّيْتَهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ، " **وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** " .

يقول صاحب الظلال رحمه الله (٥/٣٠٣٠) ونحن لا نعرف ما هو العرش؟ ولا نملك صورة له ولا نعرف كيف يحمله حملته، ولا كيف يكون من حوله، حوله ولا جدوى من الجري وراء صور ليس من طبيعة الإدراك البشري أن يلم بها، ولا من الجدل حول غيبيات لم يطلع الله أحدا من المتجادلين عليها وكل ما يتصل بالحقيقة التي يقررها سياق السورة أن عباداً مقربين من الله.

" **يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** "

" **وَيُؤْمِنُونَ بِهِ** " .. وينص القرآن على إيمانهم - وهو مفهوم بداهة - ليشير إلى الصلة التي تربطهم بالمؤمنين من البشر..

هؤلاء العباد المقربون يتوجهون بعد تسبيح الله إلى الدعاء

للمؤمنين من الناس بخير ما يدعو به مؤمن لمؤمن. وهم يبدأون دعاءهم بأدب يعلمنا كيف يكون أدب الدعاء والسؤال. يقولون: " **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا** " يقدمون بين يدي الدعاء بأنهم- في طلب الرحمة للناس- إنما يستمدون من رحمة الله التي وسعت كل شيء، ويحيلون إلى علم الله الذي وسع كل شيء وأنهم لا يقدمون بين يدي الله بشيء إنما هي رحمته وعلمه منهما يستمدون وإليهما يلجؤون

" **فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** " ثم يرتقون في الدعاء من الغفران والوقاية من العذاب إلى سؤال الجنة واستنجاز وعد الله لعباده الصالحين.

" **رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** " ودخول الجنة نعيم وفوز. يضاف إليه صحبة من صلح من الآباء والأزواج والذريات. وهي نعيم آخر مستقل.

ثم هي مظهر من مظاهر الوحدة بين المؤمنين أجمعين. فعند عقدة الإيمان يلتقي الآباء والأبناء والأزواج، ولولا هذه العقدة لتقطعت بينهم الأسباب: والتعقيب على هذه الفقرة من الدعاء.

" **إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** " يشير إلى القوة كما يشير إلى الحكمة.

وبها يكون الحكم في أمر العباد..

" **وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** " وهذه الدعوة- بعد الدعاء بإدخالهم جنات عدن- لفتة إلى الركيزة الأولى في الموقف العصيب. فالسيئات هي التي توبق أصحابها في الآخرة، وتوردهم مورد التهلكة. فإذا وقى الله عباده المؤمنين منها وقاهم نتائجها وعواقبها. وكانت هذه هي الرحمة في ذلك الموقف.

وكانت كذلك أولى خطوات السعادة. " **وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** "

٢-حل الإشكالات:

١-إن وصف حملة العرش ومن حوله بالإيمان بالله قد يثير استغراباً، وقد تصدى لعرض هذه المشكلة علمان من علماء التفسير وهما: **الزمخشري (٤/ ١٥٢) والرازي (٤٨٨/٢٧)**

قال الرازي: فَإِنْ قِيلَ فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي قَوْلِهِ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ فَإِنَّ الِاشْتِغَالَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ لَا يُمْكِنُ إِلَّا وَقَدْ سَبَقَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟

وقد ساق الزمخشري جوابين:

١-إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه، كما وصف الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح، لإضهار فضل الصلاح.

٢-ساقه الزمخشري ولخصه وأحسن عرضه الرازي حيث قال: قُلْنَا الْفَائِدَةُ فِيهِ مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ»، وَقَدْ أَحْسَنَ فِيهِ جِدًّا فَقَالَ إِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهُ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ كَانَ حَاضِرًا بِالْعَرْشِ لَكَانَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ وَالْحَافُّونَ حَوْلَ الْعَرْشِ يُشَاهِدُونَهُ وَيُعَايِنُونَهُ، وَلَمَّا كَانَ إِيمَانُهُمْ بِوُجُودِ اللَّهِ مُوجِبًا لِلْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ... فَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِيمَانَهُمْ بِاللَّهِ عَلَى سَبِيلِ الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ وَالتَّعْظِيمِ، عُلِمَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِهِ بِدَلِيلِ أَنَّهُمْ مَا شَاهَدُوهُ حَاضِرًا جَالِسًا هُنَاكَ.

ثم قال الرازي بعد أن ساق ذاك التعليل: وَرَحِمَ اللَّهُ صَاحِبَ «الْكَشَّافِ» فَلَوْ لَمْ يُحَصِّلْ فِي كِتَابِهِ إِلَّا هَذِهِ النُّكْتَةَ لَكَفَاهُ فَخْرًا وَشَرَفًا.

٢-كم هو عدد حملة العرش؟

لم تذكر الآية هنا عدداً ولكن جاء في الآية (١٧) من سورة (الحاقة) أنهم ثمانية والذي استوقف العلماء كلمة "**يومئذ**"

١ً-**قال الرازي (٤٨٧/٢٧)** الذين يحملون العرش يوم القيامة ثمانية، ويمكن أن يقال الذين يحملون العرش في هذا الوقت هم أولئك الثمانية الذين يحملونه يوم القيامة.

٢ً-**قال ابن كثير (١٠٢٤/٣)** بعد ساق بعض الآثار وجوّد إسنادها قال: وهو يقتضي أن حملة العرش اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية.

فالحاصل أن في المسألة قولين اثنين والله أعلم.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي وهذا واضح جلي.

٢-إثبات وجود حملة العرش.

٣-إثبات وجود باقي الملائكة ممن يحفون حول العرش ووصفهم بالإيمان والتسبيح المقرون بالحمد.

٤-العلاقة الخاصة بين حملة العرش والملائكة الحافين به وبين المؤمنين وهذا يشمل الإنس والجن لا ريب، حيث يستغفرون لهم، ويدعون لهم ذاك الدعاء الحار الذي سجلته لنا الآيات وأوردنا شرحه وبيانه.

٥-استفاد بعض العلماء من هذه الآيات تفضيل الملائكة على البشر:

يقول العلامة الرازي (٤٨٩/٢٧) احْتَجَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي إِثْبَاتِ أَنَّ الْمَلَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْبَشَرِ، قَالُوا لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ

لَمَّا فَرَغُوا مِنْ ذِكْرِ اللهِ بِالثَّنَاءِ وَالتَّقْدِيسِ اشْتَغَلُوا بِالِاسْتِغْفَارِ لِغَيْرِهِمْ وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ مُسْتَغْنُونَ عَنِ الِاسْتِغْفَارِ لِأَنْفُسِهِمْ إِذْ لَوْ كَانُوا مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ لَقَدَّمُوا الِاسْتِغْفَارَ لِأَنْفُسِهِمْ عَلَى الِاسْتِغْفَارِ لِغَيْرِهِمْ بِدَلِيلِ **قَوْلِهِ تعالى لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ»**.

وَأَيْضًا قَالَ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ** " [مُحَمَّدٍ: ١٩]

" **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** " [نُوحٍ: ٢٨] وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى الِاسْتِغْفَارِ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ الِاسْتِغْفَارَ لِنَفْسِهِ عَلَى الِاسْتِغْفَارِ لِغَيْرِهِ، فَالْمَلَائِكَةُ لَوْ كَانُوا مُحْتَاجِينَ إِلَى الِاسْتِغْفَارِ لَكَانَ اشْتِغَالُهُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ لِأَنْفُسِهِمْ مُقَدَّمًا عَلَى اشْتِغَالِهِمْ بِالِاسْتِغْفَارِ لِغَيْرِهِمْ، وَلَمَّا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمُ اسْتِغْفَارَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ لِأَنَّهُمْ مَا كَانُوا مُحْتَاجِينَ إِلَى الِاسْتِغْفَارِ.

وَأَمَّا الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَدْ كَانُوا مُحْتَاجِينَ إِلى استغفار بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ **وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ الْمَلَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْبَشَرِ.

التوحد والتكرار:

تتقاطع هذه الآية مع آيات كثيرة، وأقربها منا الآية الأخيرة من سورة (الزمر) وتقول:

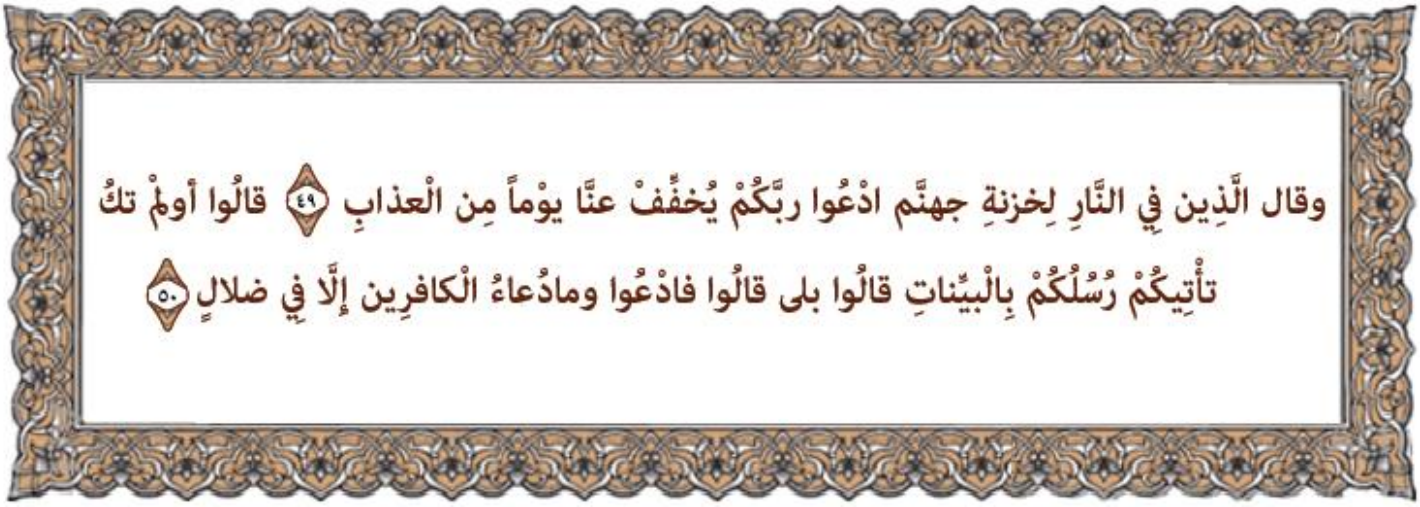
" وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ"

والفرق أن الآيات في سورة (غافر) تتحدث عن الملائكة الآن قبل يوم القيامة فلذا تعرضت للاستغفار لأهل الإيمان والدعاء لهم.

وأما تلك الآية فبعد دخول أهل الجنة جنتهم بدليل السياق فلم يعد من داعٍ لذكر الاستغفار والدعاء لخلوه من الفائدة والله أعلم.

٩٤-أهل النار لخزنة النار
" ادعوا ربكم يخفف عنها يوماً من العذاب"

ترصد لنا هذه الآيات (٤٩-٥٠) من سورة (غافر) ذاك الطلب الذي يتقدم به أهل النار لخزنتها وكيف يكون مآله



وحسبنا أمام وضوح مفردات هذه الآيات أن نتجاوز إلى مناسبتها ومعناها وما يمكن أن يستفاد منها.

المناسبة:

قال الرازي ما حاصله (٢٢٢/٢٧) لما حصل للأتباع اليأس من المتبوعين أن يدفعوا عنهم نصيباً من العذاب توجه الجميع من التابعين والمتبوعين لخزنة جهنم قائلين لهم: " **ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ**"

التفسير:

قال العلامة ابن كثير (١٠٧٢/٣) لما علموا أن الله لا يستجيب منهم، ولا يستمع لدعائهم... سألوا الخزنة – الذين هم كالبوابين لأهل النار- أن يدعوا لهم الله في أن يخفف عن الكافرين ولو يوماً واحداً من العذاب، فقالت لهم الخزنة رادّين عليهم

" **أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**" أي: أو ما قامت عليهم الحجج في الدنيا

على ألسنة الرسل؟

"**قَالُوابَلَى قَالُوا فَادْعُوا**" أي: أنتم لأنفسكم فنحن لا ندعوا لكم ولا نسمع منكم ولا نوّد خلاصكم ونحن منكم برآء، ثم نخبركم أنه سواء دعوتم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم، ولا يخفف عنكم، ولهذا قالوا " **وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**" أي: في ذهاب لا يتقبل ولا يستجاب.

يقول صاحب الظلال رحمه الله (٥/١٥/٣٠) إنهم يستشفعون حراس جهنم، ليدعوا ربهم. في رجاء يكشف عن شدة البلاء.

"**ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ**" يوما فقط. يوما يلقطون فيه أنفاسهم ويستريحون.

فيوم واحد يستحق الشفاعة واللهفة والدعاء.ولكن خزنة جهنم لا يستجيبون لهذه الضراعة البائسة الذليلة الملهوفة. فهم يعرفون الأصول. ويعرفون سنة الله، ويعرفون أن الأوان قد فات. وهم لهذا يزيدون المعذبين عذاباً بتأنيبهم وتذكيرهم بسبب هذا العذاب.

"**قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى** "وفي السؤال وفي جوابه ما يغني عن كل حوار.

وعندئذ نفض الخزنة أيديهم منهم، وأسلموهم إلى اليأس مع السخرية والاستهتار.

" **قَالُوا فَادْعُوا** " إن كان الدعاء يغير من حالكم شيئا، فتولوا أنتم الدعاء. وتعقب الآية قبل تمامها على هذا الدعاء.

" **وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ** " لا يبلغ. ولا يصل. ولا ينتهي إلى جواب. إنما هو الإهمال والازدراء للكبراء والضعفاء سواء.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن من مهام الملائكة القيام على شؤون أهل النار.

٣-أن الملائكة مخلوقات عاقلة يعلم هذا بتأمل الحوار الذي دار بينهم وبين أهل النار.

٤-أن الملائكة لا تتصرف من تلقاء نفسها.

الآيات الواردة في

-٣٢-

سورة فصلت



فصلت ١٤ ٢٢ ٣٣

مما له صلة بعالم الملائكة

٩٥-الملائكة للمؤمنين عند الموت
" لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة "

ترصد لنا الآيات (٣٠-٣٢) ما تقوله الملائكة للمؤمنين عند وفاتهم نقول الآيات التي في (فصلت):


إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا
بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي
أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

٢ ً-المفردات:

٣٦٢-**اسْتَقَامُوا: قال صاحب المفردات**[١]: واستقامة الإنسان: لزومه المنهج المستقيم وساق الآية.

وقد ذكر ابن كثير (١٩٩/٣) أقوالاً عديدة في تفسير المنهج المستقيم:

١-استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره، نقله ابن كثير عن أبي بكر الصديق و عمرالفاروق.

١-انظر (المفردات) م / قوم.

٢-استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله، نقله ابن كثير عن ابن عباس.

٣٦٣-**تَتَنَزَّلُ: قال صاحب المفردات[1]:** النزول في الأصل هو انحطاط من علو...

والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآنِ والملائكةِ أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقاً، ومرة بعد أخرى، والإنزال عام.

٣٦٤-**أَلَّا تَخَافُوا:** الخوف -**كما في المفردات[2]**- توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة.

قال ابن كثير (١٩٩/٣) أي: مما تقدمون عليه من أمر الآخرة.

٣٦٥-**وَلَا تَحْزَنُوا:** الحُزن -**كما في المفردات[3]**- خشونة في الأرض، وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغمِّ، ويضاده الفرح.

قال ابن كثير (١٩٩/٣) ولا تحزنوا على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولدٍ وأهل ومال أودين فإنا نخلفكم فيه.

٣٦٦-**أَبْشِرُوا: قال صاحب المفردات[4]:** بشرته أخبرته بخبر سار بسط بشرة وجهه ١هـ.

٣٦٧-**تُوعَدُونَ: قال صاحب المفردات[5]:** الوعد يكون في الخير والشر.

١-انظر (المفردات) م / نزل.
٢-انظر (المفردات) م / خوف.
٣-انظر (المفردات) م / حزن.
٤-انظر (المفردات) م / بشر.
٥-انظر (المفردات) م / وعد.

قال ابن كثير (٣/١١٠٠) أي: فيبشروهم بذهاب الشر وحصول الخير ١هـ.

٣٦٨-**أَوْلِيَاؤُكُمْ:** جمع ولي والولاية: النصرة وتولي الأمر أفاده **صاحب المفردات**[1].

وقال ابن كثير (٣/١١٠٠) أي نحن:قرناؤكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوزكم بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النَّعيم.

٣٦٩-**تَشْتَهِي: قال صاحب المفردات**[2]**:** أصل الشهوة: نزوع النفس إلى ما تريده.

٣٧٠-**تَدَّعُونَ: قال ابن كثير (٣/١١٠٠)** أي: مهما طلبتم وجدتم، وحضر بين أيديكم كما اخترتم.

٣٧١-**نُزُلًا: قال صاحب المفردات**[3]**:** النُزل: ما يعُدُّ للنازل من الزاد.

٢ ً-الإعراب:

إِنَّ الَّذِينَ: إن:حرف مشبه بالفعل، **الذين:** اسم موصول في محل نصب اسم إنّ، وجملة **(قالوا)** صلته، وجملة **(ربنا الله)** مقول القول، وجملة **(استقاموا)** عطف على **(قالوا)** وجملة **(تتنزل)** خبره

١-انظر (المفردات) م / ولي.
٢-انظر (المفردات) م / شها.
٣-انظر (المفردات) م / نزل.

أَلَّا تَخَافُوا: ناصب ومنصوب والمصدر المؤول منصوب على نزع الخافض

والمعنى: تتنزل بألا تخافوا.

الَّتِي: اسم موصول صفة (**الجنة**) وجملة (**كنتم توعدون**) صلته.

نَحْنُ: ضمير منفصل مبتدأ، و**أولياؤكم:** خبره.

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ: ما: اسم موصول مبتدأ و**لكم فيها:** جار ومجرور متعلقان بخبره المحذوف.

نُزُلًا: حال منصوبة.

٢-المناسبة:

قال الإمام الرازي (٢٧/٥٦٠) اعلم انه تعالى لما أطنب في الوعيد أردفه بهذا الوعد الشريف، وهذا ترتيب لطيف مدار كل القرآن عليه.

التفسير:

قال الإمام ابن جرير (٢١/٤٦٣) يقول تعالى ذكره: " **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ** " وحده لا شريك له

" **ثُمَّ اسْتَقَامُوا** " على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى...

" **تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ** " يقول: تتهبط عليهم الملائكة عند نزول الموت بهم... قائلة: لا تخافوا ما تقدمون عليه من بعد مماتكم

" **وَلَا تَحْزَنُوا** " على ما تخلفونه وراءكم.

" **وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** " يقول: وسروا بأن لكم في الآخرة الجنة التي كنتم توعدونها في الدنيا على إيمانكم بالله، واستقامتكم على طاعته.

" **نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ** " يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ملائكته التي تتنزل على هؤلاء المؤمنين الذين استقاموا على طاعته عند موتهم.

" **نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ** " أيها القوم " **فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** " كنا نتولاكم فيها وذكر أنهم الحفظة الذين كانوا يكتبون أعمالهم...

" **وَفِي الْآخِرَةِ** " نحن أولياؤكم، كما كنا لكم في الدنيا أولياء،... ولكم في الآخرة عند الله ما تشتهي أنفسكم من اللّذات والشهوات.

" **وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ** " يقول: أعطاكم ذلك ربكم نزلا لكم من ربّ غفور لذنوبكم، رحيم بكم أن يعاقبكم بعد توبتكم

وقال صاحب الظلال (٣١٢١/٥) والاستقامة على قولة: " **رَبُّنَا اللَّهُ** " الاستقامة عليها يحقها وحقيقتها. الاستقامة عليها شعورا في الضمير، وسلوكا في الحياة. الاستقامة عليها والصبر على تكاليفها. أمر ولا شك كبير وعسير ومن ثم يستحق عند الله هذا الإنعام الكبير صحبة الملائكة، وولاءهم، ومودتهم. هذه التي تبدو فيما حكاه الله عنهم وهم يقولون لأوليائهم المؤمنين: لا تخافوا. لا تحزنوا. أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ثم يصورون لهم الجنة التي يوعدون تصوير الصديق لصديقه ما يعلم أنه يسره علمه ورؤيته من

حظه المرتقب: لكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون. ويزيدونها لهم جمالا وكرامة: نزلا من غفور رحيم. فهي من عند الله أنزلكم إياها بمغفرته ورحمته. فأي نعيم بعد هذا النعيم؟



الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي وهذا جلي واضح.
٢-عالم الملائكة عالم عاقل يدل على ذلك الحوار الذي يدور بينهم وبين المؤمنين عند وفاتهم.
٣-أن من مهمة الملائكة طمأنة المؤمنين عند وفاتهم وزف البشرى لهم.

٩٦-الَّذين عندَ ربِّهم
" يسبحون له بالليل والنهار لا يسأمون "

وهذا المعنى في الآيات (٣٧-٣٨) من سورة (فصلت) ونصُّها يقول:


وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾

قال الزمخشري (١٩٣/٢) الذين عند ربهم هم الملائكة، ومعنى **"عند"** دنوا الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله، لتوفرهم على طاعته، وابتغاء مرضاته.

المناسبة:

قال العلامة الرازي (٢٧/ ٥٦٦) لما أمر الله بالسجود له –بعد أن نهى عن السجود لغيره- قال بعده: فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون.

التفسير:

قال العلامة ابن كثير (٣/١١٠٥) " وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ " أَيْ: أَنَّهُ خَلَقَ اللَّيْلَ بِظَلَامِهِ، وَالنَّهَارَ بِضِيَائِهِ، وَهُمَا مُتَعَاقِبَانِ لَا يَقِرَّانِ، وَالشَّمْسَ وَنُورَهَا وَإِشْرَاقَهَا، وَالْقَمَرَ وَضِيَاءَهُ وَتَقْدِيرَ مَنَازِلِهِ فِي فَلَكِهِ.





ثُمَّ لَمَّا كَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ أَحْسَنَ الْأَجْرَامِ الْمُشَاهَدَةِ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنَّهُمَا مَخْلُوقَانِ عَبْدَانِ مِنْ عَبِيدِهِ، تَحْتَ قَهْرِهِ وَتَسْخِيرِهِ، فَقَالَ: **" لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ "** أَيْ: وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ فَمَا تَنْفَعُكُمْ عِبَادَتُكُمْ لَهُ مَعَ عِبَادَتِكُمْ لِغَيْرِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ.





وَلِهَذَا قَالَ: " **فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا** " أَيْ: عَنْ إِفْرَادِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يُشْرِكُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، " **فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ** " يَعْنِي: الْمَلَائِكَةَ، " **يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ**"

يقول صاحب الظلال (٣١٢٤/٥) وصورة من صور الانحراف تلك التي تشير إليها الآية هنا.

فقد كان قوم يبالغون في الشعور بالشمس والقمر شعورا منحرفا ضالا فيعبدونهما باسم التقرب إلى الله بعبادة أبهى خلائقه! فجاء القرآن ليردهم عن هذا الانحراف ويزيل الغبش عن عقيدتهم المدخولة. ويقول لهم: إن كنتم تعبدون الله حقا فلا تسجدوا للشمس والقمر..

" **وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ** " فالخالق هو وحده الذي يتوجه إليه المخلوقون أجمعين. والشمس والقمر مثلكم يتوجهون إلى خالقهما فتوجهوا معهم إلى الخالق الواحد الذي يستحق أن تعبدوه...

فإن استكبروا بعد عرض هذه الآيات، وبعد هذا البيان، فلن يقدم هذا أو يؤخر ولن يزيد هذا أو ينقص فغيرهم يعبد غير مستكبر:

" **فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ** " وأقرب ما يرد على القلب عند ذكر " **فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ** " الملائكة.

ولكن قد يكون هنالك غير الملائكة من عباد الله المقربين وهل نعلم نحن شيئا إلا اليسير الضئيل؟! هؤلاء. الذين عند ربك. وهم أرفع وأعلى. وهم أكرم وأمثل. لا يستكبرون كما يستكبر أولئك المنحرفون الضالون في الأرض. ولا يغترون بقرب مكانهم من الله. ولا يفترون عن تسبيحه ليلا ونهارا

" **وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ**" فماذا يساوي أن يتخلف من أهل الأرض من يتخلف في حقيقة العبودية لله من الجميع؟

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-للملائكة مكانتها الرفيعة تأمل قول الله "**فالذين عند ربهم**"

٣-أنهم دائمو التسبيح الذي هو التنزيه.

٤-العصمة لأن من كان دأبه التسبيح - في الليل والنهار- لا يتصور منه العصيان.

الآيات الواردة في

-٣٣-

سورة الشورى



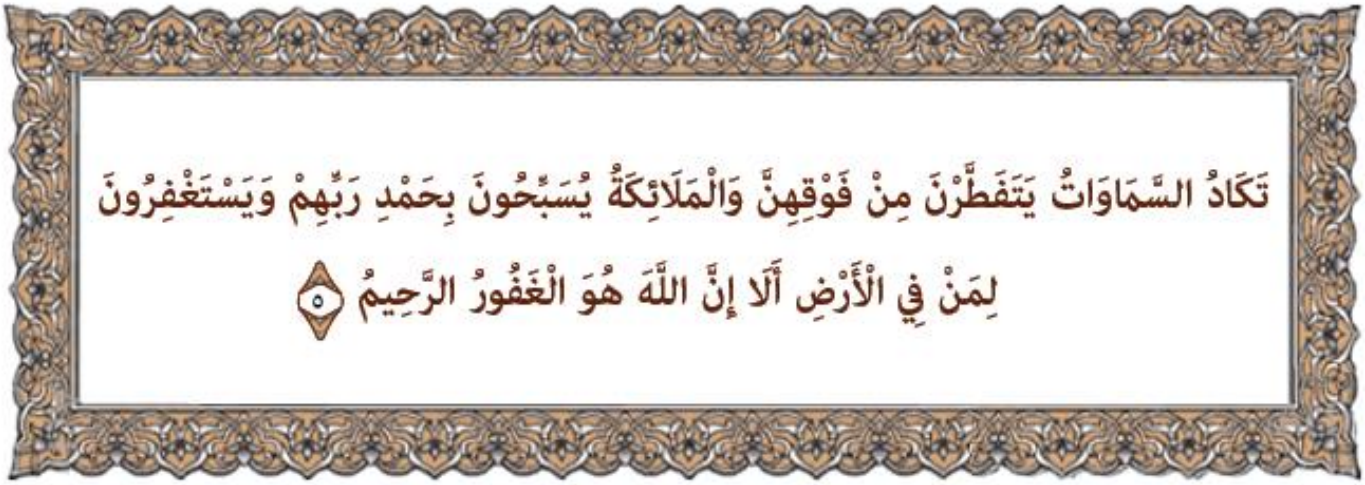
الشورى

مما له صلة بعالم الملائكة

٩٧-الملائكة

" يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض"

وهذا الوصف عبرت عنه الآية (٥) من سورة (الشورى) وتقول الآية:



أقول: وما أقرب مطلع هذه السورة من مطلع السورة التي قبلها: سورة (غافر) والتي جاء فيها " **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** "

مع فارق الإجمال الذي يلف الآية في (**الشورى**) على حساب التفصيل الذي تتمتع بـه الآيات في (**غافر**)، ولكل مناسبته وسببه وحسبنا هنا أن نورد تفسيرها

يقول صاحب الظلال (٥/٢١٤٠) تعرض هذه الآية مظهرا لخلوص الملكية لله في الكون، وللعلو والعظمة كذلك، يتمثل في حركة السماوات تكاد تتفطر من روعة العظمة التي تستشعرها لربها، ومن زيغ بعض من في الأرض عنها كما يتمثل في حركة الملائكة يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون لأهل الأرض من انحرافهم وتطاولهم.

" **تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** " ...

والملائكة أهل طاعة مطلقة، فقد كانوا أولى الخلق بالطمأنينة ولكنهم دائبون في تسبيح ربهم، لما يحسون من علوه وعظمته، ولما يخشون من التقصير في حمده وطاعته، ذلك بينما أهل الأرض المقصرون الضعاف ينكرون وينحرفون فيشفق الملائكة من غضب الله ويروحون يستغفرون لأهل الأرض مما يقع في الأرض من معصية وتقصير

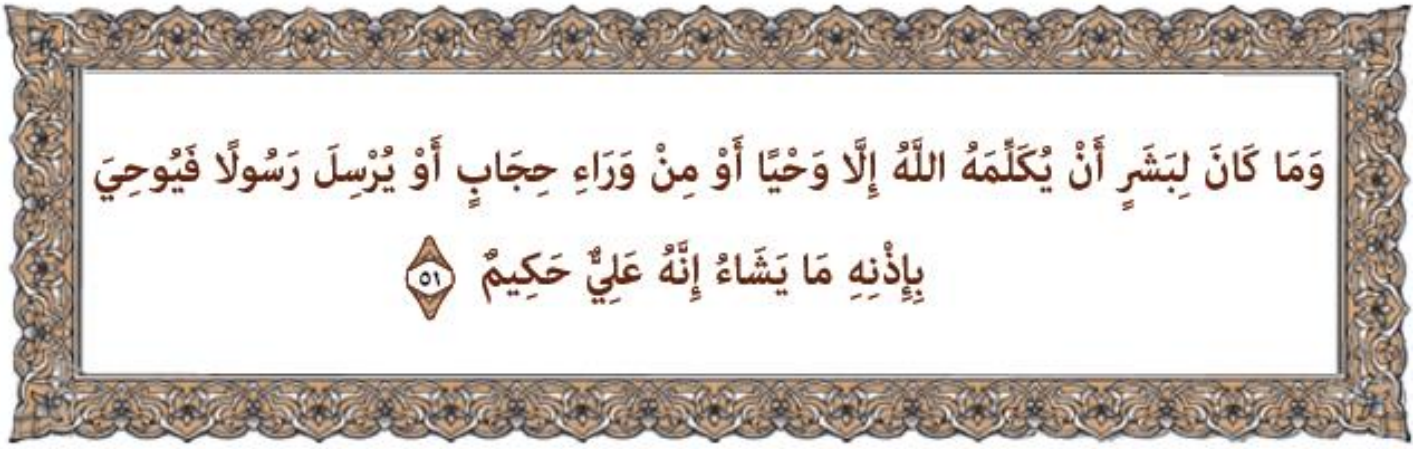


ويجوز أن يكون المقصود هو استغفار الملائكة للذين آمنوا...

وفي هذه الحالة يبدو: كم يشفق الملائكة من أية معصية تقع في الأرض، حتى من الذين آمنوا، وكم يرتاعون لها، فيستغفرون ربهم وهم يسبحون بحمده استشعارا لعلوه وعظمته واستهوالا لأية معصية تقع في ملكه واستدرارا لمغفرته ورحمته وطمعا فيهما: " **أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** "

٩٨-الرسول الملكي
قناة
من قنوات التواصل بين الخالق والمخلوق

وقد جمعت الآية (٥١) من سورة (الشورى) تلك القنوات جميعها والتي منها الرسول الملكي، تقول الآية:



بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ ً-المفردات:

٣٧٢-**وَحْـيًا: قال صاحب المفردات**[١]: أصل الوحي الإشارة السّريعة .

ثم قال: فالإلهام والتسخير والمنام دلَّ عليه قوله " **إِلَّا وَحْـيًا** ".

فالحاصل أن كلمة الوحي عامة والمراد بها هنا ثلاثة أشياء:

١- **الإلهام قال ابن كثير (٣/١١٤١)** وهو أنه تعالى يقذف في روع النبي شيئاً لا يتمارى فيه أن من الله.

٢-**التسخير** ومثَّلَ له **صاحب المفردات** بقول الله "**وَأَوْحَى**

١-انظر (المفردات) م / وحي.

رَبّك إِلَى النَّحْل"

٣-**المنام** ومثَّلَ له بحديث "**انقطع الوحي وبقيت المبشرات رؤيا المؤمن**"

٣٧٣-**وَرَاءِ:** خلف.

٣٧٤-**حِجَابٍ: قال صاحب المفردات[1]:** الحَجب والحجاب: المنع من الوصول.

قال ابن جرير (٢١/٥٥٨)وذلك بأن يكلمه الله بحيث يسمع كلامه ولا يراه كما حدث مع نبي الله موسى عليه السلام.

٣٧٥-**يُرْسِلَ: قال صاحب المفردات:** أصل الرِّسل: الانبعاث على التؤدة.

قال ابن جرير (٢١/٥٥٨) أي: أو يرسل الله من ملائكته رسولاً، إما جبريل وإماغيره.

٣٧٦- **فَيُوحِيَ: قال ابن جرير (٢١/٥٥٨)** أي: فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء من أمر أو نهي وغير ذلك من الرسالة والوحي.

٢ً-الإعراب:

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ: و: استئنافية، **ما:** نافية، **كان:** فعل ماض ناقص، **لبشر:** جار ومجرور متعلقان بالخبر المقدم.

أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ: ناصب ومنصوب، والمصدر المؤول اسم كان.

إِلَّا: أداة حصر.

وَحْيًا: مفعلو مطلق لفعل محذوف و**المعنى**: إلا أن يوحي إليه وحياً.

١-انظر (المفردات) م / حجب.

أَوْ: عاطفة.

مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ: جار ومجرور ومضاف إليه.

أَوْ: عاطفة.

يُرْسِلَ: مضارع منصوب بأن المضمرة جوارزاً بعد (أو) المتمحضة للعطف.

رَسُولًا: مفعول به.

فَيُوحِيَ: الفاء: عاطفة، **يوحي:** مضارع معطوف على **يرسل** منصوب مثله، و**بإذنه:** متعلقان به.

مَا: موصولية مفعول به و**(يشاء)** صلته.

٣ً-البلاغة:

١-الآية جميعاً بنيت على طريقة الحصر.

٢-المناسبة:

قال العلامة الرازي (٢٧/ ٩١١) اعلم انه تعالى لما بين كمال قدرته وعلمه وحكمته أتبعه ببيانِ أنه كيف يخصُّ أنبياءَه بوحيه وكلامه.

التفسيروحل الإشكالات:

التفسير:

يقول العلامة الرازي (٩١١/٢٧) وما أحسن ما قال **"وَما كانَ لِبَشَرٍ"** وَمَا صَحَّ لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا عَلَى أَحَدِ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

١- إِمَّا عَلَى الْوَحْيِ وَهُوَ **الْإِلْهَامُ وَالْقَذْفُ فِي الْقَلْبِ أَوِ الْمَنَامُ** كَمَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَى أُمِّ مُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَبْحِ وَلَدِهِ.

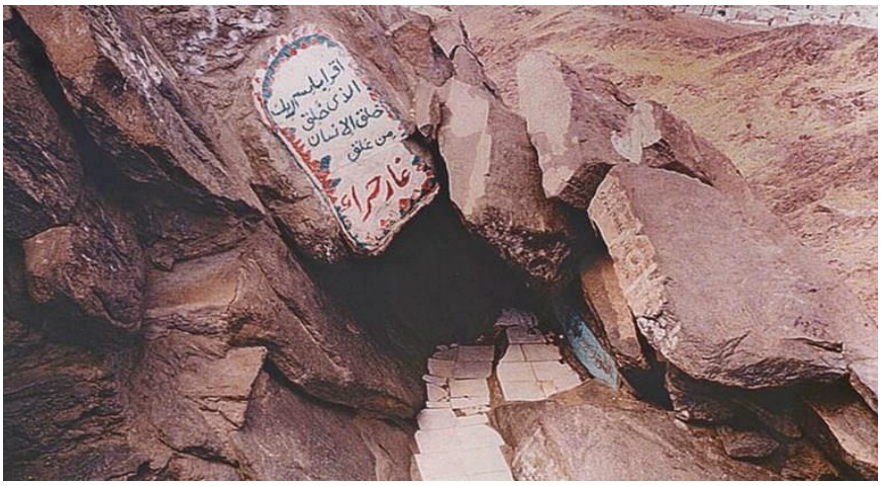




٢-وَإِمَّا عَلَى **أَنْ يُسْمِعَهُ كَلَامَهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ مُبَلِّغٍ**، وَهَذَا أَيْضًا وَحْيٌ بِدَلِيلِ أَنَّهُ تَعَالَى أَسْمَعَ مُوسَى كَلَامَهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ مَعَ أَنَّهُ سَمَّاهُ وَحْيًا، قَوْلُهُ تعالى:" **فَاسْتَمِعْ لِما يُوحى** " [طه: ١٣].



٣-وَإِمَّـا عَـلَـى **أَنْ يـرْسِـلَ إِلَـيْـهِ رَسُـولًا مِـنَ الْمَلَائِكَةِ** فَيُبَلِّغَ ذَلِكَ الْمَلَكُ ذَلِكَ الْـوَحْـيَ إِلَـى الـرَّسُولِ الْـبَـشَـرِيِّ



فَـطَـرِيـقُ الْـحَـصْـرِ أَنْ يُـقَـالَ وُصُـولُ الْـوَحْـيِ مِـنَ اللَّهِ إِلَـى الْـبَـشَـرِ:

١ ً- إِمَّـا أَنْ يَـكُـونَ مِـنْ غَـيْـرِ وَاسِـطَـةٍ مُـبَـلِّـغٍ.

٢ ً- أَوْ يَـكُـونَ بِـوَاسِـطَـةِ مُـبَـلِّـغٍ.

وَإِذَا كَانَ الْأَوَّلُ وَهُوَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ وَحْيُ اللَّهِ لَا بِوَاسِطَةِ شَخْصٍ آخَرَ فَهَـهُـنَـا إِمَّـا أَنْ يـقَـالَ إِنَّـهُ لَـمْ يَـسْـمَـعْ عَـيْـنَ كَـلَامِ اللَّـهِ أَوْ يَـسْـمَـعُـهُ:

فأما الأول: وَهُوَ أَنَّهُ وَصَلَ إِلَيْهِ الْوَحْيُ لَا بِوَاسِطَةِ شَخْصٍ آخَرَ وَمَا سَمِعَ عَيْنَ كَلَامِ الله فهو المراد بقوله " **إِلَّا وَحْياً** ".

وأما الثاني: وَهُوَ أَنَّهُ وَصَلَ إِلَيْهِ الْوَحْيُ لَا بِـوَاسِطَـةِ شَخْصٍ آخَرَ وَلَكِنَّهُ سَمِعَ عَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ فَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ **أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**.

وَأَمَّا الثَّالِثُ وَهُوَ أَنَّهُ وَصَلَ إِلَيْهِ الْوَحْيُ بِوَاسِطَةِ شَخْصٍ آخَرَ فَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ **أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**.

حل الإشكالات:

١-يقول الرازي (٢٧/٩٢١) وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ وَحْيٌ، إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى خَصَّصَ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ بِاسْمِ الْوَحْيِ، لِأَنَّ مَا يَقَعُ فِي الْقَلْبِ عَلَى سَبِيلِ الْإِلْهَامِ فَهُوَ يَقَعُ دُفْعَةً فَكَانَ تَخْصِيصُ لَفْظِ الْوَحْيِ بِهِ أَوْلَى.

٢-روى الترمذي عن جابر قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: يا جابر ما لي أراك منكسرا؟

قلت يا رسول الله استشهد وترك عيالا ودينا،

قال: أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟

قال: قلت بلى يا رسول الله

قال: ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كفاحا...

قال الترمذي -بعد روايته الحديث- هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

والجواب عن هذا الإشكال ذكره العلامة ابن كثير (٣/١١٤١) حيث قال:
ولكن هذا في عالم البرزخ والآية إنما هي في الدَّار الدُّنيا.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن من وظائف الملائكة أن يبلغوا الأنبياء ما يأمرهم الله بتبليغهم إياه وذلك المبلغ قد يكون

جبريل وقد يكون غيره.

قال ابن جرير (٢١/٥٢٨) أو يرسل الله من ملائكته رسولاً إما جبريل وإما غيره.

الآيات الواردة في

-٣٤-

سورة الزخرف



الزخرف

مما له صلة بعالم الملائكة

٩٩-جرائم عرب الجاهلية
في حق
الملائكة القدسية

وقد سجلت الآيات (١٥-٢٠) من سورة (الزخرف) تلك الضلالات والجهالات، وتقول الآيات:


وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ
بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾
أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ
الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا
عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾

وقد سبق هذا المعنى عدة مرّات لتصوير ما كان عليه الجاهليون في معتقدهم عن عالم الملائكة.

المناسبة:

يقول العلامة الرازي (٦٢٣/٢٧) اعلم أنه تعالى لما قال " **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ** " [٩] بين أنهم مع إقرارهم بذلك جعلوا له من عباده جزءاً، والمقصود منه التنبيه على قلة عقولهم، وسخافة عقولهم.

التفسير:

يقول العلامة ابن كثير بعد أن أشبع الآيات تفسيراً (١١٤٨/٣) فجمعوا –يعني أهل الشرك- بين أنواع كثيرة من الخطأ:

أحدهما: جعلهم لله ولداً...

الثاني: دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً.



الثالث: عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان... بل بمجرد الآراء والأهوال والتقليد للأسلاف....

الرابع: احتجاجهم بتقريرهم على ذلك قَدَرَاً...

يقول صاحب الظلال (٣١٨٠/٥) ويبدأ بتصوير سخف هذه الأسطورة وتهافتها، ومقدار ما في القول بها من كفر صريح.

" **وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ** " فالملائكة عباد الله، ونسبة بنوتهم له معناها عزلهم من صفة العبودية، وتخصيصهم بقرابة خاصة بالله وهم عباد كسائر العباد، لا مقتضى لتخصيصهم بصفة غير صفة العبودية في علاقتهم بربهم وخالقهم وكل خلق الله عباد له خالصو العبودية. وادعاء الإنسان هذا الادعاء يدمغه بالكفر الذي لا شبهة فيه.

" **إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ** " ثم يحاجهم بمنطقهم وعرفهم، ويسخر من سخف دعواهم أن الملائكة إناث ثم نسبتهم إلى الله

" **أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ** " فإذا كان الله – سبحانه - متخذا أبناء، فماله يتخذ البنات ويصفيهم هم بالبنين وهل يليق أن يزعموا

هذا الزعم بينما هم يستنكفون من ولادة البنات لهم ويستاؤون:

" **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ** " أفما كان من اللياقة والأدب ألا ينسبوا إلى الله من يستاءون هم إذا بشروا به، حتى ليسود وجه أحدهم من السوء الذي يبلغ حدا يجل عن التصريح به، فيكظمه ويكتمه وهو يكاد يتميز من السوء؟! أفما كان من اللياقة والأدب ألا يخصوا الله بمن ينشأ في الحلية والدعة والنعومة، فلا يقدر على جدال ولا قتال بينما هم - في بيئتهم - يحتفلون بالفرسان والمقاويل من الرجال؟! إنه يأخذهم في هذا بمنطقهم، ويخجلهم من انتقاء ما يكرهون ونسبته إلى الله.

فهلا اختاروا ما يستحسنونه وما يسرون له فنسبوه إلى ربهم، إن كانوا لا بد فاعلين؟! ثم يحاصرهم هم وأسطورتهم من ناحية أخرى. فهم يدعون أن الملائكة إناث. فعلام يقيمون هذا الادعاء؟

" **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**" أشهدوا خلقهم؟ فعلموا أنهم إناث؟ فالرؤية حجة ودليل يليق بصاحب الدعوى أن يرتكن إليه. وما يملكون أن يزعموا أنهم شهدوا خلقهم.

ولكنهم يشهدون بهذا ويدعونه، فليحتملوا تبعة هذه الشهادة بغير ما كانوا حاضريه.

" **سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ** "

ثم يتابع الفرية وما يصوغونه حولها من جدل واعتذار.

" **وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ**" إنهم يحاولون التهرب حين تحاصرهم الحجج، وتتهافت بين أيديهم الأسطورة. فيحيلون على مشيئة الله، يزعمون أن الله راض

عن عبادتهم للملائكة ولو لم يكن راضيا ما مكنهم من عبادتهم، ولمنعهم من ذلك منعا! وهذا القول احتيال على الحقيقة فإن كل شيء يقع في هذا الوجود إنما يقع وفق مشيئة الله هذا حق ولكن من مشيئة الله أن جعل للإنسان قدرة على اختيار الهدى أو اختيار الضلال. وكلفه اختيار الهدى ورضيه له ولم يرض له الكفر والضلال. وإن كانت مشيئة أن يخلقه قابلا للهدى أو الضلال...

وهم حين يحيلون على مشيئة الله إنما يخبطون خبطا فهم لا يوقنون أن الله أراد لهم أن يعبدوا الملائكة - ومن أين يأتيهم اليقين؟ - " **مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ** " ويتبعون الأوهام والظنون.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن العرب كانوا يؤمنون بوجود عالم الملائكة، ولكنه إيمان غير مجدٍ لأنه إيمان مشوه.

٣-أن من اعتقد من المسلمين في الملائكة ما اعتقده الجاهليون فقد كفر والعياذ بالله:

١ً- فمن اعتقد أنهم ابناء الله فقد أشرك وكفر.

٢ً-ومن اعتقد أنهم إناث فقد كفر أيضاً.

٣ً-ومن اعتقد انهم يستحقون العبادة فتوجه إليهم بالعبادة فقد أشرك وكفر.

١٠٠- فرعون
واقتراحاته المتعلقة بالملائكة

وقد سجلت تلك المقترحات الغبية الآيات (٥١-٥٤) من سورة (الزخرف) وتقول الآيات:


وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا
تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ
مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾

أقول: إن ما اقترحه فرعون حول الملائكة قد سبقه إليه قوم نوح، وسيردده من بعده كفار قريش " **أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**"

المناسبة:

في الحين الذي يؤكد فيه فرعون ألوهيته يحاول إبطال نبوة موسى التي فيها إبطال ألوهيته، ولذا لجأ إلى المغالطة وقال: إن موسى لو كان صادقاً فيما يدعيه لكان غنياً أو نزلت الملائكة تشهد بصدقه!

التفسير:

يقول العلامة ابن جرير (٦١٧/٢١) قول تعالى ذكره: " **وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ**" من القبط، فـ " **قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ** " يعنى بقوله: " **مِنْ تَحْتِي** " : من بين يدي في الجنان...

" **أَفَلَا تُبْصِرُونَ**" يقول: أفلا تبصرون أيها القوم ما أنا فيه من النعيم والخير، وما فيه موسى من الفقر وعيّ اللسان؟

" **أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ** " يقوله تعالى ذكره مخبرًا عن قيل فرعون لقومه بعد احتجاجه عليهم بملكه وسلطانه، وبيان لسانه وتمام خلقه، وفضل ما بينه وبين موسى بالصفات التي وصف بها نفسه وموسى: أنا خير أيها القوم، وصفتي هذه الصفة التي وصفت لكم أم " **هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ**" لا شيء له من الملك والأموال مع العلة التي في جسده، والآفة التي بلسانه، فلا يكاد من أجلها يبين كلامه؟

" **فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ** " يقول: فهلا ألقي على موسى إن كان صادقا أنه رسول رب العالمين أسورة من ذهب، وهو جمع سوار، وهو القُلْب الذي يجعل في اليد...

" **أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ** " يقول: أو هلا إن كان صادقا جاء معه الملائكة مقترنين قد اقترن بعضهم ببعض، فتتابَعُوا يشهدون له بأنه لله رسول إليهم.

" **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** "

وقال العلامة الرازي (٢٧/ ١٣٨) ثم قال " **أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ**" يجوز أن يكون

المراد:

١-مقرنين به من قولك: قرنته فاقترن.

٢-وأن يكون من قولهم: اقترنوا، بمعنى تقاربوا.

قال الزجاج: معناه يمشون معه فيدلون على صحته.



الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن الإيمان بالملائكة قديم حتى فرعون كان مؤمناً بوجود الملائكة ولكنه إيمانٌ غير معتبر.

١٠١-لو شاء الله أن يبدِّلنا بالملائكة لفعل

وقد جاء هذا المعنى ضمن الآيات (٥٧-٦١) من سورة (الزخرف) وتقول الآيات:


وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾

ولنقف أولاً عند قول الله " وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ"

قال ابن جرير (٢١/٦٣٠) ولو نشاء يا معشر بني آدم أهلكناكم، فأفنينا جميعكم، وجعلنا بدلا منكم في الأرض ملائكة يخلفونكم فيها يعبدونني وذلك نحو قوله تعالى ذكره: "**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ**"

ونقل عن مجاهد، قوله: يعمرون الأرض بدلا منكم.

ونقل عن قتادة، في قوله: يخلف بعضهم بعضاً، مكان بني آدم.

وبقي أن يقال: أي وجهٍ لانسجام هذا المعنى ضمن الآيات التي تتحدث عن المسيح عيسى ابن مريم؟

يقول صاحب الظلال (٣١٩٨/٥) مبيناً سرَّ ذلك: وهنا يستطرد السياق إلى حكاية أساطيرهم حول عبادة الملائكة، ويحكي حادثا من حوادث الجدل الذي كانوا يزاولونه، وهم يدافعون عن عقائدهم الواهية، لا بقصد الوصول إلى الحق، ولكن مراء ومحالا! فلما قيل لهم: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم.

وكان القصد هو أصنامهم التي جعلوها تماثيل للملائكة ثم عبدوها بذاتها.

وقيل لهم: **إن كل عابد وما يعبد من دون الله في النار. لما قيل لهم هذا ضرب بعضهم المثل بعيسى ابن مريم- وقد عبده المنحرفون من قومه – أهو في النار؟ وكان هذا مجرد جدل ومجرد مراء. ثم قالوا: إذا كان أهل الكتاب يعبدون عيسى وهو بشر فنحن أهدى إذ نعبد الملائكة وهم بنات الله! وكان هذا باطلا يقوم على باطل.**وبهذه المناسبة يذكر السياق طرفا من قصة عيسى ابن مريم، يكشف عن حقيقته وحقيقة دعوته، واختلاف قومه من قبله ومن بعده.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢- ليس من الحكمة أن يكون الرسل إلى البشر من الملائكة.

١٠٢-يا مالك ليقض علينا ربك
من
نداءات أهل النار

ولقد جاء هذا الطلب مع الرد عليه في الآيات (٧٤-٧٨) من سورة (الزخرف) وتقول الآيات:


إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ
وَلَٰكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾

المناسبة:

يقول الرازي (٢٧/ ١٤٣) اعلم أنه تعالى لما ذكر الوعد أردفه بالوعيد على الترتيب المستمر في القرآن.

التفسير:

يقول العلامة ابن جرير (٢١/١٤٣) يقول تعالى ذكره " **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ** " وهم الذين اجترموا في الدنيا الكفر بالله، فاجترموا به في الآخرة " **فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**" يقول: هم فيه ماكثون.لا يفتر عنهم، يقول: لا يخفف عنهم العذاب وأصل الفتور: الضعف " **وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ** " الآيسون من النجاة.

" **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ**" يقول تعالى ذكره: وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بفعلنا بهم ما أخبرناكم أيها الناس أنا فعلنا بهم من التعذيب بعذاب جهنم.

" **وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ**" بعبادتهم في الدنيا غير من كان عليهم عبادته، وكفرهم بالله، وجحودهم توحيده.

"**وَنَادَوْا**" أي نادى هؤلاء المجرمون بعد ما أدخلهم الله جهنم، فنالهم فيها من البلاء ما نالهم، نادوا مالكا خازن النار.

" **يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ** " قال: ليمتنا ربك، فيفرغ من إماتتنا وقد ذكر[1] أن مالكا لا يجيبهم في وقت قيلهم له ذلك، ويدعهم ألف عام بعد ذلك، ثم يجيبهم، فيقول لهم: " **إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ** "

" **لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ**" لقد أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا محمدا بالحق " **وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** "

يقول العلامة ابن كثير (٢١/ ١١٦٥) لَمَّا ذَكَرَ [تَعَالَى] (١) حَالَ السُّعَدَاءِ، ثَنَّى بِذِكْرِ الْأَشْقِيَاءِ، فَقَالَ: " **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ** " أَيْ: سَاعَةً وَاحِدَةً .

" **وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ** " أَيْ: آيِسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

" **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ** " أَيْ: بِأَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَجِ عَلَيْهِمْ وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ، فَكَذَّبُوا وَعَصَوْا، فَجُوزُوا بِذَلِكَ جَزَاءً وِفَاقًا...

" **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ** " وَهُوَ: خَازِنُ النَّارِ...

١-نقل ذلك عن ابن جرير عن ابن عباس وروى آثاراً أخرى مختلفة المدد.

" **لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ** " أَيْ: لِيَقْبِضْ أَرْوَاحَنَا فَيُرِيحَنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ... فَلَمَّا سَأَلُوا أَنْ يَمُوتُوا أَجَابَهُمْ مَالِكٌ.

" **قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ**" : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَكَثَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ.أَيْ: لَا خُرُوجَ لَكُمْ مِنْهَا وَلَا مَحِيدَ لَكُمْ عَنْهَا. ثُمَّ ذَكَرَ سَبَبَ شِقْوَتِهِمْ وَهُوَ مُخَالَفَتُهُمْ لِلْحَقِّ وَمُعَانَدَتُهُمْ لَهُ فَقَالَ: " **لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ**" أَيْ: بَيَّنَّاهُ لَكُمْ وَوَضَّحْنَاهُ وَفَسَّرْنَاهُ.

" **وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**" أَيْ: وَلَكِنْ كَانَتْ سَجَايَاكُمْ لَا تَقْبَلُهُ وَلَا تُقْبِلُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا تَنْقَادُ لِلْبَاطِلِ وَتُعَظِّمُهُ، وَتَصِدُّ عَنِ الْحَقِّ وَتَأْبَاهُ، وَتُبْغِضُ أَهْلَهُ، فَعُودُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِالْمَلَامَةِ، وَانْدَمُوا حَيْثُ لَا تَنْفَعُكُمُ النَّدَامَةُ

ويقول صاحب الظلال (٣٢٠٢/٥) " **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ**" إنها صيحة متناوحة من بعد سحيق. من هناك من وراء الأبواب الموصدة في الجحيم. إنها صيحة أولئك المجرمين الظالمين. إنهم لا يصيحون في طلب النجاة... فهم مبلسون يائسون إنما يصيحون في طلب الهلاك، الهلاك السريع الذي يريح وحسب المنايا أن يكن أمانيا! .. وإن هذا النداء ليلقي ظلا كثيفا للكرب والضيق وإننا لنكاد نرى من وراء صرخة الاستغاثة نفوسا أطار صوابها العذاب، وأجساما تجاوز الألم بها حد الطاقة، فانبعثت منها تلك الصيحة المريرة: " **يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ**" ! ولكن الجواب يجيء في تيئيس وتخذيل، وبلا رعاية ولا اهتمام: " **قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ** "! فلا خلاص ولا رجاء ولا موت ولا قضاء.. إنكم ماكثون..

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-إثبات وجود ملك يسمى **مالكاً**، وهو خازن النار.

ويدل على ذلك أنهم توجوا إليه بالخطاب مما يدل على أنه كبير ملائكة النار

ويدل على ذلك أيضاً ما **رواه البخاري في صحيحه** في حديث الرؤيا الطويل ومما جاء فيه

(... والذي يوقد النار مالك خازن النار).



١٠٣- الملائكة تسجل الأعمال

وهذه الوظيفة من وظائف الملائكة سجلتها الآية (٨٠) من سورة (الزخرف) وتقول الآية:


أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾

ونقل ابن جرير (٢١/٦٤٧) عن السدي قوله: هي الحفظة.
وقال ابن كثير (٣/ ١١٩٦) هي الملائكة، والمعنى واحد.

بين يدي التفسير:

١-المفردات و الإعراب والبلاغة:

١ً-المفردات:

٣٧٧-**يَحْسَبُونَ: قال صاحب المفردات[1]:** الحِسبان: أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله... ويقارب ذلك الظن لكن الظن أن يخطر النقيضين بباله فيغلب أحدهما على الآخر.

٣٧٨-**نَسْمَعُ: قال صاحب المفردات[2]:** فإذا وصفت الله بالسمع فالمراد به علمه بالمسموعات، وتحرّيه بالمجازاة بها.

١-انظر (المفردات) م / حسب.
٢-انظر (المفردات) م / سمع.

٣٧٩-**سِرَّهُمْ: قال صاحب المفردات[1]:** السر: خلاف الإعلان... وهو الحديث المكتم بالنفس.

٣٨٠-**نَجْوَاهُمْ: قال صاحب المقاييس[2]:** النجوى: السر بين اثنين.

٣٨١-**رُسُلُنَا:** جمع رسول والمراد بهم هنا الملائكة الحفظة الكتبة.

٢ً-الإعراب:

يَحْسَبُونَ: مضارع مرفوع وهو من الأفعال الخمسة، و**أنَّا وما بعدها** بتأويل مصدر سد مسد مفعولي حسب.

بَلَى: حرف جواب.

رُسُلُنَا: مبتدأ، خبره جملة (**يكتبون**) ولديهم –بمعنى عندهم- ظرف مكان متعلق بالفعل.

٢-المناسبة:

لما تحدث المولى عما أمر به أولئك المشركين ناسب أن يذكر أنه مطلع على ما يبرمون من أمرٍ، فالسر عنده والجهر سواء.

وها هم كتبته يسجلون عليهم أعمالهم.

أقول: ثمة مناسبة أوسع وذلك أنه لما نفى عن نفسه الظلم ونسبه إليهم ناسب ذلك أن يُذَكِّرَهُم بأنهم إنما يجازون بالأعمال التي اقترفوها والأقوال التي فاهوا بها وهي مسجلة عليهم.

١-انظر (المفردات) م / سر.
٢-انظر (المقاييس) م / نجو.

٣-سبب النزول:

قال ابن جرير(٢١/٦٤٧) وذكر أن هذه الآية نزلت في نفر ثلاثة تدارؤوا في سماعِ اللهِ كلامَ **عباده ثم روى بسنده إلى محمد بن كعب أنه قال: بينما ثلاثة بين الكعبة وأستارها قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي**

فقال واحد من ثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟

فقال الأول: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع.

وقال الثاني: إن كان يسمع إذا أعلنتم، فإنه يسمع إذا أسررتم. قال فنزلت.



يقول العلامة ابن جرير (٢١/٦٤٧) عند قول الله: يقول: " **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ**" أم يظنّ هؤلاء المشركون بالله أنا لا نسمع ما أخفوا عن الناس من منطقهم، وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم، فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا.

" **بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**" أي: بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم، وأخفوه عن الناس من سرّ كلامهم، وحفظتنا لديهم، يعني عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق، وتكلموا به من كلامهم.

ويقول العلامة ابن كثير (٣/١١٩٩) عند قوله تعالى " **بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**" أي: نحن نعلم ما هم عليه، والملائكة أيضاً يكتبون أعمالهم صغيرها وكبيرها.

الاستنباط:

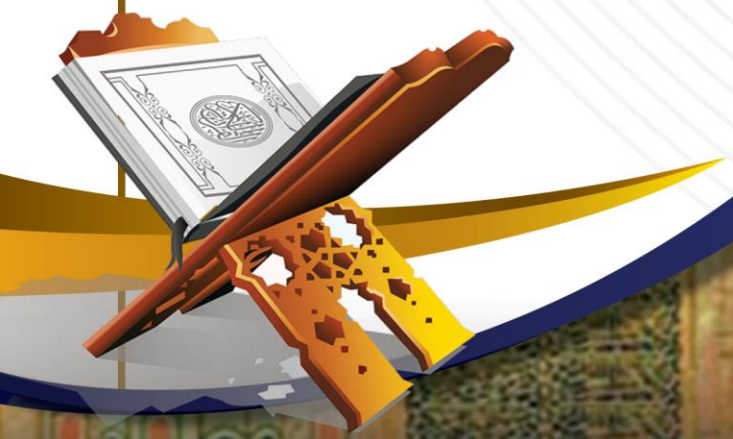
١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي وهذا واضح.

٢-أن من وظائف الملائكة تسجيل الأعمال والأقوال.

٣-أن للملائكة الحفظة والكتبة اطلاعاً على الأسرار " **سِرَّهُمْ** "

الآيات الواردة في

-٣٥-
سورة محمد



مما له صلة بعالم الملائكة

١٠٤-ملائكة الموت
وقبضها
لأرواح المرتدين

وهذا المشهد سجلته الآيات (٢٥-٢٨) من سورة (محمد) وتقول الآيات:

وقد سبق مثل هذا المعنى في الآية (٥٠) من سورة (الأنفال) :



" وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ "

وفي الآية (٩٣) من سورة (الأنعام):

" وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ "

وفي الآية (٢٨) من سورة (النحل):

" الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ "

وهذه الآيات الأربعة تتحدث عن ملائكة الموت وقبضها لأرواح

الكافرين، وما تنزله بهم من العذاب، وما تقرّعهم به من الكلام، وما يدور بينهم وبين المقبوضة أرواحهم من حوارات.

وقريب مما سبق الآية (٩٧) من سورة (النساء):

"إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"

وإنما قلت قريب لأن هؤلاء مؤمنون ولكنهم عاصون ويدل على ذلك الآية التالية لهذه الآية:

" إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا "

ومعلوم أن الكفر لا استثناء فيه البته، وكل كافر مصيره النار.

وقد جاءت آيات أخرى تحدثت عن ملك الموت وملائكة قبض الأرواح ولكن بشكل عام، وأخرى عن قبض أرواح المؤمنين.

المناسبة:

لما تحدث القرآن عن المرتدين ناسب أن يذكر ما يصيبهم عند وفاتهم من العذاب الذي تنزله به ملائكة قبض الأرواح من ضرب الوجوه والأدبار.

التفسير:

يقول العلامة ابن جرير (١٨٠/٢٢) " إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى" يقول الله عزّ وجلّ إن الذين رجعوا القهقرى على أعقابهم كفارا بالله من بعد ما تبين لهم الحقّ وقصد السبيل، فعرفوا

واضح الحجة، ثم آثروا الضلال على الهدى عنادا لأمر الله تعالى ذكره من بعد العلم.

" **الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ** " يقول تعالى ذكره: الشيطان زين لهم ارتدادهم على أدبارهم، من بعد ما تبين لهم الهدى... ومدّ الله لهم في آجالهم مُلاوة من الدهر.

" **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ** " يقول تعالى ذكره: أملى الله لهؤلاء المنافقين وتركهم، والشيطان سول لهم، فلم يوفقهم للهدى من أجل أنهم

" **قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ** " من الأمر بقتال أهل الشرك به من المنافقين.

" **سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ**" الذي هو خلاف لأمر الله تبارك وتعالى، وأمر رسوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم.

" **وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ** " هذين الحزبين المتظاهرين من أهل النفاق، على خلاف أمر الله وأمر رسوله...

" **وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ**" يقول تعالى ذكره: والله يعلم إسرار هذين الحزبين المتظاهرين من أهل النفاق، على خلاف أمر الله وأمر رسوله، إذ يتسارّون فيما بينهم بالكفر بالله ومعصية الرسول، ولا يخفى عليه ذلك ولا غيره من الأمور كلها.

" **فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ** " يقول تعالى ذكره: والله يعلم إسرار هؤلاء المنافقين، فكيف لا يعلم حالهم إذا توفتهم الملائكة، وهم يضربون وجوههم وأدبارهم...

" **ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ** " يقول تعالى ذكره: تفعل الملائكة هذا

الذي وصفت بهؤلاء المنافقين من أجل أنهم اتبعوا ما أسخط الله، فأغضبه عليهم من طاعة الشيطان.

"**وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ** " يقول: وكرهوا ما يرضيه عنهم من قتال الكفار به، بعد ما افترضه عليهم.

وقوله " **فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** " يقول: فأبطل الله ثواب أعمالهم وأذهبه، لأنها عملت في غير رضاه ولا محبته، فبطلت، ولم تنفع عاملها.

ويقول العلامة ابن كثير (٤/ ٨١) وكلامه أكثر إيجازاً واختصاراً:

"**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ**" أَيْ: فَارَقُوا الْإِيمَانَ وَرَجَعُوا إِلَى الْكُفْرِ

" **مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ** " أَيْ: زَيَّنَ لَهُمْ ذَلِكَ وَحَسَّنَهُ.

" **وَأَمْلَى لَهُمْ** " أي: غرهم.

" **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ**" أَيْ: مَالَئُوهُمْ وَنَاصَحُوهُمْ فِي الْبَاطِنِ عَلَى الْبَاطِلِ، وَهَذَا شَأْنُ الْمُنَافِقِينَ يُظْهِرُونَ خِلَافَ مَا يُبْطِنُونَ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

" **وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ**" أَيْ: [يَعْلَمُ] مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُخْفُونَ، اللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ وَعَالِمٌ بِهِ.

" **فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ** " أَيْ: كَيْفَ حَالُهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ وَتَعَصَّتِ الْأَرْوَاحُ فِي أَجْسَادِهِمْ، وَاسْتَخْرَجَتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِالْعُنْفِ وَالْقَهْرِ وَالضَّرْبِ

" **ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** "

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن من وظائف الملائكة قبض الأرواح.

٣-أن قبض أرواح الكافرين تكون على صورة مزعجة ومرعبة.



الآيات الواردة في

-٣٦-

سورة الفتح



سورة الفتح

مما له صلة بعالم الملائكة

١٠٥- ولله جنود السموات والأرض

وقد ورد هذا المعنى في الآية (٤) من سورة (الفتح) وتقول الآيات:



وتكرر في الآية (٧) من ذات السورة ونصّها يقول:

" وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا "

قال المفسرون: جنود السماوات هي الملائكة.

أقول: وقد سبق هذا المعنى في الآية (٢٨) من سورة (يس) ونصّها يقول:

" وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ "

وفي الآية (٩) من سورة (الأحزاب) وتقول الآية:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا "

وفـي الآيـة (٤٠) مـن سـورة (الـتـوبـة) وتـقـول الآيـة:

" إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا "

وفـي الآيـة (٣١) مـن سـورة (الـمـدثـر) وتـقـول الآيـة:

"وَمَـا يَـعْـلَـمُ جُـنُـودَ رَبِّـكَ إِلَّا هُـوَ"

التفسير:

يقول العلامة صاحب الظلال (٣٣٠٦/٦) هـذه السورة مدنـيـة، نـزلـت فـي الـسـنـة الـسادسة من الـهـجـرة، عـقـب صـلـح الـحديبية وهـي تتناول هذا الحادث الخطير ومـلابساتـه وتـصور حـال الجـماعة المسلمة وما حولها في إبانة...

" هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِـي قُـلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِـيَـزْدَادُوا إِيـمَـانًـا مـعَ إِيـمَـانِـهِـمْ وَلِلَّهِ جُـنُـودُ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا " والسكينة لفظ معبر مصور ذو ظـلال والـسكـيـنـة حـيـن يـنـزلـهـا الله فـي قـلـب، تـكـون طـمـأنـيـنـة وراحـة، ويـقـيـنـا وثـقـة، ووقـاراً وثـبـاتـا، واسـتـسـلامـا ورضـى.

ولـقـد كـانـت قـلـوب الـمـؤمنين في هذه الواقعة تـجيش بمشاعر شـتـى، وتـفـور بـانـفـعـالات متنوعة. كـان فيها الانتظار والتطلع إلى تـصـديـق رؤيـا رسول الله - صـلـى الله عـليه وسلم - بـدخـول الـمسجـد الـحـرام ثـم مـواجـهـة مـوقـف قريش وقبول الرسول- صلى الله عليه وسلم- للرجـوع عن البيت في هـذا الـعـام، بـعـد الإحـرام، وبـعـد إشـعـار الـهـدي وتـقـلـيـده. كـان هـذا أمـرا شـاقـا عـلـى نـفـوسهـم مـا فـي ذلـك ريـب...

وكـان الـمـؤمنون ضيقي الصـدور بشروط قريش الأخرى، من رد من يسلم ويـأتي مـحـمـدا بـغـيـر إذن ولـيـه...

وحين يسترجع الإنسان هذه الصور يدرك معنى قوله تعالى: " **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ** " ويذوق طعم اللفظ وطعم العبارة، ويتصور الموقف يومئذ ويعيش فيه مع هذه النصوص، ويحس برد السكينة وسلامها في تلك القلوب.ولما كان الله يعلم من قلوب المؤمنين يومئذ، أن ما جاش فيها جاش عن الإيمان، والحمية الإيمانية لا لأنفسهم، ولا لجاهلية فيهم. فقد تفضل عليهم بهذه السكينة.

" **لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ** " والطمأنينة درجة بعد الحمية والحماسة، فيها الثقة التي لا تقلق، وفيها الرضى المطمئن باليقين. ومن ثم يلوّح بأن النصر والغلب لم يكن عسيرا ولا بعيدا، بل كان هينا يسيرا على الله لو اقتضت حكمته يومئذ أن يكون الأمر كما أراده المؤمنون، فإن لله جنودا لا تحصى ولا تغلب، تدرك النصر وتحقق الغلب وقتما يشاء.

" **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** " .. فهي حكمته وهو علمه، تسير الأمور وفقهما كما يريد. ... وقد جمع الله في الآية أعداء الإسلام والمسلمين من شتى الأنواع وبين حالهم عنده وما أعده لهم في النهاية ثم عقب على هذا بما يفيد قدرته وحكمته:

" **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** "



يقول العلامة ابن كثير (٨٩/٤) عِنْدَ قول الله تعالى " **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**" أَيْ: وَلَوْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مَلَكًا وَاحِدًا لَأَبَادَ خَضْرَاءَهُمْ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى شَرَّعَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْجِهَادَ وَالْقِتَالَ، لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَالْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ، وَالْبَرَاهِينِ الدَّامغَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: " **وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** " " **وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ**" أَيْ: يَتَّهِمُونَ اللَّهَ فِي حُكْمِهِ، وَيَظُنُّونَ بِالرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ أَنْ يُقْتَلُوا وَيَذْهَبُوا بِالْكُلِّيَّةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: " **عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ** " أَيْ: أَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ.

" **وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** " ثُمَّ قَالَ مُؤَكِّدًا لِقُدْرَتِهِ عَلَى الِانْتِقَامِ مِنَ الْأَعْدَاءِ –أَعْدَاءِ الإسلام من الكفرة والمنافقين -: " **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** "

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن الملائكة من جنود الله عزوجل يمتثلون أوامره ولا يخالفونها.

٣-أن الملائكة تتمتع بالقوة وهذا ما توحي به كلمة "**جنود**"

يقول صاحب المفردات: (م / جند) يقال للعسكر الجُند اعتباراً بالغلظة من الجَنَدْ أي: الأرض

الغليظة التي فيها حجارة.

الآيات الواردة في

-٣٧-

سورة ق



ق ٢١

مما له صلة بعالم الملائكة

١٠٦-المتلقيان هما الملكان الكاتبان

وقد ورد ذكرهما مع وظيفتهما في الآيات (١٦-١٨) من سورة (ق) وتقول الآيات:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾

قال ابن كثير (١٥٩/٤) المتلقيان: هما الملكان اللذان يكتبان عمل الإنسان.

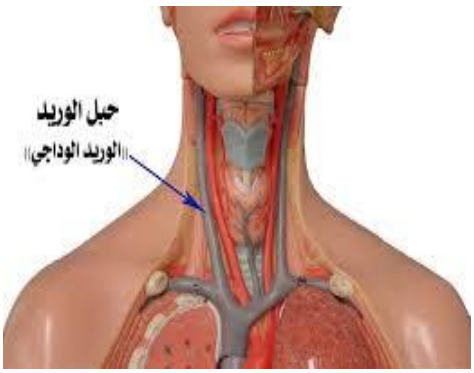
بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً-المفردات:

٣٨٢-**تُوَسْوِسُ:** **قال الزمخشري (٣٨٣/٤)** الوسوسة: الصوت الخفي، ومنها وسواس الحَلِي، ووسوسة النفس: ما يخطر ببال الإنسان ويهجس في ضميره من حديث النفس.

٣٨٣-**حبْلِ الْوَرِيدِ:** -علمياً- الشريان السُّباتيُّ، وهوشريانان رئيسيان أحدهما في الجانب الأيمن من الرقبة، والآخر في الجانب الأيسر وهما شريانان منبثقان عن القوس الأبهر الموجود بجانب الرقبة حتى يزود الدماغ والرأس بالدماء، ويتفرع كل منهما إلى شريانين.



٣٨٤-**إِذْ:** ظرف مرتبط بـ **(أقرب) قال الزمخشري:** وساغ ذلك لأن المعاني تعمل في الظروف متقدمة ومتأخرة.

٣٨٥-**يَتَلَقَّى: قال الزمخشري (٣٨٤/٤)** التلقي: التلقن بالحفظ والكتبة.

٣٨٦-**الْمُتَلَقِّيَانِ:** مثنى متلقي: **قال ابن كثير:** هما الملكان اللذان يكتبان عمل الإنسان.

٣٨٧-**قَعِيدٌ:** أي قاعد كالجليس بمعنى جالس، و**قال ابن كثير (١٥٩/٤)** أي: مُرْصد.

قال الزمخشري (٣٨٥/٤) وتقديره: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه.

٣٨٩-**يَلْفِظُ: قال صاحب المفردات[1]:** اللفظ بالكلام مستعار من لَفَظَ الشيء من الفم، ولَفَظَ الرحى الدقيق.

٣٩٠-**لَدَيْهِ:** عنده.

٣٩١-**رَقِيبٌ: قال صاحب المفردات[2]:** الرقيب: الحافظ، وذلك إما لمراعاته رقبة المحفوظ، وإما لرفعة رقبته.

٣٩٢-**عَتِيدٌ: قال صاحب المفردات[3]:** العتيد: المُعِدُّ والمُعَدُّ.

قال ابن كثير: عند قوله " **إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** " أي: إلا ولها من يراقبها، معدٌّ لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة.

١-انظر " المفردات " م / لفظ.
٢-انظر " المفردات " م / رقب.
٣-انظر " المفردات " م / عتد.

٢ ً-الإعراب:

وَ: استئنافية.

لَقَدْ: اللام واقعة في جواب القسم، **قد:** حرف تحقيق.

خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ: فعل ماض و**نا:** فاعله، و**الإنسان:** مفعول به.

وَ: حالية، **نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ:** مضارع، و**ما:** مفعول وما بعده صلته، والجلمة حالية.

نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ: نحن: مبتدأ، خبره (**أقرب**)، وما بعده متعلق به.

إِذْ: اسم مبني على السكون في محل نصب على الظرفية متعلق بـ (**أقرب**) ويجوز أن تكون مفعولاً به.

يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ: فعل وفاعل.

عَنِ الْيَمِينِ: جار ومجرور متعلقان بخبر مقدره مبتدؤه (**قعيد**)، وما بعده عطف عليه والمعنى: قعيد عن اليمين وقعيد عن الشمال كما قال الزمخشري.

مَا: نافية.

يَلْفِظُ: مضارع، **من:** زائدة، **قول:** مفعول به مجرور لفاظاً منصوب محلاً.

إِلَّا: أداة حصر.

لَدَيْهِ: ظرف متعلق بالخبر المقدم، **رقيب:** مبتدأ، و**عتيد:** صفته.

٣ً-البلاغة:

١- في قوله "**و نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ** " **قال الزمخشري (٣٨٣/٤)** مجاز، **والمراد:** قرب علمه منه، وأنه يتعلق بمعلومه منه، ومن أحواله تعلقاً لا يخفى عليه شيء من خفيانه، فكأن ذاته قريبة منه، كما يقال: الله في كل مكان، وقد جلَّ عن الأمكنة.

٢- في قوله "**حَبْلِ الْوَرِيدِ**" مَثَلٌ في فرط القرب، كقولهم: هو مني مَقْعَدُ القابلةِ ، ومَعْقِدْ الإزار.

أفاده الزمحشري (٤/ ٣٨٤) وأضاف: **والمعنى:**أنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس وما لا شيء أخفى منه، وهو أقرب من الإنسان إلى كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به إيذاناً بأن استحفاظ الملكين أمر هو غني عنه.

٢-المناسبة:

قال ابن كثير (١٥٩/٤) يخبر تعالى عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه، وعلمُهُ محيط بجميع أموره، فلهذه الآيات صلة بقوله فيما سبق " **أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ** "

التفسير:

يقول العلامة ابن كثير (١٥٩/٤) يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ بِأَنَّهُ خَالِقُهُ، وَعَمَلُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ أُمُورِهِ، حَتَّى إِنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نُفُوسُ بَنِي آدَمَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ...

" **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** " يَعْنِي: مَلَائِكَتُهُ تَعَالَى أقربُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَبْلِ وَرِيدِهِ، إِلَيْهِ. وَمَنْ تَأَوَّلَهُ عَلَى الْعِلْمِ فَإِنَّمَا فَرَّ لِئَلَّا يَلْزَمَ حُلُولٌ أَوِ اتِّحَادٌ، وَهُمَا مَنْفِيَّانِ بِالْإِجْمَاعِ، تَعَالَى اللَّهُ وَتَقَدَّسَ، وَلَكِنَّ اللَّفْظَ لَا يَقْتَضِيهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ: وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَإِنَّمَا قَالَ: " **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** " كَمَا قَالَ فِي الْمُحْتَضِرِ: " **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ** " [الْوَاقِعَةِ: ٨٥] يَعْنِي مَلَائِكَتَهُ، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى:

" **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** " [الْحِجْرِ: ٩] ، فَالْمَلَائِكَةُ نَزَلَتْ بِالذِّكْرِ – وَهُوَ الْقُرْآنُ - بِإِذْنِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ. وَكَذَلِكَ، الْمَلَائِكَةُ أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَبْلِ وَرِيدِهِ إِلَيْهِ بِإِقْدَارِ، اللَّهِ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ...

" **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ**" يَعْنِي: الْمَلَكَيْنِ اللَّذَيْنِ يَكْتُبَانِ عَمَلَ الْإِنْسَانِ "**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ** " أَيْ: مُتَرَصِّدٌ.

" **مَا يَلْفِظُ** " أَيِ: ابْنُ آدَمَ " **مِنْ قَوْلٍ** " أَيْ: مَا يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ.

" **إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** " أَيْ: إِلَّا وَلَهَا مَنْ يُرَاقِبُهَا مُعْتَدٍ لِذَلِكَ يَكْتُبُهَا، لَا يَتْرُكُ كَلِمَةً وَلَا حَرَكَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: " **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** " [الِانْفِطَارِ: ١٠ –١٢] .

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ يَكْتُبُ الْمَلَكُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ؟ وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وقَتَادَةَ، أَوْ إِنَّمَا يَكْتُبُ مَا فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ كَمَا **هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ**، عَلَى قَوْلَيْنِ، وَظَاهِرُ الْآيَةِ الْأَوَّلُ، لِعُمُومِ قَوْلِهِ: " **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** "...

وَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: صَاحِبُ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْخَيْرَ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى صَاحِبِ الشِّمَالِ، فَإِنْ أَصَابَ الْعَبْدُ خَطِيئَةً قَالَ لَهُ: أَمْسِكْ، فَإِنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ تَعَالَى نَهَاهُ أَنْ يَكْتُبَهَا، وَإِنْ أَبَى كَتَبَهَا...

ونقل ابن كثير عن الحسن قوله – وماأحسنه من حسن- **يا ابن آدَمَ، بُسطت لَكَ صَحِيفَةٌ، وَوَكَلَ بِكَ مَلَكَانِ كَرِيمَانِ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِكَ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِكَ، فَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَمِينِكَ فَيَحْفَظُ حَسَنَاتِكَ، وَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَسَارِكَ فَيَحْفَظُ سَيِّئَاتِكَ فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ، أَقْلِلْ أَوْ أَكْثِرْ حَتَّى إِذَا مِتَّ طُوِيَتْ صَحِيفَتُكَ، وَجُعِلَتْ فِي عُنُقِكَ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ، حَتَّى تَخْرُجَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: " وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا "** [الإسْرَاءِ: ١٣، ١٤]

ثُمَّ يَقُولُ: عَدَلَ – وَاللَّهِ - فِيكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ.

ونقل عن ابن عباس قوله: يَكْتُبُ كُلَّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَكْتُبُ قَوْلَهُ: " أَكَلْتُ، شَرِبْتُ، ذَهَبْتُ، جِئْتُ، "رَأَيْتُ"، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ عَرَضَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، فَأَقَرَّ مِنْهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَأَلْقَى سَائِرَهُ، وَذَلِكَ قَوْلِهِ:" **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ "**

وَذُكِرَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ كَانَ يَئِنُّ فِي مَرَضِهِ، فَبَلَغَهُ عَنْ طَاوُسٍ أَنَّهُ قَالَ: يَكْتُبُ الْمَلَكُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْأَنِينَ. فَلَمْ يَئِنَّ أَحْمَدُ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ويقول صاحب الظلال (٣٣٦٣/٦) إن ابتداء الآية: " **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ** " .. يشير إلى المقتضى الضمني للعبارة. فصانع الآلة أدرى بتركيبها وأسرارها. وهو ليس بخالقها لأنه لم ينشئ مادتها، ولم يزد على تشكيلها وتركيبها. فكيف بالمنشئ الموجد الخالق؟...

" **وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ** "... وهكذا يجد الإنسان نفسه مكشوفة لا يحجبها ستر، وكل ما فيها من وساوس خافتة وخافية معلوم لله...

" **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** " .. الوريد الذي يجري فيه دمه.

وهو تعبير يمثل ويصور القبضة المالكة، والرقابة المباشرة... ولكن القرآن يستطرد في إحكام الرقابة. فإذا الإنسان يعيش ويتحرك وينام ويأكل ويشرب ويتحدث ويصمت ويقطع الرحلة كلها بين ملكين موكلين به، عن اليمين وعن الشمال، يتلقيان منه كل كلمة وكل حركة ويسجلانها فور وقوعها: " **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ. ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** " أي رقيب حاضر، لا كما يتبادر إلى الأذهان أن اسمي الملكين رقيب، وعتيد! ونحن لا ندري كيف يسجلان. ولا داعي للتخيلات التي لا تقوم على أساس. فموقفنا بإزاء هذه الغيبيات أن نتلقاها كما هي، ونؤمن بمدلولها دون البحث في كيفيتها، التي لا تفيدنا معرفتها

في شيء. فضلا على أنها غير داخلة في حدود تجاربنا ولا معارفنا البشرية. ولقد عرفنا نحن- في حدود علمنا البشري الظاهر- وسائل للتسجيل لم تكن تخطر لأجدادنا على بال.وهي تسجل الحركة والنبرة كالأشرطة الناطقة وأشرطة السينما وأشرطة التليفزيون. وهذا كله في محيطنا نحن البشر. فلا داعي من باب أولى أن نقيد الملائكة بطريقة تسجيل معينة مستمدة من تصوراتنا البشرية المحدودة، البعيدة نهائيا عن ذلك العالم المجهول لنا... وحسبنا أن نعيش في ظلال هذه الحقيقة المصورة، وأن نستشعر ونحن نهم بأية حركة وبأية كلمة أن عن يميننا وعن شمالنا من يسجل علينا الكلمة والحركة لتكون في سجل حسابنا، بين يدي الله الذي لا يضيع عنده فتيل ولا قطمير.

وساق قصة أحمد وعلق قائلاً: وهكذا كان أولئك الرجال يتلقون هذه الحقيقة فيعيشون بها في يقين.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-إثبات وجود الملكين الكاتبين، ووظيفتهما تسجيل أعمال العباد، وتفصيل هذه المهمة في كتابنا عالم الملائكة الأطهار وهو الجزء الرابع من موسوعة الملائكة.

يقول الزمخشري (٣٨٤/٤) وإنما ذلك لحكمة اقتضت ذلك: وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما، وعرض صحائف العمل يوم يقوم الأشهاد، وعلم العبد بذلك مع علمه بإحاطة الله بعمله: من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات.

٣-أن الملائكة تؤدي وظائفها على وجه التمام والكمال **"مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ"**.



١٠٧-من وظائف ملائكة يوم القيامة
السائق و الشهيد

وهذان الملكان اسمهما ووظيفتهما في الآية (٢١) من سورة (ق)
وتقول الآية:



قال ابن كثير: السائق: الملك الذي يسوقه إلى المحشر.
قال ابن كثير: الشهيد: الملك الذي يشهد عليه بأعماله.

المناسبة:
لما تحدثت الآيات عن الموت ثم البعث بالنفخ بالصور ناسب ذكر الحشر وأنه يكون مع كل نفس ملكان اثنان.

التفسير:
قال العلامة ابن كثير (١٦٣/٤) " وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ " أَيْ: مَلَكٌ يَسُوقُهُ إِلَى الْمَحْشَرِ، وَمَلَكٌ يَشْهَدُ عَلَيْهِ بِأَعْمَالِهِ. هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ. وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ، و رُوِى ابن جرير بسنده إلى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أنه قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: " **وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ** "، ثم قَالَ: **سَائِقٌ** يَسُوقُهَا إِلَى اللَّهِ، **وَشَاهِدٌ** يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِمَا عَمِلَتْ.

ويقول صاحب الظلال (٣٣٦٤/٦) جاءت كل نفس فهي التي تحاسب وهي التي تتلقى الجزاء ومعها سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها.

وقد يكونان هما الكاتبان الحافظان لها في الدنيا.

وقد يكونان غيرهما. والأول أرجح.

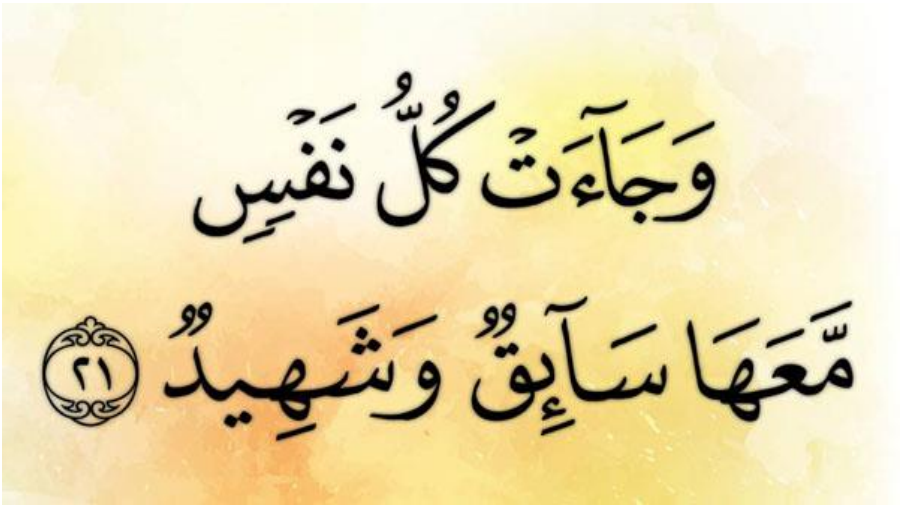
وهو مشهد أشبه شيء بالسوق إلى المحاكمة ولكن بين يدي الجبار.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن من وظائف الملائكة يوم القيامة السوق والشهادة.

٣-في هذه الآية الدلالة على الكثرة الهائلة لأعداد الملائكة وهي تفوق أعداد الإنس والجن مجتمعين.



١٠٨-القرين الملكي

وهو المذكور في الآية (٢٣) من سورة (ق) وتقول الآية:



اختلف المفسرون في القرين على أقوال:

١-أنه **الملك السائق** قاله مجاهد ونقله عنه ابن كثير (١٦٣/٤).

٢-أنه **الملك الموكل بعمل ابن آدم أنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل** ويقول: **"هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ" (١٦٣/٤)**

٣-القرين **يشمل السائق والحافظ معاً** وزعم **ابن كثير أن ابن جرير اختاره وقوّاه ابن كثير (١٦٣/٤)** .

٤-ملك غير كل من ذكر **قاله قتادة**.

أقول: هذه الأقوال وإن اختلفت فيما بينها فإنها تلتقي على أن القرين في هذه الآية هو من الملائكة.

وثمة **قول آخر ذكره الزمخشري (٣٨٦/٤) والرازي (١٣٦/٢٨)** وهو أن المراد بالقرين هنا الشيطان .

يقول الرازي: وفي القرين وجهان:

أحدهما: الشيطان الذي زين الكفر له والعصيان...

واستدل له بآيات منها " **نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانا فَهوَ لَهُ قَرِينٌ** " [الزخرف/٣٦] فالإشارة بهذا المسوقِ إلى مرتكب الفجور والفسوق، والعتيد: معناه المعد للنار، وجملة الآية معناها أن الشيطان يقول: هذا العاصي شيء هوعندي معد لجهنم اعددته بالإغواء والإضلال.

الثاني: وقال قرينه: أي العتيد الشهيد الذي سبق ذكره وهو الملك، وهذا إشارة إلى كتاب أعماله وذلك لأن الشيطان في ذلك الوقت لا يكون من المكانة أن يقول ذلك القول.

أقول: فالأرجح إذاً –**وإليه يميل الرازي-** أن القرين في هذه الآية هو من الملائكة وإن حصل اختلاف في تحديد من هو ذاك الملك.

المناسبة:

إذا كان المراد بالقرين السائق أو الشهيد أو هما معاً فالمناسبة واضحة، وإن كان ملك غيرهما فالمناسبة أيضاً واضحة لأنها تصور مشهداً جديداً من مشاهد يوم القيامة.

التفسير:

قال ابن كثير (١٦٣/٤) يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمَلَكِ الْمُوَكَّلِ بِعَمَلِ ابْنِ آدَمَ: أَنَّهُ يَشْهَدُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا فَعَلَ وَيَقُولُ: " **هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ** " أَيْ: مُعْتَدٍ مُحْضَرٌ بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هَذَا كَلَامُ الْمَلَكِ السَّائِقِ يَقُولُ: هَذَا ابْنُ آدَمَ الَّذِي وَكَّلْتَنِي بِهِ، قَدْ أَحْضَرْتُهُ.

وَقَدِ اخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنْ يَعُمَّ السَّائِقَ وَالشَّهِيدَ، وَلَهُ اتِّجَاهٌ وَقُوَّةٌ.

وقال صاحب الظلال (٦/٣٣٦٤) والأرجح أنه الشهيد الذي يحمل سجل حياته: " **وَقالَ قَرِينُهُ هذا ما لَدَيَّ عَتِيدٌ** " حاضر مهيأ معد. لا يحتاج إلى تهيئة أو إعداد!

ولا يذكر السياق شيئا عن مراجعة هذا السجل تعجيلا بتوقيع الحكم وتنفيذه. إنما يذكر مباشرة النطق العلوي الكريم، للملكين الحافظين: السائق والشهيد: " **أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. مَنّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ** "

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.
٢- أن من الملائكة الملك القرين.
٣- في الآية دلالة على عدد الملائكة الهائل.

١٠٩-يوم ينادي المنادي

وهذا وارد في الآيات (٤١-٤٢) من سورة (ق) وتقول الآيات:



ولعلماء التفسير آراء في تحديد شخصية المنادي:

١-أنه **إسرافيل** ذكره **الزمخشري (٣٩٣/٤)** ويشهد له السياق وهو الراجح عندي.

٢-أنه ملك ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء **ذكره ابن جرير (٣٨٢/٢٢) وابن كثير (١٧٢/٤)** ولم يذكرا غيره.

٣-وقيل في تحديده غير ذلك **انظر الرازي (١٥٥/٢٨)**.

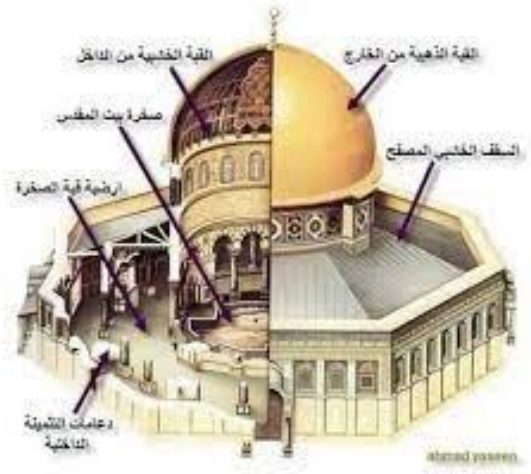
المناسبة:

يقول العلامة الرازي (١٥٤/٢٨) هذه إشارة إلى بيان غاية التسبيح، يعني: اشتغلْ بتنزيه الله، وانتظرِ المنادي كقوله تعالى " **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** "

التفسير:

يقول العلامة ابن جرير (٣٨٢/٢٢) بعد أن ساق الآيتين: **يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: واستمع يا محمد صيحة يوم القيامة، يوم ينادي بها منادينا من موضع قريب.**

وذُكر أنه ينادي بها من صخرة بيت المقدس...



روى كعب قال: مَلك قائم على صخرة بيت المقدس ينادي: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة؛ إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

" يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ " يقول تعالى ذكره: يوم يسمع الخلائق صيحة البعث من القبور بالحق، يعني بالأمر بالإجابة لله إلى موقف الحساب. وقوله **" ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ "** يقول تعالى ذكره. يوم خروج أهل القبور من قبورهم.

يقول العلامة الزمخشري (٣٩٣/٤) وَاسْتَمِعْ يعنى واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة.

وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدّث عنه... فإن قلت: بم انتصب اليوم؟ قلت: بما دل عليه ذلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ أى: يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور. ويوم يسمعون: بدل من يَوْمَ يُنَادِ والْمُنَادِ إسرافيل ينفخ في الصور وينادى: أيتها العظام البالية... مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ من صخرة بيت المقدس.

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة على تفسير المنادي بأنه إسرافيل وهو الراجح أو ملك سواه.

٢- من وظائف المنادي (إسرافيل) النفخ في الصور والحديث هنا عن النفخة الثانية.

الآيات الواردة في

-٣٨-

سورة الذاريات



الذاريات

مما له صلة بعالم الملائكة

١١٠- الله يُقْسِم بالملائكة
المُقسِّمات أَمْراً

وقد جاء هذا القسم ضمن طائفة من الأشياء التي أقسم الله بها في الآيات (١-٥) من سورة (الذاريات) وتقول الآيات:



قال ابن كثير (١٧٤/٤) وَثَبَتَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، **عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ:** أَنَّهُ صَعِدَ مِنْبَرَ الْكُوفَةِ فَقَالَ: لَا تَسْأَلُونِي عَنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا عَنْ سُنَّةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِذَلِكَ. فَقَامَ إِلَيْهِ ابْنُ الْكَوَّاءِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: " وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا " ؟ قَالَ: الرِّيحُ.

قَالَ: " فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا " ؟ قَالَ: السَّحَابُ.

قَالَ: " فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا " ؟ قَالَ: السُّفُنُ.





قَالَ: " فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا " ؟ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ.

روى البزار بسنده إلى سعيد بن المسيب قال: قَالَ: جَاءَ صَبِيغ التَّمِيمِيُّ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرْنِي عَنِ " الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا "؟ فَقَالَ: هِيَ الرِّيَاحُ، وَلَوْلَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ مَا قُلْتُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرنِي عَنِ " الْحَامِلاتِ وِقْرًا" قَالَ: هِيَ السَّحاب، وَلَوْلَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ مَا قُلْتُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ " الْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا " قَالَ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ، ولولا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ مَا قُلْتُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ " الْجَارِيَاتِ يُسْرًا " قَالَ: هِيَ السُّفُنُ، وَلَوْلَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ مَا قُلْتُهُ.

قال ابن كثير (١٧٥/٤) وهكذا فسرها ابن عباس، وابن عمرومجاهد، وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم غير ذلك.

التفسير:

يقول العلامة صاحب الظلال (٣٣٧٥/٩) أقسم بالله: أقسم الله – سبحانه - بالرياح التي تذرو ما تذروه من غبار وحبوب لقاح وسحب وغيرها مما يعلم الإنسان وما يجهل. وبالسحاب الحاملات وقرا من الماء يسوقها الله به إلى حيث يشاء. وبالسفن الجاريات في يسر على سطح الماء بقدرته وبما أودع الماء وأودع السفن وأودع الكون كله من خصائص تسمح بهذا الجريان اليسير. ثم بالملائكة المقسمات أمرا، تحمل أوامر الله وتوزعها وفق مشيئته، فتفصل في الشؤون المختصة بها، وتقسم الأمور في الكون

بحسبها. ... وهو يقسم بها- سبحانه- للتعظيم من شأنها، وتوجيه القلوب إليها، لتدبر ما وراءها من دلالة ولرؤية يد الله وهي تنشئها وتصرفها وتحقق بها قدر الله المرسوم. يقسم الله- سبحانه – بهذه الخلائق الأربع على: **"إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ، وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ "**

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.
٢- أن من وظائف الملائكة التنزل بأوامر الله الشرعية والكونية وهذا معنى **"الْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا"**

١١١- الملائكة وإبراهيم
بشارة بغلام عليم و وإهلاك للقوم الشاذين

وقد ورد هذان المشهدان في الآيات (٢٤-٢٧) من سورة (الذاريات) وتقول الآيات:


هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ
سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ
فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا
إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾
فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

هذا وقد تقدم هذان المشهدان غير مرة، وحسبنا هنا بيان المناسبة، وأما التفسير والاستنباط فقد سبقا غير مرة.

المناسبة:

يقول العلامة الرازي (١٧٣/٣٨) إشارة إلى تسلية قلب النبي ببيان أن غيره من الأنبياء كان مثله، واختار إبراهيم لكونه شيخ المرسلين ولكون النبي على سنته في بعض الأشياء، وإنذار لقومه بما جرى من الضيف ومن إنزال الحجارة على المذنبين المضلين.

الآيات الواردة في

-٣٩-

سورة الطور



الطور

مما له صلة بعالم الملائكة

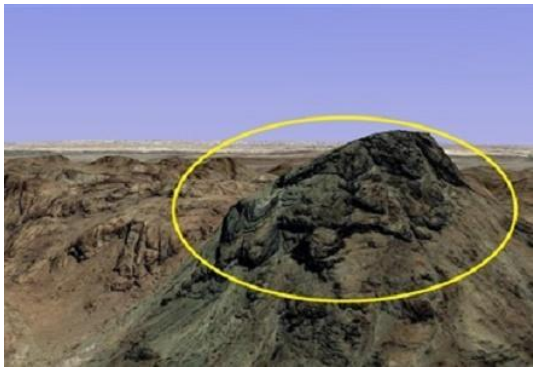
١١٢-مُصلَّى الملائكة
في
البيت المعمور

وهو وارد ضمن هذا المقطع المتكامل من الآية (١) حتى الآية (٨) من سورة (الطور) وتقول الآيات:



روى الإمام البخاري في صحيحه عن أنسِ بن مالك، عن مالك بن صَعْصَعة حديث الإسراء الطويل ومما جاء فيه... فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يومٍ سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم...

التفسير:



يقول صاحب الظلال (١٨٩/٤): "
وَالطُّورِ": الجبل فيه شجر.

والأرجح أن المقصود به هو الطور المعروف في القرآن، المذكور في قصة موسى- عليه السلام- والذي نزلت فوقه الألواح. فالجو جو مقدسات يقسم بها الله سبحانه على الأمر العظيم الذي سيجيء.

" **وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ، فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ** ". الأقرب أن يكون هو كتاب موسى الذي كتب له في الألواح للمناسبة بينه وبين الطور. وقيل. هو اللوح المحفوظ. تمشيا مع ما بعده...

" **وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ** ":... الأرجح أن يكون بيت عبادة الملائكة في السماء لما ورد في الصحيحين وساق الحديث.

" **وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ** ": السماء...

" **وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ** ": المملوء. وهو أنسب شيء يذكر مع السماء في مشهد. في انفساحه وامتلائه وامتداده. وهو آية فيها رهبة ولها روعة. تؤهلانه للذكر مع هذه المشاهد المقسم بها على الأمر العظيم. وقد يكون معنى المسجور المتقد...

يقسم الله سبحانه بهذه الخلائق العظيمة على أمر عظيم. بعد أن يتهيأ الحس بهذه الإيقاعات لاستقبال ذلك الأمر العظيم:" **إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ، ما لَهُ مِنْ دافِعٍ** "

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢- أعداد الملائكة الهائلة جداً فإذا كان في كل يوم يدخل البيت المعمور سبعون ألفاً ثم لا يعودون أبداً وهذا منذ وجد البيت المعمور والملائكة، فكم هو عدد الملائكة إذاً.

٣- أنَّ من عبادة الملائكة الصلاة، وأما كيفيتها وأوقاتها فهو مما طوي عنا فنكل علمه إلى الله.

٤- أن البيت المعمور هو مصلى الملائكة.

الآيات الواردة في

-٤٠-
سورة النجم



مما له صلة بعالم الملائكة

١١٣-جـبـريـل
بعض من صفاته القدسية ورؤية الرسول له على صورته الملكية.

وهذه الصفات وتلك اللقاءات حوتها الآيات (٥-١٨) من سورة (النجم) وتقول الآيات:

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ
قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا
يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ
مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

٢ً-المفردات:

٣٩٣-**عَلَّمَهُ:** الضمير المنصوب يعود على **(صاحبكم)** والمقصود إن الذي عَلَّمَ صاحبكم الذي تعرفونه جيداً –أي محمداً- مَلَكٌ شديد القوى، ذو مرّة، وهو جبريل عليه السلام.

قال صاحب المفردات[1]: علمه شديد القوى: يعني جبريل عليه السلام علّم محمداً.

١-انظر (المفردات) م / علم.

٣٩٤-**شَدِيدُ: قال صاحب المقاييس[1]:** شدَّ أصل يدل على قوة في الشيء، وفروعُه ترجع إليه.

وأضاف **صاحب المفردات[2]:** والشدة تستعمل في العقد، وفي البدن، وفي قوى النفس، وفي العذاب ١هـ

٣٩٥-**الْقُوَى: قال صاحب المقاييس[3]:** ورجل شديد القوى شديد: أسر (بناء) الخلق.

وقد وازن **صاحب المفردات[4]** بين هذه الآية وبين قوله تعالى " **ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ**.." موازنة رائعة فقال: وقوله " **ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ**" يعني به جبريل ووصفه بالقوة عند ذي العرش وأفرد اللفظ ونكّره تنبيهاً أنّه إذا اعتبر بالملأ الأعلى فقوته إلى حد ما، وقوله " **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**" بلفظ الجمع والتعريف تنبيهاً إلى أنه إذا اعتبر بهذا العالم، وبالذين يعلمهم ويفيدهم فهو كثير القوى عظيم القدرة ١هـ

وما أحسنه من كلام.

٣٩٦-**ذُو:** بمعنى صاحب وهي من الأسماء الستة التي تنوب فيها الحروف عن الحركات ولا تكون إلا مضافة.

٣٩٧-**مِرَّةٍ: قال صاحب المفردات[5]:** فلان ذو مرة كأنه محكم الفتل، وساق الآية.

١-انظر (المفردات) م / شد.
٢-انظر (المقاييس) م / شد.
٣-انظر (المقاييس) م / قوى.
٤-انظر (المفردات) م / قوى.
٥-انظر (المفردات) م / مر.

وذكر ابن كثير (٤/٢٠٥) قولين:

١-**ذو مرة:** ذو قوة ونسبه إلى مجاهد والحسن وابن زيد.

٢-**ذو مرة:** ذو منظر حسن ونسبه إلى ابن عباس.

ثم قال: ولا منافاة بين القولين، فإنه ذو منظر حسن وقوة شديدة.

أقول: والرأي الأول أقرب للغة، ولا تكرار مع ما سبقه فـ (**ذو مرة**) إشارة إلى الجسد. و (**شديد القوى**) إشارة إلى قوته.

٣٩٨-**اسْتَوَى: قال صاحب المفردات[1]:** واستوى يقال على وجهين.

أحدهما: يسند إليه فاعلان فصاعداً نحو: استوى زيد وعَمْرو في كذا أي:تساويا وقال:" **لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ** "

والثاني: أن يقال لاعتدال الشيء في ذاته نحو:" **ذومرّة فاستوى**".

٣٩٩-**بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى: قال ابن كثير(٤/٢٠٥)** والأفق الاعلى الذي يأتي منه الصُّبحُ، ونقله عن عكرمة.

وقال مجاهد: هو مطلع الشمس.

٤٠٠-**دَنَا: قال صاحب المقاييس[2]:** الدنوّ: القرب بالذّات أو بالحكم.

٤٠١-**تَدَلَّى: قال صاحب المفردات[3]:** التدلي: الدنو والإسترسال، وساق الآية.

٤٠٢-**قَابَ: قال صاحب المفردات[4]: القاب: ما بين المقبض والسّية من القوس** وساق الآية.

١-انظر (المفردات) م / سوى.
٢-انظر (المقاييس) م / دنا.
٣-انظر (المفردات) م / دلو.
٤-انظر (المفردات) م / قاب.



قال ابن كثير(٤/٢٠٨) فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد قاب قوسين أي: بقدرهما إذا مُدّاً، وقيل: إن المراد بذلك بعد ما بين وتر القوس إلى كبدها.

٤٠٣-**أَدْنَى: قال ابن كثير (٤/٢٠٨)** هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه، ونفي ما زاد عليه.

٤٠٤-**أَفَتُمَارُونَهُ: قال صاحب المقاييس[1]:** مري أصلان والآخر:المَرْوْ، جمع مروة وهي حجارة تبرق... وعندنا ان المراء مما يتمارى فيه الرجلان من هذا لأنه كلام فيه بعض الشدّة

٤٠٥-**نَزْلَةً ُخْرَى:** مرة ثانية.

٤٠٦-**سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى:** جاء تفسيرها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى به تفسيراً، **روى الإمام أحمد –بإسناد صحيح- عن عبد الله قال: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة، وإليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها.**

٢-المناسبة والتفسير:

لهذا المقطع اتصال بما قبله وبأجواء السورة بشكل عام فلذا سنورد ما قاله **العلامة صاحب الظلال** حيث اعطى التصور الصحيح لهذه السورة يقول (٦/٣٢٥) وموضوع السورة الذي تعالجه هو موضوع السور المكية على الإطلاق: العقيدة بموضوعاتها الرئيسية: الوحي والوحدانية والآخرة.

١-انظر (المقاييس) م / مرو.

والسورة تتناول الموضوع من زاوية معينة تتجه إلى بيان صدق الوحي بهذه العقيدة ووثاقته...

والمقطع الأول من السورة (١-١٨) يستهدف بيان حقيقة الوحي وطبيعته، ويصف مشهدين من مشاهده، ويثبت صحته وواقعيته في ظل هذين المشهدين ويؤكد تلقي الرسول- صلى الله عليه وسلم- عن جبريل- عليه السلام- تلقي رؤية وتمكن ودقة، واطلاعه على آيات ربه الكبرى.

ويبدأ الوصف الموحي بقسم من الله سبحانه

" **وَالنَّجْمِ إِذا هَوى**".. وحركة تلألؤ النجم ثم هويه ودنوه.أشبه بمشهد جبريل المقسم عليه: " **وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى. ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى. فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى. فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى**"...

وقد رويت تفسيرات مختلفة للنجم المقصود في هذا القسم. وأقرب ما يرد على الذهن أنها إشارة إلى الشعرى، التي كان بعضهم يعبدها...

ولمعنى آخر هو الإيحاء بأن النجم مهما يكن عظيما هائلا فإنه يهوي ويتغير مقامه. فلا يليق أن يكون معبودا. فللمعبود الثبات والارتفاع والدوام. **ذلك هو القسم.**

فأما المقسم عليه: فهو أمر النبي- صلى الله عليه وسلم- مع الوحي الذي يحدثهم عنه: " **ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى. وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى** " .. فصاحبكم راشد غير ضال. مهتد غير غاو. مخلص غير مغرض. مبلغ بالحق عن الحق غير واهم ولا مفتر ولا مبتدع. ولا ناطق عن الهوى فيما يبلغكم من الرسالة. إن هو إلا وحي يوحى. وهو يبلغكم ما يوحى إليه صادقا أمينا.هذا الوحي معروف حامله. مستيقن طريقه. مشهودة رحلته. رآه الرسول- صلى الله عليه

وسلم- رأي العين والقلب، فلم يكن واهما ولا مخدوعا.

" عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى. وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى. ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى. فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى. فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى. ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى. أَفَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى؟ " .. والشديد القوي ذو المرة «أي القوة» ،هو جبريل- عليه السلام- وهو الذي علم صاحبكم ما بلغه إليكم.وهذا هو الطريق، وهذه هي الرحلة، مشهودة بدقائقها: استوى وهو بالأفق الأعلى. حيث رآه محمد- صلى الله عليه وسلم – وكان ذلك في مبدأ الوحي. حين رآه على صورته التي خلقه الله عليها، يسد الأفق بخلقه الهائل. ثم دنا منه فتدلى نازلا مقتربا إليه. فكان أقرب ما يكون منه. على بعد ما بين القوسين أو أدنى- وهو تعبير عن منتهى القرب- فأوحى إلى عبد الله ما أوحى. بهذا الإجمال والتفخيم والتهويل. فهي رؤية عن قرب بعد الترائي عن بعد. وهو وحي وتعليم ومشاهدة وتيقن. وهي حال لا يتأتى معها كذب في الرؤية، ولا تحتمل مماراة أو مجادلة.

" ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى. أَفَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى؟ " .. ورؤية الفؤاد أصدق وأثبت، لأنها تنفي خداع النظر. فلقد رأى فتثبت فاستيقن فؤاده أنه الملك، حامل الوحي، رسول ربه إليه، ليعلمه ويكلفه تبليغ ما يعلم. وانتهى المراء والجدال، فما عاد لهما مكان بعد تثبت القلب ويقين الفؤاد.

وليست هذه هي المرة الوحيدة التي رآه فيها على صورته. فقد تكررت مرة أخرى.

" وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى. عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى. ما زاغَ الْبَصَرُ وَما طَغى. لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى " .

وكان ذلك في ليلة الإسراء والمعراج - على الراجح من الروايات - فقد دنا منه – وهو على هيئته التي خلقه الله بها مرة أخرى " **عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى** " .. والسدرة كما يعرف من اللفظ شجرة. فأما أنها سدرة المنتهى. فقد يعني هذا أنها التي ينتهي إليها المطاف. فجنة المأوى عندها...

" **إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى** " ..الأمر إذن- أمر الوحي- أمر عيان مشهود. ورؤية محققة. ويقين جازم. واتصال مباشر. ومعرفة مؤكدة. وصحبة محسوسة. ورحلة واقعية. بكل تفصيلاتها ومراجعها.. وعلى هذا اليقين تقوم دعوة « **صاحِبُكُمْ** » الذي تنكرون عليه وتكذبونه وتشككون في صدق الوحي إليه. وهو صاحبكم الذي عرفتموه وخبرتموه. وما هو بغريب عنكم فتجهلوه. وربه يصدقه ويقسم على صدقه. ويقص عليكم كيف أوحى إليه. وفي أي الظروف.وعلى يد من وكيف لاقاه. وأين رآه! ذلك هو الأمر المستيقن، الذي يدعوهم إليه محمد- صلى الله عليه وسلم.

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.
٢- أن من صفات جبريل أنه شديد القوى وأنه ذو مُرة.
٣- إثبات اللقاء الذي رأى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته الملكية وقد حدث هذا مرتين:

١ً-**الأولى**: وحدثت في مطلع البعثة وإليها الإشارة بقوله تعالى:

" فَاسْتَوَى، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى "



أبطح في منطقة جبلية (الحجاز).

قال العلامة ابن كثير (٢٠٦/٤) كَانَتْ هَذِهِ الرُّؤْيَةُ الْأُولَى فِي أَوَائِلِ الْبَعْثَةِ بَعْدَ مَا جَاءَهُ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ صَدْرَ سُورَةِ " **اقْرَأْ** "، ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ... حَتَّى تَبَدّى لَهُ جِبْرِيلُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَبْطَحِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ قَدْ سَدَّ عُظْم خَلْقِهِ الْأُفُقَ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ وَأَوْحَى إِلَيْهِ عَنِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، مَا أَمَرَهُ بِهِ، فَعَرَفَ عِنْدَ ذَلِكَ عَظَمَةَ المَلَك الَّذِي جَاءَهُ بِالرِّسَالَةِ وَجَلَالَةَ قَدْره، وَعُلُوَّ مَكَانَتِهِ عِنْدَ خَالِقِهِ الَّذِي بَعَثَهُ إِلَيْهِ.

٢ً-**الثانية** وحدثت ليلة الإسراء وإليها الإشارة بقوله تعالى

" **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى** ".

١١٤-للملائكة شفاعتها ولكن بإذن الله

وهذا المعنى في الآية (٢٦) من سورة (النجم) وتقول الآية:



المناسبة:

يقول العلامة ابن جرير (٢٢/ ٥٢٩) وإنما هذا توبيخ من الله ذكره لعبدة الأوثان، والملأ من قريش وغيرهم كانوا يقولون **" ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى لله زلفى"** فقال الله جلَّ ذكره لهم: ما تنفع شفاعة ملائكتي الذين هم عندي لمن شفعوا له إلا من بعد إذني لهم بالشفاعة له، ورضاي فكيف بشفاعة من دونهم؟ فأعلمهم أن شفاعة ما يعبدون من دون الله غير نافعتهم.

التفسير:

قال العلامة ابن جرير(٢٢/٥٢٩) بعد أن ساق الآية: يقول تعالى ذكره: كثير من ملائكة الله لا تنفع شفاعتهم عند الله لمن شفعوا له شيئاً إلا أن يشفعوا له من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة لمن يشاء منهم أن يشفعوا له ويرضى... فتنفعه حينئذٍ شفاعتهم.

ويقول العلامة ابن كثير(٤/٢٢٠) إذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله؟ وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن للملائكة شفاعتها ولكن بعد إذن الله وهذا عام في كل شافع في حق كل مشفوع وسيأتي تفصيل لهذا في كتابنا **الملائكة في السنة النبوية** إن شاء الله.

١١٥-الملائكة ليست إناثاً

وهذا ما صرحت به الآيات (٢٧-٢٨) من سورة (النجم) وتقول الآيات:



وبما أن هذا المعنى قد تكرر وسيأتي وهو موضوع آيات كثيرة سجلت العقيدة الزائفة التي كان عليها أهل الجاهلية في حق الملائكة الأطهار الأبرار فحسبنا هنا بيان المناسبة وإيراد التفسير:

المناسبة:

يقول صاحب الظلال (٣٤٠٩/١) بعد سرد الآيات (٢٧-٢٨) وهذا التعقيب الأخير يوحي بعلاقة اللات والعزى ومناة بأسطورة أنوثة الملائكة، ونسبتهم إلى الله سبحانه وتعالى، وهي أسطورة واهية لا يتبعون فيها إلا الظن، فليس لهم من وسيلة لأن يعلموا شيئاً مستيقناً عن طبيعة الملائكة.

التفسير:

يقول العلامة ابن جرير (٢٢/٥٣٠) يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يصدّقون بالبعث في الدار الآخرة، وذلك يوم القيامة ليسمُّونَ ملائكة الله تسمية الإناث، وذلك أنهم كانوا يقولون: هم بنات الله.

" **وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ** " يقول تعالى: وما لهم في ما يقولون من تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى من حقيقة علم.

" **إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ** " يقول: ما يتبعون في ذلك إلا الظنّ، يعني أنهم إنما يقولون ذلك ظنا بغير علم.

وقوله " **وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** " يقول: وإن الظنّ لا ينفع من الحق شيئا فيقوم مقامه.



الآيات الواردة في

-٤١-
سورة القمر



مما له صلة بعالم الملائكة

١١٦- قوم لوط يراودون لوطاً عن ضيوفه الملكيين

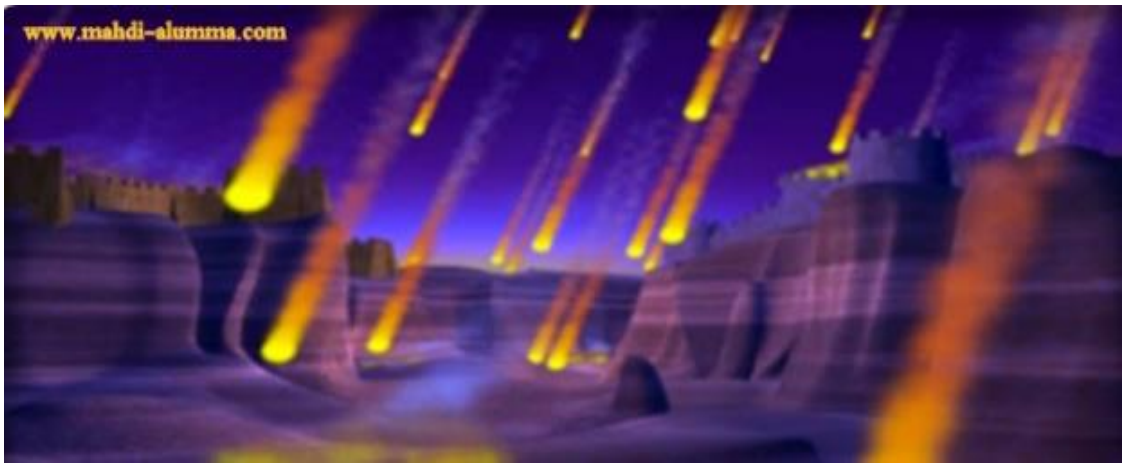
وهذا المشهد جاء ضمن القصة التي قصتها سورة (القمر) من (٣٣-٣٨) وتقول الآيات:

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾
نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾
وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً
عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾

قال العلامة ابن كثير (٢٤١/٤) عند قوله **"ولقد راوده عن ضيفه "**

وذلك ليلة وَرَدَ عليه الملائكة: جبريل وميكائيل وإسرافيل في صورة شباب مُرد حسان محنة من الله بهم...

فأقبل قوم لوط يهرعون إليه من كل مكان يطلبون منه أن يسلم ضيوفهم لهم ليفجروا بهم!.



الآيات الواردة في

-٤٢-

سورة الواقعة



الواقعة

مما له صلة بعالم الملائكة

١١٧- الملائكة هم المظهرون

وقد ورد هذا الوصف للملائكة ضمن الآيات (٧٥ – ٨٠) من سورة (الواقعة) وتقول الآيات:



يقول ابن جرير (١٥١/٢٣) واختلفوا بالذين عنوا بقوله "إلا المطهرون" وذكر أقوالاً أبرزها:

١- أن المراد بهم الملائكة وعزا هذا القول إلى ابن عباس وابن جُبير وعكرمة ومجاهد وأبي العالية.

٢- أن المراد بهم الذين قد طهروا من الذنوب كالملائكة والرسل وعزاه إلى ابن زيد.



ثم قال: **والصواب من القول من ذلك عندنا** أن الله جل ثناؤه أخبر أنه لا يمس الكتاب المكنون إلاّ المطهرون فعمَّ بخبره المطهرين، ولم يخصص بعضاً دون بعض، فالملائكة من المطهرين، والرسل والأنبياء من المطهرين، وكل من كان مطهراً من الذنوب، فهو ممن استثنى وعني بقوله " **إلا المطهرون** "

وقال ابن كثير (٣٠٣/٤) عند قول الله " **إلا المطهرون** " يعني الملائكة وكذا قال أنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، والضحاك، وأبو الشعثاء جابر بن زيد، وأبو نَهيك، والسدِّي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم.

المناسبة:

يقول العلامة الرازي (٤٢٥/٢٩) لما آتى الله نبيه ما ينبغي قالوا: إنه يريد التفضل علينا، وهو يجادلنا فيما يعلم خلافه، فلم يبقى له إلا أن يقسم فأنزل الله علينا أنواعاً من القسم بعد الدلائل، ولهذا كثرت الإيمان في أوائل التنزيل وفي السبع الأخير خاصة.

التفسير:



يقول صاحب الظلال (٣٤٧١/٦) " **فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ** " .. فالأمر أوضح وأجلى من أن يحتاج إلى قسم.. " **وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ** " .. وهذا التلويح بالقسم والعدول عنه أسلوب ذو تأثير في تقرير الحقيقة التي لا تحتاج إلى القسم لأنها ثابتة واضحة..

" **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ** " .. إنه لقرآن كريم. وليس كما تدعون قول كاهن، ولا قول مجنون، ولا مفترى على الله. من أساطير الأولين. ولا تنزلت به الشياطين! ... إلى آخر هذه الأقاويل. إنما هو قرآن كريم. كريم بمصدره،

وكريم بذاته، وكريم باتجاهاته.

" **فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ** " .. مصون.. وتفسير ذلك في قوله تعالى بعدها: " **لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** ".. فقد زعم المشركون أن الشياطين تنزلت به.

فهذا نفي لهذا الزعم. فالشيطان لا يمس هذا الكتاب المكنون في علم الله وحفظه. إنما تنزل به الملائكة المطهرون.. وهذا الوجه هو أظهر الوجوه في معنى " **لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** " .

فـ " **لا** " هنا نافية لوقوع الفعل. وليست ناهية. وفي الأرض يمس هذا القرآن الطاهر والنجس. والمؤمن والكافر، فلا يتحقق النفي على هذا الوجه. إنما يتحقق بصرف المعنى إلى تلك الملابسة. ملابسة قولهم: تنزلت به الشياطين.ونفي هذا الزعم إذ لا يمسه في كتابه السماوي المكنون إلا المطهرون..

ومما يؤيد هذا الاتجاه قوله تعالى بعد هذا: " **تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ** " .. لا تنزيل من **الشياطين!**

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.
٢- أن من صفات الملائكة أنهم **مطهرون**.

الآيات الواردة في

-٤٣-

سورة التحريم



التحريم

مما له صلة بعالم الملائكة

١١٨-اللهُ مولى نبيه محمد وجبريلُ وصالحُ المؤمنين والملائكةُ بعد ذلك ظهير

وهذا المعنى وارد في الآيات (١- ٥) من سورة (التحريم) وتقول الآيات:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

ولتكن البداية مع النزول فإنه يزيل الغموض من الآية!

يقول العلامة ابن كثير (٤٦٨/٤ – ٤٧٧) اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة.

فقيل: أنزلت في شأن ماريا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرّمها...



والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل كما **روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النبيُّ يشربُ عَسَلاً عندَ زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليه فلتقل له: أكلت مغافير[1]؟ إني أجد منك ريح مغافير، قال لا، ولكني كنت**

١- مادة حلوة الطعم كريهة الرائحة.

أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، فلن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً.

وفي رواية أخرى للبخاري أيضاً: فنزلت "يا أيها النبي... إلى الله" لعائشة وحفصة " **وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً** " لقوله: بل شربت عسلاً.

وبعد أن وقفنا على سبب النزول الذي جلّى المعنى وأوضحه نقتطف من تفسير صاحب الظلال (٦- ٣٦١٦) ما له صلة بموضوعنا:

يقول رحمه الله تعقيباً على قول الحق: " **إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما. وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ** " ..

وحين نتجاوز صدر الخطاب، ودعوتهما إلى التوبة لتعود قلوبهما فتميل إلى الله، فقد بعدت عنه بما كان منها.. حين نتجاوز هذه الدعوة إلى التوبة نجد حملة ضخمة هائلة وتهديدا رعيبا مخيفا..

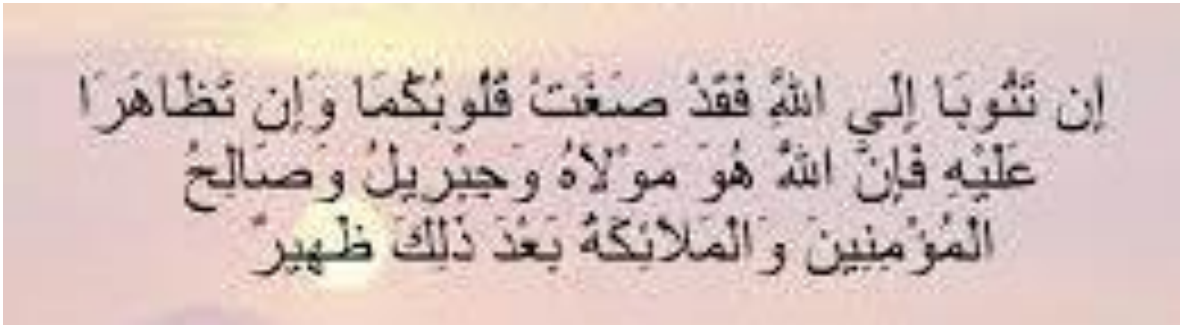
ومن هذه الحملة الضخمة الهائلة ندرك عمق الحادث وأثره في قلب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حتى احتاج الأمر إلى إعلان موالاة الله وجبريل وصالح المؤمنين. والملائكة بعد ذلك ظهير! ليطيب خاطر الرسول- صلى الله عليه وسلم- ويحس بالطمأنينة والراحة من ذلك الأمر الخطير! ولا بد أن الموقف في حس رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وفي محيطه كان من الضخامة والعمق والتأثير إلى الحد الذي يتناسب مع هذه الحملة.

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.
٢- أن جبريل سيد الملائكة يدل على ذلك:

١-أن الله قرن اسمه باسمه "**فإن الله هو مولاه وجبريل**".

٢-أن الله عطف اسم الملائكة عليه "**والملائكة بعد ذلك ظهير**"وهذا من عطف العام على الخاص مما يدل على أهمية الخاص.



١١٩- مـلائـكـة الـنـار

غلاظ، شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون

بهذه الكلمات وصف الله الملائكة القائمين على النار في الآية (٦) من سورة (التحريم) وتقول الآية:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾

بين يدي التفسير:

١- المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً- المفردات:

٤٠٧- **قُوا: قال صاحب المفردات[١]:** الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره.

٤٠٨-**أَهْلِيكُمْ: قال صاحب المفردات[٢]:** أهل الرجل في الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد، ثم تجوّز به فقيل: أهل الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب ١هـ.

ومعنى " قوا أنفسكم وأهليكم" علموهم ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه.

٤٠٩- **وَقُودُهَا**: بفتح الواو: **قال صاحب المفردات[٣]:** والوَقود: يقال للحطب

١-انظر (المفردات) م / وقي.
٢-انظر (المفردات) م / أهل.
٣-انظر (المفردات) م / وقد.

المجعول للوُقود، ولما حصل من اللهب.

٤١٠- **الْحِجَارَةُ:** معروفة،**قال ابن كثير (٤/٤٧٨)** قيل المراد بها الأصنام التي كانت تعبد، وقيل: هي حجارة من كبريت.

٤١١- **غِلَاظٌ**: **قال صاحب المفردات**[١]**:** الغلظة ضد الرقة وهي الخشونة.

قال ابن كثير (٤/٤٧٩) أي: طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله.

٤١٢- **شِدَادٌ: قال صاحب المفردات**[٢]**:** الشدُّ: العقد القوي... والشدّة: تستعمل في العقد، وفي البدن، وفي قوى النفس، وفي العذاب.

وقال ابن كثير (٤/٤٧٩) أي: تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج.

٢-المناسبة:

لما تحدثت الآيات السابقة عن مشكلة أسرية جرت بين الرسول وزوجاته ناسب أن يوجه أمراً عاماً إلى جميع الرجال أن يقوموا بما عليهم تجاه زوجاتهم وأبنائهم من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتعليم، والتزكية، وهذا معنى وقاية الأهل من النار ثم وصف النار وبيّن مادة اشتعالها والقائمين عليها نسأل الله السلامة.

التفسير:

يقول صاحب الظلال (٣٦١٨) إن تبعة المؤمن في نفسه وفي أهله تبعة ثقيلة رهيبة. فالنار هناك وهو متعرض لها هو وأهله، وعليه أن

١-انظر (المفردات) م / غلظ.
٢-انظر (المفردات) م / شد.

يحول دون نفسه وأهله ودون هذه النار التي تنتظر هناك. إنها نار. فظيعة متسعرة.

" **وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** " الناس فيها كالحجارة سواء... وما أفظعها نارا هذه التي توقد بالحجارة!... وكل ما بها وما يلابسها فظيع رهيب.

" **عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ** " .تتناسب طبيعتهم مع طبيعة العذاب الذي هم به موكلون.

" **لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ** " .. فمن خصائصهم طاعة الله فيما يأمرهم، ومن خصائصهم كذلك القدرة على النهوض بما يأمرهم.. وهم بغلظتهم هذه وشدتهم موكلون بهذه النار الشديدة الغليظة.

وعلى المؤمن أن يقي نفسه وأن يقي أهله من هذه النار.

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.
٢- أن القائمين على النار ملائكة.
٣- أن صفات الملائكة القائمين على النار القوة الهائلة، والقسوة المفرطة، والطاعة التامة، فسحقاً لأصحاب الجحيم.



الآيات الواردة في

-٤٤-

سورة الملك



الملك

مما له صلة بعالم الملائكة

١٢٠- خزنة النار تقيم الحجة على أهل النار

ونجد هذا المعنى ضمن الآيات (٦ – ١١) من سورة (الملك) وتقول الآيات:


وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾
تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ
فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا
فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾

بين يدي التفسير:

١- المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً- المفردات:

٤١٣- **شَهِيقًا: قال صاحب المفردات[١]:** طول الزفير وهو ردُّ النفس، والزفير مده، وساق الآية.

وقال ابن كثير (٤/٤٤) أي: صياحاً.

٤١٤- **تَفُورُ: قال صاحب المفردات[٢]:** الفُور: شدة الغليان.

ونقل ابن كثير (٤/٤٩٠)عن الثوري قوله: تغلي بهم كما يغلي الحب القليل في الماء الكثير

٤١٥- **تَمَيَّزُ: قال صاحب المفردات[٣]:** وتميّز كذا مطاوع ماذا أي: انفصل وانقطع وساق الآية.

١-انظر (المفردات) م / شهق.
٢-انظر "المفردات" م / فور.
٣-انظر (المفردات) م / ميز.

ونقل ابن كثير (٤/٤٩٠) أي: تكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم.

٤١٦- **فَوْجٌ: قال صاحب المفردات[١]:** الفَوْجُ: الجماعة المارة المسرعة وساق الآية.

٤١٧- **خَزَنَتُهَا:** الملائكة القائمون عليها.

٤١٨- **نَذِيرٌ: قال صاحب المفردات[٢]:** النذير: المنذر، ويقع على كل شيء فيه إنذار إنساناً كان أو غيره.

٤١٩- **ضَلَالٍ: قال صاحب المفردات:** الضلال: العدول عن الطريق المستقيم ويضادُّه الهداية.

٤٢٠- **نَسْمَعُ:** المراد بالسمع الفهم هنا.

٤٢١- **نَعْقِلُ: قال صاحب المفردات[3]:** العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ... وكل موضعٍ ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأول... وأصل العقل الإمساك والإستمساك.

٤٢٢-**سُحْقًا: قال صاحب المقاييس[٤]:** سحق أصلان أحدهما البعد وساق الآية.

٤٢٣- **السَّعِيرِ: قال صاحب المفردات[5]:** السِّعْر: التهاب النار.

وقال صاحب المقاييس[٦]: سعر: يدل على اشتعال الشيء واتقاده وارتفاعه، من ذلك: السعير: سعير النار، واستعارها: توقدها.

١-انظر (المفردات) م / فوج.
٢-انظر (المفردات) م / نذر.
٣-انظر "المفردات " م / عقل.
٤-انظر "المقاييس " م / سحق.
٥-انظر "المفردات " م / سعر.
٦-انظر "المقاييس" م / سعر.

٢-المناسبة:

يقول العلامة الرازي (٥٨٦/٣٠) اعلم أنه تعالى بيَّن في أول السورة أنه قادر على جميع الممكنات ثم ذكر بعده أنه إن كان قادراًعلى الكل إلا أنه إنما خلق ماخلق لا للعبث والباطل وإنما لأجل الابتلاء والامتحان وبيّن أن المقصود من ذلك الابتلاء أن يكون عزيزاً في حق المصرّين على الإساءة، غفوراً في حق التائبين، ومن ذلك كان كونه عزيزاً وغفوراً لا يثبتان إلا إذا ثبت كونه تعالى كاملاً في القدرة والعلم - بين ذلك بالدلائل المذكورة، وحينئذ ثبت كونه قادراً على تعذيب العصاة فقال **" وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ "**

التفسير:

يقول صاحب الظلال رحمه الله (٣٦٣٤/٦) بعد أن ساق قول الله **" وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ "** ..ثم يرسم مشهداً لجهنم هذه، وهي تستقبل الذين كفروا في غيظ وحنق شديد **" إِذا أُلْقُوا فِيها سَمِعُوا لَها شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ. تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ! "** .. وجهنم هنا مخلوقة حية، تكظم غيظها، فترتفع أنفاسها في شهيق وتفور ويملأ جوانحها الغيظ فتكاد تتمزق من الغيظ الكظيم وهي تنطوي على بغض وكره يبلغ إلى حد الغيظ والحنق على الكافرين! والتعبير في ظاهره يبدو مجازا تصويرياً لحالة جهنم. ولكنه- فيما نحس- يقرر حقيقة. فكل خليقة من خلائق الله حية ذات روح من نوعها. وكل خليقة تعرف ربها وتسبح بحمده وتدهش حين ترى الإنسان يكفر بخالقه، وتتغيظ لهذا الجحود المنكر الذي تنكره فطرتها وتنفر منه

روحها... كذلك نلمح هذه الظاهرة في خزنة جهنم.

" كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا. أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ؟ "

وواضح أن هذا السؤال في هذا الموضع هو للتأنيب والترذيل. فهي مشاركة لجهنم في الغيظ والحنق. كما هي مشاركة لها في التعذيب، وليس أمرّ من الترذيل والتأنيب للضائق المكروب! والجواب في ذلة وانكسار واعتراف بالحمق والغفلة، بعد التبجح والإنكار واتهام الرسل بالضلال

" قَالُوا: بَلَى! قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا، وَقُلْنَا: مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ. إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ. وَقَالُوا: لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ! " ..

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.
٢- أن الملائكة مخلوقات عاقلة.
٣- أن من وظائف الملائكة القيام على النار وتعذيب أهلها جسدياً ومعنوياً.

الآيات الواردة في

-٤٥-

سورة الحاقة

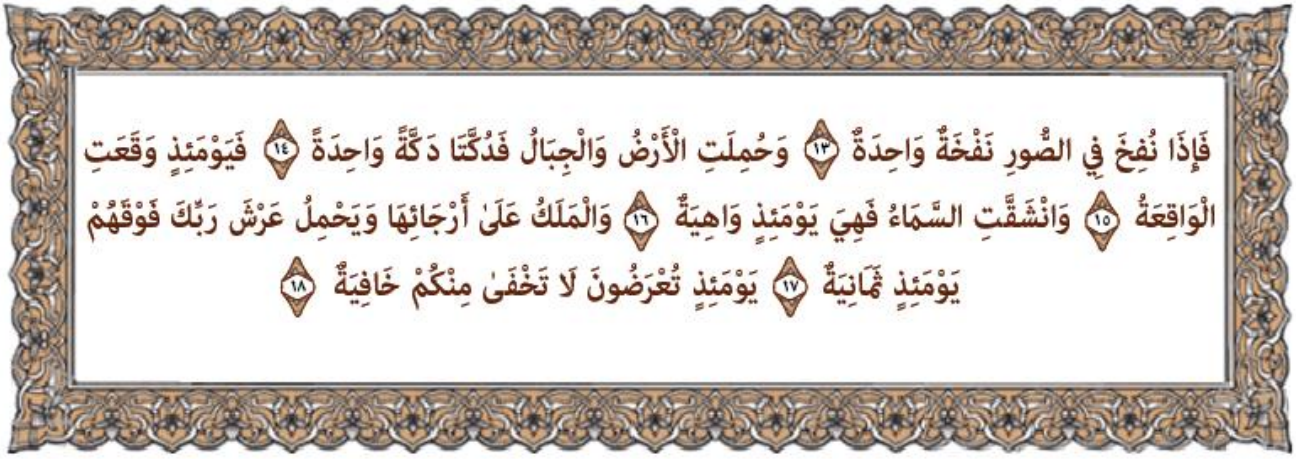


الحاقة

مما له صلة بعالم الملائكة

١٢١- حملة العرش الثمانية

وقد ورد ذكرهم في الآيات (١٣-١٨) من سورة (الحاقة) وتقول الآيات:


فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ
الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ
يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾

المناسبة:

في هذه الآيات عودة إلى مطلع السورة وهو الحديث عن يوم القيامة، والتي أطلق عليها اسم (الحاقة) بعد أن ذكر إهلاكه للأمم المكذبين – ثمود وعاد وفرعون.

التفسير:

يقول صاحب الظلال (٣٦٧٩/٦) " فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ، وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ، وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ " ونحن نؤمن أن هناك نفخة في الصور وهو البوق تحدث بعدها هذه الأحداث كلها...

فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة، فتبع هذه النفخة تلك الحركة الهائلة.

" **وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً** " ومشهد حمل الأرض والجبال ونفضها ودكها دكة واحدة تسوي عاليها بسافلها.. مشهد مروع حقا. هذه الأرض التي يجوس الإنسان خلالها آمنا مطمئنا، وهي تحته مستقرة مطمئنة. وهذه الجبال الراسية الوطيدة الراسخة التي تهول الإنسان بروعتها واستقرارها..

هذه مع هذه تحمل فتدك كالكرة في يد الوليد.. إنه مشهد يشعر معه الإنسان بضالته وضآلة عالمه إلى جانب هذه القدرة القادرة، في ذلك اليوم العظيم.. فإذا وقع هذا. إذا نفخ في الصور نفخة واحدة، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة.. فهو حينئذ الأمر الذي تتحدث عنه السورة.

" **فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ** " والواقعة اسم من أسمائها كالحاقة والقارعة. فهي الواقعة لأنها لا بد واقعة. كأن طبيعتها وحقيقتها الدائمة أن تكون واقعة! وهو اسم ذو إيحاء معين وهو إيحاء مقصود في صدد الارتياب فيها والتكذيب! ولا يقتصر الهول على حمل الأرض والجبال ودكها دكة واحدة، فالسماء في هذا اليوم الهائل ليست بناجية.

" **وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ** " ونحن لا ندري على وجه التحقيق ما السماء المقصودة بهذا اللفظ في القرآن. ولكن هذا النص والنصوص الأخرى التي تشير إلى الأحداث الكونية في ذلك اليوم العظيم كلها تشير إلى انفراط عقد هذا الكون المنظور، واختلال روابطه وضوابطه التي تمسك به في هذا النظام البديع الدقيق، وتناثر أجزائه بعد انفلاتها من قيد الناموس...

ثم يغمر الجلال المشهد ويغشية، وتسكن الضجة التي تملأ الحس من النفخة والدكة والتشقق والانتثار. يسكن هذا كله ويظهر في المشهد عرش الواحد القهار.

"**وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**" والملائكة على أرجاء هذه السماء المنشقة وأطرافها، والعرش فوقهم يحمله ثمانية.. ثمانية أملاك أو ثمانية صفوف منهم، أو ثمانية طبقات من طبقاتهم، أو ثمانية مما يعلم الله. لا ندري نحن من هم ولا ما هم. كما لا ندري نحن ما العرش؟ ولا كيف يحمل؟ ونخلص من كل هذه الغيبيات التي لا علم لنا بها، ولم يكلفنا الله من علمها إلا ما قص علينا. نخلص من مفردات هذه الغيبيات إلى الظل الجليل الذي تخلعه على الموقف. وهو المطلوب منا أن تستشعره ضمائرنا. وهو المقصود من ذكر هذه الأحداث ليشعر القلب البشري بالجلال والرهبة والخشوع، في ذلك اليوم العظيم، وفي ذلك الموقف الجليل.

" **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ** "

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن الملائكة المكلفة بهذا الأمر أو كل الملائكة تتوزع على أرجاء السماء بعد أن انشقت السماء وصارت واهية.

٣-أن العرش - عرش الرحمن – يحمله في ذلك اليوم ثمانية أفراد من الملائكة، أو ثمانية من صفوف الملائكة والاول أقوى لأنه يدل على أنهم أقوى، وقد جاء في السنة إلقاء لبعض الضوء على حملة العرش:

روى الإمام أبو داود في سننه (٤٧٢٧) بسنده إلى جابر عن النبي قال: أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعِ مئة عام

الآيات الواردة في

-٤٦-

سورة المعارج



المعارج

مما له صلة بعالم الملائكة

١٢٢- عروج الملائكة والروح

وقد جاء الحديث عن عروج الملائكة في الآية (٤) من سورة (المعارج) وتقول الآية:



بين يدي التفسير:

١- المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً- المفردات:

٤٢٤-**تَعْرُجُ: قال صاحب المفردات[1]:** العروج: ذهاب في صعود، وساق الآية وأضاف: **المعارج**: المصاعد.

٤٢٥-**الرُّوحُ: قال ابن جرير (٢٣/٦٠١) والروح:** هو جبريل عليه السلام ولم يذكر غيره.

وأما ابن كثير (٤/٥٧١) فقال: يحتمل أن يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام، وأبدى وجوهاً أخرى لا تخلو- في رأينا - من ضعف.

٤٢٦-**إِلَيْهِ: قال ابن جرير (٢٣/٦٠١) الهاء:**عائدةٌ على اسم الله.

١- انظر (المفردات) م / عرج.

٢ ً-الإعراب:

تَعْرُجُ: مضارع، فاعله: **الملائكة، والروح**: عطف عليه، **وإليه:** جار ومجرور متعلقان بالفعل (تعرج).

فِي يَوْمٍ: جار ومجرور متعلقان بالفعل (**تعرج**) وجملة (**كان مقداره خمسين ألف سنة**) في محل جر صفة و**خمسين:** خبر كان، و**ألف:** تمييز، وما بعده مضاف إليه.

٣ ً-البلاغة:

١-في قوله " **الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ** " عطف الخاص على العام وهو داخل تحت غايته هنا التنويه بشأن الخاص - وهو جبريل على مفهوم الإطناب الذي الأرجح - على العام وهم الملائكة.

٢-المناسبة:

لما تحدث المولى عن حتمية قيام الساعة أتبع ذلك ببيان مايدل على عظمته وجبروته وهو أن الملائكة ذوي الأجنحة تحتاج إلى الوصول إلى حيث شاء الله لها أن تصل إلى يوم يقدر بالمقاييس البشرية بـ (٥٠) ألف سنة.

التفسير وحل الإشكالات:

١- التفسير:

يقول العلامة ابن جرير بعبارة موجزة وواضحة (٦٠١/٢٣) تصعد الملائكة والروح وهو جبريل إليه، يعني إلى الله ...

" **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** " يقول: كان مقدار صعودهم ذلك في يوم لغيرهم من الخلق خمسين ألف سنة، وذلك أنها تصعد من منتهى أمره من أسفل السماء السابعة إلى منتهى أمره من فوق السموات السبع.

وأما ابن كثير (٤/٥٣١-٥٣٢) فقد أورد أربعة أقوال وحسبنا ما أوردناه عن ابن جرير رحم الله الجميع.

وإلى ما ذهب إليه ابن جرير أودعه الزحيلي في تفسيره المنير (٢٩-١١٤) فقد قال " **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** " أي: تصعد إلى الله في تلك المعارج الملائكةُ وجبريلُ في مدةِ يومٍ يقدّرُ بخمسين ألفَ سنةٍ من سنوات الدنيا لو أراد البشر الصعود إليها ولكن الملائكة تصعد إليها في زمن قليل.

٢-حل الإشكالات:

يقول العلامة الرازي (٣٠/١٣٩) قوله " **تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ** " **فبين أن عروج الملائكة وصعودهم إليه وذلك يقتضي كونه في جهة فوق.**

والجواب: لما دلت الدلائل على امتناع كونه في المكان والجهة ثبت أنه لابد من التأويل....

والمراد انتهاء الأمور إلى مراده كقوله " **وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ** " المراد الانتهاء إلى موضع العز والكرامة كقوله " **إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي**" ويكون هذا إشارة إلى أن دار الثواب أعلا الأمكنة وأرفعها.

الاستنباط:

١- إثبات وجودعالم الملائكة الغيبي.

٢-ما تتمتع به الملائكة من القدرات الهائلة الهائلة حتى إنها لتقطع في يوم واحد من المسافات ما نحتاج نحن البشر لقطعة مدة خمسين ألف سنة.

٣-مزية جبريل حيث عطفه على الملائكة مما يدل على أهميته.

الآيات الواردة في

-٤٧-

سورة الجن



مما له صلة بعالم الملائكة

١٢٣- الملائكة يحرسون السماء

وهذا المعنى في الآيات (٨-١٠) من سورة (الجن) وتقول الآيات:



قال ابن جرير (٢٣/١٥٧) حرساً شديداً أي: حفظة.

أقول: وقد سبق هذا المعنى في الآيات (٦-١٠) من سورة (الصافات) وتقول الآيات:

" إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ، وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ، إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ "

وحسبنا هنا أن نورد تفسيرها ونبين معناها:

التفسير:

يقول العلامة ابن كثير (٤/٥٥٢/٥٥٣) يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْجِنِّ حِينَ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، وَكَانَ مِنْ حِفْظِهِ لَهُ أَنَّ السَّمَاءَ مُلِئَت حَرَسًا شَدِيدًا، وَحُفِظَتْ مِنْ سَائِرِ أَرْجَائِهَا، وَطُرِدَتِ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَقَاعِدِهَا الَّتِي كَانَتْ تَقْعُدُ فِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ؛ لِئَلَّا يَسْتَرِقُوا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ.

فَيُلْقُوهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْكَهَنَةِ، فَيَلْتَبِسُ الْأَمْرُ وَيَخْتَلِطُ وَلَا يُدْرَى مَنِ الصَّادِقُ.وَهَذَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ، وَحِفْظِهِ لِكِتَابِهِ الْعَزِيزِ

هذا وقد روى الإمام أحمد –بسند حسن - عن ابن عباس ، قال : كانت للشياطين مقاعد في السماء، قال : فكانوا يسمعون الوحي ، قال : وكانت النجوم لا تجري، وكانت الشياطين لا ترمى ، قال : فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض ، فزادوا في الكلمة تسعاً قال : فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاء شهاب فلم يخطه حتى يحرقه، قال: فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هو إلا لأمر حدث، قال : فبعث جنوده، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي بين جبلي نخلة –قال أبوكريب : قال وكيع : يعني بطن نخلة- قال : فرجعوا إلى إبليس فأخبروه ، قال : فقال هذا الذي حدث[1].

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢-أن من مهام الملائكة حراسة السماء من مسترقي السمع من الشياطين.

١-قال محققو المسند: قوله" **لا تجري**" أخطأ فيه سماك والصواب **"لا يرمى بها"** ففي حديث أبي اسحاق عن سعيد بن جبير **"لا يرمي بها"** .

الآيات الواردة في

-٤٨-

سورة المدثر



يا أيها المدثر

مما له صلة بعالم الملائكة

١٢٤-خزنة جهنم من الملائكة
و
عدتهم تسعة عشر

وقد جاء هذا الإيضاح في الآيات (٢٦-٣١) من سورة (المدثر) وتقول الآيات:

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

بين يدي التفسير:

١-المفردات والإعراب والبلاغة:

١ً-المفردات:



٤٢٧-**سَأُصْلِيهِ: قال صاحب المفردات[1]:** أصل الصلي: الإيقاد بالنار، ويقال: صَلِي بالنار وبكذا أي: بلي بها، واصطلى بها.

قال ابن كثير (٥٧٩/٤) أي: سأغمره فيها من جميع جهاته.

١-انظر (المفردات) م / صلا.

٤٢٨-**سَقَرَ: قال صاحب المفردات[1]: سقر** من سَقَرَته الشمس أي: لوّحته و أذابته، وجُعل **سقر** اسم علم لجهنم... ولما كان السقر يقتضي التلويح في الأصل نبّه بقوله " **وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ** " أن ذلك مخالف لما تعرفه من أحوال السقر في الشاهد.

٤٢٩-**وَمَا أَدْرَاكَ:** أسلوب هدفه التهويل لأمرها، والتفخيم لشأنها.

٤٣٠-**تُبْقِي: قال صاحب المفردات[2]:** البقاء: ثبات الشيء على حاله الأولى، وهو يُضادُّ الفناء.

٤٣١-**تَذَرُ: قال صاحب المفردات[3]:** يقال: فلان يذر الشيء أي: يقذفه لقلة اعتداده به.

قال ابن كثير (٤٥/٢٧٩) عند قوله " **لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ**" أي تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم يتبدل غير ذلك وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون.

٤٣٢-**لَوَّاحَةٌ: قال صاحب المفردات[4]:** لوّحه الحَرُّ: غيّره.

قال ابن كثير (٤/٥٧٩) نقلاً عن ابن عباس: تحرق بشرة الإنسان.

٤٣٣-**عِدَّتَهُمْ:** عددهم.

٤٣٤-**فِتْنَةً:** أي: أختباراً.

١-انظر (المفردات) م / سقر.
٢-انظر "المفردات" م / بقي.
٣-انظر "المفردات" م / وذر.
٤-انظر "المفردات" م / لوح.

قال ابن كثير (٥٨١/٤) أي: إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعةَ عشرَ اختباراً منا للناس.

٤٣٥-**لِيَسْتَيْقِنَ: قال ابن كثير (٥٨١/٤) أي:** يعلمون أن هذا الرسول حق، فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله.

٤٣٦-**يَرْتَابَ:** يشك.

٤٣٧-**مَرَضٌ:** مرض النفاق.

٢ ً-الإعراب:

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ: السين للاستقبال، **أصلي:** مضارع، **والهاء:** مفعول به أول، **وسقر:** مفعول به ثان.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ: ما: استفهامية مبتدأ وجملة (**أدراك**) خبره، **ماسقر:** مبتدأ وخبر والجملة في محل نصب مفعول به ثانٍ.

لَا تُبْقِي: لا: نافية ، **تبقي:** مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء للثقل.

وَلَا تَذَرُ: و: عاطفة **ولا:** مزيدة لتوكيد النفي، **تذر:** مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

لَوَّاحَةٌ: خبر لمبتدأ محذوف **والتقدير**: هي لواحة، **للبشر:** جار ومجرور متعلقان لواحة.

عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ: تسعة عشر: عددان مركبان مبنيان على الفتح في محل رفع مبتدأ.

وعليها: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف.

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً: ما: نافية، **جعلنا:** فعل ماض، **نا:** فاعله، **وأصحاب:** مفعول به أول، **ملائكة:** مفعول به ثان، **إلا:** أداة حصر، ومثله **وما جعلنا عدتهم إلا فتنة.**

لِلَّذِينَ كَفَرُوا: اللام: جارة، **الذين:** اسم موصول في محل جر باللام وجملة **(كفروا)** صلته.

لِيَسْتَيْقِنَ: اللام جارة، والمضارع بعدها منصوب بأن المضمرة وعلامة نصبه الفتحة.

الَّذِينَ: اسم موصول فاعل، وجملة **(أوتوا)** صلته **والكتاب**: مفعول به ثانٍ.

وَيَزْدَادَ: معطوف على **يستقين** منصوب مثله، **ولا يرتاب**: مثله.

وَلِيَقُولَ: مثل **ليستقين**.

مَاذَا: ما: اسم موصول، **ذا:** اسم موصول خبره **وأراد:** صلته.

٢-المناسبة:

لمَّا هدد الله **" الوليد بن المغيرة"** والد خالد بالنار ناسب أن يستطرد في وصف تلك النار التي هدّده بها.

التفسير:

يقول العلامة ابن جرير (٢٦/٢٤) عند قوله تعالى **" سَأُصْلِيهِ سَقَرَ"** سأورده بابا من أبواب جهنم اسمه سقر...

"وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ" يقول تعالى ذكره: وأيّ شيء أدراك يا محمد،

أيّ شيء سقر. ثم بين الله تعالى ذكره ما سقر، فقال: هي نار (**لا تُبْقي**) من فيها حيا (**وَلا تَذَرُ**) من فيها ميتا، ولكنها تحرقهم كلما جدّد خلقهم.

" **لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ**" : مغيرة لبشرة أهلها...

" **عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**": على سقر تسعة عشر من الخزنة...

" **وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً** " قال: ما جعلناهم رجالا فيأخذ كلّ رجل رجلا كما قال الكافرون...

" **وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا** " يقول: وما جعلنا عدّة هؤلاء الخزنة إلا فتنة للذين كفروا بالله من مُشركي قريش...

" **لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** " يقول تعالى ذكره: ليستيقن أهل التوراة والإنجيل حقيقة ما في كتبهم من الخبر عن عدّة خزَنة جهنم، إذ وافق ذلك ما أنزل الله في كتابه على محمد صلى الله عليه وسلم.

" **وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا** " يقول تعالى ذكره: وليزداد الذين آمنوا بالله تصديقا إلى تصديقهم بالله وبرسوله بتصديقهم بعدّة خزنة جهنم.

" **وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ** " يقول: ولا يشك أهل التوراة والإنجيل في حقيقة ذلك، والمؤمنون بالله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله: " **وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ** " يقول تعالى ذكره: وليقول الذين في قلوبهم مرض النفاق، والكافرون بالله من مشركي قريش " **مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا** "

" **كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** " يقول تعالى ذكره: كما أضل الله هؤلاء المنافقين والمشركين القائلين في خبر الله عن عدّة خزنة جهنم، أيّ شيء أراد الله بهذا الخبر من المثل حتى يخوّفنا بذكر عدتهم، ويهتدي به المؤمنون، فازدادوا بتصديقهم إلى إيمانهم إيمانا

" **كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ** " مِنْ خَلْقِهِ فيخذله عن إصابة الحقّ

" **وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** " منهم، فيوفقه لإصابة الصواب.

" **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ** " من كثرتهم " **إلا هُوَ**" يعني: الله.

" **وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ** " يقول تعالى ذكره: وما النار التي وصفتها إلا تذكرة ذكر بها البشر، وهم بنو آدم.

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢- أن القائمين على النار تسعة عشر

قال العلامة القرطبي (١٩-٧٩) على سقر تسعةَ عشرَ من الملائكة يلقون فيها أهلها

ثم قيل: على جملة النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها، مالك وثمانية عشر ملكاً، **ويحتمل** أن تكون التسعة عشر نقيباً، وأكثر المفسرين على الأول.

ونقل **عن الثعلبي**: ولا ينكر هذا، فإذا كان ملك واحد يقبض أرواح جميع الخلائق كان أحرى أن يكون تسعة عشر على عذاب بعض الخلائق.

الآيات الواردة في

-٤٩-

سورة المرسلات



المرسلات

مما له صلة بعالم الملائكة

١٢٥-الله يقسم بطوائف من ملائكته

الملائكة الفارقات فرقاً و الملائكة الملقيات ذكراً

وقد جاء القسم بهذه الطوائف ضمن القسم على خمسة أشياء رصدتها لنا الآيات (١-٧) من سورة (المرسلات) وتقول الآيات:



هذا وقد اتفق المفسرون بلا خلاف بينهم على أن المراد بالفارقات والملقيات الملائكة.

قال العلامة ابن كثير (٦٠٨/٤) بعد أن ساق قول الحق **" فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا "** يَعْنِي: الْمَلَائِكَةَ قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَسْرُوقٌ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَالسُّدِّيُّ، وَالثَّوْرِيُّ. وَلَا خِلَافَ هَاهُنَا؛ فَإِنَّهَا تَنْزِلُ بِأَمْرِ اللَّهِ عَلَى الرُّسُلِ، تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالْغَيِّ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَتُلْقِي إِلَى الرُّسُلِ وَحْيًا فِيهِ إِعْذَارٌ إِلَى الْخَلْقِ، وإنذارٌ لَهُمْ عقابَ اللَّهِ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَهُ.

أقول: وأما باقي المقسم عليه وهو:

١- المرسلات عرفاً.

٢-العاصفات عصفاً.

٣- والناشرات نشراً.

فقد قال ابن كثير (٦٠٨/٤) بعد أن ذكر في كل مُقْسَمٍ عليه رأيين:

أحدهما: أنها الملائكة.

ثم قال: والأظهر أن **الْمُرْسَلَاتِ** هي الرياح...

وهكذا **الْعَاصِفَاتِ** هي الرياح يقال عصفت الريح إذا هبَّتْ بتصويت وكذا **النَّاشِرَاتِ** هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السّماء كما يشاء الرَّبُّ.





يقول العلامة صاحب الظلال رحمه الله (٢٧٩١/٦) والله سبحانه يقسم في مطلع هذه السورة على أن هذا الوعد بالآخرة واقع. وصيغة القسم توحي ابتداء بأن ما يقسم الله به هو من مجاهيل الغيب، وقواه المكنونة، المؤثرة في هذا الكون وفي حياة البشر.

وقد اختلف السلف في حقيقة مدلولها:

فقال بعضهم: هي الرياح إطلاقا.

وقال بعضهم هي الملائكة إطلاقا.

وقال بعضهم: إن بعضها يعني الرياح وبعضها يعني الملائكة.. مما يدل على غموض هذه الألفاظ ومدلولاتها. وهذا الغموض هو أنسب شيء للقسم بها على الأمر الغيبي المكنون في علم الله...

" **وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً** " **عن أبي هريرة أنها الملائكة**... والمعنى

حينئذ هو القسم بالملائكة المرسلة أرسالا متوالية، كأنها عرف الفرس في إرسالها وتتابعها.

وهكذا قال أبو صالح في العاصفات والناشرات والفارقات والملقيات.. إنها الملائكة.

وروي عن ابن مسعود.. المرسلات عرفا. قال: الريح. (والمعنى على هذا أنها المرسلة متوالية كعرف الفرس في امتدادها وتتابعها) وكذا قال في العاصفات عصفا والناشرات نشرا...

وعن ابن مسعود:" فَالْفارِقاتِ فَرْقاً فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً، عُذْراً أَوْ نُذْراً " يعني الملائكة.

فإنها تنزل بأمر الله على الرسل، تفرق بين الحق والباطل. وتلقي إلى الرسل وحيا فيه إعذار إلى الخلق وإنذار.

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي بدليل إقسام الله عزوجل ببعض طوائفه.
٢- أن من وظائف الملائكة الوحي والتفرقة بين الحق والباطل.

الآيات الواردة في

-٥٠-
سورة النبأ



النبأ

مما له صلة بعالم الملائكة

١٢٦-الملائكة والروح يقومون صفاً ولا يتكلمون إلا بإذن المولى

وهذا المعنى في الآيات (٣٦-٣٨) من سورة (النبأ) وتقول الآيات:



قال العلامة ابن كثير (٦١٩/٤) اختلف المفسرون في المراد بـ**الروح** ههنا ماهو؟ على أقوال:

١-أنهم أرواح بني آدم.

٢-أنهم بنو آدم.

٣-أنهم خلق من خلق الله على صورة بني آدم وليسوا بملائكة ولا بشر وهم يأكلون ويشربون.

٤-أنه جبريل.

٥-أنه القرآن.

٦-أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات.

وأقول: لا شك في رجحان أن المراد بالروح –هنا- جبريل للأسباب التالية:

١-ضعف الأقوال الأخرى ولا سيما الأول والثاني والخامس، فأرواح بني آدم عادت إلى أجسادها، وبنو آدم قد سبق الحديث عنهم فريق منهم في الجنة وفريق في السعير، والقول بالقرأن هنا بعيد جداً.

٢-أن الله وصف جبريل بالروح في مناسبات عديدة منها " **نزل به الروح الأمين**" "**أيدناه بروح القدس**"

٣-**يقول الرازي (٢٥/٣١)** وعن الضحاك والشَعْبِي هو **جبريل**، وهذا القول هو المختار عند القاضي، قال: لأن القرآن دلَّ على أن هذا الاسم اسم جبريل، وثبت أن القيام صحيح من جبريل، والكلام صحيح من جبريل ويصح أن يؤذن له، فكيف يصرف هذا الاسم عنه إلى خلق لا نعرفه أو إلى القرآن الذي لا يصح وصفه بالقيام؟

المناسبة:

لما تحدث الله عن مصير أهل النار (٢١-٣٠) ثم مصير أهل الجنة (٣١-٣٥) بين أن ذاك جزاء منه لهؤلاء وهؤلاء ، ثم تحدث عن عظمته جل وعلا.

التفسير وحل الإشكالات:

١- التفسير:

يقول العلامة الرازي (٢٤/٢١) عند قول الله " **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا** " وذلك أن الملائكة أعظم المخلوقات قدراً ورتبةً أكثر قدرة ومكانة فبين أنهم

لايتكلمون في موقف القيامة إجلالاً لربهم وخوفاً منه، وخضوعاً له فكيف يكون في حال غيره.

ويقول صاحب الظلال (٣٨٠٨/٦) "جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً "

ذلك الجزاء الذي فصله في المقطع السابق: جزاء الطغاة وجزاء التقاة.

هذا الجزاء " **مِنْ رَبِّكَ** "

" **رَبِّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا الرَّحْمنِ** " ثم هو «الرَّحْمنِ» .. ومن رحمته ذلك الجزاء لهؤلاء وهؤلاء. حتى عذاب الطغاة ينبثق من رحمة الرحمن.

ومن الرحمة أن يجد الشر جزاءه وألا يتساوى مع الخير في مصيره! ومع الرحمة والجلال.

" **لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاباً** " في ذلك اليوم المهيب الرهيب: يوم يقف جبريل- عليه السلام- والملائكة الآخرون.

" **صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ** " إلا بإذن من الرحمن حيث يكون القول صوابا. فما يأذن الرحمن به إلا وقد علم أنه صواب.وموقف هؤلاء المقربين إلى الله، الأبرياء من الذنب والمعصية. موقفهم هكذا صامتين لا يتكلمون إلا بإذن وبحساب.. يغمر الجو بالروعة والرهبة والجلال والوقار.

٢-حل الإشكالات:

قال العلامة الرازي (٢٥/٣١) فإن قيل: لما أذن له الرحمن في ذلك القول علم أن ذاك القول صواب لا محالة، فما الفائدة في قوله " **وَقَالَ صَوَابًا** " والجواب: أن الرحمن أذن له في مطلق القول ثم إنهم عند حصول ذلك الإذن لا يتكلمون إلا بالصواب **فكأنه قيل**: إنهم لا ينطقون إلا بعد ورود الأذن في الكلام ثم بعد ورود الإذن يجتهدون ولا يتكلمون إلا بالكلام الذي يعلمون أنه صدق وصواب وهذا مبالغة في وصفهم بالطاعة والعبودية.

الاستنباط:

١-إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.
٢-ما عليه الملائكة من التأدب مع الله.
٣-أهمية جبريل لأنه عطف الملائكة عليه من باب عطف الخاص على العام الذي يدل على أهمية الخاص ومكانته.

الآيات الواردة في

-٥١-
سورة النازعات



النازعات

مما له صلة بعالم الملائكة

١٢٧- اللهُ يُقْسِم بطوائفَ من ملائكته
النازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات

وهذا القسم في الآيات (١-٥) من سورة (النازعات) وتقول الآيات:



اتفق المفسرون على أن المراد بـ**المدبرات أمراً** الملائكة:

قال ابن كثير(٦٢٣/٤) عند قوله تعالى " **فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا**" قال علي ومجاهد... هي الملائكة... تدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعني: بأمر ربها ولم يختلفوا في هذا.

ونقل **الرازي (٢٩/٣١)** الإجماع على ذلك.

وأما ما تبقى فلا يخلو تحديد المراد به عن خلاف بين علماء التفسير:

١- **النَّازِعَاتِ: قال ابن جرير (١٨٥/٢٤)** أقسم ربنا بالنازعات واختلف أهل التأويل فيها، وماهي ، وما تنزع؟ فقال بعضهم: هم الملائكة التي تنزع نفوس بني آدم والمنزوع نفوس الآدميين، ونقل ذلك عن ابن مسعود ومسروق وغيرهما... وقيل في تفسيرها غير ذلك.

٢- **النَّاشِطَاتِ: قال ابن جرير (١٨٦/٢٤)** اختلف أهل التأويل أيضاً فيهن، وما هن، وما الذي ينشط
فقال بعضهم هم الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها كما

ينشط العقال من البعير إذا حُلَّ عنه، ونقل ذلك عن ابن عباس... وقيل في تفسيرها غير ذلك.
قال الإمام الرازي (٣١/ ٢٨) وإنما خصصنا هذا بالمؤمن والأول بالكافر لما بين النزع والنشط من الفرق.
فالنزع: جذب بشدة، **والنشط**: جذب برفق ولين، فالملائكة تنشط أرواح المؤمنين كما تنشط الدلو من البئر.
فالحاصل أن قوله تعالى " **وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا** " قسم بملك الموت وأعوانه إلا أن **الأول** إشارة إلى كيفية قبض أرواح الكفار.
والثاني: إشارة إلى كيفية قبض أرواح المؤمنين.

٣- **السَّابِحَاتِ: قال ابن كثير (١٢٢/٤) نقلاً عن ابن مسعود وعلي وغيرهما** أنها الملائكة، وذكر فيها غير ذلك.
وقال الرازي (٢٩/٢١) أما قوله " **وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا** " فمنهم من خصصه أيضاً بملائكة قبض الأرواح ومنهم من حمله على سائر طوائف الملائكة.
أما الوجه الأول: فنقل عن علي وابن عباس ومسروق أن الملائكة يسلون أرواح المؤمنين سلاً رفيقاً فهذا هو المراد الأول من قوله " **وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا** " ثم يتركونها حتى تستريح رويداً ثم يستخرجونها بعد ذلك برفق ولطافة كالذي يسبح في الماء فإنه يتحرك برفق ولطافة لئلا يغرق، فكذا ههنا يرفقون في ذلك الاستخراج لئلا يصل إليه ألم وشدة فذاك هو المراد من قوله " **وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا** "
وأما الذين حملوه على سائر طوائف الملائكة فقالوا: إن الملائكة ينزلون من السماء مسرعين فجعل نزولهم من السماء كالسباحة.

٤- **السَّابِقَاتِ: قال ابن كثير (٦٢٣/٤) نقلاً عن علي ومسروق والحسن** وغيرهم أنها الملائكة، **ونقل عن الحسن قوله** (سبقت إلى الإيمان والتصديق به، وقيل في تفسيرها غير ذلك.
وقال الإمام الرازي (٢٩/٣١) وأما قوله " **فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا** " فمنهم من فسره بملائكة قبض الأرواح يسبقون بأرواح

الكفار إلى النار، وبأرواح المؤمنين إلى الجنة، ومنهم من فسره بسائر طوائف الملائكة، ثم ذكروا في هذا السبق وجوهاً.

أحدهما: أنها سبقت ابن آدم بالإيمان والطاعة.

ثانيهما: أن الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء...

التفسير:

قال صاحب الظلال رحمه الله (٣٨١٢/٦) بعد أن ساق الأقوال السابقة قال: وأيا ما كانت مدلولاتها فنحن نحس من الحياة في الجو القرآني أن إيرادها على هذا النحو، ينشئ أولا وقبل كل شيء هزة في الحس، وتوجسا في الشعور، وتوفزا وتوقعاً لشيء يهول ويروع. ومن ثم فهي تشارك في المطلع مشاركة قوية في إعداد الحس لتلقي ما يروع ويهول من أمر الراجفة والرادفة والطامة الكبرى في النهاية...هذا المطلع جاء في صيغة القسم، على أمر تصوره الآيات التالية في السورة

" يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ. تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ. قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ. أَبْصارُها خاشِعَةٌ. يَقُولُونَ: أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ؟ أَإِذا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً؟ قالُوا: تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ! .. فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ. فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ "

الاستنباط:

١- إثبات وجودعالم الملائكة بدليل إقسام الله عزوجل بطوائف من ذاك العالم.

٢- مكانة الملائكة حتى إن الله أقسم بها والإقسام بها دلالة على مكانتها.

٣- أن من وظائف الملائكة قبض الأرواح وتدبير الأمور.

الآيات الواردة في

-٥٢-

سورة عبس



عبس وتولى

مما له صلة بعالم الملائكة

١٢٨- الملائكة سفرة وكرام بررة

وهذه الصفات وردت في الآيات (١١-١٦) من سورة (عبس) وتقول الآيات:



قال العلامة ابن جرير(٢٢١/٢٤) وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الملائكة الذين يسفرون بين الله ورسله بالوحي.

قال العلامة الرازي (٥١/٣٩) إن الله وصف الملائكة بثلاثة أنواع من الصفات:

أولهما: أنهم سفرة وفيه قولان:

الأول: قال ابن عباس وغيره هم الكتبة من الملائكة.

الثاني: وهو اختيار الفرّاء:أنهم الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين الله وبين رسله، والعرب تقول: سفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم فجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله وتأديته كالسفير الذي يصلح به بين القوم...

واعلم أن اصل السفارة من الكشف، والكاتب إنما يسمى سافراً لأنه يكشف، والسفير إنما سمي سفيراً لأنه يكشف، وهؤلاء الملائكة لما كانوا وسائط بين

الله وبين البشر في البيان والهداية والعلم لا جرم سموا سفرة.

الصفة الثانية: أنهم كرام **قال مقاتل:** كرام على ربهم.

الصفة الثالثة: أنهم بررة، **قال مقاتل:** مطيعون.

وقال العلامة ابن كثير(٦٣١/٤) عند قول الله " **كِرَامٍ بَرَرَةٍ** " أي خلقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارّة طاهرة كاملة، ومن هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السدسد والرشاد **قال الإمام احمد... عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الذي يقرأ القرآن – وهو ماهر به - مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه –وهو عليه شاق- له أجران) أخرجه الجماعة** ١هـ.

سبب النزول:

قال العلامة القرطبي (٢١١/١٩) روى أهل التفسير أجمع أن قوماً من أشراف قريش كانوا عند النبي، وقد طمع في إسلامهم فأقبل عبد الله بن أم مكتوم،فكره رسول الله أن يقطع عليه عبد الله كلامه فأعرض عنه ففيه نزلت الآية.

وقال السيوطي في الدر المنثور (٤١٦/٨) أخرج الترمذي وحسنه... **عن عائشة قالت: أنزلت سورة (عبس) في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله رجل من زعماء قريش، فجعل رسول الله يعرض عنه، ويقبل على الآخر ويقول: أترى بما أقول بأساً فيقول: لا، ففي هذا أنزلت.**

التفسير:

قال القرطبي (٢١٥/١٩) عند قول الله " **كلا** " كلا: كلمة ردع وزجر، أي: ما الأمر كما تفعل مع الفريقين أي: لا تفعل بعدها مثلها، من إقبالك على الغني، وإعراضك عن المؤمن الفقير.

ويقول الزمخشري (٧٠٢/٤) عند قوله " **إنها تذكرة** " أي: موعظةٌ يجب الاتعاظ والعمل بموجبها.

" **فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ** " أي: كان حافظا له غير ناس، وذكَّر الضمير لأنّ التذكرة في معنى الذكر والوعظ .

" **فِي صُحُفٍ** " صفة لتذكرة، يعنى: أنها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح مُكَرَّمَةٍ عند الله مَرْفُوعَةٍ في السماء. أو مرفوعة المقدار مُطَهَّرَةٍ منزهة عن أيدى الشياطين، لا يمسها إلا أيدى ملائكة مطهرين سَفَرَةٍ كتبة ينتسخون الكتب من اللوح بَرَرَةٍ أتقياء.

ويقول صاحب الظلال رحمه الله (٣٨٢٥/٦) عند قول الله " **كَلَّا** " .. لا يكن ذلك أبدا.. وهو خطاب يسترعي النظر في هذا المقام.

ثم يبين حقيقة هذه الدعوة وكرامتها وعظمتها ورفعتها، واستغناءها عن كل أحد. وعن كل سند. وعنايتها فقط بمن يريدها لذاتها، كائنا ما كان وضعه ووزنه في موازين الدنيا.

" **إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ، فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ، فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ، بِأَيْدِي سَفَرَةٍ،كِرَامٍ بَرَرَةٍ** " فهي كريمة في كل اعتبار. كريمة في صحفها، المرفوعة المطهرة الموكل بها السفراء من الملأ الأعلى ينقلونها إلى المختارين في الأرض ليبلغوها. وهم كذلك كرام

بررة..فهي كريمة طاهرة في كل ما يتعلق بها، وما يمسها من قريب أو من بعيد. وهي عزيزة لا يتصدى بها للمعرضين الذين يظهرون الاستغناء عنها فهي فقط لمن يعرف كرامتها ويطلب التطهر بها..

هذا هو الميزان. ميزان الله. الميزان الذي توزن به القيم والاعتبارات، ويقدر به الناس والأوضاع.. وهذه هي الكلمة. كلمة الله. الكلمة التي ينتهي إليها كل قول، وكل حكم، وكل فصل.

الاستنباط:

١- إثبات عالم الملائكة.

٢- أن من صفات الملائكة أنهم سفرة وكرام وبررة.

الآيات الواردة في

-٥٣-

سورة التكوير



التكوير

مما له صلة بعالم الملائكة

١٢٩-جبريل.. صفاته القدسية
و
رؤية رسول الله له على صورته الملكية

وهذه الصفات، وتلك الرؤية وردت في الآيات (١٥-٢٧) من سورة (التكوير) وتقول الآيات:



قال العلامة ابن جرير (٢٧٨/٢٤) عند قول الله " **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ** " يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن لتنزيل رسول كريم يعني جبريل نزله على محمد بن عبد الله.

قال العلامة الرازي (٦٩/٣١) واعلم أنه تعالى وصف جبريل ههنا بصفات ستّ:

أولها: أنه **رسول**، ولا شك أنه رسول الله إلى الأنبياء فهو رسول وجميع الأنبياء أمته، وهو المراد من قوله " **يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** " [النحل/٢] وقال: " **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ** " [الشعراء/١٩٣].

وثانيها: أنه **كريم**، ومن كرمه أنه يعطي أفضل العطايا وهو المعرفة والهداية والإرشاد.

وثالثهما: أنه **ذو قوة، ثم منهم** من حمله على **الشدة... ومنهم** من حمله على **القوة في أداء طاعة الله وترك الإخلال بها** من أول الخلق إلى آخر زمان التكليف وعلى القوة في معرفة الله وفي مطالعة جلال الله.

ورابعها: أنه **عند ذي العرش مكين**، وهذه العِنْدِيَّة ليست عندية المكان... وليست عندية الجهة... بل عندية الإكرام والتشريف والتعظيم...

و**المكين:** هو ذو الجاه الذي يعطي ما يَسأل.

وقال ابن كثير(١٤٧/٤) أي له مكانة عند الله، ومنزلة رفيعة.

وخامسها: أنه مطاع والمعنى: أنه عند الله مطاع في ملائكته المقرّبين يصدرون عن أمره، ويرجعون إلى رأيه.

وقال ابن كثير (٦٤٨/٤) أي: له وجاهة، وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى... أي: في السموات يعني: ليس هو من أفناء الملائكة بل هو من السادة والأشراف، معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة.

وسادسها: أنه أمين أي: هوأمين على وحي الله ورسالاته، قد عصمه الله من الخيانة والزلل.

قال ابن كثير(٦٤٨/٤) وهذا عظيم جداً أن الرب يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل ١هـ.

التفسير:

يقول العلامة صاحب الظلال (٣٨٤١/٣) عند قول الله " **فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ، الْجَوَارِ الْكُنَّسِ** " والخنس الجوار الكنس.. هي الكواكب التي تخنس أي ترجع في دورتها الفلكية وتجري وتختفي. والتعبير يخلع عليها حياة رشيقة كحياة الظباء. وهي تجري وتختبئ في كناسها وترجع من ناحية أخرى. فهناك حياة تنبض من خلال التعبير الرشيق الأنيق عن هذه الكواكب...

" **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ** " أي إذا أظلم.

" **وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** " أنفاسه النور والحياة والحركة التي تدب في كل حي...

" **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ** " إن هذا القرآن،.. لقول رسول كريم.. وهو جبريل الذي حمل هذا القول وأبلغه.. فصار قوله باعتبار تبليغه ويذكر صفة هذا الرسول، الذي اختير لحمل هذا القول وإبلاغه..

" **كَرِيمٍ** " عند ربه. فربه هو الذي يقول..

" **ذِي قُوَّةٍ** " .. مما يوحي بأن هذا القول يحتاج في حمله إلى قوة.

" **عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ** " في مقامه ومكانته.. وعند من؟ عند ذي العرش العلي الأعلى.

" **مُطَاعٍ ثَمَّ** " هناك في الملأ الأعلى.

" **أَمِينٍ** " على ما يحمل وما يبلغ..وهذه الصفات في مجموعها توحي بكرامة هذا القول وضخامته وسموه كذلك وارتفاعه. كما توحي بعناية الله سبحانه بالإنسان، حتى ليختار هذا الرسول صاحب هذه الصفة ليحمل الرسالة إليه، ويبلغ الوحي إلى النبي المختار منه...

فهذه صفة الرسول الذي حمل القول وأداه، فأما الرسول الذي حمله إليكم فهو " **صَاحِبُكُمْ** " عرفتموه حق المعرفة عمراً طويلا.

فما لكم حين جاءكم بالحق تقولون فيه ما تقولون؟ وتذهبون في أمره المذاهب؟

ويقول العلامة ابن كثير (٤/٦٤٨) " **وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ** "

يَعْنِي: وَلَقَدْ رَأَى محمدٌ جِبْرِيلَ الَّذِي يَأْتِيهِ بِالرِّسَالَةِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا لَهُ سِتُّمِائَةُ جَنَاحٍ.

" **بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ** " أَيِ: الْبَيِّنُ، وَهِيَ الرُّؤْيَةُ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ بِالْبَطْحَاءِ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: "**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالأفُقِ الأعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**" [النَّجْمِ: ٥ -١٠] .

والدليلُ أَنَّ المرادَ بِذَلِكَ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَالظَّاهِرُ-وَاللَّهُ أَعْلَمُ-أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الرُّؤْيَةَ **وَهِيَ الْأُولَى، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ** وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: " **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى** " [النَّجْمِ: ١٣ -١٦] ، فَتِلْكَ إِنَّمَا ذُكِرَتْ فِي سُورَةِ "النَّجْمِ" وَقَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ " الْإِسْرَاءِ ".

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.
٢- جبريل سيد الملائكة بلا منازع يدل على ذلك تلك الصفات التي وصفها به ربه عزَّوجل مما لم يصف بها ملكاً سواه وتلك المهمة التي أسندها إليه وهي مهمة الوحي.

الآيات الواردة في

-٥٤-

سورة الانفطار



الانفطار

مما له صلة بعالم الملائكة

١٣٠- وإن عليكم لحافظين

وهذه وظيفة أخرى من وظائف الملائكة وردت في الآيات (٩-١٢) من سورة (الانفطار) وتقول الآيات:



قال العلامة ابن كثير (٣٥٦/٤) يعني: وإن عليكم لملائكةً حفظةً كراماً، فلا تقابلوهم بالقبائح، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم.

المناسبة:

قال العلامة الرازي (٧٧/٣١) موضحاً صلةَ الوصل بين " **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ** " مع ما قبلها.

" **كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ** " يقول: إنكم تكذبون بيوم الدين وهويوم الحساب والجزاء، وملائكةُ الله موكلون بكم يكتبون أعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيامة.

التفسير:

يقول صاحب الظلال (٣٨٥١/٦) " **كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ** " تكذبون بالحساب والمؤاخذة والجزاء. وهذه هي علة الغرور، وعلة التقصير.فما يكذب القلب بالحساب والجزاء ثم يستقيم على هدى ولا خير ولا طاعة...تكذبون بيوم الدين.. وأنتم صائرون إليه، وكل ما

عملتم محسوب عليكم فيه.لا يضيع منه شيء.

" **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** " وهؤلاء الحافظون هم الأرواح الموكلة بالإنسان- من الملائكة- التي ترافقه، وتراقبه، وتحصي عليه كل ما يصدر عنه..

ونحن لا ندري كيف يقع هذا كله، ولسنا بمكلفين أن نعرف كيفيته. فالله يعلم أننا لم نوهب الاستعداد لإدراكها. وأنه لا خير لنا في إدراكها. لأنها غير داخلة في وظيفتنا وفي غاية وجودنا. فلا ضرورة للخوض فيما وراء المدى الذي كشفه الله لنا من هذا الغيب.

ويكفي أن يشعر القلب البشري أنه غير متروك سدى. وأن عليه حفظة كراما كاتبين يعلمون ما يفعله، ليرتعش ويستيقظ، ويتأدب! وهذا هو المقصود!

ولما كان جو السورة جو كرم وكرامة، فإنه يذكر من صفة الحافظين كونهم.. " **كِرَامًا** " ليستجيش في القلوب إحساس الخجل والتجمل بحضرة هؤلاء الكرام. فإن الإنسان ليحتشم ويستحيي وهو بمحضر الكرام من الناس... فكيف حين يشعر ويتصور أنه في كل لحظاته وفي كل حالاته في حضرة حفظة من الملائكة «**كرام**» لا يليق أن يطلعوا منه إلا على كل كريم من الخصال والفعال...

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢- أن من وظائف الملائكة كتابة أعمال بني آدم وتسجيلها، وقد وصف هؤلاء بأنهم حافظون، وكرام، وكاتبون، ويعلمون ما نفعل وقد حملت السنة الكثير من التفاصيل وحسبنا منها هنا ما أورده البزار:

روى البزار في مسنده إلى ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِي اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم: إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ عَنِ التَّعَرِّي فَاسْتَحْيُوا مِنْ مَلائِكَةِ اللَّهِ الَّذِينَ مَعَكُمُ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ لا يُفَارِقُونَكُمْ إِلاَّ عِنْدَ إِحْدَى ثَلاثِ حَالاتٍ: الْغَائِطِ وَالْجَنَابَةِ وَالْغُسْلِ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ بِالْعَرَاءِ فليستتر بثوبه، أو بخذمة حَائِطٍ، أَوْ بِبَعِيرِهِ.

قال ابن كثير (٦٥٣/٤) حفص بن سليمان لين الحديث، وقد روي عنه واحتمل حديثه.

الآيات الواردة في

-٥٥-

سورة المطففين





مما له صلة بعالم الملائكة

١٣١- كتاب الأبرار تشهده الملائكة المقربون

وهذا المعنى جلي في الآيات (١٨-٢١) من سورة المطففين وتقول الآيات:



قال ابن جرير(٢٤/٢٩٤) يشهد ذلك الكتاب المكتوب بأمان الله للبرّ من عباده من النار، وفوزه بالجنة يشهد ذلك المقربون من ملائكته من كل سماء من السماوات السبع.

المناسبة:

يقول الرازي (٣١/٩٠) اعلم أن تعالى لما ذكر حال الفجار المطففين أتبعه بذكر حال الأبرارالذين لا يطففون فقال: كلا أي: ليس الأمر كما توهمه أولئك الفجار من إنكار البعث ومن أن كتاب الله أساطير الأولين.

التفسير:

يقول صاحب الظلال (٣٨٥٨/٦) وكلمة " **كَلَّا** " تجيء في صدر هذا المقطع زجرا عما ذكر قبله من التكذيب في قوله: " **ثُمَّ يُقالُ: هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ** " ويعقب عليه بقوله: " **كَلَّا**" ثم يبدأ الحديث عن الأبرار في حزم وفي توكيد، فإذا كان كتاب الفجار في " **سِجِّينٍ** " فإن كتاب الأبرار في " **عِلِّيِّينَ** " والأبرار هم الطائعون الفاعلون كل خير. وهم يقابلون الفجار العصاة المتجاوزين لكل حد.. ولفظ " **عِلِّيِّينَ** "يوحي بالعلو والارتفاع مما قد يؤخذ منه أن "**سِجِّينٍ**" يفيد الانحطاط والسفول. ثم يعقب عليه بسؤال التجهيل والتهويل المعهود.

" **وَما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ؟** " فهو أمر فوق العلم والإدراك! ويعود من هذا الظل الموحي إلى تقرير حقيقة كتاب الأبرار.. فهو " **كِتابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ** " وقد ويضاف إليه هنا أن الملائكة المقربين يشهدون هذا الكتاب ويرونه.

تقرير هذه الحقيقة هنا يلقي ظلا كريما طاهرا رفيعا على كتاب الأبرار. فهو موضع مشاهدة المقربين من الملائكة، ومتعتهم بما فيه من كرائم الأفعال والصفات. وهذا ظل كريم شفيف، يذكر بقصد التكريم.

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.
٢- أن من وظائف الملائكة أنها تشهد كتاب الأبرار.

الآيات الواردة في

-٥٦-

سورة الفجر



والفجر

مما له صلة بعالم الملائكة

١٣٢- وجاء ربك والملك صفاً صفاً

وهذا المشهد الرهيب جاء ضمن الآيات (٢١-٢٢) من سورة (الفجر) وتقول الآيات:



المناسبة:

يقول الرازي (١٥٨/٣١) اعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ: **كَلَّا** رَدْعٌ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِنْكَارٌ لِفِعْلِهِمْ أَيْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ هَكَذَا فِي الْحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا وَقَصْرِ الْهِمَّةِ وَالْجِهَادِ عَلَى تَحْصِيلِهَا وَالِاتِّكَالِ عَلَيْهَا وَتَرْكِ الْمُوَاسَاةِ مِنْهَا وَجَمْعِهَا مِنْ حَيْثُ تَتَهَيَّأُ مِنْ حِلٍّ أَوْ حَرَامٍ، وَتَوَهَّمَ أَنْ لَا حِسَابَ وَلَا جَزَاءَ.

فَإِنَّ مَنْ كَانَ هَذَا حَالَهُ يَنْدَمُ حِينَ لَا تَنْفَعُهُ النَّدَامَةُ وَيَتَمَنَّى أَنْ لَوْ كَانَ أَفْنَى عُمْرَهُ فِي التَّقَرُّبِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْمُوَاسَاةِ مِنَ الْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّهُ إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتٍ ثَلَاثَةٍ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ ذَلِكَ التَّمَنِّي وَتِلْكَ النَّدَامَةُ.

التفسير:

يقول العلامة ابن كثير(٤/٧٠٨) يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ الْعَظِيمَةِ، فَقَالَ: " **كَلا** "أَيْ: حَقًّا.

" **إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا** " أَيْ: وُطِئَتْ وَمُهِّدَتْ وَسُوِّيَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، وَقَامَ الْخَلَائِقُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّهِمْ.

" **وَجَاءَ رَبُّكَ** " يَعْنِي: لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا يَسْتَشْفِعُونَ إِلَيْهِ بِسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَمَا يَسْأَلُونَ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، فَكُلُّهُمْ يَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَاكُمْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ النَّوْبَةُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ: "**أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا**". فَيَذْهَبُ فَيَشْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ فِي أَنْ يَأْتِيَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ فَيُشَفِّعُهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ، وَهِيَ أَوَّلُ الشَّفَاعَاتِ، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ " **سُبْحَانَ** " فَيَجِيءُ الرَّبُّ تَعَالَى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ كَمَا يَشَاءُ، وَالْمَلَائِكَةُ يَجِيئُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صُفُوفًا صُفُوفًا.

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.
٢- أن الملائكة يجيئون يوم القيامة صفاً صفاً.

الآيات الواردة في

-٥٧-

سورة العلق



العلق

مما له صلة بعالم الملائكة

١٣٣- الزَّبانية

وقد جاء ذكرهم في الآيات (٩-١٩) من سورة (العلق) وتقول الآيات:



قال الرازي (٢٢٦/٣٢) وَبِالْجُمْلَةِ فَالْمُرَادُ بالزبانية مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ مَخْصُوصُونَ بِقُوَّةٍ شَدِيدَةٍ...

وَقَالَ قَتَادَةُ: الزَّبَانِيَةُ هُمُ الشُّرَطُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْغِلَاظُ الشِّدَادُ، وَمَلَائِكَةُ النَّارِ سُمُّوا الزَّبَانِيَةَ لِأَنَّهُمْ يَزْبِنُونَ الْكُفَّارَ أَيْ يَدْفَعُونَهُمْ فِي جَهَنَّمَ.

سبب النزول:

رَوَى أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنسائي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ فَمَرَّ بِهِ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ -وَتَوَعَّده- فَأَغْلَظَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانتهره، فقال: يا محمد، بِأَيِّ شَيْءٍ تُهَدِّدُنِي؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَكْثَرُ هَذَا الْوَادِي نَادِيًا! فَأَنْزَلَ اللَّهُ:" فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ مِنْ سَاعَتِهِ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

التفسير:

قال ابن كثير (٤/ ٧٤٩) عند قول الله " **أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى** " نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ، لَعَنَهُ اللَّهُ، تَوَعَّدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ الْبَيْتِ، فَوَعَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أَوَّلًا.

فَقَالَ: " **أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى** " أَيْ: فَمَا ظَنُّكَ إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي تَنْهَاهُ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ فِي فِعْلِهِ.

أَوْ " **أَمَرَ بِالتَّقْوَى** " بِقَوْلِهِ، وَأَنْتَ تَزْجُرُهُ وَتَتَوَعَّدُهُ عَلَى صِلَاتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: " **أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى** " أَيْ: أَمَا عَلِمَ هَذَا النَّاهِي لِهَذَا الْمُهْتَدِي أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَسَيُجَازِيهِ عَلَى فِعْلِهِ أَتَمَّ الْجَزَاءِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا وَمُتَهَدِّدًا.

" **كَلا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ** " أَيْ: لَئِنْ لَمْ يَرْجِعْ عَمَّا هُوَ فِيه مِنَ الشِّقَاقِ وَالْعِنَادِ " **لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ** "أَيْ: لَنَسمَنَّها سَوَادًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ قَالَ: " **نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ**" يَعْنِي: نَاصِيَةَ أَبِي جَهْلٍ كَاذِبَةً فِي مَقَالِهَا خَاطِئَةً فِي فعَالِها.

" **فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ** " أَيْ: قَوْمَهُ وَعَشِيرَتَهُ، أَيْ: لِيَدْعُهُمْ يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ.

" **سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ** " وَهُمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، حَتَّى يَعْلَمَ مَنْ يغلبُ: أحزبُنا أَوْ حِزْبُهُ.

الاستنباط:

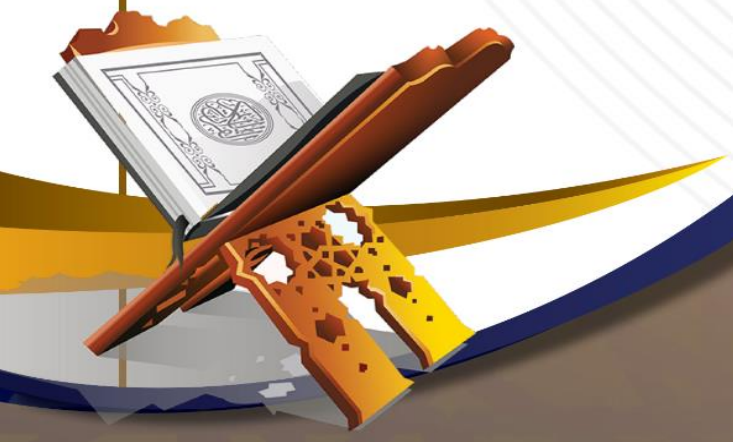
١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.

٢- أن هناك ملائكة موكلة بتعذيب من يستحق ذلك يقال لهم " **الزَّبَانِيَةَ** ".

الآيات الواردة في

-٥٨-

سورة القدر







مما له صلة بعالم الملائكة

١٣٤- الملائكة والروح وتنزلهم ليلة القدر

وهذا المشهد جاء ضمن السياق الكامل لسورة (القدر) وتقول السُّورة:



قال ابن جرير (٢٤/٥٢٤) معنى ذلك: تنزل الملائكة وجبريل معهم وهوالروح في ليلة القدر.

التفسير:

قال ابن كثير (٤/٧٢٢) وَقَوْلُهُ: " **تَنزلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**" أَيْ: يَكْثُرُ تَنزلُ الْمَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالْمَلَائِكَةُ يَتَنَزَّلُونَ مَعَ تَنَزُّلِ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ...

وَأَمَّا الرُّوحُ فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ.

الاستنباط:

١- إثبات وجود عالم الملائكة الغيبي.
٢- إثبات وجود فرد من أفراد ذلك العالم الغيبي وهو جبريل.
٣- أن من ألقاب جبريل (الروح).
٤- تنزل الملائكة ومعهم جبريل في ليلة القدر.

الفهرس

المدخل العام لدراسة عالم الملائكة ٢

التعريف بعالم الملائكة..... ٤

التعريف بعالم الملائكة لغة واصطلاحاً..... ٦

ضرورة الإيمان بعالم الملائكة الأطهار..... ١٥

الإيمان المعتبر بعالم الملائكة الأطهار..... ٢٠

الدليل على وجود عالم الملائكة مع مناقشة المنكرين والمشككين والمتأولين..... ٢٨

الملائكة في القرآن الكريم..... ٣٨

الآيات الواردة في سورة (البقرة) مما له صلة بعالم الملائكة..... ٤٠

الله يخبر ملائكته بأنه جاعل في الأرض خليفة..... ٤٢

آدم يعلم الملائكة ما علمه الله إياه..... ٥٢

الملائكة تسجد لآدم وإبليس أبى واستكبر..... ٦٠

الله عزوجل يؤيد عبده عيسى بروح القدس..... ٧٤

جبريل عليه السلام، واليهود عداوة مفتعلة..... ٨٣

الملكان هاروت وماروت وأساطير اليهود..... ٩٢

الكافرون الذين ماتوا على كفرهم تلعنهم الملائكة..... ١٠٥

الإيمان بعالم الملائكة من البر..... ١١٠

حضور الملائكة للحساب يوم القيامة..... ١١٦

الملائكة تحمل التابوت وتوصله إلى طالوت..... ١٢٢

الله عزوجل أيد عيسى بروح القدس..... ١٢٦

الإيمان بعالم الملائكة من أصول الإيمان..... ١٣١

الآيات الواردة في سورة (آل عمران) مما له صلة بعالم الملائكة.....١٣٧
الملائكة تشهد بوحدانية الله.....١٣٩
الملائكة تزف البشرى لزكريا بولادة ابنه يحيى عليهم السلام.....١٤٤
الملائكة تبشر مريم بأن الله اصطفاها على نساء العالمين.....١٥٠
الملائكة تبشر مريم بولادة ابنها عيسى عليه السلام.....١٥٤
عبادة الملائكة كفر ولم تدع إليها الأنبياء.....١٦١
المرتدون الذين كفروا بعد إيمانهم تلعنهم الملائكة أيضاً.....١٦٦
الملائكة يوم أحد -المدد المشروط والوعد الذي لم يتحقق-.....١٧٣
الآيات الواردة في سورة (النساء) مما له صلة بعالم الملائكة.....١٨٣
الملائكة تقبض أرواح الظالمين الذين أقاموا بدار الكفر ولم يتمنكوا من إظهار شعائر دينهم.....١٨٥
إنكار عالم الملائكة كفر وضلال بعيد.....١٩١
الملائكة تشهد بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.....١٩٤
الملائكة المقربون لا يتكبرون عن أن يكونوا عباداً لله.....١٩٩
الآيات الواردة في سورة (المائدة) مما له صلة بعالم الملائكة.....٢٠٩
من نعم الله على عيسى أن أيده بروح القدس.....٢٠٨
الآيات الواردة في سورة (الأنعام) مما له صلة بعالم الملائكة.....٢١١
من شبهات منكري النبوات حول الملائكة-هلا أنزلت عليك ملك يصدقك فنصدقك-.....٢١٣
من شبهات منكري النبوات حول الملائكة-اقتراحهم أن يكون الرسول لهم ملكياً لا بشرياً.....٢١٧
لست ملكاً...يقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.....٢٢٢
من وظائف الملائكة-الملائكة الحفظة-ملائكة الموت.....٢٢٩

الملائكة تقبض أرواح الظالمين الذين افتروا على الله كذباً والذين ادعوا النبوات.....٢٣٧
لو رأى الكافرون الملائكة وشهدت بصدق الرسول فلن يؤمن منهم إلا من شاء الله هدايته.....٢٤٦
آمنوا قبل أن تقبض الملائكة أرواحكم.....٢٥٢
الآيات الواردة في سورة (الأعراف) مما له صلة بعالم الملائكة.....٢٥٧
الملائكة تسجد لآدم وإبليس لم يكن من الساجدين.....٢٦٠
الملائكة طعم استخدمه إبليس لإغراء آدم ليأكل من الشجرة.....٢٦٥
الملائكة تقبض أرواح الظالمين الذين افتروا على الله كذباً والذين كذبوا بآياته.....٢٧٣
الملائكة لا يستكبرون عن عبادة ربهم ويسبحونه وله يسجدون.....٢٨٠
الآيات الواردة في سورة (الأنفال) مما له صلة بعالم الملائكة.....٢٨٧
الملائكة يوم بدر-مردفين-مثبتين-مشاركين في القتال.....٢٨٩
الملائكة تقبض أرواح الكافرين.....٣٠٤
الآيات الواردة في سورة (التوبة) مما له صلة بعالم الملائكة.....٣٠٧
الملائكة يوم حنين، وأنزل جنوداً لم تروها.....٣٠٩
الملائكة في الغار، وأيده بجنود لم تروها.....٣١٢
الآيات الواردة في سورة (هود) مما له صلة بعالم الملائكة.....٣١٨
بلغ ما أنزل إليك ولو طالبوك بدلائل مادية ومنها مجيء ملك مصدق لك بأنك رسول.....٣٢٠
لست ملكاً - يقول نوح عليه السلام-.....٣٢٥
الملائكة وإبراهيم - مهمتان مختلفتان -.....٣٢٨
الملائكة ولوط - مهمة الإهلاك والتدمير -.....٣٣٨

الآيات الواردة في سورة (الرعد) مما له صلة بعالم الملائكة.....٣٤٧
الملائكة المعقبات.....٣٤٩
الملائكة تسبح من خيفته.....٣٥٨
الملائكة يدخلون على أهل الجنة للسلام عليهم.....٣٦٥
الآيات الواردة في سورة (الحجر) مما له صلة بعالم الملائكة.....٣٧١
اقتراحات للإيمان من الكافرين -لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين-
.....٣٧٣
الملائكة تسجد لآدم وإبليس يأبى أن يكون مع الساجدين.....٣٧٦
الملائكة وإبراهيم -بشارة بغلام عليم ونذارة بعذاب أليم-.....٣٧٩
الملائكة ولوط -دابر قومك -يا لوط- مقطوع مصبحين.....٣٨٢
الآيات الواردة في سورة (النحل) مما له صلة بعالم الملائكة.....٣٨٦
الملائكة ينزلها الله بالروح على من يشاء من عباده.....٣٨٨
الملائكة تتوفى ارواح الظالمين وهم عند ذاك الحال تراهم مستسلمين....٣٩٣
الملائكة تتوفى أرواح المؤمنين مع السلام عليهم ودعوتهم لدخول الجنة.٣٩٥
آمنوا - أيها الكفار – قبل أن تأتي الملائكة لقبض أرواحكم.....٣٩٧
الملائكة تسجد لله ويخافون منه ويفعلون ما يؤمرون.....٣٩٩
قل: نزله على روح القدس.....٤٠٢
الآيات الواردة في سورة (الإسراء) مما له صلة بعالم الملائكة.....٤٠٥
ما اتخذ الله من الملائكة إناثاً.....٤٠٧
الملائكة يسجدون لآدم وإبليس يجادل.....٤١٠
إيمان معلق بشروط ومنها " أن تأتي بالله والملائكة قبيلاً".....٤١٢
الملائكة لا يكونون أنبياء ولا مرسلين للبشر.....٤١٦
الآيات الواردة في سورة (الكهف) مما له صلة بعالم الملائكة.....٤٢٠

إبليس من الجن وليس من الملائكة.....٤٢٢
الآيات الواردة في سورة (مريم) مما له صلة بعالم الملائكة.....٤٢٦
جبريل...ومريم...وجهاً لوجه.....٤٢٨
الملائكة لا تنزل إلا بأمر الله.....٤٣٢
الآيات الواردة في سورة (طه) مما له صلة بعالم الملائكة.....٤٣٧
قبضة من أثر الرسول -جبريل-.....٤٣٩
الملائكة سجدوا لآدم وإبليس أبى.....٤٤٢
الآيات الواردة في سورة (الأنبياء) مما له صلة بعالم الملائكة.....٤٤٥
الملائكة لا يستكبرون عن عبادة ربهم ولا يستحسرون ويسبحون ولا يفترون.....٤٤٧
الملائكة عباد مكرمون.....٤٥١
الملائكة تتلقى المؤمنين قائلة: هذا يومكم الذي كنتم توعدون.....٤٥٩
الآيات الواردة في سورة (الحج) مما له صلة بعالم الملائكة.....٤٦٥
الله يصطفي من الملائكة رسلاً.....٤٦٧
الآيات الواردة في سورة (المؤمنون) مما له صلة بعالم الملائكة.....٤٧١
لو شاء الله إيماننا لبعث نبياً ملكاً -هكذا قالوا-.....٤٧٣
الآيات الواردة في سورة (الفرقان) مما له صلة بعالم الملائكة.....٤٧٦
لو شهدت الملائكة بنبوته...لآمنا به -هكذا قالوا-.....٤٧٨
لولا أنزل علينا الملائكة شاهدة بنبوته لآمنا به.....٤٨٠
من أهوال يوم القيامة تشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة تنزلاً.....٤٨٣
الآيات الواردة في سورة (الشعراء) مما له صلة بعالم الملائكة.....٤٨٦
جبريل نزل بالقرآن على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم.....٤٨٨
الآيات الواردة في سورة (العنكبوت) مما له صلة بعالم الملائكة.....٤٩١

الملائكة تبشر إبراهيم وتتوعد قوم لوط.....٤٩٣
الملائكة تأتي لتدمير قوم لوط.....٤٩٥
الآيات الواردة في سورة (السجدة) مما له صلة بعالم الملائكة.....٤٩٨
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم.....٥٠٠
الآيات الواردة في سورة (الأحزاب) مما له صلة بعالم الملائكة.....٥٠٤
الملائكة تشارك في غزوة الأحزاب.....٥٠٦
الملائكة تصلي على المؤمنين.....٥٠٩
الملائكة تصلي على حضرة النبي صلى الله عليه وسلم.....٥١٢
الآيات الواردة في سورة (سبأ) مما له صلة بعالم الملائكة.....٥١٨
الملائكة وخشيتها من الله عزوجل.....٥٢٠
الملائكة تتبرأ من عابديها.....٥٢٦
الآيات الواردة في سورة (فاطر) مما له صلة بعالم الملائكة.....٥٣١
الملائكة رسل أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع.....٥٣٣
الآيات الواردة في سورة (يس) مما له صلة بعالم الملائكة.....٥٣٩
بصيحة واحدة لا بجنود ملكية هائلة أهلكهم الله.....٥٤١
الآيات الواردة في سورة (الصافات) مما له صلة بعالم الملائكة.....٥٤٤
الله عزوجل يقسم بملائكته -الصافات والزاجرات والتاليات- يقسم بهم على وحدانيته.....٥٤٦
أحاديث الملأ الأعلى محفوظة من كل شيطان مارد.....٥٥٣
الملائكة ليسوا إناثاً.....٥٦١
الملائكة هم الصافون وهم المسبحون ولكل مقامه المعلوم.....٥٦٤
الآيات الواردة في سورة (ص) مما له صلة بعالم الملائكة.....٥٧١
اختصام الملأ الأعلى -سجدوا وإبليس أبى واستكبر-.....٥٧٣

الآيات الواردة في سورة (الزمر) مما له صلة بعالم الملائكة.....٥٧٨
حوار بين خزنة النار وأصحاب النار.....٥٨٠
ترحيب حار بين خزنة الجنة وأهلها.....٥٨٦
المشهد الأخير "وترى الملائكة حافين من حول العرش".....٥٩١
الآيات الواردة في سورة (غافر) مما له صلة بعالم الملائكة.....٥٩٤
وظائف حملة العرش ومن حوله.....٥٩٦
أهل النار لخزنة النار "ادعوا ربكم يخفف عنها يوماً من العذاب".....٦٠٨
الآيات الواردة في سورة (فصلت) مما له صلة بعالم الملائكة.....٦١٢
الملائكة للمؤمنين عند الموت "لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة "...٦١٤
الذين عند ربهم يسبحون له بالليل والنهار ولا يسأمون.....٦٢٠
الآيات الواردة في سورة (الشورى) مما له صلة بعالم الملائكة.....٦٢٥
الملائكة "يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض.....٦٢٧
الرسول الملكي قناة من قنوات التواصل بين الخالق والمخلوق.....٦٢٩
الآيات الواردة في سورة (الزخرف) مما له صلة بعالم الملائكة.....٦٣٦
جرائم عرب الجاهلية في حق الملائكة القدسية.....٦٣٨
فرعون واقتراحاته المتعلقة بالملائكة.....٦٤٢
لو شاء الله أن يبدلنا بالملائكة لفعل.....٦٤٥
يا مالك ليقض علينا ربك من نداءات أهل النار.....٦٤٧
الملائكة تسجل الأعمال.....٦٥١
الآيات الواردة في سورة (محمد) مما له صلة بعالم الملائكة.....٦٥٥
ملائكة الموت وقبضها لأرواح المرتدين.....٦٥٧
الآيات الواردة في سورة (الفتح) مما له صلة بعالم الملائكة.....٦٦٣

ولله جنود السماوات والأرض..... ٦٦٥
الآيات الواردة في سورة (ق) مما له صلة بعالم الملائكة..... ٦٧٠
المتلقيان هما الكاتبان..... ٦٧٢
من وظائف ملائكة يوم القيامة السائق والشهيد..... ٦٨٠
القرين الملكي..... ٦٨٢
يوم يناد المناد..... ٦٨٥
الآيات الواردة في سورة (الذاريات) مما له صلة بعالم الملائكة..... ٦٨٨
الله يقسم بالملائكة -المقسمات أمراً-..... ٦٩٠
الملائكة وإبراهيم بشارة بغلام عليم وإهلاك للقوم الشاذين..... ٦٩٣
الآيات الواردة في سورة (الطور) مما له صلة بعالم الملائكة..... ٦٩٥
مصلى الملائكة في البيت المعمور..... ٦٩٧
الآيات الواردة في سورة (النجم) مما له صلة بعالم الملائكة..... ٧٠٠
جبريل بعض من صفاته القدسية ورؤية الرسول له على صورته الملكية..... ٧٠٢
للملائكة شفاعتها ولكن بإذن الله..... ٧١٠
الملائكة ليست إناثاً..... ٧١٢
الآيات الواردة في سورة (القمر) مما له صلة بعالم الملائكة..... ٧١٥
قوم لوط يراودون لوطاً عن ضيوفه الملكيين..... ٧١٧
الآيات الواردة في سورة (الواقعة) مما له صلة بعالم الملائكة..... ٧١٩
الملائكة هم المظهرون..... ٧٢١
الآيات الواردة في سورة (التحريم) مما له صلة بعالم الملائكة..... ٧٢٥
الله مولى نبيه محمد وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير. ٧٢٧
ملائكة النار غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.. ٧٣٠

الآيات الواردة في سورة (الملك) مما له صلة بعالم الملائكة.....٧٣٤
خزنة النار تقيم الحجة على أهل النار.....٧٣٦
الآيات الواردة في سورة (الحاقة) مما له صلة بعالم الملائكة.....٧٤١
حملة العرش ثمانية.....٧٤٣
الآيات الواردة في سورة (المعارج) مما له صلة بعالم الملائكة.....٧٤٧
عروج الملائكة والروح.....٧٤٩
الآيات الواردة في سورة (الجن) مما له صلة بعالم الملائكة.....٧٥٤
الملائكة يحرسون السماء.....٧٥٦
الآيات الواردة في سورة (المدثر) مما له صلة بعالم الملائكة.....٧٥٩
خزنة جهنم من الملائكة وعدتهم تسعة عشر.....٧٦١
الآيات الواردة في سورة (المرسلات) مما له صلة بعالم الملائكة.....٧٦٨
الله يقسم بطوائف من ملائكته - الملائكة الفارقات فرقاً والملائكة الملقيات ذكراً -.....٧٧٠
الآيات الواردة في سورة (النبأ) مما له صلة بعالم الملائكة.....٧٧٤
الملائكة والروح يقومون صفاً ولا يتكلمون إلا بإذن المولى.....٧٧٦
الآيات الواردة في سورة (النازعات) مما له صلة بعالم الملائكة.....٧٨١
الله يقسم بطوائف من ملائكته –النازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات.....٧٨٣
الآيات الواردة في سورة (عبس) مما له صلة بعالم الملائكة.....٧٨٧
الملائكة سفرة وكرام بررة.....٧٨٩
الآيات الواردة في سورة (التكوير) مما له صلة بعالم الملائكة.....٧٩٤
جبريل –صفاته القدسية ورؤية رسول الله له على صورته الملكية.....٨٠٢
الآيات الواردة في سورة (الأنفطار) مما له صلة بعالم الملائكة.....٨٠٤

وإن عليكم لحافظين.....٨٠٨
الآيات الواردة في سورة (المطففين) مما له صلة بعالم الملائكة.....٨١٠
كتاب الأبرار تشهده الملائكة المقربون.....٨١٠
الآيات الواردة في سورة (الفجر) مما له صلة بعالم الملائكة.....٨١٣
وجاء ربك والملك صفا صفا.....٨١٥
الآيات الواردة في سورة (العلق) مما له صلة بعالم الملائكة.....٨١٨
الزبانية.....٨٢٠
الآيات الواردة في سورة (القدر) مما له صلة بعالم الملائكة.....٨٢٣
الملائكة والروح وتنزلهم ليلة القدر.....٨٢٥
الفهرس.....٨٢٦